

Younes 92 تصوير الطبعة التاسعة

طبعة التاسعة

الطبعة التاسعة

رواية واقعية



عصام يوسف

Best
Seller

alexandra.ahlamontada.com ..تعديل ومعالجة

مكتبة الإسكندرية

رواية واقعية

إهداء

1/4 جرام

إلى:

أبى وأمى...

وماذا فعل فى مجموعة أصدقاء..

عصام يوسف

وصية صديق

صاحب هذا الكتاب هو: صلاح.. من أعز أصدقائي، وضع في عنقي، منذ 15 عاما إلا قليلاً، مسئولية هائلة.. عندما روى لى قصة حياته بأدق تفاصيلها.

قال ما قال، وترك كل الحروف والكلمات أمانة في عنقي، لأرويها بنورى لأجيال قادمة لعلها.. ولعلها.. ولعلها..

سافر صلاح منذ زمن بعيد، واستمر على اتصال بى من حين لآخر، ومنذ ثلاثة أعوام اتصل بى وسألنى إذا كنت مازلت احتفظ بما كتبتاه وسجلناه منذ سنين أم لا.. وكانت إجابتى:

- طبعاً.. كل حاجة فى الحفظ والصون.. بتسأل ليه؟

فاجأنى وقال:

- سنين كتير عدت.. وياريت لو تقدر ننقل الرسالة..

رسالة إلى كل مدمن، إلى كل أب وأم، أخ وأخت، صديق وصديقة، إلى كل طبيب ومعلم، وقاضٍ ومحام.. إلى شباب مصر والعرب بصفة خاصة، وإلى شباب العالم بصفة عامة..

يا عصام.. فكر كويس قبل ما توافق.. دى مسئولية كبيرة.

استخرت الله سبحانه وتعالى، وأمسكت القلم، وبدأت الكتابة..

إليك عزيزى القارئ هذا الكتاب.. وماذا فعل "¼ جرام" فى مجموعة أصدقاء..

وصيتى أن تقرأ كل الحروف والكلمات، بعقل واع، وبقلب مفتوح.. حتى آخر قاله لى صلاح.

مَن أَنَا؟

صلاح..

جئت للحياة في فترة يُطلق عليها: الزمن الجميل.

عائلتي معروف عنها أنها عائلة عربية، مثقفة، متحضرة، مستواها المادى مرتفع إلى حد ما.

الأب: مهندس، انتخب أكثر من مرة عضواً في مجلس الأمة "مجلس الشعب حالياً".

الأم: أستاذة بالجامعة، دكتوراه في التاريخ.. حقاً إنها مربية أجيال.

الأخ الكبير: كريم، أكبر منى بحوالى تسع سنوات، الأول باستمرار في كل المراحل الدراسية، ذكى، ورأى الشخصى أنه فعلاً عبقري.. يفهم ويعرف جيداً ما معنى الانقلاط "الصباغة"، ولكنه منضبط جداً، بمعنى أنه لم يخرج طوال عمره عن القواعد، باختصار "عمره ما صاع".. اتجه إلى الدراسات العليا في سن مبكرة، حصل على الدكتوراه من إحدى الجامعات البريطانية، وعمل في مجالات مختلفة ما بين إنجلترا وأسكتلندا والولايات المتحدة الأمريكية.. أب لطفلتين توأم، غاية في الرقة.

أختى التوأم: رولا، هادئة، مثقفة، لاعبة تنس ممتازة، تتمتع بأخلاق الإنسان الرياضى، واضحة وصريحة، ومحبوبة من الكل سواء في المدرسة أو النادي، وهى الفتاة المثالية بالجامعة لثلاث سنوات متتالية.. ومع أنها ولدت قبلى بنقائق إلا أنها ترعانى وتدللنى وكأنى طفلها أو عروستها.. رولا تعمل فى منظمة من منظمات الأمم المتحدة.. وهى أم حانية لطفل ذكى جداً، "وينوسة" جميلة.

شكر..

إلى الله.

صلاح

alexandra.ahlamontada.com
منتدى مكتبة الإسكندرية

منذ بداية الوعي في هذه الدنيا، كنت لا أهتم مثل أخوى بموضوع الدراسة، ولم أحب المدرسة مثلهم، ولازلت أذكر أول يوم لى أنا ورولا فى الحضانة.. رولا دخلت دون مشكلة.. أما أنا فبسرعة صاروخية جريت من باب المدرسة، وفى أقل من ثانية وصلت إلى باب السيارة، فتحتها.. ودخلتها فى غمضة عين، وانكشيت على الكرسي الخلفى قبل أن يدبر الوالد المحرك، وانفجرت باكياً.. بكيت بحرقه على أمل أن أكسب عطف الوالد، وقاومت محاولاته حتى لا أرجع إلى الحضانة، وعلى رأيه:

- يومها، علمت لى فضيحة قدام كل الناس.

أخذنى والدى إلى داخل الحضانة، ووجئنا رولا تبكى هى الأخرى.. فلما كانت تبكى لبكائى.. هذه الواقعة كانت السبب المباشر فى قرار بابا وماما بنقل رولا إلى مدرسة للبنات.

فى ذلك الزمان كانت عننا مربية، وكانت تنزل معى لانتظار سيارة المدرسة.. كنت فى السادسة، ومصروفى عشرة قروش.. طبعاً، العشرة قروش كانت بمقاييس هذا الزمان مبلغاً محترماً بالنسبة لولد صغير فى سننى، وكنت أعطى المربية خمسة قروش لتقول لأهلئ:

- أتوبس المدرسة مجاش النهارده.

وكانت كل مرة تخترع أى عذر، وأى حجة بالاتفاق معى.. المهم عدم الذهاب للمدرسة، وفى كل مرة أعطيها نصف مصروفى.

فى يوم من الأيام، اتصلت مديرة المدرسة بأمى، وسألته:

- ليه صلاح بغبغيب كثير؟

بطبيعة الحال، لم يتوقع أهلى أبداً أن هذه الخطط بينكرها ولد صغير فى مثل سننى.. وكانت النتيجة طرد المربية، بينما أنا لم أعاقب، وانتهى الموضوع

بسلاسة غريبة، لتصورهم وقتهم أن المربية هى صاحبة الفكرة، وبالنسبة لى، كانت المشكلة أننى بدأت الذهاب إلى المدرسة فى المواعيد وبانتظام.

يأتى الصيف.. وكنت أقضيه فى النادي، طوال اليوم، ما بين السباحة ولعب الكرة.. وكانت أهم لعبة عندى هى الكرة، وأحب لعبة هى "عسكر وحرامية".. وفى سن مبكرة جداً، بدأ الانفلات، أو بتعبير أدق "الصياغة".. كنت فى السابعة، عندما بدأت أسرق السجائر من علبة سجائر فى الصالون، أو فى غرفة المكتب، كل صباح أصحو من النوم، عن غمى، فى الثامنة.. وأجرى إلى غرفة المكتب أو الصالون، وبابا فى "الشغل"، وماما وأخواتى نائمين، إذاً الدار أمان.. وبسرعة أنفخ سيجارتين أو ثلاثة.. فكرة خروج الدخان من فمى كانت تعجبنى جداً.

كان فى بيتنا بار صغير، ومن حين لآخر يزورنا أصدقاء الأسرة، وبعض الضيوف الأجانب الذين يدرسون مع الوالد عشرات المشاريع الهندسية، وخلال جلساتهم الطويلة يتناولون العشاء، ويشربون البيرة أو الويسكى، وكنت أتوسل بالدموع أن يسمحوا لى بأن أشرب البيرة، وكان فى رأى البعض، أمام الدموع و"التهنية"، أن القليل منها لا يضر.

كان يوم زيارة هؤلاء الأصدقاء بالنسبة لى يوماً جميلاً إلى أقصى درجة، لأنه بعد خروجهم، كنت أشرب ويسكى كما أريد، وأضيف الماء فى الزجاجاة بدلاً من الويسكى الذى شربته.. إنها خطة "بار تندر" صابغ وغشاش، فكرة لم يُعلمها لى أحد، وبتلقائية تفتتها.. ومن العجيب، فيما أظن، أنها لم تُكتشف.. وكنت أستمع بكل غلطة أفعلاها، ولا يتم اكتشافها، فأشعر أننى ذكى، وكنت سعيداً بهذا النكاء، وأحس أن الخروج على القواعد، والانفلات "الصياغة" فى عروقى ودمى.

المهم، موضوع السجائر بالنسبة لى أصبح موضوعاً عادياً جداً، وكان يمنحني ثقة، ويشعرنى أنني ولد كبير.. أو كما يقول التعبير الشائع: "يعرف يلعب بالبيضة والحجر".. فى البداية كانت السجارة فى الحمام أو "فيسين" بسرعة فى البلكونة أو الجراج، والإحساس بأنى "خزّمان" ونفسى أشرب سجارة كان إحساناً جديداً، وبعد أن أشرب، كنت أحس براحة وهدوء، وأتسرع أنى "مبسوط" كأنى "عامل دماغ على قدى وأتظبط".. إحساس عرفته أكثر وأكثر فيما بعد.

كان من هواياتى العجيبة، البحث والتفتيش والعبث فى الممتلكات الخاصة لكل فرد فى الأسرة.. وفى يوم اكتشفت وجود سيجار فى درج مكتب بابا، أخذت السيجار ودخلت الحمام، و"لعتّه" بكل جرأة، والكارثة أن بابا كان فى البيت، والسيجار رائحته قوية.. وفجأة، بابا فتح باب الحمام وشافنى والسيجار معلق بين شفتى وصرخ قائلاً:

- سيجار يا صلاح!!! سيجار!!

وأخذت "علقة مش أى كلام".. علقه ساخنة جداً.

وفى هذه السن الصغيرة، فى الثامنة من عمرى، كنت "خريف" ركوب عجل، وتمتيت أن أشتري "موتوسيك" وبدأت الإلحاح "والزّن".. لكن الموضوع صعب، ولم يكن بالسهولة التى أتصورها، إنما الإلحاح "والزّن" المتواصل استمر لمدة سنتين:

- صباح الخير.. أنا عايز "موتوسيك".

- تصبّحوا على خير.. أنا عايز "موتوسيك".

وأخيراً، وبعد سنتين نجحت واشتريت الموتوسيك، وعملت حوائث كثيرة بهذا الموتوسيك، لأنى جربت حركات لا أول لها ولا آخر، ابتداء من الجرى السريع، و"الغرز" والحصان.

مرت الأعوام.. وفى العاشرة تقريباً من عمرى، بدأت أشتري سجاير وأبيعها فى المدرسة.. السجارة الواحدة ثمنها خمسة قروش.. وكل علبة كان صافى ربحها علبة كاملة.. كانت فكرة البيع تعجبنى وتسيطر على تفكيرى.. كنت أبيع أى شىء يمكنى بيعه.. أبيع لمن يشتري.. وأبيع بأى ثمن.. وكان أختى كريم المسكين أكبر ضحية فى الموضوع؛ لأنى ببساطة كنت أستولى على كثير من ممتلكاته الخاصة وأبيعها.

أما عن الأصدقاء، فأول الأصحاب كان جارى مراد، أكبر منى بسنة، طويل، وبالتالى شكله أكبر منى بأكثر من سنة.. والده رجل أعمال ذو قفوذ قوى، ويملك توكيل سيارات، وكان يسمح لنا بقيادة السيارات فى نطاق حى الزمالك، وذات يوم سمح لى مراد بقيادة السيارة حول المنزل لأول مرة فى حياتى.. وكان عمرى 11 سنة.. وكانت سيارة "فولكس بيتلز" وكنت أرى الطريق ما بين "التابلو" و"الدركسيون".. وبسهولة عرفت أسوق، لأننى منذ الخامسة من عمرى كنت شديد التركيز فى الموضوع، وكنت أعرف كثيراً من التفاصيل عن البنزين، والزيت، والفرامل، و"فيتيس" السرعات.. وطبعاً خبرتى فى قيادة الموتوسيكلات أفادت كثيراً.

وقبل عيد ميلادى الثانى عشر بأيام قليلة، بدأ الإلحاح "والزّن" المتواصل لشراء موتوسيك أكبر.. وكالمعتاد، نجحت العملية واشتريت موتوسيك "ياماها 100 تريل" كبيراً وجميلاً وسريعاً، بالإضافة إلى أننى كنت يومياً أستولى على سيارة ماما وهى نائمة، وأذهب مع مراد فى جولة سريعة حول جزيرة الزمالك.

الموقف فى النادى كان أكثر من ممتاز.. ولد عمره 12 سنة، وعنده موتوسيك أحدث موديل، وكل يوم بسيارة مختلفة من سيارات توكيل والد مراد.. وبالتالى حصل تقارب مع الأولاد الأكبر منى، وكنت عندما أظهر فى النادى، ألمح وأشعر برغبتهم الواضحة فى أن أصحابهم.. وتدرجياً أصبح

عشرات منهم أصحابي... وبدأت أقعد مع الشباب الكبار في مكان هادئ، تحت الأشجار بعيداً عن العيون، والإضاءة خافتة، وكان الأولاد والبنات يتقابلون ليشرّبوا البيرة والحشيش.

في هذا المكان الهادئ، شربت أول سيجارة ملقوفة في حياتي، وتشجيعاً قالوا:

- ولع يا صاوصو... ما تخافش مبيتعشش.

- خد نفس وطلع الدخان من مناخيرك.

- أحسن يطلع من ودته بعدين... (على رأى عادل أدهم في فيلم "ثرثرة فوق النيل").

أخذت السيجارة، والمفروض إنني أخذ نفسي، وتلف.. لكن لما وصلت عندي، وقتت.. ولما طليوها مني رفضت تماماً، وقلت:

- سيجارتي ومستحيل حد يقرب لها.

وفي ذلك اليوم، أحسست ولأول مرة أنني "مسطول" وشربت يومها جوبنتين وحدي... واشتهرت بموضوع: "الجوبنت بيحي عند صلاح ويقف... وفاض وزاد وغطى، إنني شربت زجاجتين بيرة "ستلا" الشهيرة في ذلك الزمان... ويومها كنت في قمة النشوة... وهات يا ضحك، وركبت الموتوسيكل، ومسالمتهم آخر سؤال:

- هو أنتم هنا كل يوم؟ على العموم أنا شخصياً نويت آجي هنا كل يوم.

في هذه المرحلة من العمر... عمر الورود المتفتحة، تعلمت من الشباب الأكبر مني، أصحاب التجارب البهلوانية، قصة القطرة "البروزلين"، وكانت بالنسبة لي قصة مضحكة: نقطة القطرة تنزل على العين، والبنى آدم مسطول، فيضحك من قلبه، ويشعر كأنه تحت "الدش"... يتجدد بين الساخن والبارد في لحظة... لكنه ضرورة لعلاج احمرار العين الشديد.

الغريب في موضوع الحشيش أن كل شيء مضحك... القطرة مضحكة... الكلام يضحك... وأيضاً السكوت مضحك... نسمة الهواء تساعد على زيادة الإحساس "بالمسكنة"، تجعلك طيراً في السماء، فتضحك أكثر وأكثر. كانت الجلسة كل يوم في النادي تبدأ من بعد الغروب، حتى الساعة الثانية عشرة... تقضيها في الضحك، والحكايات والحواديت... وعندما أتكلم، كنت أشعر أن كلامي رغم صغر سني له معنى، وموزون، وأن الكل معجب بخفة دمي... والأهم من هذا وذاك، أن صلاح "حضرتي"، أصبحت واحداً من "ثلة" الشباب الكبار... طبعاً بالنسبة لي، هذا كله شيء جديد يحتاج إلى نفقات... فلوس... مصروف كبير، طبعاً لا يصح أن أشرب كل ليلة على حساب "الثلة" فاخترعت قصة الدروس الخصوصية.

وكانت أجمل فكرة خطرت بالبال... أنا رايع الدرس... أنا راجع من الدرس... وغرقت في بحر الفلوس بحجة أن الدروس غالية... ولكن الحقيقة، بين كل أربعة دروس وهمية، أخذت درساً واحداً فقط لاغير، وأصبحت في نظر "ثلة" الشباب الولد الغني "اللارنج" الذي يشتري الحشيش بكميات، وينفع حساب البيرة.

المدّش والغريب في الموضوع أنني كنت أنجح في الامتحانات، ولكن نجاح غير مشرف، يضطرني إلى تغيير أرقام النتيجة، وتتحول 67% إلى 76%، وكنت أكتفي بهذا التغيير البسيط، ولا أرفع المجموع لأعلى من هذا، وإلا لن يصدقني أحد، وتتكشف اللعبة الشيطانية.

هيا نتعرف إليهم:

أحمد "ميدو":

كان يقتصر دور الفيلسوف.. "فاكر" نفسه أرسطو.. يحب النادي الأهل أكثر من نفسه، ومجنون كرة، رغم أنه لا يعرف فن لعب الكرة نهائياً، ولكنها عموماً اهتمامه الأول.. ميدو وحسين، صلتها ببعضهما وثيقة، رغم أن ميدو أهلاوى مجنون، وحسين زملكاوى صميم، وهذا هو مجال الخلاف الوحيد بينهما.

ميدو، لم يكن من هواة الترويح من المدرسة، ولو أراد عدم الذهاب للمدرسة، فإنه يقرر البقاء في البيت، أو يتجه إلى النادي، ويعلم الجميع، ومع هذا، فهو أكثرنا التزاماً وذهاباً للمدرسة.. لون بشرته أبيض، وعيناه لونهما أخضر.. نعم هو يتمتع بزيادة الوزن أو "مكَلْبُظ" بمعنى أصبح، يتحرك بصعوبة، ويتهاذى في كسل، فأطلقنا عليه "برؤطة".

ميدو كان "أشطرنا" جميعاً، والوحيد الذي يركز في الدروس، يذاكر قليلاً، ولم يسلم من نكاتنا وسخرتنا على التزامه. كان حريصاً، ولكنه ليس بخيلاً، لا ينفق تقوده بسهولة.. كل قرش ينفقه كان بالعقل وبالحساب الدقيق أى "فى مكانه المظبوط".

كان يتبع خطواتنا.. حشيش، لا مانع.. بيرة موافق.. ويسكى بكميات معقولة، ومن حين إلى آخر يقول:

— كفاية كده.. مش قادر.

وفى كل مرة يقول هذه المقولة الشهيرة، ينال حظه الوفير من السخرية.. "يتسطل" بسرعة مذهلة، ودائماً أبداً، هو وعلاء، تاتر وننير، إنما علاء الكبير، وكان "يبديله على دماغه"، ميدو.. أحياناً يصلى، وبالأخص يوم الجمعة، وهو الوحيد الملتزم بأداء الفروض.

الثلة

ساعدنى وجود الموسيقى كل على التحرك فى كل مكان، وبسهولة، وجعلنى أتعرف إلى أصحاب جدد، وعرفت منهم أماكن بيع الحشيش، وفى تلك الأيام كانت "الباطنية" أهم منطقة، فالبيع هناك على الشارع، مثل بيع أجهزة "الموبايل" فى "شارع عبد العزيز" الآن، بالإضافة إلى "الباطنية"، تعرفت على مكان اسمه "الشباك" فى حى "السيدة زينب".. سمى الشباك لأن رواد المكان يقفون أمام شبك صغير فى بيت قديم، وأسعار الحشيش فى هذا الشباك فى متناول الجميع.. معك 2 جنيه أو معك جنيه واحد "شغال".. لذا كان الشباك جميلاً، وإنما مشكلته الكبيرة الزحام الشديد.. لدرجة أنه فى إحدى المرات، صرخت بصوت عالٍ فى الجمهور المتراحم على الشباك، وطلبت منهم التوقف فى طابور مثل كل المتحضرين، لنشتري ونمشى بسرعة.

وفى المدرسة وفى سن الرابعة عشرة، بدأت ملامح "الثلة" تتضح:

- أحمد : ميدو
- حسين : زوى
- رامى : ريكو
- بهاء : بونو
- علاء : أول
- صلاح : صاصو

حسين رؤى:

رفيع وطويل، ملامح وجهه آسيوية إلى حد ما، عيناه ضيقتان، فأطلقنا عليه: "بروسلي".. صاحب موهبة فذة في الكرة، "حريف" جدًا، ولكنه يشرب 3 علب سجاير كل يوم، "حريقة سجاير"، ودائمًا يعض فلتز السجاجة.. ذكى ولامح، وأسلوبه في الحياة "معاهم معاهم، عليهم عليهم".

والد حسين ودع الحياة وهو صغير، وتزوجت والدته بعد وفاة الأب من رجل هادئ، لا يهتم ولا يُعنى بأمور حسين نهائيًا، وبالتالي هو حر الحركة تمامًا، 'رايح جاي على مزاجه' ولا أحد يحاسبه.

كلنا كنا نحب حسين، أقرب واحد إلى قلبه هو ميدو، رغم خلافاتهما المستمرة على الأهلى والزمالك. كريم في حدود إمكاناته.. نظروف وفاة والده يضع في جيبه أقل القليل من المال.. طيب، وبنمه خفيف، وهو من محبى البيرة، وطبعًا الحشيش، وبعد أن يشرب نفسين، يقول:

- إيه السطل ده، أنا شربت حشيش يا صامنا.

- صباح الفل، قُطِعْ وإدّى للكل.

عشقه للتاريخ يبدأ بعد "جوينت"*. فيقول:

- ما الأسباب التى أدت إلى قيام حرب "الدليكان"؟

- من قائد الحركة "الدليكانية"؟ هل هو تامر بك دليكان.. هيثم باشا.. ولا ميدو الأهلاوى؟

- علل.. ما الذى أدى إلى الصراع الداخلى فى الشلة "الدليكانية"؟

- اشرح بوضوح.. سر خيانة ميدو الأهلاوى لتامر بك دليكان؟

* سجاجة ملفوفة وبداخلها حشيش أو باتجو.

لم يكن حسين يهتم كثيرًا بالذهاب الى المدرسة، ولكنه لم يكن مثل رامى وبهاء.. إلى حد ما كان يزن الأمور، ويتواجد فى المدرسة مع ميدو 70% من الوقت تقريبًا.. هو مثقلنا ينجح بصعوبة، وملحق و"تعدى".

كان حسين يمز بقصة حب عجيبة وقوية، بنت قصيرة ومكيرة، وتعبه بجنون، ودائمًا تحاول أن تسيطر على تصرفاته، دون أن يبدو عليها أنها تتحكم أو تسيطر.. ومع كل محاولاتها، يظل القرار فى نهاية الأمر فى يده. رامى "ريكو":

ذكى، محبوب من كل الناس.. قفى مذل إلى أقصى الحدود.. ما يريد ريكو أوامر تنفذ فورًا.. والد رامى لواء فى الجيش، بذلته، ويلبى له كل ما يريد ببساطة.. والدته شامية جميلة.. وريكو يشبهها.. الوالدان على خلاف مستمر، الحياة بينهما مليئة بالتوتر، الانفصال بينهما واضح ولكن دون طلاق.. وإنهما قليل الكلام، لكن وسيم وطويل، وجسمه رياضى.. فهو "يلعب حديد" ودائمًا يقول:

- بُص المجانص، بُص التزاي، بُص البطن.

هو لاعب "استميشن" ماهر.. بمعنى "حريف"، يحب الموسيقى الأجنبية، يعزف على الجيتار بمهارة، وتعجبه كثيرًا أغانى 'مايكل جاكسون، وجورج مايكل، وبوى جورج، وبوب مارلى".

ريكو أيضًا أنيق، وذوقه رفيع المستوى فى اختيار ملابسه.. وكل البنات تتنافس على معرفته.. بل و"معاكسته"، ولم يكن يشغله الأمر كثيرًا، ونادرًا ما تعجبه فتاة منهن. وهو يمتلك أكبر وأقوى موتورسيكل، وكان "حريف" موتورسيكلات، ومشهور جدًا فى الزمالك والمهندسين.. يسكن بجوار نادى الجزيرة.

كنا نلتقى حول ريكو وجيتاره.. وكم كنا نستمتع بسماع الألحان التى نخترها، ويجيد هو عزفها.. نصفق له بحزازه، فنشجعه أكثر وأكثر.. نرجوه ونتوسل اليه ألا يكف عن العزف، فيندمج ويتجلى.. ولا أنسى أن عزف ريكو لم يكن دائما بنفس المستوى.. فكانت حالات الانسجام تتوقف على كم، ونوع المخدرات التى تعاطيناها.. وكنا أحيانا لا نهتم، ولا نستقبل الأنغام بفرحة وحماسة، ولا نظرب لها.. بل تبدأ وصلات النكت، ويتحول الجيتار الى طبلية ينق عليها بهاء.. ويفيق بعدها ريكو بلحظات، ويحتضن جيتاره الثمين.

ريكو كان يشرب الموجود.. دون نقاش؛ حشيش، بيرة، ويسكى، أى "دماغ" موافق عليها.. أنا وريكو أذواقنا متشابهة، ننقق معا فى أشياء كثيرة، وهو كريم جدا، كل ما معه يعطيه بلا تردد.. ولا يهم أبدا ما يحدث بعد ساعة.. المذاكرة ليست فى برنامج حياته، إنما الدرس الذى يقرأه مرة واحدة يثبت فى عقله فوراً.. لا يحب الذهاب إلى المدرسة، لكنه من حين لآخر يذهب إلى المدرسة، ويحضر حصتين أو ثلاثاً من ثمانى حصص بصعوبة بالغة، كانت كل الناس تحسدنا على صداقتنا.. نمثلك قدرة عجيبة على التفاهم، وذوقنا واحد، وأهدافنا واحدة.

بهاء "بونو":

قصير ومكير، ودمه خفيف "ملوش حل"، لسانه كالمبرد "قالت"، وطول الوقت يشتم ويلعن ويتخلق، مع أنه "مفهبوش نفخة" ولكن قلبه ميت.. ويقول على نفسه:

- أنا قلموس مخدرات.. أعرف مين يبيبيع فين، ويبيع لي بهاء.. يا ريس دى حشيشة الوداع، أما دى حشيشة الفرد أبو زلومة، ودى حشيشة الحزان كله، ودى حشيشة غرام وانتقام، أما دى حشيشة اللى خايف يروح، ودى حشيشة غيبة..

هو دائما "مسطول".. ويحب كثيرا أن تكون معه أنواع حشيش مختلفة.

يختفى.. أين بهاء؟ ذهب الى "كوم السمن"، "بسوس"، "أبو الغيظ"، ويظهر كل مرة بفيلم وقصة مختلفة، وعندما ترتفع صيحات الخلافات الكروية بين ميدو وحسين، يتدخل بهاء بينهما قائلا:

- أهلى إيه وزمالك إيه باض منك ليه.. أنتم جهلة.. هما كوم السمن، لعيبه وضربيه صحيح.

بهاء كان صاحب تعبيرات وأقوال شهيرة، ومنها:

- أزيك يا إكسلانس.

- أنا مش فاهم يّا برنس، قصدك إيه بالكلام ده.

بهاء كان يتمتع بقرنات إبداعية على مزج الألحان الغربية بأغاني شعبية.. وبمهاره يبدأ رامى عزف أغنية أجنبية، فيضيف لها بهاء كلمات عربية بكل براعة.

بونو يمتلك موتوسيكل جميل، وكان مشهوراً به فى شارع شهاب.. والده مقاول، ووالدته سيدة بيت طيبة، لا تعمل، والعائلة واسعة الثراء، لكن المستوى الحضارى متوسط. وكان بهاء ابن بلد بحق، ولا أحد من أفراد الأسرة يُعنى بأمره.. وبالتالي حكاياته كثيرة.. شقاوت مع "الشغالات"، ومعاكسات بنات الجيران على السلم.

كان يحب فتاة فلسطينية.. يركب مع أحدها الموتوسيكل، وظل تحت بيتها بالساعات، فربما تتأثر ويرق قلبها.. وذلك لم يحدث أبداً.

وبشكل عام، ليست له علاقة بالذاكرة، ويعد أكثرنا تزويغاً من المدرسة، ومشكلاته مستمرة مع المدرسين ومع زملائه، يتشاك معهم.. وفى لمح البصر يمسك "مطواة".. أو يكسر زجاجة فى الحائط ويلوح بها.

وكان نصابيا درجة أولى.. ويحصل على الفلوس من تحت الأرض..
من البيت.. من الجيران.. من البواب.. من البقال.. ويدعى حضور دروس
خصوصية.. المهم "يتصرف"، ويصل إلى هدفه.

علاء "اللول":

شقيق مينو الكبير، هو أكبر منا بحوالي أربع سنوات.. وبالتالى له
كلمة مسموعة، وأحيانا نحن الخمسة نتفق معاً.. نحاصره ونعمل عليه "كوميديا"،
ونفقه صوابه.. نجنّله.

علاء طويل وسيم لون شعره بنى مصفر، ويلبس نظارة.. لا يجيد
اختيار ملابسه، ولا يهتم كثيرا أو قليلا بأنفقته، كريم جدا، و"لارنج" ولا يشغل
باله بالمشكلات المالية أبداً، ينفق وكأنه يمتلك بنكاً، وحسابه فى البنك مفتوح،
وأطلقت عليه: "بابا نويل"..

الجامعة كانت آخر اهتماماته، وأهم أولوياته: البيرة، ثم الحشيش،
والأفلام الجنسية، والمجلات الفنية، وأخبار الممثلات والمغنيات.. كان ذوقه فى
الموسيقى عجباً بالنسبة لنا جميعاً، فهو يحب فريد الأطرش، أسمهان، ليلى
مراد، محمد فوزى، وطبعاً هذا لا يتفق مع أذواقنا تهائناً.

علاء طوال الوقت يسخر و"يترياً" على واحد منا، وكان مينو يحظى
بنصيب الأسد، ومن طبيئته لم يكن يرد.

علاء زملاؤى، ودائماً فى جدال مع الجميع حول مباريات الكرة.
هؤلاء هم الأصدقاء الخمسة.

بين كل تلاميذ المدرسة بهاء ورامى وأنا نمتلك موتوسيكلات.. وكان
علاء يسمح لنا جميعاً بقيادة سيارته؛ مما جعل لنا كشيئة شهرة واسعة فى
المدرسة.

رامى وأنا من الزمائل، وبقيّة الثلثة من سكان المهندسين.. كنا "ثلاثة"
أولاد ناس، أو أولاد ذوات، كما يقولون، وحضرات الزملاء أطلقوا علينا اسم:
"العصابة".

هذه العصابة كانت أهدافها واحدة: السجائر، الحشيش، البيرة،
الويسكى، الموتوسيكلات، السيارات، البنات، التزييف من المدرسة، بالإضافة إلى
بعض المقالب الظريفة والسخيفة فى المدرسين.

عودة سريعة إلى منزل العائلة.. عرفت مواعيد وجدول محاضرات
أمى، وكانت سرقة سيارتها كل صباح، لمدة ساعة أو ساعتين شيئاً عادياً.. وفى
يوم من الأيام اصطدمت بعمود نور.. كانت الحادثة كبيرة فعلاً.. واستطعت
بمساعدة أصحابى جر السيارة للجرار، وطلعت إلى البيت، وبسرعة جهزت
شنطة، ملائسى، وكتبت رسالة لأمى:

"أنا عملت حادثة بالعربية.. أنا أسف".

وذهبت إلى بيت أحمد "ميدو"، واستضافنى لمدة أسبوع إلى أن تهدأ
الأمر.. وهذه كانت أول مرة أترك بيتنا، وألجأ إلى بيت أحد الأصحاب،
وأعيش معه فى بيته.

بعد الحادثة بشهرين، وقبل دخول المدرسة بأسبوعين، أعلن النادى عن
رحلة إلى ألمانيا. المدهش أن العائلة الكريمة وافقت على سفرى، وكانت هذه
أول رحلة لى خارج مصر.. وأذهلنى ما رأيت.

ياها!! ما هذا الجمال؟ الطبيعة خلابة.. النظام روعة.. النظافة
قُلّ القل.. السيارات آخر صيحة.. الموتوسيكلات خطيرة.. البنات "صواريخ"..
شرب السجائر والبيرة أمام كل الناس.. وشرب البيرة بلا قيود.. إنها الحرية
المطلقة.. ورغم هذا، والغريب أننى كنت فى كامل الوعى بكل ما يحدث من
حولى.. البنات فى كل الأعمار غاية فى الجمال والتحرر.. وتعرفت إلى فتاة

'جامدة أوى'.. صاحبتى فى كل مكان، نهارًا.. وليلاً.. ومررت معها بأول تجربة حب كاملة فى حياتى.

كان من المفترض أن أقضى فى هذه الرحلة أسبوعين فقط، إنما بمساعدتها قضيت ثلاثة أسابيع، فأجريت أول اتصال تليفونى مع الأهل، وردّ علىّ الوالد:

- ألو.. مين؟

- ألو.. أنا صاصو يا بابا.

- صاصو؟! صاصو مين؟!

- أنا صلاح.. ابنك يا أخى.

- أنت فين؟

- فى ألمانيا طبعاً.

- بتعمل إيه فى ألمانيا لغاية دلوقت؟! كان لازم ترجع من أسبوع!!

- سيبني أفرج على الدنيا.

- الدراسة بدأت.. ارجع فوراً.

- حاضر.. بعد ثلاث أيام أكون فى مصر.

رجعت مصر وشعرت بالاكواب لأول مرة فى حياتى.. هناك فى ألمانيا، قضيت أجمل الأيام، لدرجة أننى تصورت أننى أستطيع الحياة هناك العمر كله. المهم.. رجعت يوم الخميس، وصدفة كان يوم الجمعة موعد سفر بابا وماما لحضور مؤتمر خارج مصر، والمفروض أن نحتفل بعيد ميلادى خلال سفرهما، وبالتالي أعطاني بابا لهذه المناسبة مائة جنيه.. بصراحة بابا كان كريماً معى.. رغم هذا كنت "مقلّهم" كلهم فى البيت.. ومن حين لآخر، أسطو على بعض ممتلكات أى فرد من أفراد العائلة الكريمة.

ليلة السفر.. كتبت للوالد قائمة طويلة عريضة باحتياجات المترسة: ملابس جديدة، كتب، كشاكيل، جلد الكراسيات، "وستيكرز".. أى تأليف.. المهم

ملء القائمة بمطالب وهمية، والأهم ألا يقل المجموع عن 300 جنيه.. وهذا مبلغ محترم فى ذلك الزمان، وأضفته إلى فلوس عيد ميلادى، وبعثت الموتوسيكل القديم، وأشترت موتوسيكل جديدة: ياماها 400، ولم أذهب إلى المدرسة.

وبعد عودة بابا وماما من السفر، فاجأهما أخى كريم وأختى رولا بأننى أشتريت "الموتوسيكل" يوم السبت، اليوم التالى لسفرهما وبدعم ذهابى للمدرسة.. طبقاً واجهت غضباً وثورة هائلة، ونجحت دموع التماسيح فى علاج الموضوع، ونزلت مع أمى لشراء احتياجاتى كلها، وبعد أسبوعين من بداية الدراسة دخلت مدرستى، وشهدت استقبلاً حاراً من أصحابى، وهتفوا:

- صاصو وصل يا رجاله "بالمكانة" الجديدة.

بدأت السنة الجديدة.. وكالمعتاد: طُرد من معظم الحصص، ومباريات الكرة، والاستيلاء على سندوتشات الزملاء بالموافقة أو بالإكراه، وبيع السجائر.. لكن لم تكن عنننا الجرأة على أكثر من هذا فى المدرسة، بمعنى لم نتجرأ على شرب حشيش، رغم أن "العصابة" أو الخماسى الشهير فى الفصل نفسه، قسم أدبى، وعدد التلاميذ 17 تلميذاً فقط، بالتالى كنا قوة واضحة، ومكاننا المختار آخر صف.

فى هذا الصف 'نقرقرز' اللب، وتأكّل السوداني، نحشو الأقلام بالأرز وننفخها على زملائنا المتفوقين، ونجلس فى هدوء فقط وقت مشاهدة الصور والمجلات الممنوعة.. كان الضجيج من الصف الأخير ليس له أول ولا آخر.. والعقوبة هى الطرد من الحصة.

اتبعت خطة السنة الماضية بالنسبة للدروس الخصوصية الوهمية: آخذ درساً واحداً أو اثنين، وأدعى أننى أخذت خمسة دروس.. بالتالى كانت مشكلة الميزانية محلولة من أوسع الأبواب.. وبعد أجازة نصف السنة، اقترح "ميدو" أن تنتقل إلى بيته بحجة المذاكرة معاً.. هو صاحبى من أيام الحضانة، والده كان

* موتوسيكل.

رجلاً فاضلاً.. توفي منذ سنوات، والدته سيدة جانية، جميلة وكريمة، ولديها اهتمامات واسعة بالنشاط الاجتماعي، والجمعيات الخيرية. وشقيقه الكبير علاء، هو المسئول عن إدارة شئون الميراث الكبير من أراضٍ، وعقارات وسيارات، والمسئولية أكبر منه.. وهو إنسان كريم لدرجة فوق التصور، يتفق بلا حساب أو تفكير.

رحبت والدته أحمد بفكرة الإقامة معهم.. اتصلت بأمي، وقالت لها:

- الأولاد عايزين يذكروا ويأخذوا الدروس مع بعض، والأفضل توفيراً للوقت والمشاور كل يوم، صلاح يقعد عندنا لغاية الامتحان.. والبيت كبير، وأحمد وعلاء إخواته.

استطاعت إقناع أمي، ومر الموضوع بسلسلة، ونفطنا الفكرة، وانتقلت إلى بيت أحمد، وهم يعيشون في فيلا، أكبر ميزة فيها أنها مكونة من قسمين: القسم الأول ثلاث غرف نوم بخط تليفوني مستقل خاص بنا.. غرفة الاستقبال الكبيرة المطلّة على الشرفة، لها سلم يصل إلى الحديقة ومنها إلى الشارع.. وكان من الأسهل أن ننط من الشرفة على الجنيّة، وعلى الشارع.. أو العكس، ندخل البيت من الشرفة.. والقسم الثاني غرفة نوم كبيرة للأُم.. بها كل احتياجاتها، ابتداءً من الثلاجة الصغيرة، والتلفزيون، وتليفون بخط آخر، وحمام خاص بها، وكأنها تعيش في "استديو" كبير إلى حد ما.. وفي هذا البيت الحياة سهلة.. هناك من يقوم بنظافة البيت، وإعداد الطعام يوميًا.

"الغواصة" هو الاسم الحركي لهذه الفيلا.. عشنا في هذه الغواصة: ميدو، وعلاء، وأنا.. أياماً وليالي قضّاها حسين "زوني" معنا، وبكتفى رامى "ريكو" بقضاء ليلة الجمعة "التيك إند" معنا، أما بهاء "بونو" فكان يظهر يوميًا بعد الظهر، ويرجع بيته حوالى الساعة الواحدة.. ولكن إذا قررنا عدم الذهاب إلى المدرسة، كان السهر يمتد إلى ما بعد الفجر.

في تلك الأيام، كانت لدى علاء خبرة كبيرة بالحشيش.. يشتره بالأوقية "الوقية"، وكان يحب البيرة، كل يوم يشرب زجاجتين على الأقل، وبكل الكرم يشترى لكل واحد زجاجة، ولا يمانع في مشاركته الحشيش، وبتعبيره: "اللى عايز يشرب هنينّا له".. ببساطة أو "من الآخر" علاء وقر في البيت بار بيرة وحشيش، مفتوح كل يوم، والأم مشغولة عنا تمامًا بالمؤسسات الخيرية.

ويبدأ يومنا الساعة الرابعة بعد الظهر، ونتناول طعام الغداء الساعة الخامسة، وتبدأ الدروس من الساعة حتى الثامنة أو التاسعة مساءً.. وكانت الدروس أى كلام، بلا ضابط أو رابط، بمعنى "هيسة"، والمدرس الذى لا ينفذ رغباتنا، في الحقيقة مسكين، لأنه يأخذ ثمن الدرس بصعوبة بالغة، بالإضافة إلى المقابل الذى نديرها لهم جميعاً من وقت إلى آخر، وأحياناً كل ليلة.. المرسوم من المدرسة، ويعرفوننا حق المعرفة، والفكرة بالنسبة لنا من هذه الدروس.. أننا نستطيع فى النهاية الحصول منهم على امتحان آخر السنة وننجح؛ بمعنى أدق، "بعدى" السنة.

وفي موعد معروف ومحدد للعصابة، حوالى الساعة التاسعة، يبدأ رامى "ريكو" بلف السجائر.. يده سريعة وكأنها "ماكينة" كهربائية، ليس لها حل.. بهاء "بونو" يجهز "الكوباية"، وعلاء يطمئن على وجود العدد الكافى من زجاجات البيرة المتلجة.. ومهمة حسين "زوني" ومعه أحمد "ميدو" إعداد المائدة حتى نبدأ "بولات الكوتشينة".. وكالمعتاد، لا حديث لهما إلا الكرة ومباريات الأهلئ والزمالك.. وأنا شخصياً كنت أستولى على التليفون تمامًا، وأمارس هوايتى فى أحاديث تليفونية مع جميلات المدرسة.. فلا تنتهى قبل أن أسمع نداءاتهم المستمرة:

- يا سيدى.. يا سيدى.. أنت يا حُلُم.. يا عبد الحليم.. اسططنا، وفرقنا الكوتشينة يا عم الكينج.

* يتم إشعال الحشيش فى داخلها واستنشاق الهواء منها.

فقد أطلقوا على اسم "الكينج" في الكوتشينية، لمهارتى فى كسب معظم أدوار
"بولات الاستميش".

"البولة" الأولى تبدأ حوالى الساعة العاشرة، والمسجائر تلف علينا،
والنبيرة المثلجة منعشة، والتليفزيون مفتوح بصفة مستمرة، يعرض الأفلام،
وجهاز التسجيل يدور بأعلى صوت، وكانت مشكلتنا الوحيدة.. وبسببها تبدأ
المعارك، أن علاء يحب سماع فريد الأطرش وأسمهان أو محمد فوزى، ولكن
أحمد يفضل سماع فيروز، وحسين يؤيده، أنا ورامى نحب الأغاني والأفلام
الأجنبية، إنما بهاء لا فارق عنده بين هذا وذلك، وتنطلق صيحاته:

- يا عالم.. سمعونا عنوية أو الرئيس مثقال.

وتنطلق حملات السخرية والنكت والضحك الهستيرى، وتظل مشكلتنا
الأساسية معلقة: نسمع من؟ ونشوف فيلم "عربى" أم فيلم "أجنبى"؟! ويستمر
الخلافا والضحك بسبب أو من غير سبب.

كلنا نحب الكرة، وبأ سلام على خلافاتنا بعد كل مباراة، وأصواتنا
تصل إلى القمر، خاصة لو المباراة بين الأهلى والزمالك: علاء وحسين
زمالكوية، والأهلاوية أحمد ورامى وأنا، وبهاء الذى يحسم الخلاف بخفة بـمه
قائلاً:

- يا إكبلانس أهلى وزمالك إيه بس!! إنتم فعلاً جهلة، ولو تفهموا فى اللعب
تشجعوا معايا كوم السمن.. أنا بشجع كوم السمن حتى الثمالة.

المهم، بعد "البولة" الأولى التى تنتهى حوالى الساعة الثانية عشرة،
ننزل "تلف" بالعربية لإحضار شرائط فيديو، أفلام جنسية وغرامية، وأفلام
فكاهية، ونشرب بيرة من كشك فى الزمالك، أو من الحقى، وعلى الماشى
سيجارتين ملفوفتين، ونشترى الصحف والمجلات، ونرجع بعد ساعتين لتبدأ
"البولة" الثانية حوالى الساعة الثالثة، بعد وصلة غراميات تليفونية: حسين وصلة،

وأنا من بعده، بينما علاء يتابع فيلماً جنسياً.. وقد نفاخته بالسخول من حين لآخر،
ونبدأ فى إطلاق التعليقات:

- شايك.. إيدك لفوق.. بتعمل إيه يا ثول؟

أحمد يقرأ الصحف ليطمئن على أخبار الأهلى.. رامى مهمته لف
السجائر، أما بهاء.. فهو كالمعتاد "جَعَان" جداً، يدخل المطبخ يأكل الموجود..
حلو لا مانع، وبعده "حادق" أيضاً لا مانع.. وإذا لم يملأ معدته ويشعر بالشبع،
يأتى بالكرسى ويقعد أمام التلاجة، أو بمعنى أصح داخل التلاجة.. بابها مفتوح،
وهو على الكرسى فى "السنتر".. وهات وخذ، وكل يا بونو بألف "هنا وشفا"،
والكميات غير طبيعية، وكأن فى بطنه فيلاً صغيراً، ومع هذا كان تحيفاً جداً.

وتنتهى "البولة" حوالى الساعة الخامسة، وبعدها ينطلق كل واحد فىنا
ويتصرف بحريته.. ينزل رامى ومعه بهاء للعودة إلى منزليهما، بينما أحمد
وحسين وأنا نجمعنا جلسة رדشة فى أى كلام والسلام.. ونسمع دقات الساعة
تعلن السادسة، وقبل النوم نطمئن على علاء وأفلامه، ولا يفوتنا التعليق على
الموقف.

رغم كل هذا، مرت ثانية ثانوى على خير، وظهرت النتيجة.. بهاء
ملحق عربى، حسين ملحق إنجليزى، رامى ملحق فرنسى، أحمد وأنا نجحنا..
الحقيقة أحمد أشرطنا، والوحيد الذى يذاكر، ومجموعه 67%، وحضرته
حصلت على مجموع ضعيف وغريب.. 155 من 300 بمعنى 51.66%،
ولم يعرف أهلى هذا الرقم، وقدمت لهم شهادة مزورة بمجموع 64%.. بالنسبة
لهم أهم شىء النجاح، وأنا نجحت ودون ملحق، وبالتالي لم يعترض أحد لما
رفعت بكل جرأة شعار:

- أنا بانجح كل سنة.. عايزين منى إيه؟

يهل الصيف.. وبعد إعلان النتائج، ومثل كل صيف نشعر بالفراغ
الهائل، ونقضى الوقت على الموتوسيكلات، والجري بالسيارات، وازداد التركيز

للتعرف بالبنات.. وبعد نجاح بهاء وحسين ورامي في الملاحق، دخلنا ثانوية عامة، وعندنا ثلاثة موتوسيكلات جديدة، واشترى علاء سيارة جديدة، وكان حسين يستولى على سيارة والنته من حين إلى آخر.

وبجىء اليوم الدراسي الأول، لنواجه مشكلات كبيرة في آخر ليلة من ليالي الأجازه الصيفيه؛ بسبب تعودنا على النوم يومياً الساعة السابعة صباحاً، فقررنا عدم النوم والذهاب إلى المدرسة بعد سهرة حتى الصباح.. وبطبيعة الحال المدرسة لها زى خاص، ولكن للكسف حضراتنا لم نستعد، ولم نشتر الزى.. فقررنا الذهاب بملابسنا العادية.. ونفطنا القرار ودخلنا المدرسة بالمصان الملونة، والجييزات، وبما أننا ثانوية عامة.. إذا لازم نفرض إرادتنا على المدرسة كلها.. على التلاميذ والمدرسين.. وحقيقة الأمر، كان هذا الوضع ليس بجديد، كان هذا هو حالنا قبيل الثانوية العامة.

وصلنا والتقينا عند "الكثك" الساعة الثامنة، "لغينا" السجائر وشربناها مع الشاي، وهيا بنا يا رجال.. دخلنا من بوابة المدرسة العملاقة، وكانت شهرتنا تسبقنا، وشكلنا نحن الخمسة يلفت الأنظار.

نوى صوت الجرس، وخرج حضرة الناظر من مكتبه، ووقف في شرفة تسمح له برؤية كل التلاميذ ليهنئهم بالعام الدراسي الجديد.. وبمجرد أن وقعت عيناه علينا بمنظرنا البهلواني العجيب، نادى علينا بأسمائنا نحن الخمسة قائلاً:

— رامي، أحمد، بهاء، حسين، صلاح.. برّه المدرسة فوراً، وبكره كل واحد يشرف ومعاها ولي أمره.. من غير ولي الأمر مش عايز أشوقكم.. ماتجوش.. مفهوم!!

ودوت الضحكات في كل أرجاء المدرسة.

طرّد من أول دقيقة في المدرسة، كرامة.. يالها من سنة سوداء.. ماذا نقول للأهل؟ وماذا نفعل الساعة الثامنة والنصف صباحاً؟ بداية لا تبشر بالخير

إبدأ.. وقررنا أن "كلف" سيجارتين ونطلع على النادي، ونرجع بسرعة وننام ساعتين؛ لأننا لم نتم ليلة الأسس، ثم نشترى زى المدرسة، دون مصارحة أولياء الأمور بما حدث.

صباح اليوم التالي.. وقفنا في الطابور، ووقف حضرة الناظر، كعائته في الشرفة، وقال كلمة الصباح، ثم وجه كلامه لنا نحن الخمسة:

— أيوا كده نعرف نتفاهم.. فين أولياء الأمور؟ اطلعوا لي حالاً على المكتب. قلنا مية مية، والموقف أصبح واضحاً.. ولن يطردنا اليوم، وفي مكتبه عبر عن غضبه الشديد بالتهديد والوعيد، وكل واحد منا أخذ "خَرَزَتَيْن" وكلمتين في جنبه.. المهم، مرّ الموضوع على خير.

بدأت السنة الدراسية بنظام معروف ومحدد، نتقابل الساعة الثامنة عند الكثك، ونجربى لعب بالموتوسيكلات، ونطلع على المدرسة.. ورغم أنه من الواضح وضوح الشمس أننا من المشاغبيين، ولا شيء بهم بالنسبة لنا.. ومع هذا لاحظنا نظرات الإعجاب من البنات، وبدأت محاولات التعارف، وتبادل أرقام التليفونات، والاتفاق على اللقاء في النادي، ومن الآخر "عمَلْنَا شُغْلُ".

بونو كان يحب أن يكتب كل صباح جملة على السبورة:

■ المعلم بونو وأولاده: ريكو وصاصو وميدو ورونى يهنتون الطلبة بالسنة الدراسية الجديدة، ويجعله عامر.

■ المعلم بونو. وولده ريكو يبعثان بآرق التحية لكرم السمن.

■ المعلم بونو ذاهب غدا إلى أبو الغيط، من يريد الانضمام يسرع بشراء البروزلين.

■ المعلم بونو يهنئ الحاج صاصو على المزة الجديدة.

■ المعلم بونو يقبل أي تبرعات لشراء الشيكولاته.

■ المعلم بونو لا يقبل أى مجلات جنسية في الفصل، سامع يا أنور.

أنور أشطر طالب في الفصل، وبالطبع ليست له علاقة بأى مجلات جنسية.

■ المعلم بونو يريد الزواج، ومن لديه عروسة يتقدم دون خوف، والعاقبة عندكم في المسرات.

وكانت بعض هذه الجمل تؤدي إلى مشكلات مع المدرسين، ولكن بونو لم يكف عن كتابة هذه الجمل على مدار أيام الدراسة.

كنا نواجه كل صباح يوم دراسي مشكلة، لو تساعلنا: ندخل المدرسة أو "نزوغ"؟ فالاختيار صعب، والقرار أصعب؛ لأن لو واحد منا قال "نزوغ" بسرعة ففكر في طرق التنفيذ، ونناقش البدائل.. هل نكتب تصاريح خروج من الآباء؟ أو هل نحضر أول حصتين، وبعد كتابة كشوف الحضور والغياب نقفر من على السور على القفلا المجاورة، ونخرج من بابها؟ أم هل من الأفضل الانتظار حتى جرس الفسحة الأولى؟ وإن كان هذا البديل صعب التنفيذ، والأصعب منه البقاء في المدرسة حتى آخر اليوم الدراسي.. مع هذا فكرنا في خطة جبارة للبقاء في المدرسة أطول وقت.. وبناء على معرفة ثامة بجغرافية المدرسة، رسمنا الخطة.. مكتب حضرة الناظر في الدور الأول، وفصلنا الدراسي في الدور الثاني، ومن فوقه سطح جميل "رُوف" مذهش.. الشتاء مشمس وممتع، وفكرنا أن نخصص لنا ركنًا خاصًا، فوق السطح نلتقي، نكسر حالة الشعور بالملل، ودفعنا خمسة جنيهات للفراش، وجاء لنا "بالترابيزة" والكراسي، وجهز لنا المكان في "الرُوف".. جلسة خاصة في مكان داخلي في "غرفة صغيرة"، والآخر خارجي في الشمس، وبالطبع كان السطح منطقة محظورة، وممنوع على أي أحد في المدرسة يطلع لنا.. إنها منطقة ألغام، ففي هذا المكان الجميل نشرب الشاي، ونلف سجاير، ونلعب كوتشينة ودومينو، وأيضًا طاوله.

بهاء، بالذات، كان يحب جلسة "الرُوف" فأطلقنا عليه ملك "الرُوف". الديمقراطية من مزايا "سلتنا".. والقرار الذي يتخذه ثلاثة أعضاء، يفذه الخمسة كلهم دون مناقشة أو جدال.. وعندما لاحظ بعض التلاميذ تسللنا إلى

السطح، دفعهم الفضول وحب الاستطلاع لسؤالنا ماذا نفعل يوميًا فوق السطح، وكان الرد معروفًا وجاهزًا دائمًا:
- مخنش يسأل، والتي يتهور.. يتعور.

وبدأنا نتجراً ونشرب سجاير ملفوفة في "الرُوف"، والبيرة تم الاعتراض عليها من ثلاثة هم: أحمد، وحسين، وصلاح؛ بمعنى آخر.. هناك حدود.

وفي الدور الثاني فصلان فقط: فصل علمي، والآخر أدبي، بالإضافة إلى حمامين، وغرفة للمدرسين تتبعها شرفة كبيرة.. المدهش أن تلاميذ الفصلين، وربما كان المدرسون أيضًا يعرفون جيدًا قصة الاختفاء في "الرُوف".. إنما لم يكشف أحد سرنا.. التلاميذ كلهم خائفاء، لأن العواقب غير معروفة وغير مضمونة.

وبعد شهرين.. وفجأة ونحن نلعب بولة كوتشينة ونلف سجايرتين حشيش، والكل في حالة هدوء وانسجام، سمعنا أحدهم يصرخ قائلاً:
- كَيْمَّة.. الناظر.

وكاننا نواجه حريقًا مفاجئًا، أصبح ضوء النهار في سواد الليل الحالك، وبسرعة البرق قفزنا وجرى كل واحد في اتجاه، والشاطر يعرف بقلت بجلده من هذه الكارثة.. أنا شخصيًا جريت، ووجدتني في غرفة صغيرة يغمرها التراب، وفيها فتحة كبيرة، أظنها خاصة بالمصعد الذي لم يتم تركيبه وعلى الفور نظيت من الفتحة، ومرة أخرى ووجدتني في غرفة أغرب من الأولى، لم أرها أبداً من قبل.. غرفة مليئة بالآلاف الكشاكيل والكتب القديمة، وكراسي ومكاتب مكسورة.

جلست على كرسي مكسور، وكنت في حالة دوار رهيب؛ أو بمعنى أدق، مسطون على الأرض الحشيشة كانت "غيبه" جدًا، على رأي بهاء.. لم أكن قادرًا على الوقوف، وقعدت في مكاني حوالي ثلاث دقائق، لكنها مرت ببطء خرافي وكأنها ثلاثة أيام.. ومر بذهني ألف خاطر.. بالتأكيد أنني في مواجهة

كارثة ومأساة كبرى.. وأخيراً اكتشفت وجود باب، وسمعت صوت المدرس، وأصوات التلاميذ فى الحصة، لكننى لم أفهم أى كلمة، ولم أستطع تحديد أين أنا، وماذا أفعل لأخرج من هذه الغرفة المهجورة.. أخذت أصعب قرار وفتحت الباب بهدوء، واكتشفت أننى دخلت فصل ثانوية عامة علمى، والمفاجأة الرهيبة أن المدرس هو الأستاذ عطية نائب الناظر، وهو أكثر حزمًا من حضرة الناظر.

سألت الصمت لحظة، ونظر التلاميذ إلیّ وهم فى حالة ذهول.. من أين جئت، مغطى بالأكترية، وفى حالة كرب، أتخط ولا أرى شبرًا واحدًا أصامى؟ بسرعة قررت "أسوق الهيل على الشَّيْطَنة"، واتجهت فوراً لباب الفصل.. إنما المشكلة كانت فى وقوف الأستاذ عطية كالأسد بالقرب من مكتبه، على بعد خطوات من باب الفصل، وبلا تردد اندفعت نحو الباب، والتفت للتلاميذ قائلاً:

- سلام عليكم.

انفجروا جميعاً ضاحكين، ورد أحدهم قائلاً:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

وقال آخر:

- اتفضل يا حاج صلاح.. الشاى على النار.

وقال ثالث:

- والله لك وخشة يا صاصو.

وقف الأستاذ عطية، الذى لا يتحرك دون "الخرزانة" فى يده، فى طريقى، رفعها وخبط بها على كفى قائلاً:

- والباشا مبشرنا من فين إن شاء الله؟

- من الزمانك.. جزيرة النسيان، لكن اليومين دول قاعد عند ميدو فى المهندسين.. يعنى رحلة تغيير جو ونشاط يا عطية بيه.

- والله؟ وإيه نشاطك إن شاء الله؟

- حاليًا بتدرس ترميم القللا.. أصل بابا بهاء عنده شركة مقاولات، وإحنا أصحابه، كنا بنأمن المنطقة ويندرسها، ونشوف القللا كم دور، وكم أوضه، ومحتاجة إيه.. كده يعنى.

الأستاذ (محاولاً إخفاء ابتسامه):

- الله الله!! وإيه كمان؟

ردت سريعاً:

- يا عطية بيه، أنا أخذت من وقتكم كثير جداً.. أستاذن أنا لو سمحت.. وشكروا حيلكم يا رجاله، ثانوية عامة مش هزار.. دى عنق الزجاجة على رأى الدكتور طه حسين.

- دكتور طه حسين قال إن الثانوية العامة هى عنق الزجاجة؟

- مش عارف يا عطية بيه.. جازى أكون أتخطبت، وحضرتك أدرى منى..

ممكّن يكون العقاد، أو كامل كيلانى أو بمكن روز اليوسف.

قال الأستاذ بغضب شديد، وصوت عال:

- إيه لللى جايك هنا يا صلاح؟

وبلّفت إلى تلاميذ الفصل ويقول بحسم:

- مش عايز أسمع ولا نفس.. يا صلاح.. اتفضل اتكلم.. انطق.

- والله يا افندم، إحنا كنا فوق.

- فوق فين؟

- فى السطوح.

- إنتم مين؟! وفوق فى السطوح ليه؟ وكنتم بتعملوا إيه؟!

- كان عندنا حصّة فاضية، قلنا نكتشف المدرسة.

- وبعدين؟

- وإحنا فوق فجأة سمعنا واحد بيقول: كبسة.. كبسة.

- ده على أساس إن إنتم فى غرّة، مش فى مدرسة.

- لا، يا عطية بيه.. إحنا فى مدرسة، وأحسن مدرسة فى مصر كلها.

- كَمَلْ كلامك.. وبعدين.

- كل واحد جرى فى ناحية، والنصيب.. شفت يا عطية بيه أنا محظوظ إزاي..

أصل حضرتك بصراحة واحسنى جدًا.

الأستاذ (مع لسوعة بالخرزانة):

- بجد؟ وبعدين؟!

- أنا شُفْتُ فتحة غريبة، ولما نَطَيْتُ فيها نزلت فى الأوضة اللى جوه دى.

- ومين كان معاك؟! وكنتم فوق ليه؟ بتعملوا إيه؟

- ده السؤال الوحيد اللى مش هَقْدَرُ أُرْدَ عليه.

الأستاذ (بعد ضربة خرزانة جامدة):

- مين كان معاك؟ انطُوق.

- كنت فوق لوحدى يا عطية بيه.

قال أحد التلاميذ:

- رجولة يا صاصو.

وقال زميل آخر:

- رجولة يا ملك النص.

الأستاذ (محدثًا تلاميذ الفصل):

- ولا كلمة.

ثم وجه حديثه إلى:

- وإنت.. عامل فيها راجل، انزل استناني عند مكتب حضرة الناظر لغاية لما

أجى لك.. سامع، والا لا؟

- حاضر يا عطية بيه.. السلام عليكم يا رجالة.

فرد أحدهم:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

قال ثان:

- شرفت يا حاج صلاح.

قال ثالث:

- ما تغيبش يا صاصو.

خرجت من الموقف الذى أيقظ كل حواسي، ونزلت على مكتب حضرة

الناظر، فوجدت بقية العصاية على باب الغرفة.. وطبعًا عندما لمحنى أصحابي

الأربعة، انطلق الضحك الهستيري، وسألوني فى صوت واحد:

- إنت كنت فين؟

وقبل أن أحكى، فتح حضرة الناظر باب غرفته، وسألني:

- واقف هنا ليه يا صلاح؟ حضرتك مش قادر على يُعَادهم؟!

- الأستاذ عطية قال لى أستاذ هنا.

- ليه؟ إنت عملت إيه؟

- يا افندم أنا كنت معاهم، ونزلت فى فصل ثانوية عامة علمي.

- والله؟! ونزلت إزاي فى فصل ثانوية عامة علمي؟!

- مش عارف.

- وأنا سألت نفسي.. هو صلاح فين؟ عجيبة إنه مش معاهم!! ما يَفْعَش!! ولما

سألت البهوات عليك، قالوا صلاح فى الفصل يا افندم.. عال عال.. اتفضل

جنبهم لغاية ما يكتب جَوَابات الرُقْد.

صلاح : اترقدنا يا رجالة.

ميدو : تاني!!

حصين : ولسه.. ولسه.

بهاء : فل جدًا.

رامى : قُشْطَة.

وكان قرار الرُقْد لمدة خمسة أيام.

رأس السنة

31 ديسمبر..

إنها ليلة رأس السنة، والحفلة في بيت ميدو، والاستعدادات على أعلى مستوى.. ابتداءً من البيرة، الويسكى، الفودكا، الحشيش، وأطباق ممتازة للعشاء، كيميائى رهيب.. وعلقنا الزينات، وأعدنا مجموعة أسطوانات مدهشة، وشرائط "الروك"، وكان من أهم المقاجات، دعوة مجموعة من البنات.

اجتمعنا كلنا حول المائدة.. دقات الساعة تعلن السابعة، رامى يلف السجائر، أحمد كعادته يقرأ الصحف، علاء شغله الشاغل الاطمئنان على زجاجات الخمور والبيرة المتلجة، حسين لا يتوقف عن الحديث عن الكرة، وصلاح يفتح الكوتشينة، ويصل بهاء.. ويسبقه قدر هائل من الضجيج، وقبل التحية أو السلام، دخل مباشرة فى الحديث قائلاً:

بهاء : اسمعوا يا رجاله.. رأس السنة دى مش خَمرة ولا حشيش.. مفاجأة.. الجديد.. البريمو.. سحر يا إكسيلانس.. أنا معايا هيروين.. بُونرة.. رُبع جرام.

رامى : بودرة!!! بتعمل إيه البودرة دى??

صلاح : ويعنى هيعمل إيه الربع جرام دا يا بونو!؟

بهاء : إنت مستهيف الربع جرام..

دلوقت تشوفوا الربع جرام دا هيعمل إيه!!!

حسين : زى الحشيش واللا الويسكى؟

بهاء : انشأوا الحشيش والويسكى.. البودرة هتخليكم ملوك.. كل واحد يشم خَطَّين بَسْ، وبعد ربع ساعة تشوف النظام يبقى عامل ازاي.

مر شهر أكتوبر، ونوفمبر، وديسمبر.. ثلاثة شهور دراسية، ولكننا لم نحضر خلالها ثلاثين يوماً.. ولم يتغير أسلوبنا.. استمر التزويغ والنظ من السور، وأحياناً نحضر حصة أو حصتين.. أو نقدم اعتذاراً أو تصريحاً مزوراً.. أكثر من هذا.. علمنا بعض البنات أساليب التزويغ، وأصبح الموضوع لطيفاً جداً، "تزويج" مع بعض، ونلف بالموتوسيكلات، ونفطر فى شارع 26 يوليو، وفروح النادى أو السينما.. مثلاً فيلم "حدوتة مصرية" شفته أكثر من 8 مرات.. كل واحد جديد عايز يزويج لأول مرة، يقول لنا:

- تعالوا نشوف فيلم "حدوتة مصرية".

وتقريباً حفظته "صم".." وعجبنى" على رأى صلاح جاهين.

وكانت لى زيارة أسبوعية إلى بيت أهلى.. وبعد التسلمات والتحيات والضحك والهمز، أخذ منهم قلوس الدروس، وأعطاهم ملابس للتظيف والغسيل، وأخذ ملابس أخرى نظيفة.. وكانت الزيارة لا تزيد عن نصف ساعة، "أقلب" فيها البيت، وأشعر أنهم يعدون الثوانى الأخيرة بعد كل هذا الإزعاج، ولا مفر من سماع مقولة الولد الشهيرة:

- شد حيلك فى المذاكرة، عايزين مجموع كويس يدخلك كلية محترمة.

فأردُ بكل ثقة:

- حاضر.. بَسْ! اعمل حسابك على عربية جديدة علشان الموتوسيكلك كسرى..

أحمد : لا يا عم.. أنا خايف.. مش عايز.
 علاء : أنا سمعت عن البودرة.. بيقولوا شديدة،
 يفتح بهاء ورقة صغيرة، ويضع الأخرى على المائدة ويقول:
 بهاء : اللي يمد إيدته.. يتعور.
 رامى : إيه دا يا بونو؟
 بهاء : دول تذكرتين يا إكسلايس.
 حسين : يعنى إيه تذكره؟
 بهاء : بيقولوا عليها كده.. تذكره أو ورقة.
 صلاح : بَصْ يا بونو.. إنت تأخذ الأول.
 حسين : وأنا الأخير.
 بهاء : هاتوا لى مُوس.
 حسين : ليه؟
 بهاء : علشان أقسم البودرة وأعملها لآينات.
 رامى : هو أنت جربتة قبل كده؟
 بهاء : لا.. واحد صاحبي جربها، وقطعنى على الليلة كلها.
 أحمد : منين البودرة دى يا بهاء؟
 بهاء : من البقال.. يا عم هات لى مُوس من الحمام.. بسرعة.. خلصنى..
 أنا هاجيب الموس.
 اختفى بهاء وعاد بعد أقل من دقيقة ومعه موس ومراة صغيرة،
 أحضرها من غرفة أحمد، ونلتف حول المائدة، ويفتح بهاء ورقتين صغيرتين بهما
 البودرة، ويمسك بالموس ويعمل ستة خطوط على المرأة، ويلتفت قائلاً:
 بهاء : ها.. مين هيخس؟
 رامى : أنا يا بونو.
 صلاح : وأنا.

بهاء : كل واحد منكم يشم خطين بس.. واحد بالناحية اليمين، والتانى
 بالشمال.. عايز رجع جنه أو أى فلوس جديدة تشم بيها.
 حسين : أذى عشرة جنه.. بس ترجع يا حبيبي..
 بهاء أخذ أول خطين، ثم رامى أخذ خطين، وأنا بعده خطين.. ثم سطر
 بهاء آخر خطين، وسأل:
 بهاء : مين يزود؟
 حسين : اسمع يا ميدو.. أنا خط وأنت خط.. لما نشوف إيه اللى هيحصل.
 أحمد : ماشى.
 أخذ ميدو وحسين خطين.. بعد أن تأكد بهاء أن الخط الواحد يساوى
 خطين.
 علاء : أنا مش ها آخد.. أنا يا عم الحشيش والبيره حبايبى.. ونمام كده..
 بهاء : أحسن.. وفرت..
 مرت دقائق.. وبدأت أشعر بنشوة غريبة.. تغير طعم السجارة..
 وأصبحت خفيفة.. خلصتها، وبعد ثانية "ولعت" سجارة أخرى، ومرت ربع
 ساعة، وبدأت الدنيا من حولي تتغير.. الألوان غريبة.. فقدت القدرة على
 التركيز تمامًا.. أسمع كل كلمة، ولا أستطيع، أو بمعنى أدق فى حالة كسل
 عجيب للتعليل أو الرد على أى سؤال، وإذا تكلمت.. أجد أن حديثي غير كامل،
 وفجأة شعرت بغثيان رهيب.. جريت إلى الحمام، وأخرجت كل ما فى جوفى،
 حتى عصارة المعدة المرة بقياتها، وكان إحساسًا مؤلماً وبشعاً.. وأخيراً خرجت
 من الحمام، ورجعت إلى الشلة، وقلت لهم:
 - أنا خلاص.. فوأت يعد ما رجعت.
 رد بهاء:
 - فوأت يا صلاح؟ طيب ولع سجارة، وشوف هيحصل إيه؟

فعلًا ولَعَت سيجارة، وفورا شعرت بدوار رهيب، وكأن البودرة
”اشتعلت“ من أول وجديد.. ومن حسن حظنا أن والدة أحمد كانت في
الإسكندرية، فدخلت غرفتها، وارتميت على سريرها.. ورغم الدوار الشديد،
ظللت أُنْقَلَب في السرير ولم أُنم ثانية واحدة.. كنت مستمتعا، وأنا نائم على
السرير لوحدي.

أما بقية الشلة.. واحد من الشباب في الحمام يتقيأ، والثاني يشرب
سيجارة، والثالث نائم على الكنبه.. علاء وحده في حالة وعى كاملة، ولم يتوقف
عن الكلام، لكن لا أحد يرد على ما يقوله، فصرخ قائلاً:

- مالكم؟ غامتين كده ليه؟! يا بهاء.. إنت نائم على نفسك كده ليه؟ وإنت يا رامى
أنطق.. لك ساعة ما قلّتش ولا كلمة.. وأحمد فاتح الجرنال.. قال إيه بيقرأ بس
ما غيّرش الصفحة من ساعتين، والمسكين حسين عمال يرجع في الحمام..
والظاهر كده صلاح نام.. هو حصل إيه؟ إنتم شخصياتكم اتغيرت كده ليه؟ انتم
مملين جدا.. إيه الدماغ الضايعة دي!!

كان صوت علاء عاليًا ومزعجًا، وسمعت كل كلمة.. ولكن لم أستطع
القيام لإسكاته، وكان تعليق بهاء:

- هو إنت بتفهم في مزاج الملوك؟ خليك يا لولو في البيرة.

ولم يكن في استطاعة أحد منا أن يشرب البيرة، أو حتى كوب الماء،
رغم الإحساس الشديد بالعطش.. ومن حين لآخر أجرب رشفة ماء، وبعد دقائق
معدودة أسارع إلى الحمام وأتقيأ من جديد.. وخرجت من غرفة النوم الساعة
التاسعة، فوجدتني أمام مجموعة من الجثث، ملقاة على الكنبه، وعلى الأرض..
وعلاء يشاهد التلفزيون وفي يده البيرة.. وقفت أتأمل هذا المشهد بابتسامة
بهلاء، وتنبهت على صوت رامى يناديني:

رامى : يا صاصو.. ولّع لى سيجارة.

بهاء : وأنا كمان.

صلاح : سيجارة يا زوْنِي؟
حسين : لأ، أنا مش علوز.. السيجارة بتدوخننى.

رامى : تعالو ننزل.

أحمد وحسين (فى صوت واحد):

- مش قادرين.

رامى : طبعًا قن قن.. وقن قن.

بهاء : تيك وتاك.

علاء : أنا هقعد أوضب الحفلة.

رامى : مين ناوى ينزل؟

بهاء : أنا ميلكك يا ريس.. ياللا يا صاصو.

وخرجنا نحن الثلاثة.. وكان بهاء قائد السيارة، وأنا جنبه، وفي الخلف
رامى، وقيل أن نتطلق بنا السيارة، سألنا بهاء:

- على فين؟

فرد رامى:

- على الزمالك.

وبالطبع في سيارة علاء، لا يوجد إلا شرائط من ذوق علاء، ودار
شريط كاسيت.. أغاني اسمهان.. ذوق مختلف تمامًا.. إنما لا مانع من سماعها..
ولم يعترض أحد.. وكل ما أُلْفَى سيجارة، بنو يولّع لى واحدة ثانية، وفجأة
سمعنا صرخة رامى من المقعد الخلفى:

- إركن يا بهاء.. مش قادر.. عايز أرجع.

ويقف بهاء إلى جانب الطريق، ويبدأ مسلسل القىء.. بدأه رامى، وأنا
من بعده، وأخيرًا بهاء، والتف الناس حولنا، وكانوا في دهشة من أمرنا..

وسألنا أحدهم:

- مالكم يا شباب؟

- الظاهر أكلنا سندوتشات مش نظيفة.

- ألف سلامة عليكم.

زمالك!! مهندسين!! دقي!! فى الواقع لم تكن ندرى أين نحن بدقة.. وكانت الدنيا غريبة والأضواء مختلفة، وفى اعتقادى الشخصى أنها كانت أجمل من الطبيعى، وكنا فى حالة بلاهة تامة.. الأغانى التى لم تكن تعجبنا، ونرفض سماعها ونختلف مع علاء حولها، سمعناها دون أى اعتراض، وقطع بهاء حبل الصمت:

- البودرة دى سيم.

سألته:

- اشتريتها منين يا بونو؟

- من دولاب* فى السيدة زينب.. واحد اسمه: الليشة.

قال رامى موضعاً:

- عارفة.. جيت من عنده حشيش قبل كده، مش هو ده يا بونو اللى فى الحارة

الصغيرة، اللى يتطلع لها بسالم؟

- هو يا إكسلانس.

ساد الصمت لبضع دقائق ثم أخيراً تكلمت:

- البودرة غريبة جداً.. شوية الواحد دريان، وشوية خريان.. وشوية مش قادر

يتكلم، أو حتى يسمع.

قضينا ليلة رأس السنة.. نجوم الشوارع بالسّيارة.. نشرب سجاير،

ونتحدث بهدوء، ونسعد بلحظات السكون.. وفجأة انتبه بهاء قائلاً:

- تصوروا.. الساعة 11.30، كارثة.. الحفلة.. والبنات اللى إحنا عازمينه،

لازم نرجع بسرعة.

وفى طريق العودة إلى "الغواصة"، تأملت وأنا فى مكاني من السيارة كل ما يمر به: البيوت، المحلات، الإعلانات، الناس، السيارات.. الغريب أننى شعرت بأن كل شيء حولى قد تغير.. كيف؟ لست أدري.. لكن بالتأكيد هناك شيء ما مختلف.. فعلاً ما حدث لى يختلف عن "مكر" الويسكى، وعن "سُطَل" الخشيش.. هذه تجارب فهمتها، وعرفت كيف أتعامل معها، إنما البودرة لا أعرف ولم أستوعب، ولم أفهم هذا الكم الهائل من الأحاسيس المختلفة والجديدة.

عندما وصلنا إلى البيت، وجدنا أحمد فى السرير، وفى حالة شديدة من التعب والإعياء.. أما علاء فاتفرد بصديقته فى البلكونة، ولم يبد أى اهتمام بما يحدث حوله، بينما جلس حسين مع البنات المدعوات لحفل ليلة رأس السنة، ووقع المسكين تحت حصار من الأسئلة، التى لا تنتهى من صديقته نيقين:

- مالك يا حسين؟ إنت عامل كده ليه؟

- فىن صلاح، وبهاء، ورامى؟

- يعنى إيه خرجوا؟ راحوا فىن؟

- يعنى إيه يعملوا حفلة ويعزمونا ويخرجوا؟

ولم يكن حسين قادراً على الحوار والنقاش والأخذ والرد، وفى الناحية الأخرى من البيت كان مبدو ينام فى مريره، وإذا دخل أحداً الى غرفته، ينتفض صارخاً:

- اطلع بره.. اطفى النور.

واضطربنا إلى مقابلة البنات، والترحيب بهن، وقد كان هذا آخر شيء نريده، ونود أن نفعله فى تلك الليلة الجهنمية.

يا إلهى!! ما هذا القدر الهائل من الضجيج الذى أثارته البنات المدعوات للحفلة؛ فصاحب الفكرة والدعوة لم يكن فى استقبالهن، وخرج

* يطلق على مكان شراء المخدرات.

أعتقد أنني لم أكن أستطيع المشي.. رجلاى لا تحملاننى، وبالمعنى
الأصح كنت "تَطْوَح".. لكن لا أحد منا يدرى بما يحدث للآخر.. كل واحد منا
فى دنيا لوحد..

من حين لآخر، كان بهاء يتحرك بيننا، وكأنه الطبيب المعالج.. كان
يمر علينا واحداً واحداً ليطمئن، ويعطينا التعليمات الجديدة، مثل:
- اضل وشك، وأشرب ميه.. واتت أفرد جسمك.. خد نفس عميق.. هایل أنت
كويس.. ولع سيجارة.. ها.. شغالة ولا فصلت؟
وأخيراً.. أخيراً.. نطق، وقلت له:

- بخرب بيتك يا بونو.. إيه البودرة دى؟! هو إحنا مش هنقوء واللا إيه؟!
فرد رامى:

- باين علينا شمين كثير.. هو زونى فين؟
أجاب بهاء قائلاً:

- على التليفون، البودرة دى جتارة.. بتطلب حنية.. وثبتت أى بنت فى مصر،
بس تسلمك ونظا عشر دقائق، ومبروك عليك يا إكسيلانس.

وفجأة ظهر مينو.. جاء الى البلونة مسكاً بصفحة الرياضة قائلاً:

- الحقونى يا جماعة.. أنا قريت الخبر أكثر من عشر مرات، وبجذ مش قادر
أفهم ولا كلمة.. السطور ملخطة والكلام بيرقص قدامى.

لم تكن نستطيع الضحك.. ومع هذا كلامه جعلنا نضحك ضحكاً
هستيرياً.. والمشكلة الحقيقية إن أحمد كان جاثاً فى كلامه.. إنه لا يفهم ولا أحد
منا يفهم أى شىء فى أى شىء.. وقال:

- يعنى بتضحكوا.. طيب إمشك يا بونو.. أقرأ المستكاوى ويقول إيه، وأراهك
لوفهمت كلمة واحدة.

- هات التجرنال.

بلا سبب مفهوم ودون اعتذار؟! هكذا وقعت المسئولية كلها فوق رأسى.. إذا، لا
مفر من تأليف فيلم هندى، وبأداء تمثيلى قلت:

- إتحافنا خناقة بنت "....." ورحنا القسم.. خلاص، خلاص متزعزعو.. إيه
رايكم نعمل حفلة ثانية أجمل ألف مرة ونصالحكم؟!

استمرت حالة الثورة والغضب عند واحدة من البنات، والثانية صرخت
لأن الساعة الواحدة والنصف، وأهلها صرحوا لها بالتأخير حتى الساعة الواحدة،
والثالثة أخذت شنطتها وطارت معها.. المهم حوالى الساعة الثالثة.. ساد الهدوء،
وأصبحنا وحدنا.. وبدأنا نفيق، بنسبة خمسين فى المائة، وأحسست ببعض الراحة
وأعلنت رأى قائلاً:

- هو ده الكلام.

لكن بونو الشيطان له موقف آخر، اقترب منى قائلاً:

- خذ ولع يا معلم.. بس خلى بالك.. هما نفسين حشيش مش أكثر.. النفسين دول
هيولعوا الدنيا.

وقد كان.. أخذت النفسين، وعلى الفور أحسست بالأحاسيس السابقة
نفسياً، نشوة غير مفهومة.. إنما كانت المشكلة الكبرى، أن كل رشقة مياه
أشربها اتقيها، وليست عندى القدرة على رفع رأسى بين كتفى.. أسمع كل كلمة
تقال، ولكننى لا أريد النطق بكلمة واحدة.

مينو لازال فى السرير، ولا يريد أن يرانا أو يسمع أصواتنا.

حسين يمسك بالتليفون، وفى حالة حب من ماعتين.. ده عمره ما طول

كده!!

أما علاء.. فقد كان أمام التليفزيون يشاهد أفلاماً جنسية، وكان فى حالة
سكر غير عادية؛ لأنه كان يشرب منذ الساعة السابعة.. أكثر من ست ساعات،
والكأس فى يده.. وأخيراً مذل رامى يده قائلاً:

- هات إينك.. انت اللى بتفهم فيهم.. تعالى نقعد فى البلونة، نسمع بوب مارلى

ينظر بهاء في الجريدة ويقول:

- أصلاً المستكاوى مش كاتب أى حاجة النهارده.

يضحك رامى ويقول:

- روح خذ دُوش.. احتمال تُرجع نفهم.

ترتفع الضحكات مع كل جملة، ويدخل حسين البلكونة بعد حديثه التليفونى الطويل.. قائلاً:

- تصوروا انا قلت لنئين بحبك، وقالت لى وأنا كمان.. طول المكالمه ما كنتش عارف أنا بأقول إيه، إنما كنت جئتنَ حنانَ القول، فقالت لى: إنتَ غريب يا حسين النهارده.

سأته قائلاً:

- أول مرة نقول لها بحبك؟ أمال الست شهور اللي فانت بتقول لها إيه؟

قال أحمد ضاحكاً:

- أكيد بيقلعها تبقى زمالكاوية وهى مش موافقة.

رد حسين ساخراً:

- إيه الثريات ده!!

بينما قال رامى:

- بقول لكم إيه.. بلاش دوشه، واسمعوا بوب مارلى، دا جامد جداً.

استمرت الليلة ما بين قليل من الضحك.. وقليل من السكوت.. وقليل

من الموسيقى.. حتى أعلنت فئات الساعة الثامنة صباحاً، وقرر بهاء العودة إلى بيته، وبمجرد خروجه دخلنا غرفة النوم.. رامى وأنا على سرير، وأحمد وحسين على سرير.. وأخيراً، نمنا نومًا عميقًا.

الحق يقال.. لم أفهم البُردة.. ولم أستطع التمييز والحكم عليها.. هل

هى خلوة أم خطيرة؟! إنما أستطيع القول بأن كل شيء كان غريباً.. المهم تجربة وعنت.

استيقظنا من النوم بعد الساعة الرابعة، والسيجارة أيضاً طعمها غريب، ولكنى فى حالة مزاجية أفضل، ودار بين الشباب حوار، بدأه علاء قائلاً:

- إيه الأرق ده؟! طول الليل عمالين ترقصوا وتهزسوا.. ولا أنا عارف أنتم صاحبين واللا نايمين.

قال بهاء واصفاً الحالة:

- يا علاء ده مش نوم.. ده اسمه "تسقيط" أو "تفكير".. ولا واحد كان نايم.. الواحد منا مغمض عينيه لكن صاحى وحاس بكل حاجة حواليه.. ذا أجمل "مود" فى الدنيا.

بينما عقت مؤكداً:

- فعلاً.. أنا كنت حاسن.. بس مش قادر، ولا عارف أعمل أى حاجة.. أقول لكم على حاجة حصلت إमारح، وأفكرتها دلوقت.. لما نزلت أوصل هدير لعريبتها، وعلى السلم "زناها" وأدبتها بوسة، وهى ما صدقت، وفجأة سمعنا السواق بيضرب كلاكس.

هتف بهاء:

- ميزوك يا صاصو.. المزة الجديدة.

فقلت محتجاً:

- إيه ده، دى كارثة.. هو أنا كده لبيتها واللا إيه؟!

قال زونى:

- الحل إنك تعمل عبيط.

قلت:

- تصدّق، فكرة صابغة يا زوني.. جدّج إنك شغلت التليفون طول الليل، أكيد طلبتي مائة مرة.

وفجأة.. علاء قال:

- خذ يرد على التليفون بسرعة.

- كارثة.. أكيد دى هدير.. رد يا بونو، وقول لها صلاح طلع قيتسّام الصبح بترى.

- أهلاً يا دودو.. أخبارك إيه؟ "لحظة سكوت".. صاصو؟! خرج من يدري، راح يسلم على أهله، ويقول لهم كل سنة وأنتم طيبين.. طبعاً طبعاً راجع تانى، وأول ما يرجع أقول له يكلمك.. فوراً يا إكسيلاتس.

وطبعاً لم أكلم هدير، ولكن هى تكلمت مرة ثانية ورديت عليها:

- ألو يا دودو.. إزيك؟ أنا مش عارف إيه اللي حصل إيمارح، مش قصدى خالص، كنت شارب كثير، ومش عارف عملت كده ليه!! أوعذك ده مش هيتكرر تانى أبداً.. دودو أنا لازم أنزل حالا.. علاء سبّقى فى العربية.

لم أنتظر أى رد فعل من جانبيها، وانتهيت الموضوع بهذا الأسلوب.. حقيقة، البنّت جميلة، لكنها مُبلّة جدّاً، بعد عشر دقائق أو أقل أشعر بالملل، وأحاول أبلغ فرار بكل الطرق والحيل.. وعلى العكس كانت شبيرة صاحبة علاء "تختوخة"، دمها خفيف، طيبة و"جدعة" جدّاً.. تحب علاء أكثر من حبه لها ألف مرة.

لم يكن موضوع البنات يشغل تفكير رامي.. إنما حظّه من السماء.. فى كل مرة يتعرف إلى بنت من البنات، تطلع صاروخ أرض جو، وكانت تبلى هى الوحيدة التى استمرت صداقتها معه لفترة طويلة.. كم هى جميلة.. أنيقة.. وكما

يقال بنت عائلة.. تحبه أكثر من كل الكلام، ولكنه يشعر بالملل.. ومن حين لآخر يتنكر بهاء وتحتمل.. أكثر من مرة تبتعد فى هواء، ثم تعود العلاقة من جديد.

ولكد صاحبنا بهاء الثغراب المصرى الفلسطينى، بعلاقته المشوذة مع بسمّة، فتاة فلسطينية.. بيتها على مرمى البصر من بيت ميدو.. دقيقة ونصف لا أكثر بالموتوسيكل.. وكدنا نفقد عقولنا بسببه، بعد أن رفع مصفاة الموتوسيكل ليحدث ضجيجاً عالياً حتى بلغت انتباهها إلى وجوده تحت بيتها، ويظل رايح جاي، مزعجاً سكان الحي، لينال نظرة عندما تطل جميلة الجميلات من الدور الرابع، وقد أطلق عليها: بسمّة "أم قلب خشب".. إنها قمة فى الجمال.. شعرها أسود ناعم، لون البشرة قمحى، عيناها لونهما أخضر. وذات مرة، ليكسب عطفها ربط جسمه كله بالشاش، وأطلّت من البلكونة.. رآته.. وبعد أقل من دقيقة دخلت غرفتها، وكأنها تعلّق: "وأنا مالى".

وبعد فترة، استعد بهاء بمجموعة من الشباب، وتحت بيتها بدأ معركة سينمائية، مثل فيها دور البطولة، وكأنه فريد شوقى فى زمانه، رغم أنه أصلاً لا يتحمل ضربة قلم من طفل فى العاشرة.. مشهد من فيلم قاتل.. وفى مرة أخرى اتفق مع بعض الشباب لمعاكستها فى الشارع، وفوراً نزل بونو المنفذ من على الموتوسيكل، وضرب أحدهم، وبأعلى صوت ثار على الآخرين.. إنه فيلم قديم ويكدى يا بونو.. جرب بهاء كل الحيل، بلا صدق عند بسمّة.. فى كل يوم، مواقف مختلفة من بهاء لينال اهتمامها، ولكن بونو صعلوك، وهى جميلة فاتنة شديدة الثقة بنفسها إلى حد الغرور، ومن المستحيل أن تفكر فى هذا الكائن العجيب.. مسكين يا بونو.

ويختلف الموقف بين حسين وصديفته نيفين.. إنه يحبها بحق، وهى تبادله مشاعره الحلو، وكنا نشعر أن لهما عالمهما الخاص، وأن بينهما أسراراً

وبعد رأس السنة، رجعت الشلة كما كانت.. خمرة، حميش، كوتيشية،
بنات.. واختلفت الآراء حول البودرة وملخصها:
بهاء : صاحب الاختراع.. وطبعاً المشجع الأول.
رامى : عجبته.. و"معدوش" مانع يجرب مرة ثانية.
أحمد : ممكن.. بس مش كثير.. الترجيع وحش جداً.
حسين : تمام كده.. على خفيف.. فى المناسبات.
علاء : أنا لعيتى الخمرة والحشيش.. وبسن.
صلاح : قشطة.. شغال.

لا تنتهى.. والحق يقال إنها خفيفة الظل، وأيضاً كانت خبيثة، هى قصيرة، ودائماً
أنكرها أن كل قصير مكير.. ولم أكن أرحمها من التعليقات الساخرة، وترد بخفة
دم وكأننا "ناثر ونثير"، ولكننا نتعامل بأسلوب راق، حباً واحتراماً لمشاعر
حسين.. وعندما كنا نخرج معاً، نتطلق نيقين بعشرات الأسئلة:

- خارج ليه؟ رايح فين؟ راجع إمتى؟ مع مين؟ بهاء ورامى وصلاح معاك؟
بكل تلقائية كانت تتكلم.. وإحساسها يؤكد لها أننى وبنو ورامى السبب
الأساسى وراء الشرب، وقصص البنات، وكل المصائب، وإنما رجوعاً للحق،
كانت طيبة جداً.. ويغضبها عدم تفرغ حسين للحديث معها طوال الوقت، رغم
أنها "رغاية" جداً، ولا ينتهى حديث الصباح والمساء على التلفون بينهما، ونحتج
جميعاً؛ وأقول له:

- ياربى!! الرحمة.. إيه الرغى ده كله؟ فهمنى يا زونى بقولوا إيه كل ده؟
- أصل فيه موضوع كبير أوى يا بزنس.
وكان تعليق بنو:
- على كوبرى عباس.. ماشيه وماشيه الناس.. يا فروتة وأناناس.

لم تكن لدى صاحبنا ميدو صديقة محددة، ولكنه "يعيش" فى الدور،
مُدّعياً أن فى حياته فتاة مذهشة، غير كل بنات الدنيا، إنما علاء المشايخ
الكبير لا يتركه فى حاله، ويغيطه بأسئلته:
- صاحبتك مين دى؟ إنت معانا أربعة وعشرين ساعة، وعمرنا ما نسمعنا
صوتها، ولا شُفناها.. يا ترى هى كلبوظة، أقصد تخينة زيك كده؟ طيب يا مينو
فهمنى ليه مش بتتكلموا؟
- طبعاً بتتكلم، وأنا رايح لها ألمانيا الصيف الجاى.

وداعاً للمدرسة

رغم كل ما فعله، وما نمر به يومياً.. فزنا ببطولة المدرسة في الكورة، كسبنا مباريات متواصلة.. الغريب طبعاً أننا كنا نشرب سجاثر، حشيش وبيرة.. ومع هذا كنا "حزينة" كورة، وفعلنا كان فريقنا قوياً وحصلنا على كأس المدرسة.. والفريق الذي يفوز، هو الفريق الذي يمثل المدرسة في المباراة النهائية، مع مدرسة لغات أخرى، من المنطقة نفسها. كانت مباراة البطولة ما بين المدرستين، وكل سنة تقام في مدرسة، بمعنى، سنة على أرضنا، وسنة على أرضهم.. البطولة كانت مستمرة، منذ سنوات وسنوات، لدرجة أنه لا أحد يعرف بالتحديد.. متى وكيف بدأت؟!

بطولة السنة الماضية فازت بها مدرستا، وكانت المباراة على أرضنا، وفصل ثانوية عامة علمي فاز بها، وحصل على الكأس، وتم توزيع الميداليات، وأقيمت الاحتفالات.. هذا العام المباراة النهائية في مدرستهم وعلى أرضهم.. ووسط جمهورهم.

معنا في الفصل زميل طويل، وبطل فروسية.. اسمه عباس، وهو حارس المرمى، وكان أيمن "بأك"، ويسانده عماد، وأنا كنت ألعب في نص الملعب، وكان زوني "أحرف" واحد في المدرسة كلها، ويلعب مهاجماً.. كان رامى احتياطياً ويغيز "مع أيمن وعماد.. وميدو هو "الكوتش"، وأطلقنا عليه اسم: "برزوت"، نسبة إلى مدرب إيطاليا الشهير في ذلك الوقت.

كان بونو طبعاً هو ملك الزفة والتشجيع، وكالمعتاد يتقصص دور الدكتور المعالج.. بونو كان غريباً جداً في موضوع التشجيع، كان يعرف كيف يولف أغنية في ثانية، وكانت تتحول إلى هتافات مدهشة ومُلهِش حلاً،

المدرسة كلها مهتمة بالمباراة، وكل الزملاء، بلا استثناء، يسألوننا عن تشكيل الفريق، وخطة المباراة، وموعدها.

المدرستان تقريباً في نفس المستوى، والمنافسة بينهم كانت قوية جداً. نعم، سوف نلعب أصحابنا لنا من النادي، وكثيراً ما لعبنا مباريات معاً، وكنا في فريق واحد.. لكن الوضع مختلف بالنسبة لهذه المباراة.. نحن نلعب باسم المدرسة، ولابد أن نرجع لها بالكأس.. الموضوع جد جد، ولا يحتمل أى هزل.

تحدد تاريخ المباراة، واجتمع بنا الكابتن فاروق، مدرس الألعاب، وتحدث معنا على تفاصيل الماتش، وقال لنا:

- الماتش على أرضهم، بس أنا عارف إن إنتم رجاله.. إحنا لنا 100 مشجع بس، عايز أدب.. عايز أخلاق والتزام.. وتفضلوا شوفوا جمال الفانلات.. لونها أبيض وشورت أسود.

كان الكابتن فاروق زمكاً ويا متعصباً، واختياره لـ لون الفانلة كان مقصوداً من جانبه.

حقيقة الأمر، كان الرجل شخصية جميلة و"جذع".. لكنه واجه الاعتراض من الأهلاوى ميدو:

- لا.. يا كابتن، أبيض إيه.. ماينفئش، آسف، هو طقم كورة ولا تاكسى.. وبعدين إحنا ما بلعش بالأبيض، ده قال وحش.

- خلاص يا ميدو، أنا جيت اللبس، ومش مشكلة.. مش حتفترق، أبيض من أخضر من أحمر من أزرق من أصفر.. كله واحد.. المهم اللعية.

فقال بونو مؤيداً:

- خلاص يا ميدو، مفيش مشكلة.. أبيض أبيض.

- لا، أنا مش موافق.

- خلاص، زى ما الكابتن قال، مش مهم اللون، المهم الحشو.

وتدخلت في الحوار:

- الماتش مُنته أذ إيه يا كابتن؟

- 40 دقيقة الشوطة، تلت وتلت.. خلاص يا رجالة، الكاس بتاعنا، مش هنرجع وأيدنا فاضية.

- عيب يا كابتن، دا أنا ميدو بروزتا، وحاطط خطّة عبقرية بفكر فيها من أسبوع.

وكان تعليق زوني:

- خطّة إيه يا مونيّا في داهية.

- خطّة هيديكوتي* بتاعة الكاس، ولا نسيت.

أخذنا اللّيس من غرفة الكابتن، وبدات مناقشات جديدة، بدأها ميدو:

- إحنا لازم ننزل تشتري تى شيرتات جديدة.. إيه رأيك يا بونو؟

- لا لا.. مكش دعوة بالقصة دي، دا أنا هاعمل طقم مُزعب.. فاكرا يا صلاح الغالبة بتاعتك اللّي كلها ألوان بتاعة فريق المزيكا.. اسمه إيه؟ أظن 'يد'.

- آآه، قَصْدك "جريتزل دت"؟

- أيوه، يُعْجِبِيّ يا إكسلانس.. أنا هالونّ التيشيرتات دي بالألوان زِي فابلتهم..

رأيك إيه يا ميدو؟

- يا ابن الإيه، فكرة صايعة.. ماشي يا زوني؟

- نقد يا بونو.

- بس مَحْدَث يجيب سيرة، عَشْمان الكابتن فاروق ميعرفش، وبعدين مش هو قال أبيض، أحمر، أصفر، أزرق، أخضر.. متعرفش، يبقى خلاص نلونها له.

* مدرب الكرة المجرى الشهير.

* فريق موسيقى أمريكى.

أخذ بونو "التيشيرتات" واختفى.. المباراة يوم الخميس، ومساء يوم

الأربعاء، وصل بونو عند ميدو، ومعه التيشيرتات.. يا نهار أبيض، إيه ده؟! فعلاً ألوان الطيف!!

الغريب.. إنها كانت مختلفة وحلوة.. ولم ينس إضافة نمرة على كل تيشيرت، والمفاجأة أنه يعرف الرقم الذى يحبّه كل منا. بالطبع.. استسلم عباس وأيمن وعماد تماماً، ولم يعترضوا نهائياً.

وقال عباس:

- إحنا مائناش دعوة بأى حاجة، إحنا علينا نلعب وخلاص.

وقال بونو:

- محدش هيشوف التيشيرتات دي في المدرسة، يتلبسوا قبل الماتش بنص ساعة.

أما ميدو، فقال:

- طبعاً.. كل حاجة لازم تبقى مفاجأة.

وأضاف بونو:

- وبعدين موضوع 100 متفرج ده قَلِيل جداً، أنا وضّبت خطّة أهرّب

100 كمان، دا أنا عملت شوية أعلام وجّهت كمان أغنيّتين، بس تعرّفوا لو ماكسيّناتش.

فقال زوني:

- عيب عليك.

وقلت مستكراً:

- دا أنا أبطل أُلُصّها.. أعترل واقعد فى بيتنا أحشش.

وأضاف زوني:

- خطتك إيه يا بروزتا.. الماتش بكره.

فرد ميدو:

- متعرفوا كل حاجة بكره الصبح.. أنا كاتّب كل حاجة.

احتج زوني قائلاً:

- يا عمّ قول وخلصنا.

- ماشي، بس ركزوا معايًا شوية، الماتش ده غير أي ماتش.. إحنا نقصّر
تصرفات مجانين ونشتت تفكيرهم، يبقوا مش فاهمين فيه إيه، ولا المشجعين
بتوعهم يفهموا.. ماشي يا صاصو؟

- تصدق.. دى فكرة صابغة جدًا.

واعترض حسين:

- الله يخرب بيوتكم، إيه اللي ابتوا بتقولوه ده؟!

فقال ميدو ضاحكًا:

- اسمع يس يا زوني، حتتصرف تصرفات غريبة، وده هيجلبهم ميعرفوش
يركزوا خالص.

فقال بونو:

- أموت أنا في شغل المجانين.. كمك يا ميدو.

- أول حاجة، بونو عمل "يوني فورم" جامد جدًا، تاني حاجة.. يوم الماتش لما
تسخن، تسخن في النص بتاعهم، ما إحنا أصلاً مَبْسُخُنْش، ونقعد نشوط الكرة
بتاعتهم بعيد، يعني برصه استقراز وغلاسة، وبدل ما نقف في دايرة ونكلم على
الخطّة، نقعد مزيّعين على ركبنا، وبعدين ننام على الأرض لمدة 3 دقائق من
غير ما نقوم.. وأنت يا بونو طبعًا الطبلّة وال"رء" والصنّاجات وحترقص في
الملعب.. أكنتا كسبنا الماتش قبل ما بيكدي.

رامى : تصدقوا إين إحنا لازم نجشش قبل الماتش ده.

صلاح : طبعًا، أمال هنروح فابتين.

أحمد : ده مش في الخطّة.

بهاء : معلش، نزودها على الخطّة.

حسين : ده هيبقى ماتش جامد "....".

في اليوم التالي.. ذهبنا الى المدرسة نرتدى أطقم التدريب -تريننج
شوت-، وأصرّ ميدو على ارتداء بالطو، وكأنه برونّا بجد، أما بونو، فقد وضع
الطربوش على رأسه، وارتنى جلبابًا ومن فوقه عباءة، وكان منظره فكاهيًا.

في ذلك اليوم، كنا نمتلك حرية الحركة والتصرف، معنا "كارت بلانش"
نفعل ما نريده، وكنا نخفى في سيارة ميدو، نلف سيجارتين ونشربهم، ونعود
ثانية إلى المدرسة.. الكل مهتم بالحدث، ولا أحد يتكلم عن شيء آخر غير
الماتش، وكان المدرسة في يوم رياضي.. جلسنا معا فنضحك، ومن حين لآخر،
واحد منا يقترح فكرة جديدة نعملها بهدف تشتيت تفكيرهم.. فعلاً شغل مجانين.

في الفسحة ظل الناظر يبحث عنا، وكنا في سيارة ميدو، وتوجّهنا إلى
مكتبة لنعرف ماذا يريد منا، فوجدنا الكابتن فاروق يجلس معه، ويكل هدوء
تحدث الناظر قائلاً:

- إزيكم يا شباب.. شكلكم جلو في لبس الرياضة، فين "اليونيفورم"؟

أجابه زوني:

- معانا يا افندم.

- كويس.. عاجبكم؟

فقال ميدو:

- طبعًا يا افندم، البركة في الكابتن فاروق.

أضاف الناظر:

- إنتم النهارده بتمثلوا المدرسة.. المدرسة لها تاريخ.. المدرسة لها سمعة..
المدرسة دى أحسن مدرسة في مصر.

دخل علينا بهاء مرتديًا الجلباب والعباءة، وعلى رأسه طربوش،

وبلباسامة عريضة تسأل الناظر:

- إيه ده يا بهاء.. اللي إنت عامله ده؟

فقال ميدو:

- ده كبير المشجعين يا افتدم.

- واضح إنكم واثنين الموضوع بجد.. بس إسمعوا أنا عايز أدب، أخلاق، والرياضة مكتب وهزيمة.

فقلت بحماس:

- الكاس دا بتاعنا، ومش راجعين من غيره.. اطمئن حضرتك.

- أنا مش عارف أنتم عارفين واللا لأ.. الكاس ده ممكن فعلاً يكون بتاعنا.. السننين اللي فاتوا إحنا اللي كسبنا، ولو كسبنا النهارده الكاس ده هيبقى بتاعنا مدى العمر.. اللي يحتفظ بالكاس لازم يقوز به 3 سنين ورا بعض، ولغاية النهارده محدش كسب 3 سنين ورا بعض.

فسأله ميدو:

- هي البطولة دي ابتدت من إمتى؟

- من زمان، من أكثر من 10 سنين، والكاس رايح جاي بين المدرستين.. النهارده المدرسة كلها هتسناكم، الماتش الساعة الواحدة، هتتحركوا الساعة 12 بعد طابور الفسحة.. أنا عاوزكم تخضروا الطابور، وبعد كده تمشوا إنتم والمشجعين.. المدرسة كلها عازفة مهمة فصل ثانوية عامة أدبي النهارده، وطبعا أنتم معروفين بالاسم واحد واحد، ومعروف شقاوتكم ومشاكلكم، بس النهارده كلنا معاكم وكلنا معتمدين عليكم.. ربنا يوفقكم يا شباب.

وخلال الفسحة التفت تلاميذ المدرسة كلها حولنا، وأخيرا طلعنا الفصل.. بونو جهز الأعلام، وقررنا ارتداء زي بونو الرياضي، ونقف في الطابور.

وضرب الجرس، وتزلنا إلى فناء المدرسة "التريننج"، ونَحَت "التشيرات" الملونة بألوان الطيف، وقررنا التسخين بها أمام الجميع.. خرج

الناظر، وطلب منا الانتظار ليقول كلمته الأخيرة قبل صعود التلاميذ إلى الفصول.

وقال حضرة الناظر:

- النهارده، وبعد دقائق معودة، وزي ما أنتم عارفين.. ثانوية عامة أدبي رايحين مباراة النهائي.

دوي تصفيق حاد من كل تلاميذ المدرسة، ثم استمر في حديثه قائلاً:

- من فضلكم الهنوء.. النهارده ثانوية عامة أدبي وأخذ الكاس اللي بقاله سننين عندنا في المدرسة، ولو رجعوا بيه.. عمره ما هيخرج من المدرسة تاني.

دوي تصفيق حاد مرة أخرى، من التلاميذ والمدرسين.

- فريق المدرسة يتفضل علشان المدرسة كلها تحيي.

وبعد أن تسلم الكابتن فاروق الكاس، أضاف الناظر:

- ربنا يوفقكم.. اتفضلوا.. استعدوا.

وبسرعة فائقة، خلعنا الترينج وظهر اللبس المرعب، وضجت المدرسة من الضحك.. "انقلبت" المدرسة من منظرنا، وطلعنا في الشرفة جنب الناظر، والكابتن فاروق في حالة ذهول من منظرنا في الزي الجديد، وخلال ثانية واحدة استطاع بونو توزيع أكثر من 50 علماً على الطلبة بنفس ألوان "التشيرتات"، وأصبح المنظر ساحراً.

المدرسة تضج بالتصفيق، والناظر يسلم علينا واحداً واحداً، وارتفعت الأعلام عاليًا.. كانت ترفرف، بينما بونو يلف حديقة المدرسة، مرتدياً جلبابه والعباءة، والطربوش والبطلة في يده، وصاح نبيداً أغانيه:

- الكل يغنى.. الكل يقول.. إحنا مين، وهما فين..

- الكل يغنى.. الكل يقول: الكاس عندنا.. وهيفضل عندنا..

لمدة 10 دقائق... ظلت المدرسة كلها تغنى وراء بونسو، وهو يقفون

بأعلى صوت:

- الكل يغنى، الكل يقول لكل الناس، راجعين راجعين، راجعين، ومعانا الكاس..
طليعنا على المدرسة المنافسة.. خمسة أتوبيسات انطلقت من مدرستا
تحمل المشجعين، وبها كمية أعلام رهيبة، وركبنا نحن الخمسة في سيارة ميدو
وكابتن فاروق أخذ معه عباس وأيمن وعماد في سيارته.. المدرسة المنافسة تبد
خمس دقائق عن مدرستا.

في سيارة ميدو، بونسو مونغ "جويبت"، وريكو مونغ "جويبت"، وأنا مـ
"كوباية" في يدي، وكنا نحشش، وكأننا في طريقنا إلى حفلة "روك"، وليس إلى
مباراة مهمة.. وميدو راجع معنا خطة الماتش، وكان تعليقه على كلام الناظر:
- شوقنا، بيبحب الكورة، أصلاً هو أهلاوى صميم.. لعلمكم كان بتعنى بيجى
معانا.

وصلنا.. كانت فعلاً المدرسة كلها في انتظارنا، وكان بونا رياضياً نـ
مدرستهم، وكلهم في انتظار الماتش.

كنّا "مساطيل"، وبصراحة شعرنا بالرغبة أول ما وصلنا.. ياه!! مرة
كاملة في انتظارنا، ووقفنا إلى أن دخل الكابتن فاروق المدرسة، حاملاً الكاس
في يده.. وتوقفت الاتوبيسات، ونزل كل المشجعين، وكانت الخطة كما رسمها
بونسو.. ننتظر دخول جمهورنا من المشجعين، وندخل بعدهم.. دخلوا ومعهم
الأعلام، ونزل بونسو ومعه الطلبة، وكان منظره فكاهياً جداً، وبدأ يبلبل ويغنى
قائلاً:

- واحد اثنين ثلاثة ونص.. رأسهم يا زوني على واحدة ونص..

- بـص بـص بـص.. صاصو ملك النص..

- هـيلا هـيلا.. هـيلا هـيلا هـو.. ريكو مفيش زيـه..

بصراحة.. كانت الرهبة تغمرنا.. أول مرة في حياتنا نلعب أمام كل
هذا العدد من الطلبة، وهم أيضاً بدأوا تشجيع فريقهم.. ميدو نزل معنا الملعب،
ويبدأ يتكلم معنا واحد واحد، ثم طلب منا أن نقف معاً في جانب من الملعب،
ونتهامس معاً.

- إنتم نسيتم الخطة واللا إيه؟! اسمعوا العيال دى لازم تُسكُتْ خالص،
بالا اقلعوا التريننج وإنتم واقفين جنب بعض، ألفتوا الانتباه إن فيه حاجة
بتُخصّل.

نفدنا كلامه، وكان لبسنا فعلاً غريباً، وبدأ الجميع يتفرج ويهتف، وطبعاً
ال جماهير من المشجعين بقيادة بونسو "غامّة" شغل مدش.. وبعد ما ظهرنا
بملابسنا العجيبة نفدنا بقية خطة ميدو، وجرينا على الفريق المنافس أثناء
التنخين، وعَمَلْنَا تصرفات غريبة ليس لها أى معنى، وهم فعلاً في حالة ذهول،
ونحن في حالة جدية تامة.. قمنا بحركات استفزازية، وبدأنا نشوط كرتهم بعيداً..
استفزاز وبأعصاب باردة، والفريق المنافس في حالة غليان.

ونزل حكام المباراة، وهم من ترشيح وزارة التربية والتعليم.. وطبعاً
إلى جانب الجمهور، كانت المنصة معدة، ويجلس بها مندوب من وزارة التربية
والتعليم، وبجانبه كابتن فاروق، وكابتن المدرسة الأخرى.. تصرفاتنا أدهشت
الناس كلها.. ما هذا الذى يحدث؟ فعلاً، كانت المسألة مريبة بعض الشيء، وغير
مفهومة.

في واقع الأمر، لقد سيطر علينا تأثير الحشيش، وكان الفريق المنافس
شديد الثقة بنفسه، ويلعب في مدرسته، على أرضه، وبين أصحابه وزملائه..
وبالتالى لم يهدأ بونسو ثانية واحدة، وأيضاً ميدو، وكلاهما أصدر تعليماته لنا..
إلى أن بدأت المباراة.. وأول كرة.. هجمة لنا، وكنت في أقل من ثانية أنا
والجوّ، ونست أنرى كيف أمسكت الكرة بيدي، وشوطة قوية خارج
المدرسة، ثم وقعت على الأرض، وأصبحت بنوبة ضحك هستيرى، وأسرع إلى

زُونِي وريكو.. وكأنتي أحرزت هدفاً.. طبعاً حالة من الذهول أصابت الجميع، بدءاً من الجمهور، واللاعبين، وكأنهم يتساءلون: هل هو مجنون؟ ما هذا الذي يفعله؟ بطبيعة الحال، أعطاني الحكم إنذاراً لأنتي أمسكت الكرة بيدي.. ياداً!! من أولكها!!

بصراحة ما حدث مني جعلنا نفيق جميعاً، وفوراً طلب ميدو من عباس التظاهر بالإصابة، وبما أنه حارس المرمى، إذا لابد أن تتوقف المباراة.
قال ميدو:

- لازم نغير الخطة.. الموضوع هينّلت من أيدينا.

لقد شعرنا أننا نمرُ بحالة هبوط، وذلك بعد دقائق معدودة من المباراة، كنّا في حاجة إلى سكريات فوراً، بل نحتاج شيكولاته.. وصاح زُونِي قائلاً:
- مات كولا وشيكولاته بسرعة.

أسرع ميدو لشراء كولا وشيكولاته من كشك خارج المدرسة، وعاد بعد دقيقة واحدة.. فيلم جديد من عباس، ويقع للمرة الثانية، وظل عباس ملقى على الأرض حتى شربنا وأكلنا الشيكولاته بين ذهول الجمهور والجميع.. إنها المرة الأولى التي يرون فيها اللاعبين يأكلون الشيكولاته، ويشربون كولا خلال مباراة.. وبعد 10 دقائق أحرز الفريق المنافس هدفاً.. طبعاً أصبحنا في مأزق، ولكن بعد أقل من دقيقتين، ردّ زُونِي بهدف لصالحنا.. الكرة بينى وبينه "ون-تو"، وتحقق الهدف.. جول جميل فعلاً.. وتمر دقائق معدودة، ويحرز الفريق المنافس هدفاً جديداً، وأصبحت النتيجة 2:1، وانتهى الشوط الأول، وجاءنا كابتن فاروق يجرى:

- إيه اللي أنت عملته ده؟

أجبتّه قائلاً:

- مش حيفنع أشرح لك دلوقت يا كابتن.

- ده اللي وعدت بيه المدرسة.. المدرسة كلها مستيّاكم ترجعوا بالكاس، إنت والجون وتشوط الكرة برة المدرسة!!

قال ميدو:

- ماتخفش يا كابتن، يا رجاله.. الكاس بتاعنا، وأنت يا صلاح، زَوْنِي ما ضيعت جون هات جونين.

ونزلنا الشوط الثاني.. المباراة كانت حماسية، وجمهور المدرسة المنافسة يشجعوا بحماسة هائلة، ويدأت صيحات الفريق المنافس:
- هوو هوو هوو هوو هوو..

طبعاً بونو ردّ في ثانية، وقال:

- ما بتخفش ما بتخريش.. الكاس ده بتاعنا يا خرافيش..

سارت المباراة بشكل أفضل، كرة هنا، وكرة هناك، زُونِي "خط" كرة جميلة لكن في العارضة، ويبقى من الوقت حوالي 8 دقائق على نهاية المباراة.. الكرة "أوت"، ولعبها أيمن لزُونِي، ببرقص اثنين، وشاطها لي، وفي ثانية "شوطة" مذهشة في الجون فعلاً "متهاش حل"، والنتيجة 2:2 والماتش وكّع، وسكت جمهورهم، وبونو أشعل الدنيا بحماسة، وبعدها بدقيقتين "أوت" لنا، وكان فيه لعبة متعود عليها أنا وزُونِي.. أجرى من بعيد ومن وراء "الجون"، وزُونِي يرميها لروح فوراً أضعها بدماغى، مجرد ألمسها تدخل جوه الجون، والنتيجة 3:2 ومدرستهم في حالة ذهول، وتشجيع مدرستنا غير عادى.. وفي ثانية.. لاعب خطب ريكو، وفي الحال وقع ريكو على الأرض وعمل تمثيلية، وميدو بدأ ينط يمين وشمال، ويطلب منا نضيع الدقيقة الباقية على نهاية المباراة.

وفعلاً نفننا تعليماته حتى تمر الدقيقة، وأيضاً دقيقتا الوقت بدل الضائع، وبونو بدأ يغنى:

- يا مدرستنا يا سيرك الكورة، في كل مرّمي نسد كورة، شوطي وحاورى.. وأخذنا الدوري.

وهو على حق عندما يقول:

- سيم يا جدعان.. والله سيم.. مين يتخل؟

ويعترض علاء وحده على الفكرة، ونطمئنه بأن الكمية قليلة هذه المرة؛ حتى لا تعاني من القىء الرهيب.. ولكن يستمر علاء فى رفض البُؤذرة، ونستمر نحن فى التجربة من حين لآخر.

الامتحانات على الأبواب.. إنها ثانوية عامة، ويبقى من الزمن شهران فقط لا غير، وأهم شيء يارجلة أن نستعيد أنفسنا.. ويدأنا مراجعة المنهج، ونذاكر يوميًا حوالى ساعتين أو ثلاث، ثم تبدأ جولات الكوتشينة، والحشيش، والمسكينة والددة علاء، تغضب وتصرخ وتتهوار فى وجه علاء قاتلة:

- شيبهم يذاكروا.. حرام عليك هيسقطوا بسبب الكوتشينة، وهتكون أنت السبب.

وجاءت أيام الامتحانات.. عندها يكرم المرء أو يهان.. وكنا فى لجنة واحدة، ومعنا زميل من فصلنا اسمه سامى.. ضخم وكأنه دب صغير أو كرة مستديرة، ويكاد يفقد عقله بسبب الهزار الثقيل والضحك والسخرية، ولا أنسى يوم خلعت حزامى، ودفعته إلى ركن الغرفة وكأننى سأضربه.. الغريب فى الموضوع أن هذا الكائن الطيب صدق، والأغرب أنه لو أطلق نفخة خفيفة من فمه، لطرت من الشباك، إنما هو 'خواف'، ويخاف منا كـ 'شلة'، ومن ردود أفعالنا السريعة غير المتوقعة.

الحق يقال.. سامى من أطيب التلاميذ فى فصلنا، وفى ذلك الزمان كان خاله أحد الوزراء، وبعد إعلان هذه المعلومة المهمة، سادت الفوضى فى اللجنة.. يا سلام إنها فرصة ذهبية للغش، وكتابة البرشام، وتنفيذ اختراعات جديدة منها: كتابة الحلول على ظهر 'الكرافت' والقميص من الداخل.. وكان بهاء ملك الاختراعات، وهو صاحب هذه الأفكار المذهلة، ونحن نسير على خطاه، و'عشينا' بقدر المستطاع، وكانت مشكلاتنا الوحيدة، أن الوقت لا يكفى لأداء الامتحانات على أكمل وجه.

وبعد ثمانية صفَر الحكم، وجربنا كلنا على ميدو وبونو، وأضاء وجهه الكابتن فاروق بابتسامة جميلة، واستلمنا الكأس والميداليات، وسط دھول الجميع. من الطريف أن زملاء مدرستنا رجعوا الى المدرسة سيرًا على الأقدام، ولم يركبوا الأتوبيسات.. وكانوا فى حالة من الفرحه والنشوة، فمشوا يهللون ويفنون طوال الطريق حتى وصلوا إلى المدرسة، بينما ركبنا نحن سيارة ميدو، وانطلقنا بها وضحكنا من القلب على أحداث المباراة، والكرة التى طارت خارج المدرسة، وعلى الفور أشعل بونو 'الكوباية'، وأشعل رامى 'جُويت'.. كنا فعلاً فى حاجة إلى نفسين بعد الانتصار العظيم.

وصلنا المدرسة والكأس معنا فى السيارة، والجمهور وتلاميذ المدرسة جميعًا فى انتظارنا من أول الشارع، الكأس مع ميدو، وحملونا على الأكتاف، وداروا بنا فى المدرسة، ويومها أُلغيت آخر حصة من جدول الدراسة. وصل حضرة الناظر إلينا بصعوبة، ورفع ميدو الكأس.. وطلع ووقف على السلم الذى يصل إلى مكتب الناظر.. وأخيرا جاء الناظر ليتسلم الكأس أمام المدرسة كلها.. أجمل ما فى الموضوع، أن ميدو لا يلعب كرة.. ولكن مع هذا، لم يعترض أحد أبداً أن يحمل الكأس، ويسلمه بنفسه لحضرة الناظر كأنه 'برزونا' فعلاً.

لقى الناظر كلمة تهنئة أمام جميع الطلبة والمدرسين، وأصدر قراراً برفع الغياب عن فصل ثانوية عامة أدبى بالكامل، مكافأة منه لأدائنا الرياضى المتميز.

ظل الكأس فى المدرسة مدى الحياة، وقد وقَّينا بما وعدنا.

تمر الأيام سريعاً، ويقترب موعد الامتحانات، ولم نعد نذهب إلى المدرسة، وخلال شهر مارس وما بعده كنا نزور المدرسة مرة أسبوعياً، وأحياناً نتسبب فى مشكلة أو مشكلتين، ونعود إلى برامجنا الشيطانية، وكل شهر يحسب لنا بهاء بالتذاكر..

المهم بعد انتهاء موسم المذاكرة والامتحانات، عدت من جديد إلى بيتنا، وتعبت أن أرجع يوميا الساعة الخامسة صباحاً، ومن حين إلى آخر، أنام فى بيت ميدو، أو بيت ريكو حسبما نتفق معاً.

كان ميدو وزوئى يفضلان البقاء فى البيت، ويتنضم علاء إليهما من حين إلى آخر، وكنت أنا ورامى نفضل الذهاب الى النادي، وكان يذهب معنا بونو. فى بعض الأحيان، وأحياناً يختفى ولا نعرف له طريقاً.. وكان الحشيش هو سيد الموقف، عندما يحل الظلام كنا نتسلق ماسورة مبنى صغير مهجور فى أطراف النادي، وفوق سطحه نلتقى ونُقَطِعَ السجائر والحشيش، ونحرقه، ونلف ونشرب، وكان من المستحيل اكتشافنا.. ونَقْضَى السهرة فى حالة ضحك وضياح، حتى نواجه مشكلة النزول على المواسير، وضحية كل ليلة صاحبنا قادى؛ فهو طويل وعريض، ضخم كأنه فيل، فاطلقنا عليه "قادى فيلى"، وكنا ننزل على ظهره، وننطلق إلى بيت أحمد، ونستكمل السهرة فى لعب "الكوتشينة".

مرت الأيام، وأخيراً ظهرت النتيجة كالتالى:

- أحمد : 81 %
- بهاء : 78 %
- حسين : 71 %
- رامى : 74 %
- صلاح : 76 %

لم يصدق الوالد عندما أعلنت بكل الفرحه أنني نجحت:

- 76 %.. أى خدمة.

وعلى الرغم من أن الوالد لم يكن يتصور عبور الثانوية العامة، وأنى نجحت فعلاً.. إنما كعادته لابد أن يبدى اعتراضه، قال لى غاضباً:

- هى دى نتيجة؟! تدخلك كلية إيه إن شاء الله؟!

بصرحة كنت أتمنى دخول كلية سياسة واقتصاد، وخذلتى المجموع.. وقال الوالد معبراً عن رأيه:

- أحسن حل تدخل كلية الشرطة، على الأقل تتعلم الانضباط.

- شرطة إيه سن؟! يا حاج دادى.. إرحمنى.

- أنت تتقدم بأوراقك، ونشوف لك توصية، وربنا يسهّل ويقبلوك.

- لأ.. تجارة خارجية.

وضاع الأمل بالنسبة لكلية سياسة واقتصاد، وسافرت قبل الانقذيم إلى كلية الشرطة حتى يفسى، ويلغى الفكرة من رأسه.

وقبل السفر، قلت لهم:

- قَدِّمُوا أوراقي للتسبيق.. تجارة خارجية.

وظهرت نتيجة التسبيق.. ودخل حسين كلية سياسة واقتصاد بفضل الاستثناء - لاستشهاد والده فى حرب أكتوبر-، وانضم إليه ميدو واثق بهاء بكلية التجارة، رامى كلية سياحة وفنادق، وأنا كلية تجارة خارجية.

بعد هذا الإنجاز.. شغلتنا قضية إقناع الأهالى بشراء السيارات.. وحققت أحلامنا.. والد رامى حقق له حلم عمره، واشترى له سيارة "بى إم تيليو"، وأنا اشتريت سيارة "جولف" الموديل الجديد، وأحمد اشترى سيارة "فيات 131"، وحسين أخذ السيارة "فيات 128" من والدته، وعلاء اشترى بيجو 305، وبهاء اشترى فيات 132.. كان عدد الشباب الذين يملكون سيارات خاصة بموديلات حديثة فى عمر 18 سنة قليلاً جداً، يعنون على أصابع اليد الواحدة، أو أصابع اليدين على أحسن الفروض.

فى يوم من الأيام، ذهبت مع ميدو، وريكو نشترى حشيش من الدوينة، واشترينا "ربع قرش"، ورجعنا على بيت رامى فى انزمالك، نستمتع لأجمل أغانى "قول كولنز"، وبسرعة "فر كنا" السجائر، وحرقنا عليها ربع قرش حشيش،

وأخذنا ورق "البفرة" الكبيرة و"لغينا" السجائر في ثلاث "يوبات"، وكل واحد منا أخذ سيجارة عملاقة.. وبدأنا نشرب، والسيجارة استغرقت عشر دقائق تقريباً.

تمت على الكنية الكبيرة، وجلس بجانبى ميدو، وبدأ حواراه العجيب مع "بنجو" كلب رامى، وهو صغير الحجم من النوع اللولو، وطبعاً لا يخيف قطه.. لكن ميدو أكبر 'خَوَاف' فى العالم، وكان يرتعد خوفاً من الكلب الصغير.. الشيء المدهش أن أحمد كان يعمل لهذا الكلب الصغير ألف حساب، ويكلمه باحترام كبير، وأدار معه أغرب حديث، قاتلاً:

- أنتَ أزيك يا أستاذ 'بنجو'؟! وأخبارك إيه؟! أنا دائماً بأسأل عليك.. يا ترى بيوصلك سلامى والللا لا؟!

وقبل أن ينتهى ميدو من سلاماته، أغلق رامى "الإسمريو" فجأة، فاكشفنا كم كان الصوت عالياً، وبعد أن ساد الهدوء لحظة، قال لنا رامى:

- لازم ننزل من هنا دلوقتِ حالاً.

كان رد فعل رامى غريباً، وفى أقل من ثلاث دقائق نزلنا من البيت، وكأننا نجرى من شيء ما مجهول، ولم تكن ندري ما هو؟! وإلى أين؟!

المهم، أننا نفذنا التعليمات فوراً دون مناقشة أو "قِصَال".. وبما أن سيارتى أمام باب العمارة، فاتجهنا إليها دون تفكير.. وكان السؤال: إلى أين؟ وبما أننا فى أعلى درجات "السُّطَل"، وفى حالة عدم توازن كاملة، ركبنا السيارة، ولم ينطق أحداً بكلمة واحدة، ولكن للمرة الثانية سألت رامى:

- نروح فين؟

- نخرج من الزمالك.

وكان المشكلة فى الزمالك، وليست فينا، وطبعاً كان سؤالى الثانى:

- نخرج من الزمالك على فين؟

ساد صمت رهيب.. وأخيراً رد رامى قاتلاً:

- نروح الدقى.. نشرب فخفاخينا.. محتاجين سُكْرِيَات.

عندما سمعت هذه الجملة، شعرت بالعطش الشديد، وأنتى فى حالة هبوط، وتوالت أسئلتى:

- أمشى إزاي؟! منين؟!

تعاملت مع الزمالك، مسقط رأسى وكأننى لا أعرفها.. نسيت الشوارع، سواء مذاكلها أو مخرجها..

وكل دقيقة أسأل:

- أمشى إزاي؟

أجابنى رامى بعد أن تغد صبره:

- على طول لغاية أبو الفداء، الشارع مقفول.. تدخل شمال.

وكاننى أقود شاحنة وليست سيارتى الجولف الجميلة، وعند أبو الفداء دخلت شمال، وأوقفت السيارة قاتلاً:

- أنا مش سابق.. تعال سوق يا رامى.

- لا.. لا.. مستحيل أسوق.. إنت بتسنى خالص.

- تعال سوق يا ميدو.

لم ينطق ميدو بكلمة واحدة منذ قفزنا جرياً من بيت رامى، وجاء رد الفعل المذهل من ميدو.. فقد أمسك بيذى، ويد ريكو قاتلاً:

- يا جماعة، إحنا مش لازم نسيب بعض أبداً.. إحنا لو سيبنا بعض هنموت.

وفى تلك اللحظة، أحسست أننا فعلاً فى مأزق، ونعيش مأساة حقيقية..

ما هذه الحشيشة التى شربناها، وسيطر علينا الخوف، بل الرعب، هل تلقى حقتنا قريباً؟! هل نموت فى أية لحظة؟ إننى خائف.. حقاً خائف، وقلت لأصحابى:

- لو ربنا نجانا من اللى إحنا فيه، لازم نبطل وما نشربش كانى أبداً.

فقال أحمد مؤكداً:

- والنبي يارب نجينا، وعديها لنا المرة دى، وعمرنا ما هتَحششُ ثانى أبداً..
أيذا.

أما رامى فقال:

- صحّ.. مستحيل نشرب ثانى.. آخر مرة يارب..
وكانت مشكلتى الحقيقية أننى لا أريد قيادة السيارة، ولا أستطيع إقناعهم بأننى خائف جداً، بالإضافة إلى أننى غير قادر فعلاً على تحمل مسؤولية القيادة..
ومرت عشر دقائق وكأنها عشر ساعات، ومازلت فى محاولة لإقناعهما بأن ينوب أحدهما عني، وأخيراً ردّ رامى قائلاً:
- أوكيه.. أنا هأسوق.. لكن بعد نفق أبو الفدا،
ولم يكن النفق بعيداً، ولكننى أكاد لا أراه، وعندما دققت النظر، رأيته وأحسست أننى أمام مهمة صعبة، بل مستحيلة، فقلت لهما:
- هو النفق صغير كذا ليه؟ وكمان كل شوية عمال يصغّر.. ويصغر.
كانه يوم لم تشرق فيه الشمس.. وعلى رأى ميدو:
- يوم "أغير".

وببطء السلحفاة، عبرت النفق، بسرعة عشرة كيلو مترات فى الساعة،
والناس من حولنا تتطلق بسرعة صاروخية.. هكذا فى تصورى، وكانوا فى حالة
من الغضب لم أفهم لها سبباً، فانا أقود مقطورة محملة بالبضائع، وليست سيارتى
التي أحبها.

إنها خشيعة مَضْرُوبَة.. برشام، أبو صليبة، بركينول، أى بلا أُرُق..
وهو يوم من عمرى لا أنساه، رغم أننى أريد نسيانه.. ذلك اليوم العجيب انتهى
"بذرى.. بذرى"، تقريباً حوالى الساعة الحادية عشرة، وكانت أمنية حياتنا كلها
العودة إلى بيوتنا، والنوم حتى ينتهى ذلك اليوم.. نعيده.. وعبرناه والحمد لله.

فى اليوم التالى، استيقظنا مبكراً حوالى الساعة العاشرة صباحاً؛ لأننا
سقطنا نائمين مبكراً، وأيضاً بدأت الاتصالات التلفزيونية مبكراً، ودارت كل
أحاديثنا عما جرى لنا بالأمس، وضحكنا على أنفسنا، واتفقنا على اللقاء بعد
ساعة لشراء الصنف، وكان الاهتمام أن يكون الصنف نفسه، وليس صنفًا آخر،
ونسينا تمامًا ما حدث لنا بالأمس القريب.. بل بالعكس، كنا نضحك على كل
تفاصيله، واقترح رامى بعد شراء الحشيش، أن نذهب إلى أعز أصدقائه،
عاطف، فقد سافرت والدته مع والده.

اتجهنا إلى الدويقة فى سيارتين: فى إحدهما بهاء وميدو وأنا، وفى
الأخرى زونى ورامى ومعه صديقنا عاطف، وهو شخصية جميلة فعلاً، وابن
ناس طبيين.. والده رجل أعمال مصرى والدته أجنبية.. المهم اشترينا "كروتونة"
بيزة، وتوجه نصف دسنة أشرار إلى بيت عاطف.. وكان فى انتظارنا فتاتان،
يبدل مظهرهما الجميل، وأسلوبهما فى الحديث على أنهما "خنافس".. فتاة اسمها
ملك، والثانية اسمها نادية.. بدأت الجلسة كالمعتاد بلف السجائر، وشربنا أكثر
من زجاجة بيزة، وحوالى الساعة الثانية ظهراً، موعد غريب إلى حد ما لبدء
"الضرب"، بدأ السطل.. وبعد ساعتين كنا كلنا فى "الطراوة". وأخسنا بالجوع..
إنها مشكلة كبيرة.. منّا ينزل لشراء الغذاء؟ ثم ما الطعام الذى نشتره؟ حقاً
إنها مشكلة.

حوالى الساعة الخامسة، قررت أن أنزل مع عاطف ونادية نشترى
الطعام.. أغرب وأحلى شىء فى الموضوع، أننا نحن الثلاثة لم نكن نعرف
بعضنا البعض، ولم نتعارف إلا منذ حوالى ثلاث ساعات.. نزلنا إلى الشارع،
ومع كل منا 'جُوبنت'، وقضينا ساعة كاملة فى مطعم السمك قبل أن نقرر ماذا
نشترى منه.. ولا أشك لحظة، أن كل من كان فى هذا المكان، قالوا عنا إننا
مجانين رسمى.

المهم، أخيراً.. أخيراً.. حددنا "الأورتر" ودفعنا مبلغاً كبيراً، وأعطيناهم عنوان المنزل.. وعندما وصل السمك والجمبرى حوالى الساعة السابعة، اكتشفنا أن ما حدث هو جنون فعلاً.. إنه أغرب "أوردر" فى العالم، فالكمية لا تكفى 8 أشخاص، لكنها تكفى 18 شخصاً على الأقل.. إن إحساسنا بالجوع من شدة الشُّطْل، جعلنا نطلب كميات غريبة، تكفى قبيلة.. شربنا البيرة، وضحكنا وأكلنا بطريقة هستيرية.. ومع هذا تَبَقَّى على المائدة أكثر من نصف الكمية.

مرت ساعة، وبعد الأكل، تصورنا أننا فى نوبة صُحْيَان، وأنا فى حاجة إلى دفعة جديدة من الحشيش والبيرة، وعندما أعلنت دقائق الساعة الثامنة.. لم نكن نمتلك القدرة على النطق بكلمة واحدة.. فقط تبادلنا النظرات وانفجرنا ضاحكين بلا أى سبب.. واقترحت أن نلعب لعبة جديدة، كل واحد منا يحكى لنا عن نفسه، عن أحلامه.. بدأنا اللعبة.. انطلقت الضحكات فى أركان المنزل، وبدأ ريكو الحديث قائلاً:

- أنا عايز أعمل حفلة، ويحضرها مائة ألف متفرج، واطلع "قُذَام" الجمهور، ومعايي الجيتار وكوبايه، والجمهور كله يحيينى ويقول: ريكو سَطْل.. ريكو حشيش.. ريكو ويسكى.. ريكو برنشام، ريكو بَطْل.

وقال بونو:

- نَفْسِي فى خَابُور طول المِمْسَّة.. ده يعمل شُغل ابن ".....".

أما ميدو، فقال متسائلاً:

- طول المِمْسَّة!! إزاي يعنى!!

فقال بونو سجيناً:

- يا عم سيبلى أحتلم.. طنيب، أطول من برج القاهرة.. استريحت.

قال ميدو:

- نَفْسِي الأهلَى بَيَقَى بطل العالم، وفريق الزمالك ينزل درجة ثالثة.

قال عاطف:

- نَفْسِي أبطل مخدرات.

ساد الصمت بعد سماع تلك الأمنية.. الى أن قالت ملك:

- نَفْسِي أُنَجِّزُ "القبس برسلى".

قالت نادية:

- نَفْسِي أسيب أهلى، وأعيش لوحدى.

وقلت:

- نَفْسِي أسافر إيطاليا، وأعيش مع المافيا.

أحلام وتخيلات وضحك مستمر.

كنا نَجَلِس فى الصالون، وبينما الضحكات تدوى.. وأنا فى حالة استرخاء تام، وفى يدي زجاجة بيرة، وفى الأخرى "جُوينت"، ودون مقدمات.. سمعت صوتاً.. إنه باب المنزل.. إنه هناك، بعيد فى الجانب الآخر المظلم.. ومن هذا المكان البعيد رأيت شخصاً يقترب.. لأول وهلة لم أتبين من دخل.. ومن الذى يقترب منا، وفجأة رأيت إنسانة جميلة جداً، فوق كل وصف وتصور، ولم أنكلم همساً، بل بأعلى صوتى قلت:

- إيه ده!! مين المُرَّة دى!!

ووسط الضحكات، سمعت سيدة تقول بلغة إنجليزية حاسمة:

- عاطف.. ادخل لى جُوه حالا.

قال عاطف فى خوف وذهول:

- يا نهار أسود.. دى ماما.. لَمُوا الحشيش بسرعة.

وكان السؤال: من أين نبدأ؟

المشوار طويل.. عندما مشكلة حقيقية، مع السَطْل لا أحد منا لديه القدرة على فهم أى شىء.. المهم حاولنا تنماسك، ونرتدى ملابسنا بسرعة بقدر استطاعتنا، وفى تلك اللحظة، كنا فى مرحلة "سَطْل" عالية، وبالتالي تصرفاتنا

بطيئة وغيبية.. نرى كل شيء في حالة زحام.. جمعنا زجاجات البيرة المتناثرة في كل مكان، وطبق السلطة ملء بالتفغ والحشيش، ومنه نلف السجائر، وكلما نقل الكمية، كان رامي يقطع عليه سجائر كاملة من جديد، ويضيف إليها "قرش".. وأسرت بأخذ هذا الطبق وحملته بين يدي.. واتجهت هارباً نحو الباب الخارجي للمنزل.. كانت المفاجأة الجديدة المذهلة، إنني فوجئت برجل طويل وعريض، يمد لي يده بالسلام والتحية.. سلم بقوة وجدية، وسألني:

- مساء الخير يا ابني.. أنت صاحب عاطف؟ وإيه اللي في إيدك ده؟

في البداية لم أرد بكلمة واحدة.. ثم انطلقت من فمي قاذف الكلمات:

- مساء الفل يا افندم .. أكيد حضرتك بابا عاطف.. وده لحضرتك.

أخذ الرجل المحترم طبق السلطة الملء بالحشيش والسجائر بين يديه، وكان في حالة ذهول تام من المشهد كله.. إنه في مواجهة مع ابنه وسبعة "مسايطل" في غاية الارتباك "يضرِبون سَبَعات في تَمانيات"، وكل منهم يمر أمامه مسرعاً، بينما الوالد وقف صامتاً.. ولم ينطق بكلمة واحدة بعد تصرفي العجيب معه.

اخفق عاطف لمدة شهرين، وبعد عودته من المنفى.. كان من الواضح أنه مرّ بظروف صعبة.. بالتأكيد الموقف لم يمر بسهولة، وتعرض لسين وجيم وعقاب من أهله.. باختصار "تَفْخُوهُ"، لكنه أثبت أنه رجل المواقف الصعبة، ولم يعطيهم أرقام تليفونات أهليتنا.

وتمر الأيام والأسابيع.. وكانت خططنا اليومية، نخرج معاً في سيارة علاء أو رامي.. فكل منهما يحب قيادة السيارات، وبعد جولة من هنا إلى هناك، نعود لبولات الكوتشينة حتى الصباح.

ويجيء شهر سبتمبر.. شهر عيد ميلاد بهاء، وكنا قد جمعنا مبلغاً يكفي لشراء ثلاث تذاكر بوردرة: التذكرة الواحدة ثمنها عشرة جنيهات، بالتأكيد هذه

المفاجأة تسعد بونو.. ولكن المفاجأة كانت لنا نحن، فقد وصل حوالى الساعة الثامنة في حالة عجيبة، فبادره أحمد بالسؤال:

- إنت ضارب يا بهاء؟

- طبعاً.. النهارده عيد ميلادي، فقررت أكافئ نفسي.

فقال حسين معاتباً:

- ضيّعت علينا المفاجأة.. إحنا اشتريتا لك بوردرة.

- قشطة يا إكسلانس.. دى أحلى مفاجأة، زيادة الخير خيرين.

فقلت لبهاء:

- على شرط، المرة دى تضرب كمية أقل، لأن آخر مرة أنا تعبت جداً من التراجع.

- كفاية كل واحد خط.. وأى واحد عايز ياخذ تاني.. مش مشكلة، البوردرة كثيرة.. والخير كثير.

وفيما يبدو.. كانت البوردرة هذه المرة خفيفة؛ لأننا لم نشعر بالإحساس نفسه الذي شعرنا به في المرة الأولى؛ ولم ننقياً كما حدث لنا في المرات السابقة.. وبدأنا حملة سخرية على رامي؛ لأنه أكد لنا أنه يعرف بائع تلك البوردرة، فقال بونو:

- الظاهر إنها بوردرة تلج يا معلم.. ده "قش" يا إكسلانس.

وبدأنا "تَحشش"، ولو أكثرنا من الحشيش يَبطل مفعول البوردرة.

وعلى كل حال البوردرة من "أساسة".. كانت مغشوشة، واحتفلنا وأضانا الشموع، وأكلنا التورتة، وقضينا يوماً جميلاً.. ضحكنا كثيراً في كل لحظة، ومن قليلنا.

سنة أولى جامعة

وافتححت الجامعة أبوابها فى أكتوبر.. دخل زونى وميدو كلية اقتصاد وعلوم سياسية، ورغم عدم انتظامهما فى المحاضرات، إلا أنهما كانا يذهبان للجامعة يوميًا.

واستمر اللقاء عند ميدو كل ليلة.. ولم يكن حسين يستطيع الفرار من صديقته نيئين.. إنها مثل ظله خلال النهار.. وليلًا تستمر الأحاديث التليفونية أكثر من ساعتين وأحيانًا ثلاثًا.. شىء غريب، وغير مفهوم.. وكأنه أسير سحرها. وصاحبنا ميدو كما هو، لا يتغير، ويكاد يفقد عقله بسبب الكرة ومبارياتها.. هذا بالإضافة إلى أن الحشيش، فيما يبدو قد أثر على عقله.. بينما صاحبنا علاء سجين الكنية أمام شاشة التليفزيون، يشاهد الأفلام الجنسية، والأفلام الأجنبية، وصاحبته شهيرة تجلس بجانبه تدور حوله، تدلله طوال الوقت.. كانت أطيب واحدة فى الدنيا، وعلاء، بكل صراحة، كان مملًا، ولا يتجاول بسهولة.

قضيت وقتى وأيامى كلها مع رامى، وكان برنامجى اليومى يبدأ صباحًا فى النادي، وهناك يلعب "خديد".. والحقيقة الواضحة لكل العيان تميزه بجمال جسمه.. قوى ورياضى.. على شكل حرف الـ "V" أو "السبعاعية"، ودائمًا يرتد أمام المرايا الكثيرة التى تزين جدران بيته:

- بص الباي.. بص المجاس.. بص التراى..

كان يتغنى بهذا الكلام وهو يتهاذى أمام المرايا، متأملًا جمال جسمه، وكنت أحشى عليه من الغرور، وكنت أيضًا متفقًا على صديقته نيللى.. إنها تتمسك بصداقته، ولكنه يكلمها "بالقطارة"، ويعاملها بمنتهى البرود.

وبكل تأكيد.. كنت من المحظوظين، فقد تعرفت إلى فتاتين فى هذه الفترة: الأولى اسمها "مريم".. طيبة، وصغيرة، إنها بنت الخامسة عشرة، تعرفت عليها من خلال صديقى مراد، أول من علمنى قيادة السيارات، فهى الصديقة الحميمة للفتاة التى يحبها.. ولم أكن أرى مريم إلا على فترات متباعدة، فكانت تحدثنى تليفونيًا من حين إلى آخر. وكانت راندا هى الفتاة الثانية، الصديقة الحميمة لصديقة رامى.. كلتاهما فى ثانوية عامة وفى أرقى مدرسة، وهما غاية فى الأناقة والرقى والجمال.

رسم صديقى رامى الخطة لنخرج معًا نحن الأربعة، حتى لا يشعر بالملل لخروجه وحده مع نيللى، وقد أعجبتها الخطة التى تجعلها تقضى أطول وقت مع رامى، بعد أن يتم التعارف بينى وبين صديقة عمرها راندا.. التقينا، وتعارفنا.. وحدث التقارب بسلاسة غير عادية.. هل هى كيمياء؟ ربما.. أو السبب الحقيقي كان فى المقدمات الطويلة العريضة التى حكته نيللى عني.. ربما الاثنان معًا.. لست أدرى.. المهم أن الإعجاب كان متبادلًا، ومن الوهلة الأولى.. تعارفنا، وقدمت لها نفسى:

- هاى.. صلاح.. إزيك؟

- هاى.. وأنا راندا.

- لأ.. لأ.. انت طلعت نصائية يا نيللى؟ لأنك قلت لى إن راندا حلوة، هى دى حلوة دى؟ دى صاروخ.

فقلت لى نيللى ضاحكة:

- قصتك يعنى إنها أحلى منى؟

- دى أحلى مِنَّا إحنا الثلاثة مع بعض.

ضحكت راندا ضحكة صاقية وقالت:

- إيه يا رامى؟! صاحبك بكش كبير.

- ده مش صاحبى أنا.. ده صاحبك إنت.

وبسرعة قلت لها:

- بقولك إيه يا راندا.. ما تسبيك منهم، وتعالى نتمشى فى النادى شوية.
ومشينا فى النادى.. من أوله إلى آخره.. وكأنها أماكن جديدة لم أرها من قبل.. كل مكان هادىء شاعرى.. جميل.. وخضوة خضوة وبمنتهى الرقة، بدأنا حديثنا:

- أخبار المذاكرة إيه؟ ناوية تدخل إيه؟

- تصور.. لسه ما ابتدتش أذاكر بجذ.. إنما ناوية أركز، علشان أدخل كلية كويسة.

- باين عليك شاطرة ونحاجة؟

- لا.. أبدا.. إنما ناوية السنة دى أذاكر كويس.

مرت ساعة كاملة، تكلمنا خلالها فى كل شىء.. عن مدرستها.. هواياتها.. الألوان التى تعجبها.. الأماكن، الأغاني، الأفلام، والأكلات.. تحدثنا فى كل ما يخطر بالبال.. من أحاديث بريئة، وفجأة قفز إلى خاطرى أن أبدأ الهجوم، وقلت لها:

- حلو أوى السنة دى.. الخراطوش ده عليه اسمك؟

- أم.. دا اسمى بالهيريوغليفى.

- أوريكى حاجة غريبة؟

- ورزلى.

- لا.. مش ها أوريكى.

- وبغدين؟ بطل غلامه.

- إيه رايك فى ميدالية المفاتيح دى؟

- إيه ده؟ دا اسمك بالهيريوغليفى!! يا نهار أبيض!! أما صدفة!!

- تيدلى؟

- إنت جبرى أوى.. موافقة.. بس أوغى تضيعها، لأنها غالية على جدًا.

- هو فيه حد ممكن يضيع حاجة شيك كده!! اشتريتيها مين؟

- دى هدية ماما فى عيد ميلادى.

وبعد ابتسامه من راندا، كان من الواضح إن السفارة 'غمزت'، قالت لى:

لى:

- باللاً بينا.

- أنا مش عايز أرجع لهم.. دا أنا ما صندقت لقيتك.

ابتسمت راندا فى دلال لطيف، ومشينا على مهل حتى وصلنا إلى

المكان الذى جلس فيه رامى مع نيللى.. هو يشرب سيجارته، وهى فيما يبدو

كانت تحكى وتحكى، وعنما لمحنا رامى من بعيد، قال لى:

- ما بتترى يا معلم.

- بترى ده عمك.. بضى يا نيللى.. صاحبك ضحكت على، وأخذت منى

الميدالية، وأدتى السلسلة دى.

وكان تعليق نيللى:

- إيه ده؟ إنتو لحقتوا؟!

ردت راندا وهى تبسم:

- لحقتا إيه بس.. ذا نصاب.

فصالت رامى:

- إنت قلت لها حاجة يا رامى؟

- لا.

- طيب عرفت منين إن أنا نصاب؟

ضحكنا نحن الأربعة.. ضحكنا من قنبنا فعلاً.. وقضينا وقتاً ممتعاً..

وتطورت صداقتى مع راندا بسرعة غير عادية، وكان كلاً منا وجد الآخر بعد

رحلة بحث طويلة.. وفى السيارة تبادلنا أرقام التليفونات، وصارحتها بأنى

أقضى أكثر أيامى عند رامى، أو عند مينو حتى تتصل بى عندهما.

أمريكا.. أول مرة

كان نجاحى هو فرصتى أن أطالب أهلى بهدية للنجاح: رحلة إلى أمريكا.. وللعائلة الكريمة أصدقاء، هاجروا، واستقروا هناك منذ سنوات، وعاشوا فى مدينة أتلانتك سيتى، واستمرت بيننا وبينهم المراسلات والاتصالات فى كل المناسبات، وكثيراً ما وجهوا لنا الدعوة لزيارتهم فى أمريكا.. وهكذا لم تكن مهمة إقناع الأهل صعبة، فأنا نجحت، والمعارف هناك من أعز الأصدقاء.

سافرت، ومن حظى العجيب أن تلك المدينة تشتهر بخمسة أشياء: القمار، والمخدرات، والخمر، والفتيات الجميلات، والبحر.. لذا أطلقوا عليها "أتلانتك 5". وفى اليوم التالى لوصولى، أخذنى أصدقائى هناك للتمشية على البحر.. رصيف يشبه ممر خليج نعمة فى شرم الشيخ، ويطل على البحر مباشرة.

وفى اللحظات الاستكشافية الأولى، مشيت مع الشياطين، أنثفت يمينا ويسارا فى محاولة للفهم، وفوجئت بفتاة فى جمال مارلين مونرو.. فى سن الثامنة عشرة تقريباً، تقف وفى يدها "بخاخة" بها مياه، وبدأت ترشها حولى ثم على رأسى.. وقفت فى حالة ذهول وسألتها:

- بترشى المياه علىّ ليه؟

وردت ضاحكة:

- لأن الدنيا حر.. صح؟

فى غمضة عين، خطفت منها "البخاخة"، وفتحتها على رأسها.. ضحكنا وصرخنا وجريتا، وظلت تضحك وتجرى، وأنا وراءها، وأصدقائى

أعترف، وفى تصوورى.. كانت الحياة جميلة ووردية.. معنا سيارات، بل أجمل أنواع السيارات فى البلد كلها، وبالنسبة للميزانية والأحوال المادية ليست لدينا أية مشكلة، مع وفرة فى البيرة والحشيش، وفوق هذا وذلك معنا أجمل وأرقى فتاتين باعتراف كل الناس.. والشئ الوحيد الذى لم نعرفه عن قرب هو الجامعة.. لم ننتظم فى الدراسة طوال السنة الدراسية.. وفى تلك الزمان، لم يكن نظام "التيرم" وامتحانات نصف العام هو السائد، ولكننا كنا جميعاً ندخل امتحان آخر السنة فى تسع أو عشر مواد دفعة واحدة.. وخلال العام الجامعى الأول، استقبلنا العام الميلادى الجديد، وكالمعتاد أقمنا حفل رأس السنة فى بيت أحمد، ووجه كل منا الدعوة لصديقته، وكان الحفل مرخاً، وأكثرنا من الحشيش والويسكى والبيرة.. وظل رامى يعزف على الجيتار، حتى مطلع الفجر.

ومرت الأيام، وقيل موعد الامتحانات بحوالى شهر، استجمعنا أنفسنا.. وفتحنا الكتب الدراسية، وبدأنا نذاكر، وفى آخر كل يوم، كنا تلف سيجارتين أو ثلاثة.

وأخيراً، والحمد لله عبرنا سنة أولى.. أحمد وأنا نجحنا.. أما الثلاثى ريكو وبونو وزونى سقطوا بكل أسف.. ولكنها لم تكن مشكلة بالنسبة لهم؛ وأعلنوها بكل بساطة: لم ننجح هذا العام.. مقيش مشكلة، ننجح السنة "الجاية".

لا يصدقون ما جرى تحت سمعهم وبصرهم فى أول ليلة أفضيها فى تلك المدينة. تعينا من الجرى والضحك، وتعارفنا بسرعة الضوء، نادى عليها أصحابها، فعرفت أن اسمها مارلا، وسألتنى:

- اسمك إيه؟

- صلاح.

- منين؟

- من مصر.

وعندما سمعت كلمة: مصر، وكأننى قلت لها كلمة سحرية.. أو كلمة السر، صاحبت منبهرة:

- وأو، أنا أمنية حياتى أشوف الهرم وأبو الهول وسقارة: أنا ذاكرت عن مصر كثير فى المدرسة، ونفسى أشوفها جئاً.. هو إنتم فعلاً يا صلاح بتركبوا الجمال فى الشارع؟

- اه طبعاً.. وبتركب حصينة وجمير كمان.. دا أنا حتى جايب الجمل بتاعى من مصر، وركنته عند البيت.

ضحكت مارلا، وفهمت أننى أسخر وأدأعها بهذا الهزار.. فسألتنى:

- إنت قاعد فين؟ وتعمل إيه هنا؟ وتعمل إيه دلوقت؟

- أنا وصلت إمبارح بالليل.. وقاعد هنا شهر، أو شهرين، أو ثلاثة.. على حسب الظروف، ولما أزهق، أرجع فوراً على مصر.

رتين ضحكاتهما وصل إلى نيويورك.. وقالت بدهشة:

- تزهق؟ إنت النهارده تخرج معايا وأنا أفضحك.. بس على شرط لما آخى مصر.. إنت تفسحنى هناك.

- دا إيه الصئقات الجامدة دي؟ اتفقنا.

عشت مع مارلا منذ اليوم التالى لوصولى إلى أمريكا.. حدث هذا بين ذهول أصدقائى.. بل كادوا أن يُجنوا.. وأخناو يتساءلون كيف حدث هذا؟ ومن

هذا الذى لم يمتض سوى أربع وعشرين ساعة فى أمريكا، واستطاع كسب صداقة فتاة أمريكية ساحرة.. وكما يقول المثل فى بلادنا: "الطيور على أشكالها تقع"، فهى تعيش فى فيلا بها حمام سباحة مع صديقاتها الأربع، وكل واحدة منهن تعيش حياتها مستقلة تماماً.. لا تتدخل إحداهن فى حياة الأخرى.

وعندما وصلت إلى فيلا مارلا، فوجئت بصديقة من هؤلاء الأربع تلبس "جوينت" أو بمعنى أدق "تت"..^١ أمّا مفاجأة.. ما هذا الجمال؟! وكنت قبل السفر، أعددت نفسى، وأشتريت قطعة حشيش محترمة، حوالى خمسة قروش، وفى ظنى أن هذه الكمية تكفينى لفترة ما، إلى أن أتبين الموقف داخل هذه المدينة.. ثم أتنى مقبم وبصحبة أصدقاء الأسرة، بمعنى لا سبيل للتسرب وللمخدرات معهم.. والقطعة التى معى لا بأس بها.. وكما نقول: "سنة بخيرها"..^٢ فمضت ووصلت إلى هذا البلد، اتبعت نظاماً جديداً.. أترك القطعة الكبيرة فى البيت، وأخذ قطعة صغيرة "تلف" أربع أو خمس "جوينتات"، وأخفيها فى علبة السجائر.

جلست أراقب ليندا صديقة مارلا، التى لم تهتم بوجود شخص غريب فى البيت، وأشعلت "التت" فى هدوء، فمدت مارلا يدها وأخذته، وشربت نفسين، وأعادت لها "التت" مرة أخرى.. وأنا فى مكافئ أراقب كل هذا، وأقلب على الكرسي.. وأفرك.. وفجأة توجهت إلى المطبخ، وأحضرت طبقاً صغيراً، ولم يكن أحد يعنيه أو يهتم بما أفعله.. وأخرجت الحشيش من جيبى، وكسرت أكثر من سيجارة، ولقيت الحشيشة مستخدماً "الفويل" من علبة السجائر، وعندما أمسكت الولاعة.. انتبه الكل، وبدأ التركيز فيما أفعله، وسألتنى مارلا:

- ده حشيش؟! حشيش مصرى؟!^٣

أجبت بهزة صغيرة من رأسى بمعنى الإيجاب.. وكأننى قلت لهم إنى معى كُتْر على بابا.. وفورا التفت البنات حولى يشاهدن ما أفعله، وكأننى الساحر العجيب.. أشعلت الفويل، وطلبت من مارلا أن تشم الدخان المتصاعد من

^١ ما يطلق على سيجارة ماريجوانا صغيرة ملفوفة.

التعويل.. وانقلبت الدنيا رأسًا على عقب.. وبدأت ألف ثلاث "جُوينتات" أخرى، وطلبت من مارلا إحضار كوب زجاجي، فأسرت بإحضاره، وعندما سألت عن قطعة كرتون لأعمل لهم "خابور" كبير، لم تفهم مارلا أو صديقها ما السر في كل هذا الذي أطلبه.. وبقي شيء صغير جدًا.. ثوبس.. وأحضرت الثوبس من غرفة مارلا، وأعددت "الكوباية".. والبنات تتأمل الساحر في ذهول.. والساحر جاء من بلد الغرائبة.. كان ما يحدث شيئًا مذهبًا بالنسبة لهن فعلاً.

"ولعت" الخابور، وأخذت نفساً، وكتمتة طبعاً، والثاني وكتمتة أيضاً، وأعطيت الكوب لمارلا قائلاً لها:

- خدى نفسين، وإنيها اللي جنبك.. وامسكى الكوباية صحّ علشان الدخان ما يطلعش برة.

وبدأت ألف الجُوينتات للمرة الثانية.. والبنات تنتظر إلى هذا المصري بإعجاب شديد.. كأنني الساحر "ديفيد كوبرفيلد".. الحشيش أفقد البنات صوابهن.. "جنتهن وجندهن" لخدمتي، وبعد أن شربنا "الجُوينتات"، و"خابور"، أسرعنا إلى حمام السباحة.. "عُمتنا" وضحكنا، وشربنا البيرة، وعندما سألتني مارلا:

- معاك حشيش تاني؟

- طبعاً معاً.. في البيت.

جاءت معي إلى البيت، وأحضرت الحشيش ورجعنا إلى منزل مارلا، وقضيت ليلتي معها، وعندما استيقظنا حوالى العاشرة صباحاً، فضّلنا ألا نتحرك من السرير، وقضينا النهار في لفّ السجائر، وبدأت أحاور نفسي:

- يا تهاز أبيض على ذا يوم!! من يصدق أنني في السرير منذ الحادية عشرة صباحاً، حتى الساعة الخامسة مساءً!! يوم صعب فعلاً.. كان هذا هو اليوم

* قطعة حشيش كالسمار يتم وضعها في الكوب.

* ساحر مشهور.

الثالث لى في أمريكا، ومنذ ذلك اليوم، أصبحت صديقات مارلا شلتي، وهي شخصياً كانت تقضي ليلة في بيتي، واليلة التالية أقضيها في بيتها، مع صديقاتها، وأصنق وصنف لها: صاروخ، وضربية نمره واحد.. وذات ليلة أخذتني عند أصدقاء لها، وكانت أول مرة في حياتي أرى فيها الكوكابين.. تلج أبيض.. وأول مرة أيضاً أشم هذا الكيف، وسألتني مارلا:

- شذيت قبل كده؟

- كوك؟! لا.. أول مرة أشوفه.

- تشيد خطين.. هيعجبك جداً.. إحنا بنشد مرتين.. ثلاثة في الشهر، علشان ما بتعوش عليه.

رنت الجملة في دماعي، ولست أدري لذلك سبباً، وقال لى إحساسى إن وراءها شيئاً ما مهما.. لكن ما هذا الشيء؟! لست أدري.. وخلال أيام قليلة، استطاعت مارلا وصديقاتها شرب 90% من الحشيش.. ولكنني استطعت ادخار قطعة حشيش صغيرة، فمن يدرى كيف ومتى أحتاجها، وفي هذه الليلة قلت لها:

- عندي لك مفاجأة.. بصنى.. نص قرش.

في تلك اللحظة.. تذكرت تلاميذ فصل ثالثة ثانوى علمي، وواقعة الأستاذ عطية، عندما سألتني عن سبب وجودي فوق سطح المدرسة، ومع من، ولم أصرح بأسماء أصدقائي.. يوماً سمعت صيحة بعضهم التي تدوى في أذني لأن "رجولة يا ملك النص".. لقد اشتهرت باسم "صاصو ملك النص"، فقد كنت دائماً أخفى نص قرش، وأخرجته للأصدقاء في اللحظة المناسبة.. لحظة يعتقد فيها الجميع أننا لا نملك المزيد من الحشيش، وفجأة أظهر ما عندي، فيصبح أجمل مفاجأة.. المفاجأة كانت قوية، هلت مارلا من الفرحة، وصاحت:

- يا إبن الأبالسة.

- دي آخر جته معاً.. أنا كنت شايلها علشانك، وعاملها لك مفاجأة، وحسيت إن ده وقتها.

فوراً.. انقلب الموقف لصالح النصّ قرّش حشيش، وكل أصحابها لسبوا الكوكابين، واهتموا جداً بوجود الحشيش.

لبهرتهم فكرة إنى مصرى.. شكلى مقبول.. مظهرى أنيق.. اتحدث لغتهم بطلاقة.. دى خفيف.. ومعى فلوس كثيرة.. والأهم 'ضرب' مخدرات 'نمرة واحد'، ومعى شىء نادر.. معى حشيش من مصر.. وهناك فى أمريكا، لم يكن الحشيش متوافراً، وغالى الثمن جداً.. بالتالى اقتحمت واندمجت مع شلة الأصدقاء الأمريكية الجديدة، وأصبح صاصو المصرى، أشهر من نار على علم، وقضينا معاً أحلى السهرات، وأجمل الحفلات.

وفى تلك الأيام، تحدد موعد زيارة والدى لمكتب استشارى هندسى فى نيويورك.. وهنا خطرت لى فكرة خطيرة ومرعبة، ولم أتردد فى تنفيذها، وكلمت ريكو فى التليفون.

- يا ريكو إنت وحشيتى أوى، وكان نفسى تكون معايا فى الفيلم اللى أنا فيه.. أنا مبسوط أوى، وصاحبت واحدة أمريكية.. بنت العم سام شخصياً، والضرب إيه.. مؤرجح.. وجربت الكوكابين كمان.. بس ما فهمتوش، متهيأتلى هيطلع حلو لو ركزت معاه شوية.. لما أرجع ها احكى لك كل حاجة.

- إنت راجع إمتى؟

- والله يا راسى مش عارف.. أنا هنا مبسوط ومش عايز أرجع، أنا رحت حنة لايف 'دايرستريتش'، ومغيش واحد فى الكونسرت ما ببيضربش يا معلم.. الجوينتات راحة جاية.. تصور مرة وصلت إن معايا جوينت فى إيدى اليمين، وتنت فى الشمال، وواحدة واقفة جانبى يتمسكى على بجوينت ثالث، الخير كثير يا معلم.. وبعدين خلى بالك.. الماريجوانا مرعبة.. بنت "....." بتلّوخ يا ريكو.. مش يتسطل.

- جوينتات.. تئات ماريجوانا، كوكابين، 'دايرستريتش'، إيه ده كله يا صاصو.. ذا ناس عائشة!

- بأقول لك إيه يا ريكو.. إنت جدع وصاحبى.. وكريم جداً.. وأقدر أعتد عليك.. وعاليز منك خدمة جامدة ".....".

- ها.. عايز إيه، رينا يستر؟

- أبويا جاي أمريكا بعد أسبوع.. وأنا عايز حشيش.

- لاى يا ابنى؟ أنت مجنون!!

- ركز معايا يا ريكو.

- طيب قول.

- تنزل تشتري حنة محترمة.. يعنى وقية مثلاً.

- وقية!!

- والا أقول لك يا ريكو.. خليكها فرصة*!

- ولو أبوك إشمسك؟

- إسمع لغاية الآخر.

- حاضر.. قول.

- تزوح كوم السمن عند حجاج.. هو مرة فرجتى قرشة متفوفة بشاش أبيض..

تشرتها منه زى ما هى.. وادفع لى أى حاجة، وقل لى صلاح مسافر، ولما يرجع فيجى إحاسبك.. حجاج جدع ويحببى، وأنا متأكد إنه هيدبها لك.. ما كنتش، حاسبه.. اتفقنا يا ريكو!!

- مائى.. أول مشكلة إنحلت.. المهم باباك.

- هنكلمه وسأله حضرتك مسافر إمتى، وتعرف منه الميعاد بالضبط، وتروح له وهو نازل على المطار.. لأ.. أقول لك عندى فكرة أحسن.. قل لى أنا جاي أدنى لك حاجات صلاح طلبها منى، وأوصل حضرتك المطار.. أصل أنا عايز أخد

رأى حضرتك فى موضوع مهم.. أبويا كده إنتبِت، وأخويا خلع من التَّوصيلة..
خطة بنت "....." إنجز يا ريكو.

- ماشى.. مع إنه مشوار رخم، يَمَن هَذَيْلُ الحَشِيشَة إزاي؟ إنت يا صاصو باين عليك اتجننت خلاص.. إنت قلت لى صرَّيت كوكابين؟! عليه العَوَض ومنه العَوَض.

- اسمعنى يا رامى.. الخطة ماشية زى الفل.. أنت تروح خان الخليلى عند مُهاب بوبو فى المحل، وهات من عنده شوية حاجات فرعونى، مثلا ورق بردى على كام بوستر للهرم، وعلبة فرعونية كبيرة تَحْطُ فيها الفِرَشَة، وكل ده فى كيس بلامتِك ثقلة كويس، واطمن، بابا مَعُونَدنا مَحْدَشْ يفتح حاجة مَشْ بِتَأْتِكَة، وعمره ما هيفتح الشنطة دى.

- ويغدين؟
- نقول لبابا إن دى هدايا تذكارية فرعونية، طلبها صلاح لأصحابه فى أمريكا.. وصنفر الحكم.

- يا نهار أسود!!! يا ابنى لو إتمسك؟
- يمشيك إيه يا أهيل؟ أبويا فى رحلة عمل مهمة، وبعدين معقول يفتشوا راحل محترم معاه هدايا فرعونية ورسوم هندسية.. لعلك شنطة أبويا كلها دراسات، أوراق ورسومات وخطط.. ما أنت عارف.

- يا صلاح.. اللى انت بتقوله ده خطر جداً، ومش هزار!!
- ريكو.. إعمل اللى قلت لك عليه، ومأكش دعوة.

وقد كان، نفذ رامى التعليمات بالحرف الواحد.. وشعرت بالمصيبة الكبرى لما رامى كلمنى، وحكى لى أن بابا فكر يمشك الشنطة البلاستيك فى إيدِه، إنما من حسن الحظ وجدها ثقيلة، فقرر وضعها فى شنطة الملابس.. وسيطرت على كل الأفكار السوداء، وأتركت حَجَمَ المصيبة الكبرى، بعد أن عرفت ل الوالد سافر، وهو الآن فى الطائرة فوق السحاب.

لم تكن المشكلة عند خروجه من مصر؛ لأن الحقائق لا تفتح فى مصر عند السفر، ولكنها تفتح ويتم تفتيشها ومعرفة ما فيها عند دخوله البلد الذى يسافر إليه.

قضيت ساعات طويلة فى حالة ندم، وخوف.. بل رعب.. ماذا فعلت؟ كيف أفلتت على هذا التصرف البشع؟ ولم أتم.. كيف أنا؟ وكنت على وشك البكاء.. وتمنيت أن أبكى.. وأبكى.. وقضيت الليل بطوله أشرب مخدرات.. لكن دون سَطَل.. مأساة بما تحمله الكلمة من معانٍ.
وأخيراً، والحمد لله وصل الوالد نيويورك، وكلمتى:

- الو.. إزيك يا صلاح؟
- بابا.. أيوه يا بابا حمر ش على السلامة.
- مال صوتك يا صلاح؟ فيه حاجة؟
- لأ.. لأ.. خالص، أصلى لسه صاحى من النوم.. إنت فين يا بابا؟
- أنا فى الأوتيل.
- يا سلام.. نورت أمريكا كلها يا بابا.
- أخبارك إيه؟ متبسط؟ عجبتك أمريكا؟
- عجبتنى يا بابا.. المهم قل لى أشوفك إمتى؟ واجشنى جداً.
- واجشك براضة.. واللا فلوسك خلصت؟
- واجشنى طبعاً.. إنما دا ما يمشش أن قلوبى خلصت.. أنت عارف يا بابا أمريكا، والفسح، والكونسيرتس، واللبس، وبعدين أمريكا غالية.
- أنا خافضى أسبوع فى نيويورك، وبعدين أروح واشنطن لمدة أسبوع أو أكثر شوية.. تعالى لى نيويورك أو تعالى لى واشنطن.
- بقول لك إيه يا بابا.. أنت اللى لازم تيجى لى هنا، علشان أفرجك على البلد دى.. حَجَمَتِكْ جداً.. المسافة بسيطة، ثلاث ساعات بالأتوبيس.. يقضى معايا اليوم، وترجع آخر الليل.

- طيّب أشوف.. احتمال أجى مع مازن ابن خالته.. هو كامل نفسه يشوك.
وفورا.. كملت رامي ليطمن قلبه.. وبفرحة قلت له:

- يا ربكو، الشيكولاته وصلت نيويورك.. بس لعلك أنا أعصابى بأضت، عشت
أصعب 12 ساعة فى حياتى.

- أيا عمري ما هعمل كده ذاتى.. دا أنا بنت أبوك من هنا، وجالى دور إيهل
غريب.. الحمد لله رتقا ستر.

- صحيح يا ربكو، هو إيه الموضوع المهم اللي أنت كنت عايز تكلم أبويا فيه؟
قلت له بشغلى فى مشروع من مشاريع الهندسية.. وباريتنى ما قلت له، لأنه

خطئى فى دماغه، ووعثنى بفكر جدياً فى الموضوع.. المهم إنت معاك قرنة
حشيش مش أى كلام.. دا أنت ممكن تخرّبها بالمعلم.. وعلى فكرة حجاج

مريضاش ياخذ ولا ملهم، وقال لى لما ترجع بالسلامة تحاسبه.
- رجولة يا حجاج.

بعد يومين وصل بابا ومعه مازن، وانتظرتهم على المحطة بحرية
مارلا.. ومنذ اللحظة الأولى لهذا اللقاء الفريد، ظلت عيناى معلقتين على الكيس

البلاستيك، وفتحت للوالد ذراعى، واستقبلته بترحاب كبير قائلاً:
- حمد لله على السلامة.. "وبعد بوسيتين".. هاتى الشنطة يا بابا، نعتك معيا..

أزيك يا مازن؟ عامل إيه يا صاحبي؟
- تمام، إنت أخبارك إيه هنا فى أتلانتك؟ بصحيح عرفت تختار.

وتسامل الوالد:
- إيه كل الهدايا دى؟ هو إنت لحقت تعمل أصحاب كثير كده؟

- يا بابا البلد دى صغيرة، ولعلمك نضها دلوقت أصحابى.
- إنت قاعد فىن، وبتعمل إيه؟ وعربية مين دى؟

- أيا اخدت شقة، حالا أفرجتك عليها، وباشتغل فى جراج متخصص فى تركيب
إكسوارات العربيات، أروح براحتى وأمشى براحتى، والحساب بالساعة..

بينفوا لى خمسة دولار فى الساعة.
- لا.. لا.. أنا مش عاوزك تشتغل.. أنا عاوزك تنفخ، وتنف وتفرج وتتعلم،

وتشوف الناس دى عايشة إزاي، وبالنسبة للقوس أنا أدّى لك اللي بتأخذه لى
للشغل وزيادة.. ودى عربية مين؟

- عربية واحدة صانحتنى اسمها مارلا.
سألنى مازن مندهشاً:

- عرفتيا إمشى دى يا صلاح عشان تنبّك عربيتها؟ دا إنت هنا من أيبوتين
ثلاثة بس!!

- إنت عارف يا مازن.. أنا بتأخذ على الناس بسرعة.
وصلنا إلى البيت وشقتى فى الدور الأول..

- هى صحيح شقة صغيرة، إنما نضها خفيف.. اتفضوا.
فتحت التليفزيون وأسرعت إلى غرفتى حاملاً الكيس البلاستيك لأرى

"القرنة".. حقاً إنها "قرنة" محترمة..
يا جمالك يا بابا.. ورجعت له وغطيته بالقبيلات، وسألته:

- نشربو إيه؟
رد الوالد:

- ولا أى حاجة خالص.. تعالى ننزل عشان أشوف البلد دى فيها إيه.
- ولت يا مازن؟

- خلينا نشرب فى الكازينو.
- يلا بينا.. البلد دى يا مازن فيها بحر، وقمار، وبنات صولايخ أرض جو..

تعلوا بينا على الكازينو نتفرج ونلعب شوية.

أخذت بابا ومازن ونزلنا على الكازينو.. طبقا الكازينو بالنسبة لهما شيء جديد ومرعب.. أدوار طويلة عريضة، موائد قمار، وأتوار قوية، وأخرى خافتة، وبنات، وشرب.. ولما دخلنا الكازينو، ارتسم الدهول على وجهيهما.. فيأمرتهما قائلاً:

- دا كازينو كبير، بس فيه أكبر منه.. فى "ثلاثينيك سيتى" حوالى عشرة غيره.. كل كازينو بهلك الأوتيل الخاص به، يعنى فندق فى كازينو، وفى كل واحد ثلاث أو أربع أدوار قمار، وشغل أربع وعشرين ساعة، متقسمة بين المكن والروليت والكوتشينة وكل حاجة.. تحبوا تلعبوا بلاك جاك؟

قال بابا بحدّة:

- تلعب؟! عيب يا صلاح!!

- ليه لا.. ليجرب يا أتكّل.

- يقنى هزار كذا يا بابا.. يا سيدى خرب.. ما ينعش تيجى "ثلاثينيك سيتى" وما تلعبش.. تبقى عاظمين.

- طيب كل واحد يلعب بعشرين دولار بس، ولو خسرها ما يلعبش مرة ثانية.

- خليبها مائة دولار يا أتكّل.. عشرين دولار ما يعملوش حاجة.

- حد أربعين دولار يا مازن.. وإنت يا صلاح أربعين دولار.. كفاية.

- طيب، أمبتأين ربع ساعة، أحب الأول ألف أترج على اللعب قبل ما لعب.

فى تلك الفترة كنت فى التاسعة عشرة من عبرى، ولكننى عملت بطاقة هوية مؤقتة ومزيفة فى سن الحادية والعشرين، حتى أتمكن من اللعب فى الكازينو.

وضعت الأربعين دولار* فى المحفظة، وتوجّهت إلى الكاشير، وأعطته مائتى دولار، وأخذت القوشت لألعب بلاك جاك.. لعبة كنت أحبها، وألعبها بمهارة، وفى هذا اليوم، كان حظى فى اللعبة عالياً جداً.

وجدت سيده عمرها حوالى ثلاثين سنة، ومعها رجلان أحدهما فى حوالى الخمسين، والثانى أصغر منه بعشر سنوات تقريباً، والثلاثة يجلسون حول لمائدة، واستأنث أن أدخل وألعب.. وبدأنا اللعب، وكان حظى مدهشاً.. فى أول دورين كسبت وأصبح معى 350 دولار.. أنا كسبت، وهم خسروا.. وانسحب الرجل الذى فى الأربعين، ثم انسحبت السيدة وراءه.. وكلما يأتى أحد الأشخاص يطلب اللعب، أرفض.. وظللت ألعب مع الرجل الكبير لمدة ربع ساعة، وانسحب هو الآخر، وظللت وحدى ووصلت إلى مكسب 700 دولار.. جاء أكثر من شخص، وطلب للعب على الطاولة نفسها، فأعتر، فوقفوا حولى للمشاهدة، وتجمع أكثر من عشرة أشخاص، خلال نصف ساعة وصل مكسبى إلى 1100 دولار*، حتى جاء المشرف وغير "الذبلر"، وأخضّر آخر بدلاً منه.

من بعد لمحت بابا وبجانيه مازن، فنادت جرسونة، ودفعت لها ثمن كسبن "ويسكى كولا". وبعد لحظة وجدتهما يقفان خلفى، وهما فى حالة ذهول، ولا أحد منهما يفهم أى شيء فى أى شيء.. طبقا الوالد رفض اللعب نهائياً، وخسر مازن بعد نصف ساعة الأربعين دولار*. وبدأ البحث عنى، واكتشفا مكالى عندما ذهبت إليهما الجرسونة، وقدمت لهما الكسبن، وأشارت إلى.. ولم أترك مقدى.. رفعت يدى لهما ياللتحية، فأسرعا بالتوصل، وسألنى الوالد:

- إنت بتعمل إيه؟

- بالعب بلاك جاك وكسبتان أكثر من ألف دولار.

فتسأل مازن مندهشاً:

- هى الناس واقفة كده ليه يا صلاح؟

- أصل أنا مش راضى حد يلعب على الترييزة معنيا.. فوقفوا يتفرجوا.

فقال بابا أمراً:

- ياللا بيديا يا صلاح.. كفاية كده.

* الذى يذهب باسم الملا.

- باقول لك يا بابا.. أنا حظى ماشى جدًا النهارده، ومشر ممكن أقوم.. من فضلك سيني لركز الدور ده.

تركت الكازينو ومعى 1400 دولار، والذهول يرسم علاماته على وجهى بابا ومازن.. وبغضب قال والدى:

- إنت لازم تمتشى من البلد دى فوراً.. إيه الصياغة والضياح ده!!

- سيك إنت.. شفت البنات يا مازن.. كل واحدة أحتلى من الثانية، وتقرينا من غير هنوم، والكلم مبيتم وسعيد.. معنى مفيش أحتلى من كده.

قضى بابا ومازن اليوم معى.. أخذتهما إلى البحر، مشينا واستمتعا بالجولة، وحاولت دعوتهما إلى تناول وجبة الغداء فى أجمل مكان.. عدى وفرة فى المال، فقد كسبت مبلغاً محترماً، ولكن الوالد رفض بإصرار قائلاً:

- دى قُوم حرام.

- ما تفكرتم يا بابا إني بلعب كثير، دى أول مرة ألعب وأكسب قُوم كثيرة كده، وشك خلو.. ولعلكم لما مشى ها ألعب تانى، لأنى لو لعبت هأخسر كل شى كسبته.

فسلنى والدى:

- إنت هترجع مصر إمتى؟ لازم ترجع قبل بداية العام الدراسى.. سامع وألاً لا؟! ما تغمش زى رحلة ألمانيا.

- طبعاً يا بابا ها أرجع قبل ما الجامعة تبدأ.. إيدك على ألف دولار، عشان فلوسى قريب تخلص.. الـ 1400 دولار، دول مال حرام، وده ما بيتمش.. لكن الألف دولار بتاعتك مال حلال، الدولار.. دولار.

بعد سفر بابا ومازن، رجعت إلى البيت وفتحت "قرنلة" الحشيش التي وصلتني مع الوالد منذ ساعات، وبدأت أفكر:

- يا سلام على الجمل.. دى كبيرة أوى.. أعمل بيها إيه؟ لا.. لا.. أصحت حل لها أظفها وأبيعها ربيع، ربيع.. فعلاً حل ممتاز، يعمل لى مبلغ محترم، فأعرفه

أفيع الإيجار بسهولة، وأعيش وبأسط.. أحش زى ما أنا عزيز، ولروح الكونترتس.. هو ده الكلام.

إذا بلا ترد لكمل مارلا، وأطلب منها سرعة الحضور، فالموضوع مهم جداً، وكلمتها:

- يا مارلا، أنا وصلنى حشيش من مصر.

وعندما عرفت مارلا بقصة وصول الحشيش مع الوالد، أصابها الذهول.. لم تصدق كيف حرّوت على هذا العمل.. وحقيقة أنا شخصياً لم أكن أصدق أنى قمت بهذا العمل البشع.. منتهى الجزأة والتجح.. وحاولت لى أنسى لو اتناسى ما حدث.

وطبعاً مارلا كانت أسعد واحدة فى الدنيا.. وداعاً للعمل والكفاح، وحفلات كل يومين أو ثلاثة، وحشيش كما نحلوا لنا، وكنا نبيع لأصحابها الأربع بمشرين دولار.. طبعاً.. إنه حشيش من مصر.. يساوى ما نطليه وأكثر.. حققنا مبلغاً كبيراً من هذه "الفرشة".. وتبخّر.. أنفقناه على الأكل وشرب البيرة ولويسكى والسفر والحفلات، ومن حين إلى آخر كنا نشترى كوكايين، ونشأ خطين، وبدأت أليه وأفهمه.. والخاطر الذى سيطر على كل أفكارى، ألا أعود إلى مصر، واتصلت بأهلى فى شهر أكتوبر، وقلت لبايا وماما إبنى قررت الحياة فى أمريكا، ولن أكمل تعليمى فى إحدى الجامعات.. ولم يحدث.. لم أقم لجامعة من الجامعات، ولم أعد لبلدى.

وجاء شهر مارس، وتلقت رسالة من أمى، وعرفت أنها ستحرى عملية خطيرة فى لندن، وطلبت منى سرعة العودة لئرانى قبل سفرها، واتصلت بها فوراً، وشعرت بقلقها الكبير.. كانت تخشى أن تودع الحياة قبل أن ترائى.. بمجرد أن وضعت سماعة التليفون، أخذت قرار العودة إلى وطنى فوراً، و... وقد كن، عدت بعد أسبوع من تلك المحادثة التليفونية.

الغُرزة

صدت ومعى هدنيا لكل أصحابي.. وشنطة كاملة بها ملابس أنيقة جدًا لصديقتي رائدا.. كل ما تملأه فتاة جميلة في سلتها، بتطلونات.. أحذية وثوبس.. كل شيء آخر صريحة، وغاية في الأناقة.. وبسرعة مذهلة تطورت علاقتي مع رائدا، حقًا أحببتها، وهي أيضًا أحبتي. وقد استطاعت الالتحاق بكلية من كليات القمة، ولم أكن سعيدًا بهذا نهائيًا، فقد كان زملاؤها الطلبة في نظري "عيال خفافس" يملؤهم الغرور، وكنت أخشى أن يدير أحد منهم رأسها، فكان من المهم أن أحتويها تمامًا. أما مريم فمازالت صغيرة، وأصبحت في سنة ثانية ثانوي.

أول ما شغلني هو الاطمئنان على أصحابي.. وكان أول خير أزعجني كثيرًا، أن بونو بدأ يأخذ البوردرة بانتظام، وبكثرة.. ولم يكن هذا الحال يعجب مينو، وزوّني أيضًا؛ خاصة عندما يفتق، وقد أطلقنا عليه بونو الطائر نسبة إلى مسلسل "أحلام الفتى الطائر" للفنان عادل إمام.

رامي لم يتغير.. يقضى يومه في النادي حاملًا جيتاره.. وأحيانًا في الجيم، ويوم في الغُرزة، ويوم مع مينو.. بالنسبة لي شخصيًا، حصل خلخلة في دماغى بسبب رحلة أمريكا.. مخدرات جديدة، ومارلا وحفلات الروك.. أصبت بحالة عدم توازن لفترة، ولم أكن أستطيع التركيز في المذاكرة، ولم أحضر محاضرة واحدة، والنتيجة الطبيعية لهذا كله سقوط مني في ثمانى مواد من عشر.. ونجحت في مادتين بالصنفحة البحتة، فقد كنت أملك الفرصة للنش، ومع هذا لم أستطع! ليس فقط لأننى لم أذاكر، بل لأننى لم أفتح الكتب، ولم أكن أعرف المنهج.

وظهرت النتائج للكل:

- ريكو سقط وفصل من الكلية.
- مينو سقط، وزوّني نجح.. وكان مينو سقط حتى يسبح في النصف نفسه مع زوّني.
- بونو نجح بمعجزة، ولكن بمادتين.

واستمرت الحياة بالأسلوب نفسه.. لم نذهب للجامعة، وقضينا أوقاتنا ما بين الشرب، "الغُرزة"، والسهر.. بالإضافة إلى اهتمامي الخاص بصديقتي رائدا.

في تلك الأيام، كانت الغُرزة موضحة، وكنا نفضل الانتقال من غُرزة إلى أخرى، وكنا نحب تجربة أى غُرزة جديدة.. وكان من بين أصدقائى، جار أخيه اسمه: شريف، وهو من عائلة كريمة، والده رجل أعمال مشهور، ووالدته سيدة فاضلة، وكان معروفًا عن شريف حبه وغرامه للمخدرات، بكل أنواعها، مظهره خدع، فهو وسيم وأنيق، ولا يخطر في بال أحد أنه من الكوارث المتحركة.. شريف قاموس معلومات وصاحب خبرة عالية في عالم المخدرات والغُرزة، وكان صديق جميع الشباب، والعجب للعجب أنه كان يمشق غُرزة في القطار، فكان دائمًا يصطحبني إلى هناك.

في غُرزة القطار، معظم الذين يقومون بتغيير الحجر، ووضع القمح "قُرود" مدربة على ذلك، وكل ما يحدث في ذلك المكان شيء مثير بالنسبة لي.. ولأحظت أن كم البشر الذى يذهب إلى هناك غير طيبعى.. يذهبون للقرجة، والشرب وعمل دماغ، وهم يشاهدون "القُرود" وهي تتحرك أمام المسابيل وتقوم بخدعهم.. إنها تجربة دون أدنى شك فريدة من نوعها.. وكانت المشكلة صعوبة التقاطهم مع "القُرود"، بمعنى لو الحجر به خطأ ما، أو الجوزة ليست كما يجب، فن أحد سبيلًا للتقاطهم معهم.. وعندما يبدأ السطل بتملكني الخوف، فشكل

"القرود" غير مريح وتصرفاتهم بالطبع غير عادية؛ فأقرر أن أمشي وأبحث عن غرزة أخرى.. وأقول له:

- ياإلا يا عم شريف، شوق لنا غرزة تالية.

وكان شريف يعرف غير إحدى مقابر الأجانب.. وبعد دفع المعلوم، سمح لنا بالدخول إلى العرزة، داخل المقابر، ولم تكن هناك كرسي تكفي العدد كله، ففي بعض الأوقات كنا نضطر إلى الجلوس على المقبرة نفسها.. الأشجار كانت كثيفة في هذا المكان، وكانت السبب في هذا الظلام الدامس الذي يكرسه "ليلة" الجزر، وعواميد الإنارة التي في الشارع.. من هنا كنا نرى بصعوبة ما يحدث حولنا.

في بداية الأمر، لا أشعر بالخوف، ولكن بمجرد أن نشرب "كأم" حبر، يبدأ تأثير السطل والحشيش، ويتمكنني الشعور بالخوف؛ فالحشيش مخدر "جبان"، ويسطر الرعب على كل خلية في جسي، وأحس في حالة ذعر من المغاريت، وأيضاً يتمكنني إحساس طاع بأن هناك من يتحرك من حولي، ويخطط لزيارة مفاجئة لإحدى المقابر، وبالأخص للمقبرة التي أجلس فوقها.. وبعد أن ذهبت مرتين، قررت عدم الذهاب إلى هذا المكان، ولكن هذا لا يمنع من أن أذهب إلى غرزة أخرى.. وهكذا تعلمت الغرر من خلال شريف، وأصبحت أتردد عليها بصفة مستمرة.

مرت الأيام، ومن جديد ظهر صديقي عاطف.. فقد ظهر مرة أخرى بعد "كبسة" الولد والوالدة.. حقيقة هو إنسان لطيف، مؤدب، ومحترم، وتشعر أنه دخل في عملية الضرب صدقاً، أو خطأ.. المهم كنت أخرج كثيراً مع عائلته، صاحب الملاحم الأجنبية، وجواز السفر الأجنبي.. وفي ذات يوم قررنا التحشيش في غرزة في مصر القديمة، وبنقة أكثر في باطن مصر القديمة.. المكان عبارة عن حوش واسع، به أكثر من عشرين شخصاً، والغريب أنه رغم أن المكان موحش جداً إلا أنه مليء بالناس، والزحام غير معقول.. وكان ثلاثة شباب بهمة

بخدمتهم فتى معه "جوزة" و"ولعة"، ونزج مليء بالحجر.. هؤلاء الفتيان غاية في المهارة والسرعة، يغني الحجر والذي يليه، وكل شيء يتم في سرعة وإتقان المحترف، حتى لا يشعر الزبون بالملل.. وطوال الجلسة لا تنوقف عن الضحك والسخرية من كل شيء، وعند دخولنا المكان نتلقى التحية من الموجودين بين بناءات مختلفة:

- حجرين هنا من المعلم فتوح.

- حجرين هنا للبهوات من الأسطى غريب.

- والمعلم حبيش بيضنى على اثنياب بنزج..

- خفاً إنك "باله" وغير المبه، وضبط نفسك، ذا البهوات غاليين علينا.

كنا صغار السن في العشرين من عمرنا.. مظهرنا وشكلنا يؤكد أننا أولاد ناس طبيين، طبعا.. ثياب زى الفل وفي عمر الورد، ومعهم سيارتهم، والبيرة في أيديهم، ويشرفوا أي غرزة.. فكانت الناس تحب تسم "وتسمى" علينا، وقجاة تكثر موعدي مع راندا، فقضت من مكاني قاتلاً:

- ضروري أقبل راندا.. ربع ساعة رايح، وربع راجع، وأكد معاها نص ساعة، وأرجع لك على طول، يعني ساعة بالكثير.. وأطمن ها أوصي عليك المعلم.

- يا معلم حبيش، خلى بالك من عاطف، وعازي لما أرجع ألاقيه مخاصم نفسه.

- نزع لعاطف بيه بسرعة يا وطم.

- إيه ده يا معلم؟! عاطف كد، مخاصم الدنيا!

- يا صلاح بيه اطمن.. عاطف بيه في عتبنا.. سنة أقبون ويبقى في الجون.

- ماشي يا معلم.. ساعة وارجع لكم.

- بسرعة هات حجر لصلاح بيه علشان الطريق.. من رحلك شوية.

إحساناً بالأبيه وكلمة النبوية، كان يُلهجنا، ويجعلنا نحب جداً الحلوس في تلك الأماكن الغريبة.. أخذت الحجر، وطرت لمقابلة رائدا، وكما وعدت ربع ساعة في الطريق، ونصف ساعة معها، وربع ساعة في رحلة العودة. أخرجت عليه السجائر، وأخذت منها سيجارة ملفوفة، وقررت أشربها بعد أن قضيت نصف ساعة مع رائدا، ظلت خلالها تمدنني عن مشاريع الزواج والنسقل وحينا، وظللت أنا أقلمها، وتمنيت أن أقول لها: بس.. كفاية يا رائدا.. ولم أقلمها، وأقلتُ منها بخجة الذهاب للمطار لاستقبال أمي ورولا.. وكل ما أذكره أني أفتت تماما بسبب حديثها حول مشاريع الحياة.

أشعلت السيجارة، وقيل أن تمر خمس دقائق، عدت إلى السطح الذي كنت عليه منذ ساعة زمن.. وصلت مصر القديمة.. دخلت المنطقة، ظلام مرعب ولم أجد الفرزة، فقلت محدثا نفسي:

- هو لانا تُهت؟ وثلا إيه؟ باين على اتسلطنا!! لا.. هو المكان.. هو.. والكتب الخشب موجود، وكمان الحجر على الأرض، وأدى جورئين.. بس الناس راحت فين؟

وفجأة ظهر رجل.. أرغني؛ لأن المكال مطم ومغيش فيه صريح إن يومين، وقال لي:

- إنت بتدور على إيه؟ ما الحكومة جت هنا وخدتهم كلهم.. اللي جرى.. جرى.. واللى اتمسك، اتمسك.

- يا دى المصيبة السودا.. وعاطف؟

- عاطف مين؟

- عاطف صاحبي!! ده كارثة لو كانوا مسكوه.. طيب هم خدوهم على فين؟

- أكيد على القسم.

- وفيين القسم ده؟

- فى آخر الشارع.. بعد الميدان.. جو شوية.. عرفته؟

- اه.. عرفته.

طار صوابي.. ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟ قررت التوجه إلى القسم..

ولم أتردد، وهناك سألت أحد أمناء الشرطة:

- هو حصل كيسة على غرزة المعلم حبيش؟

- إنت مين؟ وعابر إيه؟

- أصل فيه واحد صاحبي كان هناك، والطاهر إيه اتمسك.

- هو صاحبك الواد الخنفس الأبيضاني، أبو شعر أصفر؟

- أيوه.. هو.. اسمه عاطف.

- عاطف بيه ده مشرفنا فى الحجر، وبكره هيتعرض على النيابة.

- يا دى المصيبة السودا.. طيب يا باشا قل لى أصل إيه والبنى؟

- شوف حد يكلم رئيس المباحث، احتمال يرضى بيبية.

وكانت الساعة الثانية عشرة.. لمن أجا؟ وماذا أقول لمن أكلمه؟ إنها كارثة فعلا.. وخطرت لى فكرة.. فكرة "نطل".. فكرت أدخل أنا شخصيا

لرئيس المباحث وأكلمه فى الموضوع.. وفورا نفذت الفكرة.. وتوجهت إلى

مكتب رئيس المباحث، وسألت المسكرى الذي يقف أمام مكتبه:

- رئيس المباحث موجود؟

- نقوله مين؟

- قل له صلاح.. قريب عاطف اللي فى الحجر.

دخل المسكرى، ورجع بعد ثوانى، وقال لي:

- اتفضل.. أدخل.

دخلت.. وقلت:

- مساء الخير يا افتدم.. أنا عرفت إن عاطف قريبى هنا فى القسم.. فحيت

أشوف فيه إيه.

- عاطف.. اللي شعره أصفر؟

- أيوه يا الفندم.

وسكت الضابط عن الكلام لمدة عشرين ثانية، وفجأة سألني:

- إنت كنت معاه هناك وهربت واللاً إيه؟

- لا يا الفندم.. ما هربتش ولا حاجة.

سكت الضابط مرة ثانية.. ثم قال:

- استمع لَمَّا أقول لك.. أنا ها أسبك خمس دقائق واقف كده، تفكر فيها وتقول

للحقيقة، واللاً أنزلتك الحجز تحت معاه.. لو قلت للحقيقة وصدقتك، أحصل

أسبغكم تروحووا إنتم الاثنين.. إنت في كلية إيه؟

- تجارة خارجية يا الفندم.

- فين بطاقتك؟

- مش معايا.

- وكمان مش معاك بطاقة.. دا إنت قلّة.. خمس دقائق، ونشوف حكايتك إيه.

ومرت الدقائق ببطء رهيب.. كأنها خمس سنوات، إللى في موقف

باتس.. لماذا جئت هنا؟ وفي تلك الدقائق الرهيبة دخل عسكري ومعه خراشي..

وفي ثوان معدودة، ضربه الضابط قلمين، وأصدر تعليماته قائلاً:

- ارموه في الحجز.

ثم تلقى محادثة تليفونية، أنهاها بسرعة خائفة وسألني:

- إنت قلت لي اسمك إيه؟

- اسمي صلاح يا الفندم.

- الثلاثي يا حبيبى!!

- صلاح

- ساكن فين يا صلاح؟

- الزمالك يا الفندم.

- ياللا.. سمعنى حكايتك.

- والله يا الفندم أنا كنت مع عاطف.

- فين؟! خلصتى!!

- في الغرزة.. وبعدين كان عندى ميعاد.. رحتة، وقلت لعاطف ساعة وارخع

لك.. رجعت.. وما لقيتوش.. راجل هناك قال لي إن الحكومة جت وأخذتهم على

النسيم، فجيت أسأل وأفهم إيه التلى حصل.

- يقرّب لك إيه عاطف؟

- صاحنى يا الفندم.

- ما أنت في الأول قلت قريبي.

- هو حضرتك زى قريبي.

وتلقى محادثة تليفونية، وضحك طويلاً مع صديقه، ثم بدأ محادثة ثانية

مربعة، ثم ضغط على الجرس.. ودار في خاطري بسرعة أنه سيأمر العسكري

بل يأخذنى إلى الحجز.. ولكنه قال له:

- هنت لولا أبو شعّر أصغر من الحجز.

وتزاحمت الأفكار والخواطر في رأسى.. فربما 'يصنق' ويفرج عنا

فعلًا.. وتمر دقائق صعبة وطويلة، ولشعر أن قنمى تؤلمانى ولا تقويان على

خفى، ولا أستطيع أن أتفكر.. وجاء عاطف، وعندما رآنى أصابه الدهول

وسألني:

- إنت إيه التلى جابك هنا؟

فبادره الضابط سائلاً:

- إنت تعرفه؟

- أيوه يا الفندم.. ذا صلاح صاحنى.

- وكان فين صاحبك دا لما أنت اتمسكت؟

- ماكانش موجود.

- يعنى.. كان فين؟

- كان عنده ميعاد، وبعد الميعاد كان هيرجع يافتنى.

- ماشى.. اسمعوا إبتو الجوز.. أنا المرة دى ها امشيكم، بنن قسما بالله العطر
لو وقعتم في يدي ثاني ما هرحمكم.. شككوا اولاد تاس ومش وش بهنكة.. بر
إنتم خرين.. سائمين ولا مسطيل؟

أجينا نحن الاثنين في صوت واحد:

- سامعين يا افتدم.. آخر مرة.. وعمرتك ما متشوفنا ثاني.

قال الضابط لعاطف، وهو بيد يده بجواز سقره:

- الباسور أه.. وانت ما تمشيش أبدأ من غير بطاقة، تخطها في جيبك.

رددنا بصوت واحدة، مؤكدين:

- حاضر يا افتدم.. عن إذلك يا افتدم.

خرجنا من مكتب ضابط المباحث ونحن لا نصدق أنفسنا.. وبصوت

عال قلت:

- الحمد لله.. الحمد لله.. الضابط طلع جدد.. راجل بحق وحقيق.

- طبعاً راجل، بن أسكت.. دا أنا انتقلت لي الحجز، أخذوا كل الخلوس لى

معايها.. أخذوها كلها، والسجائر خلصت في رشة واحدة.. معاك سجاير؟

- فى العربية.

- ياللا بينا، بغور من هذا.

ثم قلت لأمين الشرطة:

- سلام يا باشا.

وأيقنت أن الصدى منجى فعلاً.

بدأت أتردد كثيراً على كلية راندا حتى لا يكتف حولها "العيار" هناك،
وتقع فى شباك أحدهم.. وثلة أصحابها "طراف"، وهم بشكل عام أولاد ناس بن
"خناقين"، ولا مانع عندهم من كاسين، وسجارة ملفوفة. ولم يمر وقت طويل

حتى أصبحوا جميعاً أصحابي، فقد ترصعت قصة الشرب والمخدرات فى وسط
هذه الشلة، وطبعاً عن جدارة واستحقاق.

فى تلك الأيام، عمرت الأسواق كبسولة حمراء اسمها فراولة، وعملت
تأثيراً قوياً بين شباب البلد.. كنت أشتري كيس فراولة، وأمشي بين طلبة
الجامعة، أقول للشباب:

- افتح بك.

ولرمى بسرعة فرولتين على العاشى.. وكانت تسبب نوعاً من الانزعاش
غريب، وتجعل الواحد منا فى حالة "قرقشة" هادئة لفترة طويلة، وكان للسيجارة
طعم جميل، والمزاج فى حالة صفاء.. ولا شيء أجمل من هذا الشعور.. وكنت
أعثر الفراولة كأنها تصبيرة على العاشى، ومع "جوينتين" حشيش.. كله معا
يعمل "ماغ" مضبوطة.

واستمرت قصة الحب العميلة والقوية بينى وبين راندا، وتقاربنا إلى حد
لها بدأت تزورنى عند راسى، حتى فى عدم وجود والده ووالته فى البيت..
وكنا نجلس فى إحدى الغرف، ويجلس ريكو مع نيللى فى غرفة أخرى.. وكانت
تزورنى فى البيت، سواء أهلى فى المنزل أو خرجوا.. لم تكن هناك مشكلة..
وبدأت تشرب معى.. بصراحة، كان لديها الاستعداد، وبعد دخولها الجامعة
لكتشفت أنها تشرب سجاير، إذا لا فرق بين سيجارة فاضية وسيجارة ملفوفة،
وأول مرة قلت لها:

- خدى يا راندا نفسين.

- لأ.. أخلف يا صلاح.

- ما تخافين.. كأنها سيجارة عانية.

- طيب نفسين بس.

وبعد نصين، وثلاثة خُصت المسألة، وأصبحت رائدا تُشاركني في كل شيء.. خُمور، حشيش، علاقة جنسية، كله ما عدا الفراولة، وطبعاً البوئرة التي كنت أضرّبها مرة كل شهرين أو ثلاثة، صُكّة بلا ترتيب سابق.

وهكذا سيطرتُ سيطرة كاملة على رائدا، وأصحابها هم أصحابي، وأصبحت مهمّاً جداً بالنسبة لهم جميعاً؛ فأنا وحدي أستطيع شراء المطلوب، وإن السجائر وكل هذه الأفلام.. هؤلاء الأصحاب بصراحة هم غاية في الطور وخفة الدم.. أحبوني وأحببتهم جداً، وفعلنا أصبحنا أصدقاء..

كنت "أعطس" فترة من الوقت، واختفى عن أصحابي الأعراء ميرو، يونو، زوني، وفجأة أظهر لأصنّ على أحوالهم.. ولكنني كنت على اتصال شبه يومي مع رامي.. ربما هو أحبهم إلى قلبي، وكنت أعرف أين أجده، فهو دائم في النادي.. وأخطر شيء يُعبر بالنسبة لصديق عمرى أنه بدأ يضرب البوئرة باستمرار.. لكن الأمور لازالت تحت السيطرة.. وبالنسبة لأحمد، وحسين، وعلاء، لم يتغير الموقف.. الحشيش مستمر، وكذلك البيرة، ومن حين إلى آخر يحاول بهاء إقناعهم بمشاركته في ضرب البوئرة.. وكان من الواضح لها لا تشغلهم كثيراً، لكنها مجرد "ترفيه" كما يقولون.

في هذا العام، وبالتحديد قبل الامتحانات بشهرين، قررت أن أذاكر بهمة لأنجح.. والحق يقال بذلت جهداً كبيراً.. لكن للأسف رسبت في أربع مواد على درجة واحدة في كل مادة. وبعد الامتحانات قررت السفر مرة أخرى إلى أمريكا، وقررت ألا أذهب هذه المرة إلى "أتلانتك سيتي"؛ إذ لم تعد مشاعري تتجاه مازالاً بالقوة نفسها، بل أشعرت بالملل وأردت التغيير، فذهبت مباشرة إلى "واشنطن"، ومنها إلى "ميامي"، والتي يقال عنها: "من لم يذهب إلى ميامي، فهو في الواقع لم يذهب إلى أمريكا".

وصلت هناك في مطلع الصيف، ونزلت ضيفاً في منزل أصحابي في ميامي.. وهذه الرحلة بالذات لم تكن صاخبة مثل الرحلة الأولى، ولكنها هائلة

أو كانت نوعاً آخر من الرحلات.. بدأت بجولات في مدينة والت ديزني، والبحر، والتعرف إلى البنات، وطبعاً الكثير من المخدرات والخمور، ولكن بشكل عام رحلة أحداثها قليلة وخفيفة.

عدت إلى بلادي، وكالمعتاد.. احتجت بعض الوقت لاستعادة التوازن والتكيف مع الوضع.. وبدأت أنواع المخدرات في ذلك الوقت تتغير، ظهر "الماكس"، وظهر "أبو صليبي" وانتشر جداً، وأصبحت الموضة طحن "أبو صليبي"، وقرص "توقاسي".. ولم تعجبني هذه الخلطة، التي تحولني لإنسان عفيف وعصبي، ولكنني كنت أتبع الموضة وأضرّبتهم، ولبغمرني أيضاً الإحساس بأنني ضارب أي شيء والسلام.. الحياة في تصوري لابد أن يكون بها مخنّز..

وفي يوم من الأيام ذهبت إلى ميرو، وحسين ودارت بيننا أحاديث طويلة عريضة، وعلمنا سألهم على يونو، فاجأني حسين بقوله:

- يونو.. رجلك جت خلاص.

ولأول مرة أسمع هذا التعبير، وبدأت التركيز الشديد فيما يقوله كل من ميرو وحسين.

وفي رأي ميرو:

- "البوئرة دي إيمان يا صلاح، وكيد بهاء أضمن.. تصور ده بياخذ بوئرة كل يوم!"

فأكمل حسين:

- "وكمكان شخصيته تتغيرت.. على طول عاوز قنوس، وبدأ يجيب لنا حاجات عاوز بيبيعها.

ولم أستطع فهم واستيعاب هذا الكلام.. وذات يوم مررت على ريكو، وبمجرد وصولي، قال لي:

- "تعال معيا يا صلاح.. علشان لشترى بوئرة من "الكبت كات".. بوئرة سم.

خرجت مع رامى، ولم تكن المفاجأة بالنسبة لى هى البودرة، وإنما كانت
السرنجات.. رامى وقف عند الصيدلية، ولم أفهم سر وفوفه، وعاد بعد دقيقتين،
فسألته:

- إنت كسرتيت إيه يا رامى؟!

- مؤسسته.. إنسى موضوع الشكمانات ده.

- مؤسسته إيه؟ وشكمانات إيه؟

- مؤسسته، يعنى سرنجات.. شكمانات يعنى شم.. إنسى موضوع الشكمانات ده
خالص.. أصبر يا صلاح لما نروّج البيت حتغنم كل حاجة.

وصلنا إلى البيت، ودخلنا غرفته، وبدأ رامى يتحرك بسرعة مذهلة.
دخل وخرج من المطبخ، أحضر فنجان قهوة، وليمونة.. وفتح ورقة البودرة،
ووضعها فى الفنجان.. وقلت أراقب كل حركة، ولم أنطق بكلمة واحدة.. لكنى
فتّحت فمى "كالتبيط" وفى حالة ذُهل.. نفذ صبرى.. وسألته:

- إيه دا يا رامى؟ لا يا ريكو.. حقن لا.. لا.. لا.

- يا تبنى.. بهاء بقالة سلة بيضرب حقن، وإحنا منعرفش، وهو التلى ضربت لى
أول سرنجة.. إنسى.. فيلم تالى خالص.

- بنى أنا يا رامى بأخاف من الحقن.

- متخافش.. ولا تخش بأى حاجة.. بنى أنا مش هذيك كثير، عشان دى أول
سوسته تضربها، ولما تحب نعلّى مبخش مشكلة.. البودرة كثير.

- طيب مين هذيك الحقنة؟!

- أنا ها اضرب لنفسى.. وبعدين اضرب لك على طول.

- ماشى.

وضرب رامى.. وفى تلك اللحظة طلب منى "أولّع له سيجارة

ونفذت له طلبه، وبعد أن أخرج السرنجة من يده، قال:

- هات لى إينك.. ماتخافش.. مش بتوَجع.. دى شكة ديموس.

الحق يقال، إن خوفى مما يحدث، كان أكبر من أى وجع، أو من أى شكة
ديموس.. وسألنى رامى:

- هيه.. وجعتك؟!

- لا.. ما وجعتش.

- شفت.. دا أنا الدكتور ريكو.

وبعد ما وُثِّع لى سيجارة، وبدأ يسألنى باهتمام شديد:

- هيه.. حاسن بحاجة؟!

- لا.

وفى خلال ثوان معدودة، شعرت بإحساس غريب، وكان بنى آدم آخر
ركبى.. انتهت وقلت له:

- إيه دا يا ريكو؟! دى اشتغلت؟!!!

- أصبر.. هو إنت لمتّه شفت حاجة؟!

ولم تتحرك من البيت، وكنا "خريقة" سجاير، قبل أن نطفئ سيجارة
شعل الثانية، وبدأ بيننا الحديث عن بهاء.. بدأ رامى قتلًا:

- إنت عارف يا صلاح.. أنا زعلان على مين؟!

- على مين؟

- على بهاء.

- صحيح.. ميدو وزونى حكوا لى شويّة حاجات غريبة عنه.

- اكلم شهر التلى فتوا، بهاء اتغير أوى.. خاسن جدا، ومتبهل على الآخر،
وعريته مخبطة من كل حنة.

- إيه ده؟!

- إنت عارف إيه أكتعهم أنهم يخربوا الحقن؟! هما قاتلوا لك وألّا لا؟!

- لا.. ما قالوش.. أصل علاه كان معانا، وأكيد مش علوّرين يجيبوا سيرة
فصلاد.

- تصدق إن عاطف كمان بيضرب سوست؟

- عاطف!! لا يا رجل مش معقول!!

- يا ابني كله بيضرب سوست،

- المهم بونو حكايته إيه؟

- بونو بيضرب كل يوم، وساعات كمان مرتين في اليوم الواحد.

- دا إتجنن وللا إيه؟

- لا.. دا أئمن.

- أئمن إزاي بعتى؟

- يعنى بالحال ده، ممكن ما يعرفش بيطل.

- يا نهار إمبود!! ويعنين يا ريكو!! إحنا لازم نتكلم معاه.

- تفكر ممكن نعمل إيه يا صلاح؟

- بقول لك إيه.. تعال بغدى عليه.

مررنا على بهاء، وتسببنا فى إزعاج العالم "بالكلّامات" العالية، ونزل

لنا بهاء، وبغّ القبلات والأحضان، دخلت فى الموضوع مباشرة، وسألته:

- إيه دا يا بهاء؟ إنت حشيت كده ليه؟

- الثبوتة دى بنت "....." بتخس الواحد.. على العموم أنا قررت أبطل الثبوتة

شويته، ونويت أسافر مع أخويا ومراثة، وأبعد ثبوتة عن الضرب.. أصلى نبت

لوى.

- أبوه كدا يا بونو.. وأوك ما ترجع بتخضع كلنا عند مبدو.. ماشى يا بهاء؟

بالأ بينا يا رامى علشان أنا تعبان ومارحش البيت من الصبح.

- سلام يا ريكو.. سلام يا صاصو.

انطلقا بسيارة رامى، ولم ينطق أحدهما بكلمة واحدة.. بصراحة كنت فى

حالة ذهول تام.. هل هذا هو بهاء!! لا.. إنه شخص آخر تمامًا.. ولا أترى

يفكر رامى!! كان مترحان.. إلى أين وصل يا ترى!! اعتقد مترحان

الموضوع نفسه.. وبعد دقيقتين من الصمت الرهيب، انطلقنا معًا بالكلام فى
للحظة نفسها:

- إيه دا يا ريكو!! بونو جرّاه إيه؟

- بونو خربتها.. مكنتش ناوى أحدى لك.. بعد ما سافرت أمريكا، سرق من أبوه

خمين ألف جنيه وهرب من البيت، أبوه طبعًا عرف.. وكانت مُصيبة كبيرة،

ومرّجش غير لما خلصت القلوس ولآخر ملهم.

- يا ريكو وصلنى عند عربيتى.. عيز أروح.. أنا فعلا تعبان.

طوال الطريق، وصورة بهاء لا تغيب عن عيى.. تشفت عليه،

وشعرت أنه فى خطر حقيقى، وفيما بيتو أنه يمر بمشكلة صعبة.. لكن لماذا

يا ترى لا يستطيع بهاء الخروج منها!! هل هو بالفعل لا يستطيع التوقف عن

تعاطى البوترة؟

ومر بخاطرى شريط تجربتى الشخصية مع البوترة، وتأثيرها فى الجسم

والعقل، وكيف يُسيطر على شعور عجيب، وكأنى أعيش فى عالم آخر.. عالم

خيالى!! وبعد الضرب كنا نمر بشبه حالة إغماء.. كنا نغمض أعيننا، أو ندقة

أكثر كنا نغمض أعيننا دون إرادتنا.. مع هذا "تولع" السجارة، وأحيانًا تلّسعى،

ونارها تحرق أصابعى، فانتبه من الأثم، وأطفئ السجارة.. وهكذا امتلأت كل

القصص، والتشويرات والبنطلونات بالقُوب بسبب وقوع السجارة من أيدينا،

وعادة تكون ردود الفعل بطيئة، وننتبه بعد حدوث الخسائر، واحتراق القمصين

أو... أو... وعندما نفيق من هذه الغيبوبة، نأخذ نفسين حشيش، ونعود للغيبوبة

من لوك وجنيد.

الأفيال والجمال

بعد سقوط رامى، حوّل إلى معهد سياحة وفنادق بالإسماعيلية، وطبعاً لم يذهب إلى المعهد سوى مرة واحدة، ذهب فيها مع والده، وهناك قدم أوراقه، وتعرف إلى شاب فى الإسماعيلية اسمه سمير *.....*، رأى هذا الشاب الإسماعيلوى مرة واحدة فى حياته منذ ثلاثة شهور، والعجيب أنه مازال يذكر اسمه.. المهم رامى كلمنى فى البيت.. قائلاً:

- أنا عايز أسافر الإسماعيلية علشان أشوف واحد اسمه سمير *.....* علشان أأخذ منه أى ورق.. امتحان للتبرم بعد أسبوع.. للأسف المعهد نظام تيرمات.

وجابنى رامى فى البيت، فوجدنى فى البلكونة مع صديقى شريف "ملك الفرز" يشرب حشيش، فقررنا الذهاب نحن الثلاثة.. وسألته:

- إحنا هنرجع النهارده.. والآن إيه النظام؟

- دا مشوار صغرى على طول.. وعلى فكرة أنا معايا حبة حشيش ماركة "خط بارليف".. دمار يا معلم.

وكان هذا هو اللقاء الأول بين رامى وصديقى شريف.. وتحركنا حوالى الساعة التاسعة فى سيارة شقيق رامى.. وكانت سيارة رينو 85.. سيارة جميلة كانت لها شهرتها، ومكتملة الدنيا فى ذلك الوقت، وقلت لرامى:

- عاوزين نشترى بيرة قبل ما نطلع على الطريق.

- ماشى الكلام.. ولّع خط بارليف يا معلم شريف.. بن حاسب وفرغ فى اينك.. وفيه كوباية جنبك، أعمل لنا خابور، والذبوس فى علية للكلينكس.

انطلقنا بسرعة.. منتهى السرعة والتهور، ووصلنا الإسماعيلية الساعة العاشرة وخمس وأربعين دقيقة ونحن فى قمة السطل..

وعند مدخل الإسماعيلية سألته:

- فىن يا رامى؟

- على فكرة يا صلاح.. العنوان مش معايا.. بس أنا وصلته بيته يوم ما قدمت الأوراق للمعهد.

- يا نهار إسود.. إيه يا عم رامى؟! دا إنت بتوه فى المهلنسين، معقول هتفكر بيت واحد فى الإسماعيلية، وصلته بيته من ثلاث شهور؟

- تدخل شارع الإسماعيلية الرئيسى، فيه جامع كبير، احنا دخلنا جنبه، وبعد كده بين فى شمال.. ستعات فى ثمانيات.

- يغرب عتلك يا ريكو.

وبعد فاصل من الضحك الهستيرى، شريف قال:

- اسمع يا رامى، الأول نسأل على الجامع، وهناك نسأل على سمير *.....*.. فسألنا أحد المارة:

- مساء الفل يا ريس.. هو هنا فيه جامع كبير؟

- فيه جامعين كبار.. واحد على اليمين، والثانى قدام شوية على الشمال.

وسألنا رامى:

- اسمه إيه الجامع يا رامى؟

- مش فاكرك.. أذى الجامع.. متبيللى هو ده.. لأ.. مش هو.. المشكلة إنى يوم ما وصلته كنا الصبح، واحنا دلوقت بالليل.. مش عارف أفكر.

ضحك شريف واقترح قائلاً:

- طيب إيه رأيكم ننام فى الإسماعيلية النهارده علشان نتعرف على الجامع لصبح؟

رد رامى:

- والله فكرة.

قلت:

- باللاً يا رامى لرجع مصر.

- يا عم استنى شوية.. هتفرج دلوقت.

ذهبتا من جامع إلى جامع، ووصلنا عند الجامع الأول مرة أخرى..

فقال رامى:

- بصى هناك.. فيه شوية شباب واقفين على الناصية، نقف عندهم ونسألهم.

- مساء الفل يا شباب.. والذبي إحنا بندور على بيت واحد اسمه سمير ".....".

فى معهد سياحة وفنادق.

أجابنى شاب:

- آه.. سمير "....." أخو مدحت "....."؟

قال رامى:

- الحقيقة، إحنا ما نعرفش العائلة، بس أكيد هو.

فقال شاب آخر مؤكداً:

- ساكن فى منطقة ".....". أنا عارف بيته.

- طيب أيه رأيك نيجى معانا نوصلنا لبيته، أصلاً من مصر، ومن ساعتين

بنلق، ونأيهين.

جاء معنا الشاب.. وأخيراً.. وبعد يمين فى شمال.. فى يمين.. وصلنا.

الشاب : هو فى العمارة دى.

شريف : يضربوا كلاكسات؟

الشاب : يا عم كلاكسات إيه!! ننادى عليه.. يا سمير.. يا مدحت.

أطلق شاب من الشرفة..

الشاب : الرجالة من مصر ببسألوا على أخوك سمير.

مدحت : هو مش موجود.. بس إتفضلوا يا رجاله.. زمانه جاي.

رامى : شكراً يا ريس.. تعبكنا معانا.

شباب : أيداً.. أيداً.. تألمروا.

وطلعنا عند مدحت فى الدور الثانى، ووجدنا صديقه عنده.. وبعد التحية

والسلام، بدأ الحديث:

رامى : أنا زميلة فى المعهد.. وجأت من مصر، عايز منه شوية أوراق؛ لأن

امتحان "النيرم" قرب.

مدحت : هو بذاكر بره بس مش عارف فين.. إتفضلوا.

صلاح : لزغناكم.

مدحت : لا.. خالص.. مفيش حد، الولد والوالدة فى بورسعيد، إحنا وحننا فى

البيت.. تشربو إيه؟ شاي؟ قهوة؟

رامى : نشرب شاي.

وبعد خمس دقائق.. قال رامى:

- بعد إنك، طيق أو جورنال.. ممكن؟!

كدت أموت من الضحك، بعد أن سمعت هذه العبارة المذهلة، وببساطة

تكلم شريف قائلاً:

- ليش فيه سيجارتين متلوفين.

رامى : لأ مؤاخذه يا شباب.. نفسين كده بس عثمان السفر.. ولغ يا كابتن.

مدحت : لأ.. مش بأتشرب.

صديقه : ولا لنا.

رامى : ولغ يا صاصو.

ولغنا "الجوبنت" الأول، ثم الثانى.. وبعدها قال رامى:

- طيب يا رجاله، عايز طيق أو جورنال.. إحنا معانا خط بارليف.

ولم يستطع الصديقان كتمان ضحكاهما، وكانا فى حالة ذهول، وظل كل

منهما يتأمل تصرفاتنا، وعلى وجهيهما ابتسامة ساذجة، ومن حين إلى آخر

يتبادلان النظرات ولا أحد منهما يصدق ما يراه، ولم يسكت رامى، بل أضاف قائلاً:

- هو إنا مش هتشرّب أى حاجة؟! فين الشاى؟

قال شريف:

- ممكن نشرب مية أحسن ريقى بنشف من عبور خط بارليف.

ثم توجهت بحديثى الى شريف:

- خليك جدع يا شريو وإزّل العربية، وهات لنا الكيس.

- بعد إذّنكم يا شباب.. أنزل أجيّب حاجة من العربية.

وبعد عودة شريف.. قال رامى:

- أكيد يا شباب يتشرّبوا بيرة.. دى بقى مافيهاش حاجة.

شريف : دى كويسة علشان الكلى.

الشباب : لا.. شكرا.. والله مش يتشرّب.

ويحاول رامى فتح الزجاجاة مستخدماً أسنانه.. فقلت له:

- إيه يا رامى.. إستنى نجيب فتاحة، أو نفتح فى الباب.

رامى : لا يا صلاح.. مش عاوزين بتعنيهم معانا.. كفاية إنا عطّلناهم، وصننا

لهم إزعاج وثوثة.

مدحت : لا.. خالص.

صديقه : دا إنتم مشرّفين.

شريف : لا.. دا إنا مساطيل.

وبدأنا فاصلاً من الضحك المستمر.. وبعد ساعة من "الهزلة"، قام ريكو

فجأة وخلع الحذاء، ونام على السرير والتفت إلينا قائلاً:

- يا أخى برخصة السفر متعب.

فقلت له:

- بقولك إيه يا ريكو.. خدنى جنبك.. أنا متعب جداً.

فضحك شريف قائلاً:

- وأنا كمان خدنى جنبك والنبي.. أمدد كده وأفرد جسمى.

وظل الشبان فى حالة ذهول تام.. لا أحد منهما ينطق بكلمة واحدة..

وينظر كل منهما إلى الآخر، وشهدت بمعنى كيف تتكلم النظرات، وتعبّر عن

دهشة بالغ معنى.. ثم تتحول نظراتهما إلينا، ولا تقل دهشة وتعبيراً عن

نظراتهما إلى بعضهما.. وبكل الثقة، قال رامى:

- يا شباب البيت بيتكم.. ومفيش داعى للكسوف.. أى حاجة توعزوها.. إنا

والله مش عازقين نعمل الواجب.

شريف : تحبوا بتعشوا إيه؟ والأ فى الإسماعيلية بيناموا خفيف؟

صلاح : هى الساعة كام؟ تصوروا الساعة واحدة إلا رُبّع!

رامى : إيه دا؟ إنا لازم نمشى حالا.

وبعد التحية والسلام.. وألف توصيه للسلام على سمير.. قال رامى:

- إنا هنجيلة مرة ثانية.

فقال شريف:

- أكيد إنتم مش عاوزين تشفونا تانى؟!

فأجاب مدحت:

- ليه بس، إنتم نوّرّتونا، ونوّرّتوا الإسماعيلية.

خرجنا من هذا البيت إلى الشارع، ونحن فى حالة ضحك هستيرى..

ضحكنا على موقفنا، وعلى حالنا، وعلى أنفسنا.

- ناس غريبة.. مين الناس دى!!

ولم تعرف اسم صديق مدحت.. وكان تعاليق شريف:

- أعلمك كان شكله كوميدى.. فاتح ثقّه طول الوقت، وكأنه شاييف مجانين جاينين

من كوكب تانى.

طبعًا غسَلْنَا إِرْعَاجًا رَهِيًا تحت منزل مدحت وسمير، ووقف الصديق
في الشرفة يتابعان الفُرْجة عُلِيًا، أثناء وقوفنا في حالة الضحك الهستيرى قبل
ركوب السيارة، فأحص رامي بالخرج، ولإفلاذ الموقف، قال:

- سلام يا رجاله.. سلم لي يا مدحت على سمير.

- يا رامي اركب بسرعة، وإرجع ورا ولف.

- تصنق يا صلاح أنا عايز أرجع القاهرة "مارشيريير".. تفكروا توصل في
أديه؟

- بالآ يا رامي لف وارجع وبلاش هزار، لما نشوف هُتُخرج من الإسماعيلية
إزاي؟

ولم يغب عن بالنا طوال الطريق دهشة مدحت أخو سمير، وصديقه
ولم تتغير كلماتنا:

- لف يا معلم.. ولع يا معلم.. شغل الكوباية.

وفي الكيلو 74 كنا في قبة السُّطَل، وفجأة سمعنا صوتًا غريبًا في
"الموتور"، وبصوت واحد سألنا:

- إيه ده.. هو فيه إيه؟

قلت صارخًا:

- يا نهار إسود.. العربية بتوَّع.

وبدأ الدخان يتصاعد من الموتور، وفورًا خفف رامي السرعة.. حد
أقصى عشرة كم، وفتح الباب، وأوشك أن ينط من السيارة، وعندما رأيت هذا
المنظر، أخذت وضع الاستعداد للقفز من السيارة، وعندئذ نظر رامي للخلف
حيث يجلس شريف، وقال له:

- نط يا.. نط يا.. نط يا..

وبسرعة سألني:

- هو إسمه إيه؟

قفز رامي من السيارة، وأنا وراءه، ولم يستطع شريف فتح الباب، لأن
السيارة الريمو يُفتح بابها بطريقة مختلفة عن العربيات العادية.. وأخيرًا، أخيرًا
عرف طريقة فتح الباب، لكنه لم يستطع فتحه لأنه اكتشف أن "اللوكة" مقفولة..
واستغرق خروجه حوالي عشر ثواني.

وظلنا نجرى وراء السيارة، وأنا أقول له نط، ورامي يسألني:

- هو إسمه إيه؟!

عَدْنَا وجلسنا في السيارة نلعب "كولو بامية"، لتحدد من منا يشير إلى
إحدى سيارات النقل، لننطُرُنا حتى نصل إلى القاهرة.. إنها ليلة غاب عنها
التمر، والظلام دامس.. كحل، وأصوات عواء التذئاب مخيفة.. وأخيرًا.. استطاع
شريف أن يشير إلى شاحنة كبيرة، وقطَرْنَا حتى وصلنا إلى القاهرة حوالي
الساعة الخامسة صباحًا.

كانت رحلة من أغرب الرحلات.

مرت الأيام بأحداث مختلفة، وكان يبدو واضحًا أن بونو "خربتها" أكثر،
وريكو فقد كثيرًا من وزنه، وبدا هزيلًا، أما مينو فقد زاد عنده مُعَتَل الضرب،
وبدلاً من مرة واحدة كل شهرين، أصبحت مرة في الأسبوع.. أما زُونِي فكان
في حالة اختفاء، ويقضي معظم وقته مع نيفين.. وفي كل الأحوال كنا نلتقي،
ونجلس معًا، ونخرج من حين إلى آخر، وفي كل يوم نعيش قصة جديدة مختلفة.
وفي يوم كنا عند مينو، وكان نائمًا، وفاجأنا بهاء بأفكاره الشيطانية:

- عَمَرَكَ جَرِيَتْ "البركينول" يا حسين؟

- لا.. بس أنا سمعت أنه دماغ صراصير.

فقلت:

- مش دافضة حشرات كمان.

أضاف بهاء موضحاً:

- جمال "جنو" اللي ساكن جنبى أخذ عشر حبوب، وطلع رحلة بنت "....".
كنا سهرانين فى "الچاكيز"، وحضرته تقمص دور عصفورة، وكان عاوز يطير،
واستمر على الحال ده يومين، وبعدها رجع له عقله وفاء.. نيجو نجريه، بس كل
واحد يأخذ ستة.. ماشى يا صاصو؟

- لا.. ثمانية يا بىلاش.. خلاص يا زوى؟

- "....". ثمانية أول مرة!!

فأجبت مصمتاً:

- يا نجريه صح.. يا منجربوش.

فقال بهاء:

- أنا منك يا إكبلاتس.

فرد حسين:

- موافق يا بريس، ين على شرط، ناخذ أربعة.. اثنين فى لتين، ونشوف الدنيا
تمشى لزاى.

وأعلنت موافقتى على ذلك.. توجهنا إلى الصيدلية، واشترينا علبة
"بركينول". وفى دهشة بالغة قال حسين:

- إيه ده؟ دا برقع جنبه؟! دا بىلاش يا بونو؟!

- علشان كده دماغ صراصير.

أخذنا أربع حبوب فى الساعة التاسعة.. ولم يكن لها أى مفعول لمدة
نصف ساعة.. فقال لى بهاء:

- دا فشيك دا واللا إيه يا معلم؟

- خلاص ناخذ الأربعة التانيين مرة واحدة.. موافق يا بهاء؟

- ماشى يا إكبلاتس.. ماشى يا زوى؟

- ماشى.. وصباح الفل، قسم وإذى للكل.

وأخذنا الأربع حبوب الأخرى قبل الساعة العاشرة، واقترح علينا

حسين:

- بقول لكم إيه.. النهارده عيد ميلاد عبير صاحبة نيقين، وطبعاً بيتمنى أروح،

وتحليت على كثير، ما نيجى نروح نشوف النظام.. إيه رأيك يا بهاء؟

- قشقة.. جازز أطلع لى بمزة.

طلعنا على الطريق موكتين "جوينتين" فى الطريق، ووصلنا فى حالة

شغل تام، ونخلنا الحفلة نضحك ونهزّر، وبهاء اصطاد فتاة جميلة، وأخذها

جانباً وبدأ الأسطوانة:

- المعلم بهاء.. ثمانية فلان منجى، أرتبناش فدان بركقال، ثلاثة وثماني نخلة

بلح، ومش ناقصى غير الفرولة.. يا فرولة.

كان هذا هو أسلوب بهاء فى الهزار والمعاكسة، أسلوب غير راق، ولكن

بعض البنات يعجبها كلامه، ويراه البعض ظريفاً ومضحكاً.. وكان مضحكاً

فعلاً، وفى الحقيقة كان يناسبه تماماً.

وطلبنا لكل منا زجاجة بيرة وقصينا وقتاً ممتعاً، وقررنا الاكتفاء بهذا

القدر.. وممرت السهرة دون مشكلات، وفى طريق العودة، كانت سرعة السيارة

بقيادة حسين طبيعية، وأنا جالس إلى جانبه وبهاء فى الخلف، ثم بدأ حسين يقلل

السرعة 80، 60، 50، 20، وأخذ الجانب الأيمن، وبدأت السرعة تقل إلى 10،

وهنا سألت:

- هو فيه إيه يا بهاء؟

- البركينول اشتغل يا معلم.. إنت حاسس بإيه يا حسين؟

- أنا حاسس بى سابق فيل.

فهتكت:

- قشقة.. إطلع على جنبية الحيوانات.

وظهر تأثير البركينول علينا.. وفجأة، بدأ مفعوله يتضح، وبدأنا نضحك بلا سبب.. نضحك ببلاهة، على أى شيء، وعلى كل شيء، وبصوت ضعيف تكلم حسين:

- حد ييجى يسوق الفيل بسرعة.. تعال سوق يا بهاء.

- هو ينفع أسوق وأنا قاعد وزا؟

- طبيب بَصُورًا.. إحنا نركن العربية فى أى مكان، ونأخذ تاكسى ونكره نجيب الفيل.

- تصدق يا صاصو إنك عبقري.

ثم قال حسين:

- هو الشارع كله فيلة واللأ إيه؟

قلت ساخراً:

- بس فيلة نشيطه أوى.

وقال بهاء:

- أنا جعان جداً يا صلاح.. عايز شاورمة!!

- إيه يا بهاء؟! ده وقت أكل.. حسين خلاص إنجن، وإنت نقول لى شاورمة.

أوقفنا السيارة.. ثم أخذنا سيارة أجرة، لنقوم بتوصيلنا إلى شارع شهاب، ثم قلت:

- اركب يا بونو قدام، وسيني أنا فاهم مع حسين، لما نشوف حكاية الفيلة دى إيه. وفاجانى حسين بقوله:

- لعلمك يا صلاح.. أنا ناوى أخير الفيل بتاعى.. حاجيب فيل جديد.

جلس بهاء بجانب سائق التاكسى، والرجل فى حالة ذهول مما يسمعه.. خصوصاً عندما قال بهاء:

- يا سلام.. بنفسى فى سندوتش شاورمة.. لأ.. 37 سندوتش.

- بنقول إيه؟ كام سندوتش؟!

وفجأة وقف التاكسى، فقد مرّت قافلة جمال.. مفاجأة ليست فى وقتها أو مكانها، إنما شكلها مذهل وجميل، وبأعلى صوته قلت:

- إيه داه؟ بَصُورًا الجمال.. يا ترى هى جمال بحد، ولا زى الفيل حسين؟! أنا مش فاهم حاجة.

قال بهاء ساخراً:

- يا زونى.. أنا سمعت إن مهر نيش مائة ذاقة حتمراً.

- بالقولك إيه يا بونو.. هُمّا جوز جمال عسى وفوقهم بوسة.. تيجى للزلل نأخذهم؟! اركن يا ريس.

وبإصرار يطلب حسين من السائق أن يفت لينزل من التاكسى، وأنا أحاول أقنعه أن نزلنا خطراً، وكان السائق فى حالة ذهول، إلى أن بدأ بإشارتنا فى الضحك، وضحك معنا.. من القلب، وبهجة حاسمة قلت:

- قلنا شارع شهاب.. ومَحَنَسٌ يتحرك من التاكسى.. نطلع على مينو، ونشوف هل فى المصيبة دى.

استمر بهاء فى الحديث عن "الشاورمة" مع السائق:

- بتحب الشاورمة؟

- أه بحبها؟

- بتحبها أد إيه؟

لم يستطع السائق الإجابة من الضحك.. ونفعنا له الأجرة بصعوبة، بعد ربع ساعة ضحك وهزار معه، رغم أنه لا يفهم كلامنا. ووصلنا إلى بيت مينو فى حالة مزاجية عجيبة، وكان المسكين يتعذب بسبب سخرية علاء! لأن الأهل تعادل مع المحلة، بينما كنا نحن الثلاثة فى حالة ضحك مستمر.. وبالتأكيد كان كل منا يضحك بسبب يختلف عن سبب ضحك الآخر.

ويكل جدية سألنا بهاء:

- إنت بتضحك على إيه يا صاصو؟

- باضحك على ترابيزة السفرة.. أصل كراسيها غزالة ترفص.

- وإنت يا حسين؟

- على الأقبال اللي في الشارع.. والجمال كمان.. لو فيه فيل عمل حادثه، يوثرو
ليستكري، واللأ ليكتور بيطري؟

لنتبه ميدو، وركز معنا، لأن التخريف والهذيان في الكلام واضح.
فسألنا:

- هو فيه إيه؟ إنتم وأخنين إيه؟ قول يا بهاء .. ما تتكفيش.

- اى هيل في الجبل.. يركبونول.. صراصير.

وأضاف حسين:

- ذول مبش صراصير.. ذول فيلة.

قلت له:

- لأ.. ذول جمال.

وبحسب قال أحمد:

- قوموا اغسلوا وشكم، جايز تقوما.

فاعترض بهاء قائلاً:

- ومين قال إني عايز أفوء.. دا كده لوكن جد.

واقترحت على أحمد:

- تعالى نوصلهم بيوتهم، وأنا ها أنام هنا.

فسأل أحمد:

- فين عربياتكم؟

رد حسين ضاحكاً:

- عربيات؟! هاهاها.. إختنا معانا فيلة، بس الفيل بتاعى في الهرم.

- بيعمل إيه في الهرم؟

- أصل ماكنتش قادرين نسوق.. ركننا الفيل وأخذنا فيل أبيض في أسود.. صح

يا بونو؟

- سبيك إنت.. الجمال كان شكلها جنو أوى.

- بأقول لكم إيه.. أنا رفعت مهر تيقين لخمسة جمال.. والله مبش خسارة فيها.

وقال أحمد في ذهول:

- خمس جمال؟!

فضحك بهاء قائلاً:

- إيت متجوز عيلة واللأ إيه؟

- هو فيه إيه؟ أنا مش فاهم حاجة.

- دى قصه طويلة يا ميدو.. بالآ يا عم ننزل نروّحهم.

- زوونى.. أنخل الأوضة قلع ونام على طول.

- لسه ما ألقع.. مش هبحصل.

لم يكن هناك مفر من توصيل بهاء وحسين إلى البيت.. وطوال الطريق

كنا في شدة القلق؛ لأن طريقة كلام حسين كانت غير طبيعية وغير موزونة..

وأكدنا عليه أن يدخل بهدوء وينام فوراً.. وبعد عودتنا أذهنتي أن علاء لم يتوقف

عن إعاطة ميدو من خلال السخرية على الأهل، وجلست معهما وضحك من

قلبي، رغم أنني أهلاوى كبير.. ولكننى لم لكن أضحك على سخرية علاء، بل

كنت أضحك على الأشياء التي أراها تتحرك وترقص أمامي في الصالون..

وتوقف الضحك، وانقلبني شعور غامر بالضيق من هذه التخيلات، وأصبحت

أمنية حياتي أن أبقى من هذا الكابوس.. إنه بلاء عظيم، كيف ومتى ينتهى هذا

اليوم الأسود؟ وهل ينتهى على خير؟

دخلت أنام.. تمنيت فعلاً أن أنام، لأرتاح من هذه التهيزات والخيلات

المتعبة ودارت شرائط الموسيقى، ووضعت رأسي على الوسادة.. واستحال

نومي، وإذا بي أفاجىء بالملابس تخرج من الدولاب، وتترقص في الغرفة..

أضأت النور، وفقرت من السرير، وأسرت إلى الحمام، وغمرت رأسي بالماء لأكثر من نصف ساعة، ورجعت إلى الغرفة، وارتميت على السرير، وأمسك جهاز التسجيل لتتوقف الموسيقى، وتكف الملابس عن الرقص.

إنني حقا معذب، ولا أستطيع النوم.. وبعد ساعات مريرة نمت، وأشرق الصباح، ولم أفهم ماذا حدث لي بالأمس، كنت مثل الوتر المشدود، وكلني صحت من كابوس، وفتحت عياني على كارثة.. جاعني صوت أحمد:
- شئت يا صلاح المصيبة التي حصلت.. اصح واستمعني كويس.
حقيقة.. لم أكن أستطيع استيعاب أي شيء، أو فهم ما يقوله، ولتثبت لقوله:

- مائة حسين كلمتي وسألتني: حسين ماله يا أحمد؟ هو فيه يه؟

- خير يا طنط.

- صحتني الساعة خمسة الفجر؛ علشان أغسل شاي لأصحابه.

- أصحابه؟! مين أصحابه يا طنط؟

- مأكنش فيه حد.. قال يه أصحابه قاعدين في الشرج.. فسألته درج يه يا حسين؟ يقول لي درج المكتب يا ماما.. إنت مش شافناهم ولا يه؟

فقلت لأحمد، بعد أن سمعت الحوار، بينه وبين والدته حسين:

- يا دي المصيبة.. وبنعنين.

فقال أحمد:

- قعد يخرف شوية لغاية لما نام.. وقعدت بتحقق معايا.. حسين كان فين بالليل؟ وكان مع مين؟ وأخذ يه؟ وأنا طبعاً ساكت، ومش عارف أقول لها يه.. وأخيراً قلت لها، ثلاثه يا طنط تعبان من المذاكرة، ومما نامش كويس، كان بيحلم ولا حاجة.

- وبنعنين؟!

- قالت لي بشوف القصة دي لما يصحى من النوم.. تصور نام بجرمته.

انتبهت إلى كلامه أكثر وأكثر، وبدأت أفيق، إنما رأسي كأنها ليست في مكانها، وحوالي الساعة الثانية وصل بهاء وكعادته دخل في الحديث بسرعة:
- شفت يه اللي حصل؟ أنا خربتُها إمبراح.

فسأله أحمد:

- وإنت كمان؟! عملت يه؟

- ساعة كاملة.. أحاول فتح باب الشقة بمفتاح العربية، لغاية ما وصل أخويا وفتح لي الباب، وطبعاً سألتني أنت وأخذ يه، فقلت له: زفت.. بركيول، فقال لي: ده زفت فعلاً وبيلحس الدماغ، إنك تأخذه تاني.
فقلت لبهاء:

- يخرّب بيت البركيول.. ده أين "...." فوبيا*.

بدأ بهاء يحكي:

- دخلت على المطبخ.. وعينك ما تسوف إلا النور.. جبت كرسي وقعت في وخن التلجة، أكلت نص الأكل اللي في التلجة.. أخويا دخل على المطبخ وشافني وأنا باشرّب الملوخية من الحلة، وأكلت بطاطس، وجبنة بيضة، وبسطرمة، وعنب، وطبعاً رخت كل اللي أكلته، وصبحت الصبح على صوت لمي.. منهار.. مين اللي قلب المطبخ كده؟ وفي الملوخية؟ وفي البطاطس؟ ومين اللي حط طفاية السجائر في الغريزر؟ قلت أيس وأزل قبل ما بابا يرجع، وتوقع الدنيا.. وإنت يا صلاح.. عملت يه؟

- شفت خيالات وتبويوات بشعة، وحطيت رأسي ساعة تحت الميه.. وفي الآخر نمت.. الحمد لله.. كانت ليلة سوداً فعلاً.

ثم سأل بهاء:

- يا ترى فيه أخبار عن حسين؟ غارزون لكلمه.

حكينا له تفاصيل محادثة والدته مع أحمد، وكان تعليقه:

- يا نهار إسود.. كذا كلنا هنروح في داهية.

نادى علاء:

- تليفون عشانك يا مينو.

ذهب أحمد ورد على التليفون.. وبعد قليل عاد وقال:

- زووني كان على التليفون.. واضح إنه لسه صاحي، وأتخلىق مع مامته.

أنا مش فاهم منه ولا كلمة، قال لي أنا هأ نيس وأجى لك حالاً.

وبعد قليل.. ارتفع نداء علاء مرة أخرى:

- مينو.. تليفون.. مامية حسين.

- يا داهية نقي.

والتفتنا حول مينو.. وسمعنا الحوار بينهما:

- أهلاً يا طنط.

- تصور يا أحمد قال إيه.. حسين زعلان وصاحي يتخلىق معاً، إزاي

ما اعيش شاى لأصحابه إمبارح!! وأنا أخرجه جذاً معاهم.. كان بيتكلم بجذا،

بس المرة دي قال لي أصحابه كانوا قاعدين كلهم في الصالون، والخصان في

المطبخ، والتيل في الهرم، والجمل على الكوبري.. ودلوقت بأكله، وما بيرش

على يا أحمد.

- ده لسه مكلمني يا طنط، وقال لي إنه جاي عندي.. أنا هأ أشوف إيه الحكاية.

وحضرتك ما تفتيش خالص.

- مامتك موجودة يا أحمد؟

- لا.. مش موجودة.. وبعدين يا طنط، إحنا مش عاجزين نكبر الموضوع.

- الموضوع كبير يا أحمد.. أنا كلمت نيقين، وقالت لي إنه كان مع بهاء

وصلاح لغاية الساعة واحدة إمبارح بالليل، وسهروا في عيد ميلاد صاحبته،

وقالت لي إنه كان طيبعي، وما مفيش أي حاجة.. نيقين هتجتن.

- ابني فرصة أفهم منه وأكلم حضرتك.

- لست أقول لك كمان، إمبارح الفجر.. عاجز يزل يشتري ستع جمال حمر

عشان نيقين، فقلت له سبع جمال إيه!! فقال لي خلاص خليه خمس جمال..

أنا عارف إنك متعاصي، ومرة واحدة قال لي: ياقلوك إيه.. الصباح رباح،

وتصبري على خير يا حاجة.. عمره ما قال لي يا حاجة في حياته.

- والله يا طنط قال خير.. ربنا يكتبها لك وتحجي السنة الجاية إن شاء الله، بس

العريب يا طنط إن صلاح جتني دلوقت، ويقول إنه وصلته مع بهاء لغاية البيت،

وكان كويس.

- كويس إيه.. دا طلب مني خمسة آلاف جنيه، وطبعاً قلت له لا.. ولما سألته

عاوزكم ليه مارش علي.. وبعدين قال لي: أنا عاجز أبيع الفيل بتاعى وأشترى

فيل جديد.. قصدي عربية جديدة.. وعربيته مش تحت ليه؟ إيه ده.. الباب

أقف.. الظاهر حسين نزل.

- يبقى جاي على عندي.

- من فضلك يا أحمد شوف حسين مالة.. وكلمني طمئني.

- حاضر يا طنط.. ما تفتيش.. حضرتك إطمئني.. وطبعاً هأكلبك أول ما أفهم

الموضوع.

وارتفع رنين التليفون بعد هذه المحادثة بثوان قليلة.. كانت نيقين، ورد

أحمد:

- هاي نيقين.. أخبارك إيه؟ حسين.. لا.. مش عندي.. فعلاً طنط كلمتني، وأنا

مش فاهم حاجة.. هو حسين جاي.. وأول ما يوصل أقول له يكلمك.. باي باي

يا نيقين.

وكان تعليقي على هذا الحوار الطويل العريض:

- يا ألوكم إيه.. نيقين مش سهلة، وختفضك ورا الموضوع لغاية ما توصل

لاعراف من حسين.. لازم نفكر في فيلم يحفظه قبل ما يكلمها.

مرت ساعة ولم يصل حسين، رغم أن المسافة لا تستغرق أكثر من عشر دقائق.

ومرت ساعة أخرى، ولم يصل حسين.. وتساءل أحمد:

- إيه الحكاية يا جماعة؟ زولي راح فين؟ دا نزل من بيته من ساعتين!!! تفكر راح فين يا صلاح؟

- ممكن يكون راح بجيب غريبته!!

- مش ممكن يروح لوحده.. أكيد كان جة هنا الأول علشان حد فينا يوصله!!

الساعة الخامسة ولم يصل حسين، الساعة الخامسة والنصف، ولم يصل.

ودرجة القلق تملو، فقلت:

- تعالوا ننزل ندور عليه.

فقال أحمد:

- أحسن حل.. استمعي يا كريمة، لو حسين ظهر، قولي له يستنى هنا، وما يتحركش.. سامعة!!

وكان تعليق بهاء:

- الظاهر يا صاصو صاحبك مينو عاجباه كريمة!!

قلت:

- لا.. لا.. هو كان معجب ببيام الشغالة اللي قبلها!!

رد بولو ضاحكا:

- الشغالات دول مدرسة.

قال أحمد مستكرا:

- خيلنا في حسين.. هنالكه فين تلوقت!!

بحنا عنه في كل مكان.. لقينا شارع شهاب وسوريا عشرات المرات..

سألنا عليه الشيايب.. حيرة كبيرة، فقلت لهم:

- إيه الغلب والغذاب ده؟! نرجع البيت.. يمكن وصل.

وصلنا البيت، وكانت أكبر مفاجأة أن نجده في البلكونة، وجنبه طنط ماجدة.. أخذ يهال يديه، وكأننا لم نتقابل منذ سنة أو أكثر.. والدة أحمد تقف بجانبه في حالة ذهول، وأشارت لنا إشارة نفهم منها أن نصعد فوراً.. فقلت على الفور:

- أطلع يا أحمد.. هات بسرعة.. ده أكيد قضنا.

وفي ليفة حقيقية فتحت الأم الباب لابنها، وسألته:

- هو حسين ماله يا مينو؟

- مش عارف يا ماما.. الظاهر تعبنا شوية لأنه ماتمش من يومين.. هو قال لك إيه؟

- دخل من غير ولا كلمة، وبدأ يلف في كل البيت، ودخل في كل الأرض، ويقول لى إنتو مخيباهم مبنى فين؟ وأخذ كرسي وقعد في البلكونة، رخت له البلكونة وسألته: مالك يا حسين؟ ما ردتش، وبعدين طلب مبنى شاي، وبسكت وما كلمشش.. فيه إيه يا مينو؟
- أنا ها أخده للكتور حالياً.

المهم.. أخذنا حسين وذهبنا إلى الصيدلية، وحكيانا للدكتور الصينلى الموقف، ففصح بإعطائه دواء، وفي اليوم التالي يرجع إلى حالته الطبيعية.. لكن الحقيقة أن حسين استمر لمدة أيام في حالة عدم اتزان.. والشئ الوحيد الذى تمينا معرفته، والسؤال الذى ظل بلا إجابة.. أين قضى حسين هذه الساعات الثلاث!!؟

أما نيفين.. فقد شعرت أن هناك شيئاً ما خطأ، وهى غاية فى النصيحة، ونحاصر حسين، وتراقب كل تحركاته، تقضى معه معظم الوقت، تتركه ساعة أو ساعتين على الأكثر، ولا يفوتها أبداً أن تعرف ماذا فعل فى كل دقيقة، خلال فترة غيابها عنه.

الشهود

وبدأت السنة الدراسية، وكالمعتاد لم أذهب للجامعة، ومن حين إلى آخر كنت ألتقي بجيرانى، سكان العمارات المجاورة، وعند رؤيتي يصرون أن لئلا نركبهم جلسة حشيش، فهم يعرفون أنني كثير السفر إلى أمريكا، أو أقضى معظم أيامى مع أصحابى ما بين الدقى والمهندسين.. أخذ هؤلاء الجيران ضابط شرطة اسمه حسام، ولم يكن أراه كثيراً، ولكن هذا لا يمنع أنه كلما رأيته تجمعنا جلسة حشيش، وذات يوم قابلت جارى شريف ملك الغرز.. والذي بدأ تعاطي البودرة بقوة، وفاجأني قاتلاً:

- شفت للى حصل لحسام؟

- حصل إيه؟

- إترقد من الشرطة.

- لا يا راجل .. ليه؟

- كان فى مأمورية فى السويس، وكان بيشتري بودرة.

- إيه ده!! هو حسام بياخد بودرة!!

- طبعا.. ومن زمان كمان.. والتاجر هناك قصتهم وإداهم بودرة فشكك.

- وبعدين؟

- طلع حسام الطبنجة وضرب نار، والدنيا إنقلب فى السويس، ومثير الأمن

عرف، وطبعاً حسام إترقد.

- ولهو عمل إيه؟

- ولا حاجة.. هيعمل ليه إيه يعنى؟

مرت الأيام والأسابيع.. رامى اختفى، وميشو تاته بيلنا.. بعض الوقت يقضيه مع حسين، وأحياناً معى، وأحياناً فى البيت مع علاء، وأحياناً أخرى مع بهاء.. ولكنه بدأ يشعر بالخوف من بهاء بالذات، لأن تصرفاته أصبحت مريبة وغريبة حتى معنا، بطلب منا مبالغ كبيرة باستمرار، وبحضر لنا أشياء كثيرة ليست ملكه، يريد بيعها، قاتلاً لنا:

- إتصرفوا، وبيعوها.

شئ مريب فعلاً وغير مطمئن، ولم يعد بهاء الذى نعرفه منذ زمن

بعيد.

ماذا يحدث لك يا بهاء؟؟

من خلال هذا الحوار، عرفت أن حسام يتعاطى البودرة.. ومرث الأبله إلى أن وجدت حسام جالسا في سيارته، ومعه صديقته دعاء، ودار بيننا حديث طويل.. وصارحته بقولي:

- مش تقول لى إنك بتضرب بودرة؟

- مين قال لك؟

- عرفت وبخلاف، ثم هى دى حاجة تستخبى.. با لقولك علوزين تضرب مع بعض.

- معاك فلوس؟

- معايا.. عايز كام؟

- ولا لقولك، خليها على المرء دى.. اركب.

ركبت السيارة وتعرفت على دعاء وبدأنا الحديث:

- هاى.. إزيك.

- هاى.. أنا أول مرة أشوفك.

فقال حسام:

- دا صلاح، إما فى أمريكا، أو مع أصحابه فى المهندسين والدقى.. أنا قلت إنك أكيد ضريب، باين عليك، بس علشان دايما مختفى ماكنتش عارف أركز معك، وبعدين هتروح أمريكا وماكنتش ضريب.. إزاي يعنى؟

- لعلك أمريكا مفيش فيها بؤرة، كلها كوك، ومارجوانا.

- وإيه أخيار الكوك؟

- حلو بس مش زى البودرة.. البودرة قاسية وينت "....."، هو إحنا رايجين فين؟

- قرشنا نوصل.. دولاب قريب، بودرة سم.. دى مبكة دعاء.. احكى له يا دعاء.

- اسمها أم سيد فى الجبارة، وهناك فيه باب أسود، لو الباب مقفول يعنى فيه شغل، ولو مفتوح مفيش شغل.

- يا سلام! دا إيه "السيستم" الجميل ده!!
وسألنى حسام:

- إنت بتحب من فين يا صلاح؟

- بصراحة أنا مش بأحب.. أصحابي بيشتروا من بولاق أو الكيت كات.. بنى قول لى.. شكومات والألا شوست؟

- لا.. لا.. لا!! ده إنت قديم بقى.. سوست يا معلم.

- إيه كل العربيات اللي راكنة دى؟ واضح إن أم سيد دى معروفة.

وكانت أول مرة أضرب مع حسام وصديقته دعاء.. ركن حسام العربية فى شارع هادى، وفى أقل من خمس دقائق جهاز المطلوب كله.. الليمون والبرتجات والفنجان فى التابلو، وزجاجة المياه المعدنية جتى على الكنية.. وكملت هذه أول مرة أضرب بودرة مع فتاة، ومن الواضح أن هناك قصة حب قوية بينها وبين حسام، وغمرهما الشعور بالحب والحزن بعد أن ضربنا، وبدأ حسام الحديث: فلان بيضرب.. وفلان كمان.. وفلان.. عشرات.. وشريف لسه خارج من "سويسرا".

وأدشنى أن أعرف هذه الحقائق، فقلت له:

- يا نهار أسود.. إحنا بتكلم عن عشرة أو أكثر من نفس المربع.. مصيبة!!

- مش بس كده.. عارف فلان بيقطع ويبيع كمان.. بس الكمية قلة شوية.. بس بؤرة حلوة بيحبها من غرب السويس.

وهكذا أصبحت أعرف مكان بودرة جديد.

عدت من جديد إلى شلة الجامعة، ومن حين إلى آخر أقابل ريكو، وحسين وميشو، وظهر بهاء مرة أخرى بعد أن أمضى حوالى شهرين فى

'سويسرا' أقصد المستشفى.. وطبعًا تحسنت صحته كثيرًا، وصارحنا برأيه الجديد:

- أنا فهمت النظام، مش كل يوم ضَرْب.. كغاية مرة فى الأسبوع، أو مرة كل عشر أيام.. وبمشى الموضوع.. غير كده هتتفخ.

وفى تلك الفترة، سافرت الغرنقة مع شلة جامعة راندا، وبصفتى وزير التكيف جهزت كل المطلوب، وكالعادة بكميات غير طبيعية قياسًا لعدد الأيام.. مثلاً: كيس فراولة به مائة حبة، كيس صليبة به مائة حبة، و"وقية" حشيش، وثلاثة لترات ويسكى لثلاث ليالى.. كم من المكيفات يكفى أضعاف أضعاف عدد الشئلة، وهذه الشئلة بالذات لديها وفرة من الأموال، بالتالى ليست هناك أى مشكلة بالنسبة لتمويل وشراء كل المطلوب، وكنت أجمع الأموال وأشترى من الشباك أو الباطنية.. كل شيء دفعة واحدة.

سافرناء، وكل منامعه صديقه، ومعى صديقتى راندا، ولم تكن راندا تشعر بأيه مشكلة، بعد 'جوينتين' تصبُح فتاة مطيعة جدًا.. أقول لها بيمين، بيمين.. شمال، شمال.. جهزت علب عصير، ووضعت مكانها ويسكى كولا، وبدنا اشرب خلال رحلة الاتوبيس، وعندما وصلنا كانت الشلة كلها فى حالة سُكْر تام.

وتلك الأيام الأربعة لمضيناها ما بين السُكْر والبرشام والحشيش، وطوال الوقت طرفقات مستمرة على باب غرفتى، البنات والشباب يطلبون 'جوينتات' أو كالسين، وفى آخر يوم، بدأت طُحْن برشام فى الويسكى، وانفجرت القرية.. البنات فى غرف الشباب، ما بين الضحك والصريخ واللبكاء، والخلاقات على أشدها مع إدارة القرية والعاملين فيها.. وآخر يوم فى الرحلة كان أسوأ يوم، وتم إرسال خطاب رسمى إلى الجامعة، بغد يأنها وضعت فى القائمة السوداء، وأصبح ممنوع دخول طلابها هذه القرية مدى الحياة.

اشتهرت شهرة رهيبة فى الجامعة بعد هذه الرحلة.. لم يعد أحد لا يعرفنى، لكن الآراء انقسمت إلى فريقين: الفريق الأول هم شلتى، ومن يريد الانضمام إلى هذه الشلة، التى أصبحت بعد الرحلة أشهر الشلل فى الجامعة، ولتى ضربت سمعتها فى مقتل فى رحلة الغرنقة.. الفريق الثانى يرى عدم الاقتراب مناه وأرأهم عدم التعامل معنا بتاتا.. ولنا شلة خَطَر جدًا، وفى رأى أئنى استمتعت فى تلك الأيام.. كنت أقل الوقت، وألهو كما يحلو لى، معتقدًا أنه ليست هناك أى مشكلة.. فصديقتى تحينى، وهكذا أصحابى جميعًا، وكل يوم.. مخدرات، وشرب، ومعى سيارة أحدث موديل، وما يكفينى ويزيد من المال.. إذًا، ليست هناك مشكلات.

وفى ليلة من الليالى، كان يوم خميس، وكنا فى بداية شهر الشتاء، وكنت فى الحادية والعشرين من عمري، وبعد أن شربت 'جوينتين' وزاجتى بيره، خرجت من البيت وعلى باب المصعد وجئت ميندو، ومعى زُولى.. وأسرعت بقولى:

- إزيك يا ميندو، كنت لسه هاغدى عليكم.

- سبائك، أخبارك إيه؟

- الهارده الخميس.. عبد ميلاد إيليس، جوينتين وتتين بيره، وعازيز أكمل..

ما، فنعمل إيه؟ 'الچاكيز' واللا 'ليارون' واللا إيه النظام؟

- ولادو.. ولادو.. إحنا خارجين فى سبيل الله.

- يعنى إيه يا ميندو؟ هتروحوا تشحنوا واللا إيه؟

- تشخت إيه بس؟ إحنا قررنا نعتكف فى الجامع كام يوم.

- إيه يا حسين الكلام ده؟

- والله جند مش تهريج.. ياريت لو تيجي معانا.

- آخى معاكم فين يا زُولى؟ أنا مش فاهم حاجة.

- تعال معانا، وأنت هتتبسط.. صنتكى الخروج فى سبيل الله جميل.

- طول عمرنا بنروح مع بعض فى أى وكن حنة.. أجي النهارده والفرح لكم
 لأ.. مش معقول.. بس أنا سكران يا جماعة؟ أصل إيه يا ميندو؟
 - إطلع خذ شئ وأنت تقوه، وهات معاك جلايتين.. ثلاثة، ويطانية ومخدة،
 وإحنا بمسكناك.
 - يا نهار أبيض يا زونى.. أنا مش مصتق!! نازل سكران عشان لروح
 الهايكيز، ألقى نفسى خارج فى سبيل الله.
 - إطلع بن، وتعال معنا وجرب، ولو ماعجبكش امشى.. مفيش مشكلة خلاص.
 - ماشى.. نص ساعة.. أخذ دش وأجهز حالى.
 - وإحنا فى العربية.
 وبسرعة أخذت الدش، وبعد أن ارتديت ملابسى دخلت إلى غرفة
 الوالد والوالدة.. وقتت لأمى:
 - يا ماما.. أنا عايز بطانية ومخدة عشان أنا خارج فى سبيل الله.
 - خارج فى سبيل الله مع مين؟
 - مع زونى وميدو يا ماما.
 - والله أنا مش فاهمة حاجة.. إلما خير.
 - عايز حاجة يا بابا؟ كام يوم كده وأرجع!!
 - بعلى هاتوز إيه منك.. إبتدعنى.. إنت اتجننت خلاص.
 - أكيد إنت مش مصتقنى؟! والله خارج فى سبيل الله.
 - ربنا يهديك يا ابنى.. إنك لا تهدى من أحببت.. ولكن الله يهدى من يشاء.
 - باى باى.
 تركتهما وهما فى حالة ذهول، وعدم استيعاب لكل ما يحدث منى،
 ولكنهما قد تعودا مثل هذه المفاجآت الكثيرة والغريبة من حين إلى آخر.. وهناك
 جديد باستمرار..

وعندما ركب سيارة ميندو، سألته:

- هو فيه إيه يا ميندو؟ إيه الموضوع؟ فهمتى.. أنا مش فاهم حاجة.
 - من أسبوعين، وبعد صلاة الجمعة، تعرفت على شيخ طيب.. راجل بركة،
 اسمه عمر المهدى.. زارنى فى البيت النهارده، وقال لى إنه خارج فى سبيل الله
 وعايز ياخنى معاه.. للراجل شخصية محترمة، ووشه منور، وحسيت إنى عايز
 اسمع كلامه.. وبصراحة الواحد محتاج يقرب من ربنا شوية.. إحنا زوئناها،
 ونحربناها أوى.. وبنى وبينك تجربة.. ومفيش مشكلة ولا خسارة.
 وقررنا أن نمر على رامى ونأخذه معنا.. لكنه رفض بكل حسم. ومزينا
 على بنو، ولم نجده، وفيما أظن أنه دخل المستشفى مرة ثانية للعلاج.. وقضينا
 فى الجامع ثلاث ليالى: ليلة الخميس، والجمعة، والسبت.. وخلال الاعتكاف فى
 تلك الفترة، كانت العلاقة بينى وبين راندا قوية، ومررنا بأقوى وأعلى درجات
 الحب.. ومع هذا لم أقل لها أخبارى، ولم تعرف أين أنا، ومتى أعود..
 لا معلومات عنى بتاتا.. وقضينا أجمل ثلاث ليالى.. هدوء تام، صلاة، أحاديث
 نبية، أكل وشرب ونوم فى الجامع.. حياة كاملة داخل المسجد.
 عندما عدنا من رحلة الاعتكاف، أنكر جيداً، أنه كان يوم الأحد بعد
 صلاة الظهر، وافترقنا على أمل اللقاء، والخروج مرة ثانية فى سبيل الله..
 ولازلت أذكر أننى أخذت "الشئ" فى بيتى، وقررت أن أنزل بسرعة لأرى راندا
 فى الجامعة.
 إنها الساعة الثالثة بعد الظهر، وقد افتقدتها كثيراً، لأول مرة لا أراها كل
 هذه المدة الطويلة وكنت أخشى ألا أجدها، فهذا موعد عودتها للمنزل.. وبحيث
 عنها فى المكان الذى تعودنا الجلوس فيه.. ولم أجدها، فذهبت إلى "الكافيتريا"،
 وهناك وجدت أمامى، وعندما رأتى انفجرت باكياً، وجلسنا معاً، وعاتبتهى..
 وبين الدموع المتجمرة قالت:
 - كده يا صلاح.. كده تسيبنى وما اغرقش عنك حاجة أربع أيام!!

- تغافل من إيه؟ هو إحنا هنعمل حاجة غلط؟ بالعكس إحنا هنعمل اللي برضى ربنا.. أنا مش ها أقدر أمسك إينك لو ما تجوزناش..

- ملاب هتجوز إزاي؟

- زوني شرح لى الموضوع.. هتكتب ورقة زواج عرفى ولتين شهود.. زوني ومينو موتوق فيهم مية فى المية.. إيه رأيك؟

- أركيه.. أنا أهم حاجة عندى إلك ما تبتدش عنى نانى أبدا.

- بكره أعدى عليك فى الجامعة، ونروح عند مينو، ونلاقى زوني عنده ونجوز على طول.

- ياه!! وأبقى مراتك!!

- واقتربت راندا لتقبلنى.. قتلته لها:

- أصبرى لغاية بكره، وبعد كده اعملى اللي إنت عاوزاه كله.

- وفى اليوم التالى، مررت على الجامعة، ووجدت راندا فى انتظارى على

الباب. جاءت معى وذهبتا إلى زوني ومينو وأخذتهما معنا.. وفى شارع متفرع

من شارع شهاب، أخرج مينو الورقة والقلم، وكتب ورقة الزواج العرفى،

ورفعت راندا، وأنا أيضا، والشهود زوني ومينو.. قبلت راندا، وقلت لها:

- ألف مبروك يا راندا.. غفيل مانجوز قدام العالم كله، ونعمل أجمل فرح فى

النهار دي كلها.

- وبعد التهنة من زوني ومينو، دعوت راندا على العشاء والاحتفال بهذا

اليوم.

- وتمر الأيام، ونعود إلى الحشيش.. وتوقفنا عن شرب الخمر، وعن

ليونزة.. فقد تصورنا خطأ أنه ليست هناك مشكلة بالنسبة للحشيش.. ليس

بحرام، مثله مثل السجائر.

- معش يا راندا.. والله غصب عنى.

- كلمتك عشر مرات، وطلبت من كل أصحابنا يكلموك.. على طول مش

موجود.. مش موجود!! ممكن أعرف كنت فى الأربع أيام طول؟

- خرجت فى سبيل الله.

- إيه هو اللي خرجت فى سبيل الله.. يعنى إيه؟

- كنت متعكف فى الجامع.

- لا.. مش مصدقك.. إنت بتكذب على.. إحنا كنا مع بعض يوم الخميس،

ولا كان فيه فكرة جامع، ولا فيه صلاة أصلاً، تقول لى خرجت فى سبيل الله؟

- والله يا راندا مش بضحك عليك.. كنت أنا وزوني ومينو.. حتى إننا بهم.

- طيب ليه ما قلنش.. يعنى هو أنا كنت ها لمعك؟ حرام عليك اللي إنت عملته

فى.. أنا قلت إنك خلاص مش بتحببى، ومش عايز تشوفنى نانى.. أنا مش

باطل.. ثلاث أيام ألف وأدور حوالين نفسى.

- معش.. أنا أسف.. ماكنش قصدى.. دى جت كده بالصدفة.. يوم الخميس

قابلت زوني ومينو.. بسرعة أقنعوني، فرحت معاهم على طول.

- طيب كلمنى.. ما كلمتيش ليه.. كنت حتى بطننى؟

- أنا أسف، وعمرى ما ها أعمل كده تانى.. بس إيه ده.. أنا ماكنتش أعرف

إنك بتحببلى أوى كده!! ده إيه الحب ده كله؟

- يا سلام.. وطلعا ولا على بالك.

- لا والله.. دا إنت وحشيتنى جداً.. بس فيه مشكلة كبيرة يا راندا.. اللي إحنا فيه

دا حرام.. حرام جدا كمان.. لازم نشوف طريقة نحل بيها الموضوع ده.. إنت

عارفة زوني ونيفين اتجوزوا عرفى.. وقالوا لما يتجوزوا عادى مش هنفرق،

هو ماخدتش هيعرف أصلاً.. شبلنا بس.

- يتجوز؟ أخاف!!

واستمرت العلاقة مع مريم.. كانت في حالة بحث مستمر عني.. وكنت ألتقي بها مرة كل شهر أو شهرين؛ إذ لا شيء يجمع بيننا.. لا سهر، ولا شرب، ولا مخدرات.. لكنها تحبني بصورة لا يمكن تخيلها أو فهمها.

وتبدأ السنة الثالثة ويأتى شهر مارس، ولم أذهب إلى الجامعة، ولم أحضر محاضرة واحدة.. وذات يوم استيقظت حوالى الساعة الثانية عشرة ظهراً، ونادانى الوالد.. وسألنى:

- إنت خلاص نويت تأخذ كل سنة في ثلاث سنين.. والأى يه بالظبط؟!

- لا.. بس أنا السنة دى قررت التأجيل.

- تأجيل؟! يعنى يه تأجيل؟

- مش عايز أدخل امتحانات السنة دى.. أصل أنا تعبنت من مجهود السنة التى فاتت، وقلت أريح شوية.

- تريح.. يعنى يه تريح؟ يه التريح التى إنت فيه ده؟ طبعاً إنت عارف إنك فتسقط، وإنك ولا حضرت ولا محاضرة واحدة.. وأخذت فلوس الكتب أربع مرات، وما تشترش ولا كتاب واحد.. صح؟

- حضرتك بتزق ليه بس؟! دى مش طريقة تفاهم.

- أصل التى إنت عاوزده.. بس أنا خلاص زميت طوبتك.. مفيش فيك أمل.. وهاخذ السنة بترضة فى ثلاثة، برضة زى سنة تانية.

- لعلك يا حاج دادى.. أنا لو عايز أنجح.. ها أنجح.. ولو عايز أجيب تقدير، ها أجيب تقدير، بس بصراحة أنا مكمل.

- تقدير.. هاهاها.. ضحككتى.. بس أنجح الأول.

- تراهنى؟! تراهنى على يه لى ها أنجح وأجيب تقدير كمان؟!

- التى تقول عليه.

- طيب بَص يا سيدى.. لو نجحت وحيث جيد:

نمرة واحد: أغير عربيتى وأجيب الموديل جديد.

نمرة اثنين: رحلة لأمريكا وتذكرة سفر لخمس ولايات داخل أمريكا.

نمرة ثلاثة: ثلاث آلاف دولار للرحلة.. بئذ ألف دولار.

- وأنا موافق.

- لا يا باشا.. يكتب ويملأ عشان ما نخلفش.

لم يكن عدد الولد أمل فى النجاح بنسبة 1%، والطبع لا أمل فى التقدير على الإطلاق.. ولحضرت الورقة، وكتبت الشروط الثلاثة، ووقع الوالد، وأيضاً الوالدة، والشهود أخى كريم وأخى رولا، وأضاف كريم قائلاً:

- وأنا منى 500 دولار كمان.. يه رأيك؟

- وانتم تحضروا يا بهوات.

لم يكن النجاح أو التقدير هدفى.. إنما كانت أهدافى.

أولاً: رحلة إلى أمريكا؛ لتجول خلالها فى أكثر من ولاية، وأتوقف كاليفورنيا.

ثانياً: أحصل على بعض الأموال من الوالد، وأعمل 'شوبنج'، وأستد راندا بالهدايا الجميلة.. بالنسبة لى من المهم شراء هدايا لأصحابى، وحقاً كنت أشعر بسعادة طاغية عندما أراهم سعداء بما اختارهم لهم من هدايا، وراندا دائماً أبقية، ومع آخر صيحة.

ثالثاً: وأهم شيء.. موضوع تغيير السيارة، فكل أصحابى فى كلية راندا سياراتهم آخر موديل، ولست أقل منهم.. إذا موضوع السيارة بالنسبة لى لى لى.. وحيوى.. طبعاً شيء رائع المباهاة بسيارة آخر موديل أمام الأصحاب والجزان، وأمام راندا، والدنيا كلها.. وكنا نعلم جيداً أن السيارة 'بريستيج'.. وفى تلك الأيام، مصانع السيارات، تنافست فى إنتاج أشكال وألوان من الموديلات الجديدة، وعمرت بها الأسواق والسوق المصرى، وفكرت أن أشتري سيارة 'شيفورليه' سيور آخر موديل.. ولم لا؟

وتتقيداً لاتفاقية النجاح والتقدير المطلوب، تذكرت زميلى فتحى.. تعرفت عليه فى السنة الثانية، وذكرنا معاً آخر شهر فى تلك السنة.. إنه طالب مجتهد

ودؤوب، من أسوان، ويعيش في المدينة الجامعية، يحضر جميع المحاضرات، وحريص على جمع كل الملازم، وشراء الكتب، وتصوير المحاضرات، وهذه الموضوعات العجيبة بالنسبة لى.

لم أضيع الوقت، توجهت إلى المدينة الجامعية بحثاً عن فتحى.. وأخيراً وجئته.. وجلست جلسة عمل طويلة، سألته عن المنهج، الكتب والمحاضرات، ثم اقترحت اقتراحاً وجيهاً:

- يا لفلوك إيه يا فتحى.. أنا عاوزك تقعد عندي فى بيتى.. إقامة كاملة.. هين كنذك وبلسك، وتنسى المدينة الجامعية خالص..

بصراحة.. العرض لا يمكن رفضه.

أعجبني العرض فعلاً، وانتقل للحياة معى فى بيتى.. عمارة أنيقة فى الزمالك، غرفة نظيفة، خدمة على أعلى مستوى، رايح، وراجع من الكفا بالسيارة.. وفى رايه أن عائلتى نموذجية، وليست فيها مشكلة.. المشكلة الوحيدة هى أنا شخصياً.. أما هو، لا يضيع وقته فى غير المذاكرة، وأحياناً يكتب الشعر ويهوى المسرح، وتقمص شخصية شكسبير.

باختصار.. دماغه تختلف عن دماغى تماماً.. هو وأنا عكس بعض مائة فى العائلة..

عقدنا الاتفاق يوم 16 مارس، وقررنا التنفيذ يوم 23 مارس بحجة ترتيب بعض الأشياء الضرورية فى البيت، وبما أن الامتحانات تبدأ يوم 6/6، إذا أمامنا أكثر من شهرين.. ترتيب الأمور، "ونظيط" الدنيا ونذاكر جد، وقت لنفسى فى هذا الأسبوع أتمتع بحريتى بقدر المستطاع، يوم سكر مع علاء، ويوم ضرب مع رامى وأحمد، ويوم ضرب مع حسام، ويوم سهرة مع رائد.. إيه أسبوع الحرية، والوداع.. وكل يوم كنت أستيقظ من نومي الساعة الواحدة وأنلقى تليفونات، وأملأ البيت ضجيجاً، وبعد ما أخرج وأعود بعد منتصف الليل وأكثر..

وكل يوم، يقول لى الوالد ساخراً:

- مليناً تقدير جيد.. ده شىء أكيد.. والله بالمنظر ده ممكن جيد جداً كمان.

- لا.. إحنا اتفقا على جيد بس.. جيد جداً مألهاش لازمة.. ريتج نفسك أنا ما أبدا بعد ثلاث أيام.. دى خطة يا حاج دادى.

وجاء يوم 23 مارس، وكما وعدت فتحى، مررت عليه فى المدينة الجامعية، كان فى انتظارى وعلى أتم استعداد، وأخذنا حقيبتيه وتوجهنا إلى المنزل حوالى الساعة التاسعة. لم يكن فتحى يدخن السجائر بالنظام، وهو على أكثر تقدير لم يتجاوز علبة كاملة فى حياته كلها.. وفى الطريق إلى البيت وثقت بسيارة مثقوفة، وأحس بالذعر، وسألنى:

- إيه ده؟

- إكسبر الحياة.

- ونذاكر لراى؟

- هو ده بتاع التركيز كله، ده ماركة امتياز يا أبو فتحى.

وصلنا البيت، وأعدت لزميلى فتحى المكان الذى يضع فيه ملابسه، ولشبابه الخاصة، وجلست على مكنتى وشرعت فى كتابة أسماء المواد.. وسألته:

- عندنا كام مادة السنة دى؟

- تسعة.

- أنا عندي ثمانية بس!! ليه!! فيه مادة إختفت!!

وقرأ فتحى أسماء المواد ووجدت المادة المختفية، وكتبها على ورقة كبيرة، وثبتها على الحائط، ثم أخرجت قطعة حشيش من درج المكنت، وطلبت من فتحى أن يقلل باب الغرفة بالمفتاح.

- ليه؟

- عشان ألف سيجارين.

- إيه ده؟ هو إحنا مش هنذاكر؟

- إحنا ذاكرنا خلاص.. مش كفاية كتبنا أسماء المواد؟! إنت بتستعبط ولا إيه؟

وبعد أن لقيت سيجارين، سألته:

- إنت حششت قبل كده يا فتحي؟

- لا.. لكن شربت بيرو.

- يا منكرو يا جامد إنت.

- شربتها مرتين فى حياتى.

- طيب النهارده أنا ها اعزفك على الشيكولاته.. بص يا فتحي.. عادى.. زى

السجائر بالتعبط.. إنت مش بتشرب سجائر نرصة؟

- أيوه بالتشرب.. بس يعنى سيجارة.. سيجارين كل فين وفيه.

- أمسك.. خذ نفس واكتم.

- إزاي يعنى؟!

- أنا أعلمك إزاي؟

وبدا فتحي يتابع كل ما أفعله بتركيز شديد.

- باللا، خذ نفس والتانى والتالت والرابع، وزا بعض، يخلوك فى المقص على

طول.. ودلوقت حان دور الكوباية.

- كوباية إيه؟ لا.. لا.. لا.. أنا مش علوز خلاص.. كفاية كده.

وفى ثانية واحدة شغلت الكوباية، وتحركنا ما بين الغرفة، والبلكونة،

بالطبع من غير المعقول أن نحشش فى الغرفة، وبعد نفسين أو ثلاثة من

"الكوباية"، بدأ فتحي يصيح بصوت عال:

- أنا شربت حشيش.. أنا ربنا مش هيغفرلى.. أنا لازم أصلى، ثم قفز على

السريр وبدأ يصلى.

وقف فتحي على السريр بحذائه.. ورفع يديه إلى السماء قائلاً: الله

كبير..

- يفرح عقلك يا فتحي.. هنوتينا فى داهية.

أسرعت إلى المطبخ لأعد له كوب ماء بالسكر ليقبض من هذه الحالة،

وقلت له:

- اسمع يا فتحي ربنا يخليك ولا كلمة.. دقيقة واحدة والرجع لك.. نام على

السريр يا فتحي.. ما تتكلمش، وما تتحركش لغاية ما أرجع لك.

- حاضر.. بس أنا عايز أفوه.. أنا مش فاهم نفسى.. هى بماغى اللى بتلف

ولا الأرضة هى اللى بتلف؟

- طبعاً الأرضة هى اللى بتلف.

بعد دقيقة، رجعت له بالكوب مملوءاً بالماء والسكر، على أمل أن يفيق

وتنتهى المشكلة، وفوجئت بالشخير "العالى.. نام فتحي بملاسه.. ووقعت فى

خيرة.. ماذا أفعل؟! لا شىء سوى أن أقول له:

- تصبّح على خير يا فتحي..

قررت الخروج، ومررت على الأصنفاء، وحكيت لهم ماذا جرى لزميلى

فتحي، بعد نفسين حشيش..

وعدت إلى البيت الساعة الثالثة، ووجدته نائماً، ولم يشعر بوجودى فى

الغرفة.. وعندما استيقظت الساعة الحادية عشرة صباحاً، كان فتحي قد سبقنى

واستيقظ مبكراً، وظل يقرأ فى هدوء حتى أصبح، وكان أول سؤال منه قبل

صباح الخير:

- هو إيه اللى حصل إمبارح؟

- اللى حصل لا يتحكى، ولا يتكلم.

- أنا مش فاكرو ولا حاجة من ساعة الكوباية.. هى اللى تمررتى.

- دا إنت اللى تمررتى يا شيخ.. إستظلت وقعدت تقول لى باحيتها.. وحكيت لى

قصه حب مرّعة.. يا راجل دا إنت كنت هتتعبط.

- لا.. لا.. لا.. مش معقولة.

المهم.. كلما نشعر بالملل، تبدأ حلقة من حلقات مذاعبة فتحي بأفكر
جهنمية مرحلة.. كان من الصعب أن تمر الأوقات بأسلوب تقليدى.. ورسد
معه برنامج الحياة والذاكرة وقلت له:

- أنا رأيي يا فتحي بنظم جدول الذاكرة، وننظم الكتب والملازم، والأوراق
كلها.. والذاكرة كل يوم ماعدا يوم الخميس من الساعة ستة، والجمعة كله
أجازة.. وآخر شهر، نلغى أجازة الخميس ونأخذ أجازة الجمعة بن، وفي آخر
أسبوعين نلغى أجازة يوم الجمعة كمان.. إيه رأيك يا أبو فتحي؟

وكان القرار قرارى فى كل التفاصيل، وكانت لى السيطرة كاملة على
الموقف، وبدأت الذاكرة والتركيز على أعلى مستوى.. وأخذت السيارة إلى
الجراج، ورفعت منها البطارية، كى يصعب على التحرك، ويصعب على
الأصحاب تحذير مكاني.. وبذلت أمى ومعها أختى رولا، بالتبادل، جيذا كبيرا
فى تلخيص بعض المحاضرات، وشرح بعضها الآخر، والسير معنا للمراجعة.
ويكسل صراحة، بذلت أنا أيضا جيذا جبارا.. كنت أذاكر حوالى
14 ساعة فى اليوم بلا توقف، وكان عزائى الوحيد، آخر كل ليلة أكل
"جوينتن"، وأخرج أشربتهم فى البلكونة، وأسمع أغنيتين أو ثلاثة وأنام.

مر الشهران الأول والثانى، وأفراد الأسرة، جميعا، فى دهشة وذهول تام
من الجهد الذى أبنته يوميا.. مذاكرة بجد جذا.. والتركيز عال لأقصى درجة
"مفيش هزل". وبدأت الامتحانات، وأعترف أننى ذاكرت فعلا، ولجأت أحيانا
للبرشام، ولا أنكر أننى لجأت أيضا للغش ممن حولى.. بأمانة بذلت جهدا فى
البلود الثلاثة، وبقينى أننى سأحصل على النجاح بل والتقدير، وبطرقى الخاصة
استطعت أن أعرف نتيجة الامتحان مادة، مادة من الكترول.. مادة جيد، وأخرى
جيد جذا، ولثلاثة مقبول، ورابعة جيد.. وتوقف الأمر على المادة الأخيرة،
لو حصلت على جيد، إذا المجموع الكلى جيد.. وقد كان.

ظهرت النتيجة، والتقدير العام جيد.. والفضل الأول لأختى رولا، والفضل
الكبير لأمى، وأيضا فتحي.. وكلهم بعد ربنا طبعاً، وبحق لى أن أطالب بتفويض
الاتفاق، أو دا فيها ضرب نار..

- هاهنا.. نفذ يا حاج دادى.. العربية الجديدة.. تذاكر السفر لأمريكا.. ثلاث
الآلاف دولار.. و500 دولار يا كبرو.

فى الفترة ما بين انتهاء الامتحانات والسفر، ارتفع عدد مرات ضرب
البودرة، وأصبحت أكثر خبرة ومعرفاً بأماكن الشراء، وأى دولاب يعمل..
وبدأت أحب البودرة، وأعرف كيف أستمتع بالحياة بعد الضرب، والموسيقى كان
لها تأثيرها القوى فى هذا الموضوع.. بدأت أسمع نوعاً جديداً من الموسيقى،
أسمع: "بوب مارلى"، سانتانا، دورز، بروس إسبرنج ستين، داير استريتس..
وأصبح اهتمامى الأول فرق موسيقى "الروك"، وتلأت جدران غرفتى بصور
"بوب مارلى" بال"جوينتن"، وفوق سريرى صور "جيم مورسن"، وأعلام للقرصنة،
وأعلام سوداء لفرق "إسكوريونز"، وكان كل من يدخل غرفتى يذهل مما يراه
من صور وأفكار جديدة وطريقة، فلا يشعر من يجلس فيها بالملل، ووضعت
لوحة، كتبت عليها "انظر.. ولا تفس.. وعلى الباب "ممنوع الدخول"، وأخرى
اللى خليف يروح.

بعد اللجاح المشرف، سافرت إلى أمريكا مع ربكو وميدو، فقد سهرنا
ليلاً وليالى نحلم بهذه الرحلة، وقد كان.. الرحلة كلها مدهشة، بدأتها فى
نيويورك، وطرنا إلى كاليفورنيا، وقد استمعنا أن نتجول فى كل أرجائها بسيارة
نأجرها فى كل بلد.. وكانت الرحلة حافلة بالمؤلف الكوميدي.. أبدأها بما حدث
لنا فى نيويورك.

كنا نستخدم مترو الأنفاق في كل تحركاتنا، وذات يوم جلس بجانبى رجل عملاق من السود، شكله غير عادي بالمرة، أقصد أن شكله مخيف، وفي البداية لم يكن الأمر يعنينى إلى أن وضع زجاجة شمباتا على رجلي، وقال لى بصوت خشن، وببرة حادة وجادة:

- دى بتاعتك.

- دى مش بتاعتى.

فقال مؤكداً:

- دى بتاعتك.

قلت مرة ثانية:

- دى مش بتاعتى.

وفى الثانية ذاتها، وجدت "مطواة" فى جيبى، وفوراً مندت يدى وأخذت الزجاجة.. وقلت له:

- دى بتاعتى.

- 38 دولار.

- بنس!؟ والله يا بلاش..

وأخرجت 20 دولار من جيبى.. وقلت مستجداً:

- واحد منكم يطلع 20 دولار بسرعة.. فيه "مطواة" فى جيبى.

- "مطواة!! إمبك يا عم.

أخذ الرجل 40 دولار.. وبكل نزاهة أخرج من جيبه 2 دولار وقال لى:

- الحق حق.

وبدأنا النظرات فى صمت، وأسرع الرجل بالنزول فى المحطة، واختفى فى ألمح البصر، بينما نحن الثلاثة لا نصدق ما حدث، وسرنا إلى الفتق ونحن فى حالة ذهول، وأحضرننا ثلاثة أكواب لتحفل بزجاجة الشمباتا،

التي اشتريناها دون رغبتنا.. ووجدنا فى الزجاجة ماء، مجرد مياه.. وهذا، فى تلك اللحظة، سرحت فى بعض التكريات والتساؤلات..

ولاً: تذكرت ما كنت أفعله فى الزجاجات التي يشتريها الوالد لأصدقائه الضيوف.

ثانياً: لماذا لم يترقنا ويأخذ ما يريد من أموال دون حاجة إلى قصة الزجاجة؟

ثالثاً: لماذا أعاد لى "دولارين" من الـ 40 "دولار"؟

والإجابة.. هذه هى نيويورك.

وجدنا كاليفورنيا مبهره.. ومن حسن الحظ أن أصحابنا من أيام المدرسة يعيشون هناك.. بعضهم التحق بالجامعات، وبعضهم يعيش مع أسرهم.. مما جعلنا نشعر بالأطمئنان.. ففى هذه الولاية عشت من الاصدقاء يمكن الاعتماد عليهم.. ونزلنا عند أصحابنا فى لوس أنجلوس ووفروا لنا الماريجوانا، الويسكى والكوك.. وحقيقة الأمر لم يعجبني ولم يكن يستهوينى، لأنه دائماً كان يقارن بالبوردرة التي أحييناها، وهذا لا يمنع أننا كنا برضه نضرب كوك..

وبعد يومين قررنا أن نساغر إلى سان دييجو، وطلعنا المطار، ووقفنا فى الطابور.. إنه طابور طويل، ويجانبنا طابور آخر صغير.. واقترحت عليهما أن ننقل إلى الطابور الأصغر فهو أسرع.. ومرت الإجراءات سريعاً، وكان المفروض أن نتجه يميناً.. لكننا اتجهنا إلى اليسار، وكل منا وضع "كوك مان" على أذنيه، نسمع "إف إم" وهى روعة فى كاليفورنيا.. فهم دائماً يذيعون أفضل وأحدث الأغاني، وفى يد كل منا كوب بمكافيه، وفى الواقع أنها أكواب ويسكى، ونحن الثلاثة فى حالة سكر غير طبيعية.

وكانت أولهم فى دخول الطائرة، واستقبلتنا المضيفة بالاستئام المعتادة

قليلة:

- الطائرة قاضية.. أفعدا فى أى مكان يعجبكم.

ومن ورائي سار أحمد ورأسي.. وكأني جالس في آخر كرسي الطائرة، لقد تعودنا منذ أيام الدراسة الجلوس في آخر صف.. وقول الوقت لم يرفع أحد منا إلا "ووك مان" من على أذنيه.. وتمر دقائق، ولم يقل أحدنا جملة أو كلمة للأخر.. المهم.. كالمعتاد أيضاً بدلنا مداعبة المضيفة، كما يحدث معنا في مواقف كثيرة مختلفة.. وبعد جولة من المداعبة والضحك، سألتنا المضيفة:

- يشربوا إيه؟

قلنا في صوت واحد:

- ويسكي.

لم نتردد، وأخضرت لكل منا زجاجتي ويسكي صغيرتين "بلاك ليبل" ونسعدنا بهذا الكرم، والأناقة في التعامل، ولكن أذهشني أن الرحلة لا تزيد عن نصف ساعة، ونحن في الطائرة منذ ساعة.. احترت، فقررت أسأل المضيفة متى تصل سان دييجو.. ودار بيننا أغرب حديث:

- هو مش المفروض الرحلة نص ساعة؟

- لا.. الرحلة أكثر شوية.. هو إنيتم رايتين تعملوا إيه في سان فرانسيسكو؟

- إحنا مش رايعين سان فرانسيسكو.. إحنا رايعين سان دييجو.

ذهلت المضيفة، وطلبت بطاقة ركوب الطائرة، وأخذتها مني وطارَت على أول الطائرة.

إذاً لقد ركبنا هذه الطائرة خطأ!! إنها مشكلة، أصحابنا في انتظارنا في سان دييجو، وسنظلنا ليست معنا.. إنها على الطائرة المتجهة إلى سان دييجو!! ثم ماذا نفعل في سان فرانسيسكو؟ نعم هي كانت في الخطأ، لكن ليس بهذه الطريقة!! لا.. لا.. لقد وقعنا في مشكلة، لا بد أن نطالب بالتعويض بسبب هذه الغلطة.. ثم لا توجد طائرة اليوم متجهة إلى سان دييجو!!

إنها فرصتنا.. فرصة ذهبية جاءت لنا من السماء ونحن فوق السحاب. وفي موضوع الطيران، والطيارات، والتعويضات كنت أستاذ الأستاذة.. ولذكر أول رحلة، سافرت فيها على خطوط جوية أجنبية، وجاءت الطائرة من لينا كاملة العدد، وليس عليها مقعد واحد خال، فاضطروا إلى تحويل التذاكر إلى اليوم التالي على خطوط أخرى، وأعطوا كل تذكرة تعويضاً قيمته خمسمائة دولار.. حدثت هذه الواقعة في أولى رحلاتي لأمريكا، وفي تلك الرحلة ضاعت حقائبي ما بين شركات الطيران، وأخذت تعويضاً قدره 1250 "دولار" على كل حقيبة.. وحزلت على حقائبي وما فيها من ملابس وهدايا.. بعد هذا الموقف كنت في كل رحلة أخرج بحقيبتني من المطار، ثم أعود وأبلغ عن فقدان الحقيبة، وأحصل على التعويض.. ولا أنكر، وبصراحة بعض شركات الطيران كانت محترمة جداً.. أعطتني تعويضات كبيرة، وفي تصوري أن هذا يشفي غليلي ويعوضني عن ضياع حقائبي في رحلتي الأولى.

انقلب الدنيا رأساً على عقب.. على الطائرة ثلاثة ركاب استقلوا خطأ لطائرة المتجهة إلى سان فرانسيسكو، ونزلنا مطارها ونحن سكارى، ولا نكاد نشاك أنفسنا من الضحك، وننظاها بالجدية والغضب، وأردت الاستفادة من هذا الموقف أكبر فائدة ممكنة.. وكان رأيي يريد العودة مرة أخرى إلى نيويورك لينجول في شارع 42 الذي نراه في أفلام السينما، وتصور بأنه ملئ بكل أنواع المخدرات، وفتيات الليل، ومغامرات السود.. وعلى الفور تشاورت مع أصحابي قائلاً:

- أنا ها أتصرف.. سييوهم على.

وكم كان مدير مكتب شركة الطيران في مطار سان فرانسيسكو رقيقاً ومهذباً، وسألني بعد تقديم الاعتذارات لنا عن التعويض المطلوب.

تكلمت بمنتهى الثقة:

- بالنسبة للتعويض، نريد الآتي:

أولاً: إقامة كاملة في فندق 5 نجوم في سان فرانسيسكو لمدة ليلة.. وذهاب
وعودة إلى المطار.

ثانياً: إحداً مُضْطَرَّ إلى تغيير خط السير، والمطلوب تذكر طَيَّارٍ إلى
نيويورك، وعودة إلى سان دييجو.

ثالثاً: يتم تسليم التسلط في مكتبكم في نيويورك.

رابعاً: 200 دولار لكل واحد لشترى ملابس للنهاره وبكره.. مثل
عازرين أكثر من كدة، ولو مش موافقين هنروح لمحامي في سان فرانسيسكو،
ونرفع قضية.. والقضية اكيد في صالحنا.

أغرب شيء، تمت الموافقة على النقاط الأربع بعد عشر دقائق، شيك
بمبلغ 200 دولار لكل منا، وسيارة ليموزين تأخذنا إلى الفندق، وتذكر الطائرة
إلى نيويورك في عصر اليوم التالي.

وصلنا إلى نيويورك، وأضيقنا بها أربعة أيام، تحولنا خلالها في
شارع 42، وجريتنا جميع أنواع المخدرات، ودخول ابارات، ولعب القمار..
وبصراحة لم تعجبنى الحياة في نيويورك ولم تستهويني.. إيقاع الحياة مربع،
والإحساس بالخطر عال جداً.

وهناك مررت بموقف غريب.. كنت في جولة لعمل "شوبنج"، وكان
هناك اتفاق مع راندا على إعلان خطوبتنا بعد العودة من أمريكا مباشرة.. وفي
محل أتيت، اخترت بذلة "مذهشة"، جريتها، وبذلة أخرى أنيقة، وثالثة، وأخيراً
استقر رأيي على أكثرها لاقية وأغلاها ثمناً.. كانت رائعة بالقميص والبايون..
تمام فعلاً.. وقلت: أنا اشتريت، ثم أقيت نظرة أخيرة أمام المرآة، وفجأة عرسي
إحساس غريب.. بأن هناك شيئاً ما خطأ.. ماهو؟ وما تفسير هذا الإحساس
الغريب؟ كنت أدري..

التفت فوجدت رامي بجانبى.. وقال لى:

- جولة جداً.. متروك عليك يا صاصو.

- لا ياريكو.. أنا مش هاتجوز راندا.

ولم يفهم.. ولم يسألنى تفسيراً.. وأعدت البذلة مكانها.. لم أشتر بذلة
الخطوبة، وقلت:

- باللا بينا يا جماعة.

انتهت هذه الرحلة الجميلة.. وفي طريق العودة إلى القاهرة، توقفنا
توقفات في أمستردام، عاصمة هولندا، صاحبة قانون تعاطي المخدرات
العجيب.. كانت فرصة قصيرة لشرب وتعاطي المخدرات علناً.. فالقانون
بحسب!! والسؤال الذى يطرح نفسه: ليه مصر ما تسمحش للضريرة بالضرب
زى هولندا؟ هو ده التقدم واللا بلاش.

اشترينا أفضل وأحدث أجهزة التعاطي: "بابب" لتسخين الحشيش، ورق
بفرة بأشكال مختلفة، على هيئة مائة دولار، وعلم أمريكا، وأخيراً ماكينة للف
السجائر.. بعد العودة إلى مصر ساعدتنا هذه الماكينة المعجزة على الجلوس في
صالات الديسكو، ونحن ندخن الحشيش، وكان مستحيلاً أن يفرق أحد بين
سجارة هذه الماكينة العبقريّة، والسجائر التى تنتجها الشركات العالمية.. نجلس
في المكان وندخن الحشيش وفجأة تقوح الرائحة، فيتحرك "الوينرز" حول الموائد،
ولكن لا يستطيع أحد معرفة مصدر هذه الرائحة.. فالمكان مزدحم والنكل فيه
يشخن بشراهة.. وتستمر في الضحك على ما نفعله.. ويتحدث كل الحاضرين
عن هذه الرائحة، ولا يعرف أحد من راءها.

إنها رحلة لن تتكرر.. سافرنا من الشرق إلى الغرب.. شمالاً وجنوباً،
ومررنا بمواقف، ليس لها أول من آخر.. وكانت الخطة أن نعود إلى مصر في
أول أكتوبر، وكالمعتاد غشنا في آخر ديسمبر.. رجعنا بعد ما صرفنا كل
ما معنا، وليس في محفظة أحدنا أكثر من خمسة دولارات، وقد لا نستطيع دفع

أية مبالغ في الجمر، وأمل أن أستطيع الدخول بسهولة ومعى إسترىو جني
وصغير.. وظللت طوال الوقت أتمن: ربنا يسهل وينعنى.. واستجاب الله
لدعائى.

يوم عصيب

عذنا نحمل معنا ذكرياتنا.. واقعة الطائرة، وقصص وروايات هوليوود..
وأهم شىء فى الدنيا:
"الكوبيرتين"، وحفلات "فيل كولنز"، داير سترينس، جزر آلد روزيس، كينكس،
إسكورتيلوز، دروس سبرنجستين.. وكان برنامج الرحلة يقوم أساسا على
الحفلات، وأماكنها ومواعيدها.
وفى تلك الرحلة كان ألسونا فى الضرب غربنا، يبدأ لحظة استيقاظنا
من النوم، بمعنى أن نضع فى قمنا "جوينت" ماريجوانا، وكل منا يأخذ نفسين،
ويتعذما نطفر، وأحيانا لا نطفر.. أيضا أحبينا كثيرا زجاجات الويسكى الصغيرة،
وكنا على قناعة تامة، مائة فى المائة، بأنه إذا شربنا الويسكى فى الصباح، لن
نبحث لنا صداع بسبب الشرب فى الليلة التى تسبقها.. وعندما سألنا عن
البوذية، كانت الإجابة من الأمريكين بأنهم لا يعرفون لها مكانا محددا، وفى
رأيهم أنها نوع خطير من الإيمان، لذا يخافون ويخشون كثيرا من التعامل مع
البوذية، وكنا نرد بأننا ليست إيمانا، وأنها تضرب منذ سنوات.. لذا كنا نضرب
كوك، وجربنا شيئا جديدا وخطيرا يشبه الماكس فى مصر يسمى "إسبيد"، فيظل
الإنسان مستيقظا لمدة يومين، 48 ساعة، فى حالة نشاط على أعلى درجة،
ولم يعجبنا، لكننا مررنا بالتجربة.
وصلنا إلى مصر آخر ديسمبر.. إنها السنة الدراسية الرابعة بالجامعة،
وفى تلك السنة وقعت أحداث الأمن المركزى، ولم نتوقف عند أحداثها كثيرا، فقد
كنا شوقنا كثيرا للأصحاب والجلسات الجميلة معا، وأيضا لأنواع المخدرات،
التي تعودناها وصديقاتنا من البنات، لنحكى عن رحلاتنا والمغامرات التي
عشناها.

كان أول مشوار ذهبت فيه مع رامي إلى أم سيد الساعة الثانية، واشترى كل منا ورقة وهي تكفي اثنين أو ثلاثة، واشترينا السرتجات والليمون، وزجاجة المياه المعدنية، وفي جاردن سيتي، وفي شارع هادي، وقفنا بالسيارة وضربنا، ولم نتحرك إلا لشراء سجاير، وتوقفنا بالسيارة مرة أخرى، ثم تحركنا.. وهكذا حتى الساعة التاسعة، ثم توجهنا إلى المهندسين، ووجدنا كل الشباب عند ميدو.. كان واضحاً علينا عدم الاتزان، ولا تعليق من أحد، وجاعني بهاء الندى توقف عن الضرب لمدة شهرين كاملين، وسألتني:

- معاك نص سنتي يا صلاح؟

- طلبك عندي يا إكبلانس.. ذا إنت طول عمرك أبو التواجب.. باقول لك إيه يا رامي.. اغضل واجب إنت كمان مع بونو.

- أنا أصلاً جهزت له سوسته في العربية، وقلت مش ها أدبها له إلا إذا هو طلب.

دخل ميدو في الحديث قائلاً:

- أنا عايز خطين.. شكلها بوردرة سم.. هات بسرعة يا صلاح قبل ما علاء يرجع.

- مائى.. أحسن حاجة تضرب وللزل بسرعة.. مش عاوزين مشاكل وخدقات مع علاء..

كانت نظرة واحدة إلى المرأة كفيلاً بشرح الشعوذة التي نعيشها، وأنه يمكن تصديرها للآخرين.. وبعد أن ضرب ميدو الخطين في الحمام، إنطلقنا إلى شارع شهاب.. كان لنا هناك مكان محدد على الناصية.. نقف عنده نشاغب ونعاكس "الرايح والجاى"، ولو مرت بنا واحدة وصاحبها، معناها الضحك للصباح بلا توقف.. يكفى أن نسمع تعليقين من بونو.. فلا نضحك ونحن، بل يضحك المارة أيضاً ضحكات من القلب.. ومن أقواله في هذا الموقف:

- ده شارع شهاب ولا جنة ربنا في الأرض.

- اسمعى يا قطة.. أنا مش باعاكس.. أنا عايز عنوان البيت، أصل أختي عايزة تتجوز، وأنت أكيد عندك أخ.

- أنا بهاء الشهيد بيونو، صاحبة أغيان، 8 قدامين بزنطال، و3 قدامين كمترى وشجرتين مانجو.. وأخدة عشانى، والثانية عشانك، ونقعد ناكل ونلعب لحد ذيك ما بقول كوكوكولا.. أصل أذكى يتاعى فاتح كشك..

وإذا مرت بنا فتاة بملايس رياضية يقول:

- وإكايين يلعب مع مين.. أكيد كوم الممن.. أو أبو الغيط؟ نفسى أجيب جون في المقص.

وكان معنا زونى فى كل هذه الألام.. ولكنه يكفى بالسيجاريتين المتوقفتين، وزجاجة البيرة.. فقط لاغير.. فقد وعى الثرس جبناً.. حشيش وبيرة وس.. درس البركينول كان قاسياً عليه.

وفى اليوم التالي، وحوالى الساعة الحادية عشرة صباحاً، جاءنى رامي، وطلب الاستعداد للخروج سريعاً، قائلاً:

- يلا بيينا على أم سيد.. وبسرعة.. عنينا ميعاد مع الليزات اللي كانوا معنا على نفس الطائرة.. أنا اتبنتهم رقم تليفونى، وكلمونى وصحونى.. وقالوا لى عاوزين بشوفك إنت وصاحبك الرفيع ده.. قالت لى إيك عجبت صاحبها مایسه.. بس أنا مش فاكس مایسه مين فيهم؟

- مش فارقة.. الاتنين مزر.

- واتفتت معاهم على ميعاد عندي فى البيت الساعة واحدة.

- ووافقوا على طول كذا؟

- حصل.. وقالت لى مفيش مشكلة.. فقلت لها عطينا الغدا.. قالت لى الغدا بس..

قلت لها والعشاء كمان؟ إيه النظام يا صلاح؟

- قل لى الأول، فين باباك ومامتك؟

- طلعوا الغريقة إمبراح بالليل.

- يا جماله.. دا يوم رياضى؟

- ياللا بينا.. لروح يشتري كام تذكرة من لم سيد.. ويرجع على بيتي.

- قل يا ريكو.

وبعدما ضربنا فى بيت رامى، قلت له:

- بئس يا ريكو.. ما يضربش كثير.. علشان يشوف النظام مائى إزاي.

- ماشى يا معلم.. بتدين نعلنى زى ما إحنا علوزين.

دارت الموسيقى، ووصلت نادين وصديقتها مایسة الساعة الواحدة،

ورحبنا بهما.

- هاى.. هاى.

فقلت مایسة:

- بيتك حلو يا رامى.

- اتفضلى..

- أصل مامته ذوقها حلو.

وقالت صديقتها نادين:

- هتشرّبونا إيه؟

- بيرة.. وبسكى.. خشيش.

نادين:

- الصبح كده؟

رامى:

- دى تبقى أحلى إسمورتيج.

نادين:

- أنا أخذ بيرة.

وقالت مایسة:

- وأنا كمان.. وإنتم وبسكى طبعًا.

فقال رامى بلا تردد:

- لا.. إحنا بودة.

لم يكن رامى يخفى هذه الحقيقة للمرأة، وبكل جرأة يعلن إنه بيضرب

بودة، كأنها مثل البيرة.. وكلامه أدهشهما، وبدأت التعليقات من البنات:

- بودة؟ أنا عمرى ما شفتها، بس سمعت عنها.. إنت جريت البودة يا نادين؟

- لا.. تبحر نجرّب ونأخذ؟

- لا يا شيخة.. أخاف.

وتدخل رامى فى الحوار:

- ما تخافش.. ما إحنا فداكم أهه.. جهاز خطين حلوين يا صلاح بس

متنوّصش.. دول أول مرة يا معلم.

- إئوئى دقيقتين.. بس قولوا لى إنتم من فين؟ وفى جامعة إيه؟ وكنتم بتعملوا إيه

فى أمريكا؟ صحيح إحنا مانعرفش عنكم أى حاجة خالص.

فقلت مایسة:

- نعى إحنا نعرف عنكم أى حاجة!! إنت فى كلية إيه؟

ردت:

- أنا فى تجارة خارجية.. ورامى فى سياحة وفنادق.. بس إحنا مع بعض فى

الفصل من حضارة لثانوية عامة..

- ياه.. حلوة دى.. وكنتم بتعملوا إيه فى كاليفورنيا؟

- كنا عند أصحابنا، بنلف.. وقعدنا هناك 5 شهور.

وقالت نادين:

- وإحنا الاتنين من مصر الجديدة، وعائيتين فى لوس أنجلوس.. فى الجامعة

هناك.

- يو.سى. إل. إيه!!

فتساءلت مایسة فی دهشة:

- عرفت إزای یا صلاح؟

- طبعی.. ما هی أشهر جامعة فی لوس أنجلوس.

وهمس رامی فی أنفی قائلاً:

- خف البودرة شویة یا صاصو، بعینین یَقْعُوا مِنَّا، ومش ها نعرف یَعْمَل شغل.

- خلاص.. نَقْسَم الورقة علی أربعة.. ونأخذ أنا وأنت كل واحد فینا نص.. قشطة؟

- ماشی، بمن أنا ما یَقِشش أعرف أشم.

- لیه؟! مَنَاخیرك إَسَدَت واللا إیه؟!

- لا.. السوست حاجة ثانية.

أخذت البنات الخَطِین فی هدوء.. وبدأت اللیلة.

بدأها رامی بالعزف علی الجیتار.. ونال تشجیع الجميع.. ثم جمعنا

جلسة مريحة ضاحكة، واستمعنا إلى الموسيقى وأغنية هادئة، ورقصت مع نادین،

ورقص رامی مع مایسة، رغم أننی فهمت منذ البداية أن مایسة معجبة بی

شخصیاً، وصديقتها معجبة بصديقی رامی، وبصراحة لا فارق.. وبكل اهتمام،

سأل رامی مایسة:

- مالك؟ حسیتی بحاجة؟

- آه .. یعنی نِیمانة.. وإنت یا نادین حاسة بحاجة؟

- حاسة إنی مبسوطه.

فقلت:

- بَأَقُول لَکُم إیه.. إحنا نَلْعَب الإزارة.. خَلینا یَضْحَك شویة.. تعرفوها؟

فقالَت مایسة ونادین معاً:

- طبعاً.. نَعْرِفُهَا.

وبدأت اللعبة بأسئلة خفيفة، وضاحكة، وبسرعة رَفَعَت درجة حرارة

الأسئلة:

- یا مایسة.. صاحبتِ كام واحد فی حیاتك؟

ردت "بهنوء":

- ثلاثة.

وبدأت الأسئلة الصريحة حول العلاقات العاطفية، وبدأت الأحكام، وتبدلنا القبلات وتطورنا إلى مناطق أكثر سخونة، وارتعدت رعباً، عندما حكمت نادین علی مایسة أن نأخذ خطأ آخر من البودرة.. وبصراحة لم أكن أريد أن نكررا التجربة.. كلتاها لذیذة وظریفه، والأطرف البقاء فی حالة من الحيوية بدلاً من "البهذلة"، إذ لم أُنس أول مرة، وأول تجربة فی حیاتی.. أخذت خطین، وكنت فی حالة غريبة من التراجع والغیوبة.

فتح رامی ورقة جديدة، وعمل أربعة خطوط، وطلبت منه همناً أن يعد لنا سِرِنَجِین، بعيداً عن غرفة الاستقبال حتى لا یروننا، والتفت إليهما فوجدتهما تَضْحَكان.. فكل منهما أخذت خطین من الأربعة.. بمعنى انتهت التذكرة الكاملة، وقالت مایسة:

- علشان تعرفوا إن إحنا ما یُهْمَنَاش حاجة.

فقلت:

- یا نهار أسود.. شُفَت یا رامی؟! دول خَدُوا التذكرة بِحَالِهَا.

- مش مهم، أنا لستہ معایا بُونرة ثانی.

ردبت بغضب:

- بُونرة ثانی إیه یا مَجْنُون؟! دول كده هِیَافُورُوا.. هو أنت فَاكِرْهُمْ زَیْنًا؟

- یَافُورُوا إیه بس؟! ما تَخَافُش یا أخی.

ظلت الموسيقى تنوی فی أرجاء البیت، ولكن بصراحة عمرنی القلق، وتكهرب الجو فی البیت.. وبعد عشر دقائق، بدأت مایسة تنقبأ فی الصالون..

ومدخل البيت، واستندت إلى كتف نادين في اتجاه الحمام، وهى الأخرى تَكَرَّج في خطواتها، ولا تحتمل نقل زميلتها على كتفها، فأسرعت إلى مساعدة نادين، وقلت لها:

- حَاسِنِي.. أنا أساعدها.

وقبل دخول الحمام، أغمى على مایسة بین يديّ، فصرختُ:

- يَا نَهَارُ أَسْوَد!! دى أَفُورَتْ!! مش قلت لك يا رامى!!

وفى الثانية نفسها، أغمى على نادين، ووقعت على الكتبة، وأصبح معنا جنتان، واحدة فى حالة إغماء كاملة.. وقاصلة تمامًا.. والثانية ملقاة على الكتبة بخُرْف، ولم نفهم كلمة واحدة مما تقوله.. وبدأت ألف وألور حول نفسى، وسألت رامى قائلاً:

- نعمل إيه يا رامى فى المصيبة دى؟ يارب عَذِّبْهَا لَنَا على خير.

- نشربهم مِئَة بِسْكَر؟

- ميه بسكر إيه بَسْ!! هما مَسَاطِيل!!

وبدأت أرض الماء المثلج على وجه مایسة.. وجاء رد الفعل ضعيفاً، فقلت:

- الحمد لله.. عایشة.. بس أنا خايف أحسن يموتوا.

وشعرت أن الخوف يتصبَّب من أطراف أصابعى.. دُمى "شَفْ".. وحاولت مرة أخرى بالماء المثلج، ورش الكولونيا، واسترجعت معلوماتى فى الإسعافات الأولية، مثل: إجراء تدليك القلب، ومحاولات التنفّس، وقبلة الحياة، والضرب على الوجنتين، ورش المزيد من الماء المثلج والكولونيا..

ناديت رامى بأعلى صوتى، وجاعنى فوراً، وقلت له:

- تعال يا رامى.. إنتَ فِين يا أخی؟ خَلِّيك مع نادين.. حاولْ تَقْوِّهَهَا.. كَفَايَة واحدة يَأْفُورُ.. وتموت منا.

- أنا ضَرَبْتُ يا معلم.. ودى سِرْنِجَتِكَ.

- ده وقت ضرب؟! مش عايز أضرب.. شوف نادين أحسن تكون أفُورَتْ هى جَمَان.

وسيطر على الرعب إلى أقصى درجة.. رَشِيت على مایسة المياه والكولونيا.. وأخيراً بدأت تفتح عينيها.. وسمعت صوت نادين الضعيف يسألنا:

- إحنا فِين؟! مایسة فِين؟! هو إيه اللي حصل؟!!

وتمر دقائق.. تفتح إحداهما عينيها، وتعود فى غيبوبة من جديد، وهكذا مع الأخرى ونحاول نحن إفاقتهما بكل الوسائل.. وظل الحال على هذا المنوال حتى الساعة الحادية عشرة.. وأخيراً وقفت نادين على رجليها، وبعد ساعة وكأنها الدهر كله، وقفت مایسة.. نعم، معهما سيارة، إنما من المستحيل قيادة السيارة بهذه الحالة.. وكان سترًا من الله أن أهل رامى سافروا إلى الغردقة، وإلا كنا سنواجه فضيحة كبرى.. والحل المثالى الوحيد تركهما تمانان حتى الصباح.. وليحدث ما يحدث.. ولم تَكُنْ تمر سوى دقائق معدودة إلا وأدخل لأراهما واطمنن أنهما يتنفسان.. وأنفس أنا الصُعْدَاء، وَقَلْتُ لِصَاحِبِي:

- يا رامى هات السَّرْنِجَة.. البنيتين دول قولوْنِي.

وبعد أن ضرب لى، لأننى لم أكن أعرف كيف أضرب لنفسى حتى ذلك الوقت، جلسنا معاً فى البلكونة نسمع الموسيقى، بين النوم والصحيان.. وحوالى الساعة الثانية قررت إيقاظهما من النوم:

- باللاً إصْحُوا.. حرام عليكم إيه اللي عملتوه فينا ده؟

سألت نادين:

- هى الساعة كام؟

- الساعة اتنين.

وسألت مایسة:

- إحنا مارَوْحَنَاش بيتنا؟

- لا.. رَوَّحُوا ورجعوا تاني.. طبعاً مارَوَّحُواش، تروحوا لراى وانتم فى الحالة دي؟

- إحنا لازم نقوم.. بس يا مایسة أنا مش قادرة.

- ولا أنا.. لكن نول هيقفلوا علينا لوى.

- مش مهم.. ننام، وبكره نفكر فى اى فيلم.

ونامت كلتاها فى أكل من ثانية.. وقلت لرامى:

- باقولك إيه يا ريكو.. أنا كمان هالام هنا.. وبكره نخلص من البنين دول..

پروحو.. دول كانوا هيتبنونا لسود.

- لا.. مخطط وإنت الصائق.

- الحمد لله يارب.. ربنا سترها فعلاً.. يوم عصيب ومر.

المساة الأولى

استقبلت، واستيقظ صديقى رامى أيضاً حوالى الساعة الواحدة ظهراً، ولم نجدهما.. ولا ندرى متى وكيف خرجت الفتاتان.. ولم نرها مرة أخرى.. ولم تكن نريد رؤيتهما، فقد مررنا بتجربة خطيرة وقاسية، ونحمد الله أنها مرت على خير.

ومنذ عودتى من رحلة أمريكا الأخيرة، كنت أشعر أن هناك تصرفات غير عادية من راندا.. لم تكن هى راندا التى أعرفها.. الابتسامات مختلفة.. بها لكسار غير مفهوم، وكأنها تخفى خطأ ما.. وسألتها عشر مرات وأكثر:

- فيه حاجة يا راندا؟ إنت متغيرة.

- لا مفيش.. هيكون فيه إيه يعنى؟

- متأكدة؟

- طبعاً متأكدة.

واتفقت مع راندا أن أمر عليها فى الجامعة الساعة الواحدة، وأخذها معى لى بيت رامى، فأهله فى الغردقة، وأردت أن أعطيها شنطة كاملة مليئة بالهدايا، وملابس أنيقة من أرقى بيوت الأرياء وكلها آخر صبيحة. وصلت قبل موعدى ساعة.. وكانت الساعة وقتها الثانية عشرة.. كان عند راندا محاضرة حتى الساعة الواحدة، فالتقيت بأصحابى.. واستقبلتني الشلة كلها بحرارة.. اقترب منى مصطفى وطلب منى أن ننفرد معاً فى جلسة خاصة، ولم أستطع إخفاء قلقى، وسألته:

- خير يا مصطفى؟ فيه إيه؟

- أنا عازبك فى موضوع.. تعال بعيد شوية.. بص يا صلاح.. إنت عارف، إن
بحبك أد إيه.

- طبعاً يا ابنى.. إحنا إخوات.

- علشان كده أنا مضطر أقول لك ومن غير لف وتدوران، راندا من عشر إيلم
كانت مع أسامة فى 'كوفى شوب' فى الزمالك.. وفى اليوم ده كنت خارج مع
سماح، وقلت لها تعالى يا راندا ننغدى سوا، واعتذرت لأنها عازبة ترووح
بنزى.. المهم أنا وسماح رَحْنَا نفس 'الكوفى شوب'، وفوجئنا بأنها هناك مع
أسامة، والقاعدة مريحتش.

- أسامة مين؟

- الولد التخين، اللي دمه خفيف.. لما تشوفه حتعرفه.

- وبغدين؟

- طبعاً هى اتخصت واترعبت لما شافتنا وماعرفتش تعمل إيه.. وطبعاً لأننا
إحنا اللئى داخلين المكان، فَرَحْنَا نسلّم.. وهو قال لنا: اتفضّلوا.. اقعّدوا معنا،
لقد يا درش.. قلت له: لا نسيبكم تقعدوا لوحدكم.. دا أنا لسه كنت مقابل راندا
فى الجامعة، وقلت لها تيجى معنا، فقالت لى لأ، علشان لازم ترووح بنزى.

- أنا فعلاً كنتُ ها ترووح بنزى، بس أسامة قال إنه عازبى فى موضوع مهم،
فجينا مع بعض نكلم شوية.

- وبغدين يا مصطفى؟

- رُئيت وقلت: طيب نسيبكم نتكلموا فى الموضوع المهم.. وسماح ما قالتش
ولا كلمة، وقعدنا فى ترابيزة بعيدة شوية، وبعد عشر دقائق، راندا جت لنا
وقالت: أنا عازباك يا سماح دقيقة واحدة، ولما رجعت سماح حكيت لى الحوار،
وأنها خلّفت وأقسمت أن مفيش أى حاجة بينها وبين أسامة.

- وسماح قالت لها إيه؟

- قالت لها ده موضوع بخصك، وما بخصك حد فينا.. وبغدين راندا قالت لها:
طبعاً مصطفى هيقول لصلاح؟! فقالت لها سماح: إنكلمى مع مصطفى واتفاهمى
معاه.

- وراندا كلمتك؟

- آيوه.. جت كلمتلى من يومين، وكلامها يخش العقل، بس برضه هى غطّانة..
دى مايفهاش فصال.. أنا ماكنيتش ناوى أقول لك.. وقلت لها إنى مش ها أقول
لك، بس بشرط هى تحكى لك.. بس الواضح إنك ما عرفتش، وببنى وبينك
الجامعة كلها عرفت القصّة.. إنت عارف.. سماح ما تتوصلش.

- تصدق يا مصطفى.. أنا كان قلبى جالس إن فيه حاجة غلط.. أحكى لك
حاجة مش هتصدقها.. وأنا فى أمريكا، شُفت كام بطة خطوبة وكانوا عشرة على
عشرة، وبصّيت فى المرايا، وإحساسى قال لى إن فيه حاجة غلط، وساعتها قلت
لرأى أنا مش ها أتجوز راندا.. وما اشتريتش البدة.

- يا ترى أنا غلطان إنى قلت لك؟

- لأ طبعاً يا مصطفى.. وعلى العموم كلّك ما قلّتش حاجة.. وأنا ها أتصرّف..
كدا راندا تاخذ السكّة.. انتهى الموضوع.

رجعنا نقعد مع اثنتى، وكنت فى حالة ذهول، وشعرت أنهم جميعاً
بنظرون لى نظرة معناها:

- يا حرام.. ضحككت عليه.

وجاعت راندا الساعة الواحدة، ومن بعيد رفعت يدها بتحية السلام على
الجميع، وأخذتها إلى السيارة، ودارت الموسيقى، ولم أنطق بكلمة واحدة،
فسألتنى:

- أخبارك إيه؟

- زفّفان شوية.. بصراحة نفسى أعيش فى أمريكا.

ودار الحوار بلا طعم أو معنى، إلى أن وصلنا بيت رامى وأخرجت
حقيبة كبيرة من شنطة السيارة، فسألتنى:

- إيه كل الشنطة دى؟

- كلها حاجات بتاعتك.. أصل أنا إنوصيت ببيك أوى.

أردت أن أدخل فى رأسها وأفهم فيم تفكر!! ودار فى خاطرى أكثر من
تسأل: كنا على وشك الخطوبة.. ما هذا الذى فعلته؟ وطبعاً، كآى رجل شرقى،
أعطى نفسى الحق أن أفعل ما أريد، إنما هى.. لا يجوز أبداً.. وفى بيت رامى،
حاولت من جانبها أن تدلتنى.. ولكنى تظاهرت بالانشغال بالحقيبة، وبما فيها من
هدايا لها، وقصدت أن أحرجهما وكاننى أقول لها: بصى.. أنا كنت فى أمريكا
باشترى لك إيه.. وإنت فى مصر بتعلمي إيه!!

فتحت الشنطة، وأخرجت كل محتوياتها.. البسى الجيب دى.. وعليها
"التوب" ده.. وفرجبنى الفستان ده عليك.. والـ "بوت" مقاسك.. والـ "سويتير"
اكتشفت أننى اشتريت لها ملابس كثيرة، وأنيقة حقاً.. وقلت لها:
- متبروك عليك.

وظللت نقبلنى، وأنا فى منتهى البرود.. وكنت قد اتفقت مع ريكو أن يظل
معنا فى البيت، ويطلب منى أن نخرج معاً بسرعة، تلبية لدعوة ميدو على الغداء
كوسيلة للتهرب.. وبالفعل خرجنا نحن الثلاثة معاً، وطوال الطريق.. كان
الحوار بينهما مستمراً، بينما أنا حزين وفى ملكوت آخر.. ماذا أفعل؟! أتركها
أم أعذبها؟!

أعتقد، أنه ليس بيننا وبين أسامة علاقة من أى نوع.. مستحيل.. ولكن
الشك قاتل.. أمسكت ورقة صغيرة وكتبت عليها: سيمى لى على أسامة..
وطويت الورقة، وقررت أن أعطيها لها بعد نزولها من السيارة، تقادياً للحديث
والكلام فى الموضوع.. وعندما وصلنا تحت بيتها، قالت:

- حمز لله على السلامة يا رامى.. المرة الجاية خذونى معاكم.

- ياريت.

- باى يا رامى.. باى يا صلاح.

فتحت شنطة السيارة وأخرجت منها حقيبة راندا، وقلت لها أن تنادى
البواب ليساعدها، ويطلع معها بيتها.. ونادت البواب، وقالت لى:
- مزيه يا صلاح.. مش عارفة أقول لك إيه؟ أنا بجد بحبك أوى.
- وأنا كمان.

أخرجت الورقة الصغيرة من جيبى وأعطيتها لها قائلاً:

- إفتحها لما تطلعى البيت.

- فيها إيه الورقة دى؟

- دى فاتورة حساب اللبس اللي جيتولك.. إنت فاكدة إنه ببلاش واللا إيه؟
بالا اطلعى.

لم تفهم كلامى جد أم مداعبة و"هزار".. وقالت:

- كلتنى يا صلاح.. ما تطنشنيش.

- طبعاً ها اكلمك.. (وكانى أقول لها: طبعاً مش ها اكلمك).

- باللا بينا يا ريكو على أم سيد.

- حاضر!! مآلك!! إنت مش طبيعى النهارده!! هو فيه إيه؟!

وفى الطريق حكيت له القصة.. ووصلنا عند أم سيد..

- الباب مفتوح.. يعنى مفيش شغل.

- يعنى إيه مفيش شغل؟! إيه العكنة ده؟ طيب أسأل الشغل جاى إمتى؟!

أو الأحسن.. أنزل أنا وأشوف إيه النظام.

عرفت وفهمت إن الحكومة ترأب المكان بإحكام.

- طيب يا صلاح ولا يهكم، نروح نجيب من بولاق.

- بولاق إيه؟ مفيش زى بونزة أم سيد.

- أنا سمعت من بونو إن فى بولاق ثولاب جديد، فيه شغل سم.

- صحيح.. طمئنى.. هو بونو عامل إيه دلوقت؟

- خربها وببضرب كثير جدًا.

- أوف.. أنا خايف عليه.

ولن أنسى كيف مرت بنا أحداث الأمن المركزى.. حقًا لم أتوقف كثيرا عند أسبابها، ولم أهتم بتحليل دوافعها أو نتائجها.. فقط كنت أراقب المظاهرات وأحداث الشغب من بعيد، فصنرت قرارات حظر التجول بطول ليلنا وعرضها.

وفى تلك الأيام، كنّا أسعد ناس.. وكُنّا نملك القاهرة.. نتجول فى شوارعها بسيارة صديق والد راسى، وهو من الشخصيات المرموقة، وكان ذو مسافر فى مهمة، ولديه تصريح خاص، يمكنه التحرك بالسيارة فى كل الظروف، بالإضافة إلى أن والد راسى كان لواء، وكان راسى معه "كارنيه" يساعد فى حل مواقف كثيرة، وذات مساء واجهتنا لجنة وسألنا أحد ضباطها:

- على فين يا رجالة؟

أجبت:

- معانا تصريح يا افندم؟ نجيب تشوفه؟ ومعانا رؤيته عشان نشتري دواء من صيدلية الإسعاف.

- اتفضلوا.. وعلى مهلكم.

أيام الحظر كانت مختلفة، وجميلة بالنسبة لنا.. نخرج كما يحلو لنا فى كل الأوقات، ونتجول فى كل مكان.. الهدوء الشامل يسود الشوارع الداخلية من المارة ومن السيارات.. نقضى ليلتنا فى أحد الفنادق الكبرى على البار نستمع إلى مغنية تعزف على البيانو، وكل واحد يشرب 7 أو 8 كاسات "توبل".. ويحبينا البار باثنين من عنده.

وذات ليلة قررنا أن نذهب إلى غرزة فى مصر القديمة، ولم نجد أحداً هناك.. نحن فقط!!! بسلام.. ضربت بمزاج، عال جداً، وكل واحد منا فى خدمته

واحد من الصبيان، والمعلم من حين إلى آخر يوجه تحيته إلينا بدرج، ثم "بسة" ليون.. وفى يوم نضرب بودرة، ونقضى اليوم فى ناب من الأندية.. ولا أحد غيرنا فى الشوارع.

يا سلام.. لو أن حالة حظر التجول تستمر طويلاً!! أكيد سوف نشعر بأننا من أسعد الناس فى الدنيا.. إحساسنا بأننا بمقرنا فى الفنادق أو فى النادي أو فى الشارع.. إحساس جميل لم نمر به من قبل.. إحساس جعلنا نتصور أننا من لقوى أو أهم الناس فى البلد.

نرجع إلى موضوع رائدا التى قررت ألا أكلها مرة أخرى.. بعد الهارت تماماً.. ظلت تبحث عنى فى كل مكان لتردد عليه، ولم تكن مخطوطة لأيام وليام، لأننى، وبالصفة العجيبة، لم أتواجد أبداً فى الأماكن التى نعرفها، وسألت عنى فيها.. واستطاعت أخيراً أن تدبر كميناً، وظلت تنتظرنى ساعات طويلة بالقرب من بيتى، وعندما رأتى أنه للسيارة، انطلقت من مكانها كالقذيفة، ووقفت فى طريقى قائلة:

- ممكن أركب؟

- طبعاً ممكن.

دخلت السيارة بسرعة مذهلة، وقبل أن تستقر فى مكانها، قالت:

- بجد.. أنا كنت ها احكى لك، بس أنت مانتشيش أى فرصة.

- ياقول لك إيه يا رائدا، بلاش شغل الأفلام ده وهاتى من الآخر.. إنت عايزه إيه؟

- عايزة با صلاح أشرح لك التى حصل.. حاول تسمعنى.. حاول تفهمنى.

- أنا مش عايز أفهم الموضوع خالص، وعلى رأى بهاء.. صغر الحكم.. إنت كان بتعيطى!!

- صدقنى والله أنا كنت ها أقول لك.. بس إنت كنت لسه جاي من السفر ومش عايزه أزعجك.

- خَلَّيْتِنِي قُرْطُاس فِي الْجَامِعَةِ.. سَأَلْتُكَ 100 مَرَّةً فِيهِ حَاجَةٌ يَا رَانْدَا؟ اسْمَعِي..
 أَنَا مِشْ عَاوِزُكَ.. وَلَا عَاوِزُ أَفْهَمُ.. وَأَنْزَلِي مِنَ الْعَرَبِيَّةِ قِيلَ مَا أَتَجَنَّنُ عَلَيْكَ.
 - أَتَجَنَّنُ عَلَى.. أَنَا مِشْ هَا أَنْزَلُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ.
 - خَلَّاص.. هَا أَنْزَلِي أَنَا.
 أَوْفَقْتُ السَّيَّارَةَ.. نَزَلْتُ وَظَلَّتْ هِيَ فِي مَكَانِهَا فِي السَّيَّارَةِ.. ثُمَّ أَشْرَفْتُ
 إِلَى تَاكْسِي قَائِلًا:
 - الْمُهَنْدِسِينَ.
 وَلَمْ أَجِدْ رِيكُو فِي بَيْتِهِ، وَلَمْ أَجِدْ مِيدُو أَيْضًا.. وَقَعْتُ حَائِرًا أَمَامَ بَابِ بَيْتِهِ.
 أَكَلْتُ نَفْسِي قَائِلًا:
 - دَا إِلَهَ الْغَلْبِ ذَه؟ أَرْجِعْ بَيْتِي.
 عَدْتُ.. وَكُنْتُ فِي قِمَّةِ الْغَضَبِ وَالضَّيْقِ، وَفِي النَّاحِيَةِ الْآخَرَى مِنْ
 الشَّمَارِعِ، لَمَحْتُ حَسَامَ يَقِفْ حَائِرًا.. مُتَوَرِّثًا.. وَيَدُورُ حَوْلَ نَفْسِهِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ عَلَى
 مَوْعِدٍ مِهِم، وَيَنْتَظِرُ شَخْصًا مَا فِي لَهْفَةٍ، وَعِنْدَمَا رَأَيْتُهُ، أَسْرَعَ إِلَيَّ قَائِلًا:
 - حَمْدُ اللَّهِ عَلَى السَّلَامَةِ.. بِاعِمِ، جِيتَ مِنْ أَمْرِيكَ، وَلَا ظَهَرْتُ وَلَا سَأَلْتُ!!
 - يَا عَمِ إِنَّتِ اللَّيْ مَخْتَلَى عَلَى طُولِ، وَعَرَبِيَّتِكَ مِشْ فِي الْجَرَّاجِ لِيَه؟ إِنَّتِ شَكْنَتْ
 مِيسْتَكِي حَد.
 - مِيسْتَكِي دَعَاءُ.. رَاحَتْ تَجِيبُ بَوْدَرَةَ مِنْ 'بُولَاق'.. سَاعَتَيْنِ وَلَمَسَ مَارْجَعْتَش..
 مِشْ عَارِفْ بِتَعْمَلُ إِلَهَ دَا كُلَّهُ..
 رَأَيْنَا دَعَاءَ قَادِمَةً وَهِيَ تَبْتَسِمُ..
 - أَهْيَ وَصَلْتَ.. شَفْتُ وَشَيْ حَلُو لَزَاي؟
 - يَبْقَى أَكِيدُ جَانِبِ الشَّغْلِ..
 وَأَسْرَعَ إِلَيْهَا قَائِلًا:
 - إِنَّتِ فِينِ يَا 'حَيَوَانَةَ'؟

- تَاكُنْشْ فِيهِ شُغْلٍ، وَقَعَدْتُ مَعَ لَمْ نَادِيَةً لَعَايَةً لَمَّا الشَّغْلُ جِءَ وَقَطَعْتَهُ، دَى كَانَتْ
 مِشْ عَاوِزَةً تَطْلُعُ الشَّغْلَ النَّهَارَ.. قَالَ إِلَهَ، يَكْرَهُ.
 - يَا سَلَامُ.. لِرَكْبٍ يَا صِلَاحُ.. طَبْعًا إِنَّتِ عَايِزُ تَضْرِبُ.
 - كَيْفَ نَظَرُ يَا مُعَلِّمُ.
 - جِيتِي لَدِ إِلَهَ يَا دَعَاءُ؟
 - رِبْعَ جَرَامِ أَصْلَى.
 - مَعْلَمَةٌ.. تَرَبِّيتِي بِصَحِيحِ.
 - أَنَا فَعَدْتُ مَعَهَا سَاعَةً، إِنِّصَاحِينَا وَبَقِينَا حَبَابِيبَ، فَعَمَلْتُ مَعَهَا وَاجِبِ.
 - إِنَّتِ مَحْظُوظٌ يَا صِلَاحُ.. بِالَالَا بَيْنَا عَلَى أَقْرَبِ صِيدْلِيَّةِ.
 اشْتَرَيْتِ 6 سَرَنَجَاتٍ، وَغَمَلْتُ حَسَامَ ثَلَاثَ سَرَنَجَاتٍ مُحْتَرَمَةً، وَثَلَاثَةَ
 لَتَلْعَبِيَّةٍ.. ضَرَبْنَا.. وَبَعْدَ جُلُوسَةِ نَزْنَشَةِ قَلْتُ لِحَسَامِ:
 - وَصَلْنِي عِنْدَ عَرَبِيَّتِي.
 - مَا تَعْدُ مَعَهَا شُويَّةً.. هُوَ إِنَّتِ دَالِمَا كَدَهُ تَضْرِبُ وَتُخْلَعُ!!
 - الْغَرَّةُ دَى قِصَّةِ طَوِيلَةٍ، عَرَبِيَّتِي عِنْدَ جَنِينَةِ الْأَسْمَاكِ.. أَصْلُ أَنَا اتَّخَاظْتُ مَعَ
 رَانْدَا، وَنَزَلْتُ وَسَبَّيْتُهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَأَخَذْتُ تَاكْسِي.
 - وَهِيَ رَانْدَا رَاحَتْ فِينِ؟
 - وَلَا أَعْرِفُ.. سَبَّيْتُهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَأَخَذْتُ تَاكْسِي.
 وَعِنْدَمَا وَصَلْنِي حَسَامَ إِلَى عَرَبِيَّتِي، كَانَتْ الْمَفْاجَأَةُ أَنَّ أَجْدَ رَانْدَا لَا تَزَالُ
 تَجْلِسُ فِي السَّيَّارَةِ.. أَذْهَلْنِي الْمَوْقِفُ فَقُلْتُ:
 - يَا نَهَارَ أَبْيَضَ!! ثَلَاثَ سَاعَاتٍ قَاعُدَةُ فِي الْعَرَبِيَّةِ!!
 وَيَأْسَلُوبُ الْبَنَاتِ، وَدُونِ أَنْ تَفْهَمِ الْمَوْضُوعَ، قَالَتْ لِي دَعَاءُ:
 - خَلِّيْ عِنْدَكَ نَمَ وَصَالِحَهَا.
 وَتَأَثَّرَ حَسَامُ مِنْ مَوْقِفِهَا، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ الْبَوْدَرَةَ تَجْعَلُنَا نَشْعُرُ بِالتَّعَاطُفِ
 وَالْعُلَّانِ.. وَبِصَرَاحَةٍ.. كُنْتُ قَدْ افْتَقَدْتُ رَانْدَا كَثِيرًا، وَأَسْرَعْتُ بِالْخُرُوجِ مِنْ

السيارة وأخذت السرّجة الثانية معى فى جيب الجاكت، ودخلت سيارتى وقتلها:

- يا كؤل لك إيه يا راندا.. مش عايز أنكلم فى موضوع لسامه نهائى، لو أنزل وأسبب العربية مرة ثانية.
- بلاش.. بس عشان خاطرى مانتسبينش.. أنا بحبك يا صلاح.. إنت كل حياتى.

أخذتها إلى بيت رامى.. الذى استقبلنا بابتسامة هادئة، وقلت له همسا:

- خذ السرّجة دى وإنزل.

- ملين دى؟

- من لم نادية.

- مين أم نانية دى؟

- الأم المثالية!!

- مين بجد؟

- ذولاب فى روض الفرج.

- أنت وصلت لروض الفرج؟

- ياريت يا ريكو.. ده حسام، واحد من جيرانى الضريّة.

تدخل رامى الحمام، ضرب السرّجة ونزل.. وكانت الجلسة مع راندا عاطفية على مدار أربع ساعات من الحب والحنان والذئع.. المهم، أخذتها إلى بيتها، وفى أعماقى كنت أعرف جيدا أن قصتى معها قد انتهت.

وكانت مريم البريئة لا تزال فى حياتى.. وكل ماتعلّله فى حياتها هو البحث عنى، وكل ما يشغلها أن تسعنى.. غمرتنى بالهدايا، وكرويت جميلة، ومفاجآت لا أول لها ولا آخر: بعثت لى فى عيد ميلادى وورودا بلا عند، وميدالية مفاتيح من الذهب بمناسبة شراء السيارة الجديدة، بالإضافة إلى نظارات بموديلات مختلفة، وساعة وأكثر من ولّاعة.

بصرامة.. أذهشتنى كثيرا بهداياها غالية الثمن، من أين تأتى بكل هذه الأموال؟! إنها تتفق كل ملهم تدخره على الهدايا التى تغمرنى بها.. لقد كنت محور حياتها، ومحور تفكيرها.. وأهم إنسان بالنسبة لها فى الدنيا كلها.. والحق، لم أر فى حياتى أحدا من الناس يتفانى فى حب إنسان بهذه النرجة.. وكان يكتفيها أن تخرج معا ساعة واحدة كل أسبوع، والاتصال بها تليفونيا من حين إلى آخر، بهى دائما لا تجتنى.. وفى المقابل، كنت دائما مع راندا أو أصدقائى.. حقيقة الأمر، كانت مريم تشعر بأن هناك شيئا ما خطأ وخطرا فى حياتى، ولم تفتح معى أبدا حوارا حول الحشيش أو الشودرة.. تخشى أن أغضب ولا أكلمها.. فكانت تسمع أحاديث من الأصدقاء وتترجّح، وتسكت، وكأنها تقول لنفسها: يعمل للى هو عايزه، بس ما بيعيش عنى.

مرت الأيام، وتجاوزت البلاد أحداث الأمن المركزى، واستمر الحل على ما هو عليه.. يوم ضرب مع ريكو، يوم مع زوى ومينو، يوم مع شلة راندا، ويوم مع بهاء، ومثله مع حسام، أو شريف الذى يظهر فجأة!! وكما يظهر فجأة، يختفى فجأة.. وظل فتحى يبحث عنى ويلاحقنى ويسألنى:

- إيتى يا صلاح بئدى المذاكرة؟!

- لول الشهر الجاى.

ويستمر فى الملاحقة، والإلحاح، فقلت له فى نهاية الأمر:

- فى شهر مارس يا فتحى.

ويدبر الوالد الأسطوانة، ويوميا أدل قسما من الشليب:

- مش بتحضر فى الكلية، وتصحى كل يوم الساعة اتنين.. وطبعًا ما اشتترش لكرب رغم إنك أخذت تعلمها ثلاث مرات.

وكنت أقول لنفسى: حاجة غريبة جدًا!! يئنى بعد ست سلوات فى الكلية، والآن فى السنة الرابعة ويطلبنى أن أحضر المحاضرات بانتظام؟! طيب أترأى؟! كيف بالله عليك يا والدى العزيز؟ ولماذا فى هذا العام بالذات أشتترى

الكتب؟ لم يحدث أبداً أن اشتريت كتاباً واحداً منذ دخلت الجامعة، وحتى أخلص من هذا التأليب والالاحاج، أحضرت فتحي إلى البيت وقلت له:

- يا أقولك إيه يا فتحي.. سيبنى أخرج وما تختقيش.. وأنت نظم الأوراق والمحاضرات ومالكش دعوة بيه.. ويعدين إنت السلة اللي قالت عمل تخضر المحاضرات كلها، وتذاكر، وتصور ورق، وتشتري ملازم وعامل لي فيها أبو الغريف، وفي الآخر تجيب لي مقبول، وأنا ذاكرت شهرين بس وجبت جيد.. إنت يا فتحي لازم تتد شوية.

فتحي سمع الكلمتين، وسكت تماماً.. إنه حقاً شيء غريب، وكلامى بيدو كانه منطلى.

وفي يوم، خرجت مع حسام نضرب، وقلت له:

- علمنى أضرب لنفسى.. ساعات أحب أضرب ومعرفش أعمل إيه.. يعنى أروح أقول لبابا بضرب لي واللا إيه؟؟

حقيقة الأمر أن يد حسام خفيفة، تتلف في حريز.. يعطيني الحقنة ولا أشعر بأى شيء.. وقد علمنى كيفية أخذ الحقنة.

كان الوريد بيدو واضحاً، ومكشوفاً للعيان.. أنه يستخدم كثيراً في ضرب الحقن.. كنت دائماً في حالة خوف ورعب.. كان الخوف يتصيب من أطراف أصابعى من اكتشاف لمرى.. فاضطرت أن أختار الملابس التى تغطي مكان الضرب، والموضوعة في ذلك الحين كانت الملابس الواسعة الفضفاضة.. إذا المشكلة لها حل.. وبسبب إلحاح فتحي في أن أظل في البيت للذاكرة، انتفت مع حسام على إحضار البوثة ووضعها تحت الدواسة أمام الباب، وفي الموضع المحدد، أفتح الباب وأخذ الورقة، وفي دولابى لكياس السرجات، والليمون في الثلاجة.

وآه لو لم أجد ليمونة، لثور وأعمل مشكلة:

- مغيش لمون ليه؟ أنا قلت للمون، أهم حاجة في البيت.

ولم يكن أحد في البيت يفهم لهذا سبباً أو تفسيراً، وهذه المشكلة يسأل عنها بالتليفون.. لكتم حسام وأطلب منه أن يشتري لي الليمون.. ولا يتركك.. وفي رايه طالما نوافرت النقود، إذا كل مشكلة لها حل.. وفي آخر مارس، أخذت القرار: سأوقف عن الضرب.. العجيب والمدعش أنني أملك الإرادة القوية، ومازال في أعماقي قدر ما من الإحساس بالمسؤولية.. وقد كان.. توقفت فعلاً عن الضرب، حتى أبدأ المذاكرة بحدية، وأكثّر الأمر جيداً.

وعنت مرة أخرى أشرب "جوينتين" ليلاً بعد الانتهاء من المذاكرة، ولستعدت شيبتي لتناول الطعام، بعد أن كنت قد فقدتها تماماً، وكان وزلى لا يزيد عن وزن فتى في الخامسة عشرة من صرء.. وشكلى ضعيف.. والسبب من الضرب.. كنت أكل كميات قليلة، وفوق هذا وذلك أتقيأ ما أكله، وموضوعة الملابس الواسعة أنفذت الموقف قليلاً، إذ لم يكن الضعف والهزال واضحاً كحقيقته.

ذاكرت بكل همة وزيمة ساعات طويلة، وأثبت الامتحانات، وشعرت أنني بملت كل ما أستطيع من جهد.. وسافر فتحي إلى قريته.. وعدت إلى أصدقائى مرة أخرى.

بدأ بحسام الذى ظهرت عليه مظاهر الضرب، ملابسه رثة.. فقد وزنه وصحته.. يمشى شارداً.. سيارته في حالة دمار شامل.. وأصبح حديث الناس والجيران والأصدقاء.

وأكثر الأحداث إيلاًماً، كانت وفاة والد بونو، وقد ورث مبلغاً كبيراً، مما جعله يضرب كل يوم، وأحياناً مرتين أو ثلاثاً في اليوم الواحد.

ولم يعد ريكو يلعب حديثاً.. وركن الجيتار جانباً.. ولم يعد ليضاً ليلاً.. وسبباً كما كان، وسيارته الـ "بي إم دبليو" لم تعد جديدة، فالموقف تغير تماماً.. مسألة واضحة وصريحة.

واستمر ميدو ملازمًا في البيت ومعه حسين، ومن حين إلى آخر يخرج معي أو مع ريكو، ويعود سريعًا، وتسبب بونو في التوتر الشديد، فقد بدأ علاء يشعر بالقلق بسبب صداقته مع ميدو، ويثور بحدة إذا خرج معه، قليلًا بهاء مَنمن، وآخرته سوداء.. عايز تبقى زيه؟ صاحبك أه.. يشوفك في البيت على عيني وراسي، إنما تخرجوا سوا، وتروحوا تضربوا، أو تتشمكوا، ويتقيضوا عليكم وأنتم بتشتروا، لا.. ولا.. ولا.

ويدافع ميدو عن صديقه بهاء قليلًا:

- بهاء مش مَنمن، هو بس بيحب الضرب زيادة شوية.

يرد علاء بسخرية لأذعة:

- ودخل المستشفى مرتين بيتشخ فيها.. صخ؟!

واستطاع زوني أن يتحكم في الموضوع بعد كارثة البركينول، وعلى الأكثر نفسين وزاجاتي بيرة.. ويكتفى بهذا قليلًا:

- جُؤين على كده.

ساعدته صديقه نيفين على الاستمرار في ضبط النفس، والحق يقال إن تركيزها معاه كان عاليًا جدًا، ولا تكف عن الأسئلة: على فين؟ وراجع إيش؟ ومع مين؟ ومن تعليماتها الواضحة:

- ماتخُرجش مع بهاء أو رامي أو صلاح.. كفاية بتشوفهم عند ميدو.

إن موضوع البركينول لم يمر بسهولة، وأعتقد أن بهاء وحده هو الذي تحمل مسؤوليته كاملة.. تدهور حالة بهاء وسوء تصرفاته جعلته صاحب سمعة سيئة في المهندسين، وبالأخص في شارع شهاب.. وبسبب الميراث والأموال الطائلة، توافرت البودرة مع بهاء بصفة مستمرة.. ولكن العثور عليه لم يكن سهلًا.. فكنا نعرف مصادفة أنه اشترى بودرة وسافر إلى الإسكندرية، ثم سافر إلى شرم الشيخ أو الغردقة.. والحق يقال.. كلما قابلته وطلبت منه بودرة

لم يكن يبخل، ولم يطلب مني ثمنها أبدًا.. ولم أكن أحتاج إلا قليلًا، إذ يكفي نصف سنتيمتر أو أكثر قليلًا لتحقيق أحسن نتيجة، وأقوى دماغ.

وحاولت شخصيًا المحافظة على لياقتي كاملة.. سيارتي في حالة ممتازة، وسلسلة مفتاحها من الذهب، ملابس أنيقة والساعة أيضًا، والنظارة آخر صيحة، وعندي أكثر من صديقة؛ فالمظهر العام لا بأس به، ومقبول من الجميع.

ظهرت النتيجة، والنجاح بتقدير جيد، الذي أذهل الجميع.. وأصبحت في انتظار التجديد، وبالتالي لم تبدأ أنغام أسطوانة البحث عن عمل.. لقد لجمت، وتخرجت في الجامعة، ليس مطلوبًا متى أكثر من هذا.

وفي تلك الفترة عرفت أكثر من دولاب: أم سيد، الحنشل، أنسي، لم نادية، وحسونة.. وغيرهم.. بخلاف الشباب الذين يسافرون السويس.. بشرّون من هناك ويبيعون لنا.. وهكذا يحصلون على حقهم في الضرب، ففي تلك الأيام، انتشرت البودرة بصورة مخيفة.. ازداد عدد الذين يضربون، وبعضهم لم يكن يُكثّر من الضرب، وتغير حاله، وأصبح يضرب كثيرًا وكل يوم.. ولم يعد الموضوع خافيًا على أحد في البلاد، الصحف اليومية، والمجلات، والتلفزيون.. كل وسائل الإعلام تناقش: من هو المَنمن؟!

أخفتي حسام تمامًا، وسيارته ليس لها أثر.. ربما باعها، وكلما سألت عنه لأجده.. خرج.. لم يعد.. الأمر غريب ومريب، إلى أن قابلته مصادفة، لقد فقد أكثر من نصف وزنه، وشكله ضريب، واضح وصريح، وسألته:

- إنت فين يا حسام؟ مخفتي فين؟

- أصل أنا مشيت من البيت، وأخذت شقة مع دعاء في مصر الجديدة.

- فين في مصر الجديدة؟

- في ميدان الحجاز.. خد نمرة التليفون وكلمني.

- وأخبار الضرب إيه؟

- وأخبار القلوب إيه؟

- لغة جديدة دى يا حسام!!

- ما أنا قلت لك يا صلاح.. مشيت من البيت، وقَعَنْت مع دعاء، وضرب
مصاريف كثيرة.. الإيجار.. دا غير الضرب.

- الورقة بكام؟

- بخمسين جنيه.

- معاك؟!

- لا.. معا في مصر الجديدة، إطلع ورايا بعريبتك، وبالمرة تعرف البيت.

ها هي المفاجأة: حسام فتح دُولاب مع دعاء، وكان اعتماد على
أصحابه في مصر الجديدة، وكل صاحب يُعْرِفه بصديق آخر.. وأصبح للمكان
زبائن بلا عدد.. وعندما دخلنا البيت وجدت دعاء ترتدى قميص النوم.. إذا هي
في بيتها وعلى سَجُونِها.. ورحبت بى، فهى تحبى، وأنا أيضاً، وكنت أصفها
بالبنيت الشبهة، لأنها لم ترفض لى طلباً أبداً.. وكانت تتعامل معى بسخاء
حقيقى. ولم انتظر طويلاً، وقال لها حسام:

- يا دعاء.. هاتى ورقة لصالح.

- وأحلى ورقة كمان.. أنا عندي ورقة "مِعْكَمَة".. مش خسارة فيك يا صلاح.

- عندك سرلُجَة ولَمُون؟

- مِفِش أَكْثَر منهم.. يا ولد على عروقتك!! يا ابن الإيه.. نفسى فى عرق من
عروقتك.. شايبة يا دعاء؟!

- شايبة.. يا بَحْتَه.

- عِينْكُمْ.. يا سائر على الأز.. إْحْضُونِى.. ياللا اضرب لى يا دكتور.

- والنبي أنا اضرب لك.

- ماشى يا دعاء.

- تسلم إيدبك.. دكتورة يا بنت الإيه.

- يا لَوْتُك إيه يا صلاح.. فيه واحدة صاحبتى اسمها نانسى، جاية دلوقت،
أُتُورَة وَضَرْبِيَة كمان.. إيه رايك؟

- مش مِتْعَبِيَة يا دعاء.. صلاح بناتُه صَوَارِيخ، ولولاد ناس كمان.

- لا.. مِتْعَبِيَة.. ويعدين دى أوكشة ومُتْعَب، وتعرف تَتَعَم.

- طيب هى جاية إمتى؟

- وفى اللحظة نفسها، سمعنا الطرقات على الباب.

- هي.. افتح لها يا صلاح، واعمل لها فيلم.. لاعبها.

فَتحَت الباب، ووجدت فتاة من نوع آخر.. حلوة بَنٌ بلدى! شعرها
أصفر، عيناها لونهما أخضر، والشرة بيضاء.. وسألتنى:

- دعاء موجودة؟!

- إنت نانسى؟

- آو.. أنا نانسى.

- دعاء نزلت.. راحت مشوار وراجعة بسرعة.. وقالت لى تستيهها.. ويعدين
طَلَبَكْ عندي.

- عنك؟! طَيِّب دَخَلْنِى يا معلم.

وعندما دخلت، قابلتها دعاء وفوجئت بها، فقالت لها:

- أه يا صابغة.. يا بنت الصابغة.. يتَأَقَلِمى على؟!

ورنت الضحكات فى أركان البيت طوال الوقت، وانتهت الليلة حسام
ودعاء فى غرفة، ونانسى وأنا فى غرفة أخرى.. هى شقراء ملونة، كما يقولون
بيضاء وعضة الجسم، مُتَوِى بنات البلد، إنما تثير إعجاب أى رجل، واستمعت
لِى قصتها، فهى تتزوج من الأثرياء العرب، شهراً واحداً، وتُجَنِّد.. غيره..
وقد تزوجت أكثر من مرة.. هى وصديقتها دعاء من لفصيلة نفسها، وأصحاب
كل واحد.

قضيت معهم أكثر من يوم، خلالها أعود إلى بيتي لدقائق معدودة، ثم أرجع لهم، وأصبحتنا ربايعاء، نتحرك معاً.. وقد تعلقت نائسى بي إلى حد كبير.. ولم لا؟ واحد ابن ناس، لطيف جداً في كل التفاصيل، وأيضاً صاحب نفس التكيف والمزاج.. لكنني كالمعتاد مريب المثل، فكنت أسجل فراره وأذهب إلى أصدقائي في المهندسين لأطمئن.. وأعرف أحوالهم.. إنه طبع من طباع، لا أستقر في مكان واحد مدة طويلة.

تمر الأيام.. اليوم مثل الغد.. مثل الأمس.. إلى أن جاء يوم نزلت المهندسين، وفزجت بزحام رهيب أمام البوابة الكبرى لأحد الأندية.. جمهرة من الناس تتدافع، ركنت السيارة بعيداً، ومشيت في اتجاه الجمهور، حتى وجدت بهاء أمامي فقلت له:

- هو فيه إيه؟

- عاطف مات.

- إيه؟ إزاي يا بهاء؟

- "أوفر دوز".. لقوه في حمام اللنادى والسرنجة جنبه على الأرض.

في ذهل تام قلت له:

- أنا مش مصنق!! عاطف كان معاليا الأسبوع اللي فات.. ضربنا سوا، وكان زى القل!!

- البودرة غزالة يا صلاح.

كلنا كنا نحب عاطف، وهو من أعز أصدقاء رامى.. طالب في أرفى الجامعات، ابن ناس، ومن عائلة كبيرة ومعروفة.. أنيق ودمه خفيف.. ورأيت رامى والدموع تملأ عينيه، وكل العيون الواقعة معنا كانت تبكي بغير دموع، وأخذنى رامى بالأحضان..

لم نتطرق بكلمة واحدة، ثم اقترب من أذننى وهمس:

- والله قلت له ما تضربش الورقة كلها في سرنجة واحدة، ومأ سمعش كلامى

يا صلاح.. أنا السبب!!

- لا يا رامى.. مش إنت السبب يا رامى.. عمرة.. والله يرحمه.

- خذنى بعيد يا صلاح.. نمشى من هنا.. مش قادر أفك وسط الناس.. حاسس إن كل الناس يتقص على وتقول إن أنا اللي موته.

- ياللا يا رامى.. ياللا بينا يا بهاء نمشى من هنا.

ذهبنا إلى ميدو وزونى.. لم نطلع البيت، ولم نضرب "كلآخس واحد". جلسنا في السيارة تحت منزل ميدو لمدة ساعة نستعد شريط التكريرات، ورامى يشكر حواراته مع عاطف، ويقول لنا:

- أنا مش مصنق!! إزاي دا حصل؟! يعنى مش ها أشوفه نالني؟ لا.. لا..

مش ممكن!!

ويعد أن هذا قليلاً، واستجمع قواه، سألته:

- إيه اللي حصل يا رامى؟ امتى آخر مرة شفته؟

- كل عندي النهارده الصبح.. زمر ومرضاش يطلع، وطلب منى ألبس وأنزل بسرعة.. نزلت.. ركبت عربيته، وقالى لى عايز أضرب.. وكنت حاسس إنه مستعجل ومش زى عوايده، وفي الطريق إلى لم ناديه، قال لى: لازم نبطل بودرة.. كفاية كده، إحنا بقى لنا كتير بلضرب.. وسألنى كتير عن الشلة، سألنى عليك يا صلاح، وعنيك يا بهاء، وعلى أحمد وحسين، وسألنى عملاً إيه فى أمريكا.. وحكيه له، ولما رجعنا قلت له تعال لضرب عندي فى البيت، رفض وصمم بضرب فى اللنادى، فقلت له أنا هاجيب عربيتى وأجى وراك.. بعد ما نزلت من عربيته قلت له: ما تضربش الورقة كلها في سرنجة واحدة.. أصل أنا عارفه، كان دايماً "يطافس" وقلبه ميت.. وقال لى حاضر بن ماتأخرش.. سلام..

- ليه بس كده يا عاطف؟

- ياه!! ياه!! ياه!! مش ممكن أتخيل إن دى كانت آخر مرة أشوف فيها عاطف!!

قلت:

- الله يرحمك يا عاطف.. كنت جَذَع.

وقال بهاء:

- ياللا يا جماعة يمشى.. أنا عايز أضرب يا صلاح.

- وأنا كمان.. أنا ما ضرتش النهارده.

الغريب أننا لم نتردد بعد ما حدث لعاطف، لم نتردد أو نخف.. عاطف أخطأ.. ولكن نحن لن نخطئ..

توجهنا إلى الصيدلية لشراء السرنجات.. بهاء كان معاه بودرة كثيرة، وضربنا نحن الثلاثة.. إنما سيرة وصورة عاطف لم تفارق خيالنا، وظلت موضوع حديثنا.. وما بين جملة وأخرى، نقول:

- هَوُحْشْنَا جدا يا عاطف.

- الله يرحمك يا عاطف.

تذكرت يوم "كَبْنة" أهله فى منزله.. ويوم الغرزة والقسم.. أصبحت ذكرى يا عاطف!!!

امتدت الجلسة بيننا أكثر من ساعة.. نحن الثلاثة لم نستطع سماع الموسيقى، وكنا نتكلم بصعوبة، واختفت الضحكة، والضرب لم يكن له طعم، وبين حين وآخر تتلفظ الدموع من عيني رامى، وكنت أشعر بكم الأسى الهائل فى أعماقه، وأنه كالبركان يكاد ينفجر غضبًا، ولم يتوقف عن قوله:

- أنا باحيه يا صلاح.. كان جميل.

وحوالى الساعة الثامنة، قررنا الذهاب إلى النادي لمعرفة آخر الأخبار، ولم يعد الزحام هناك بالكثافة نفسها، وبين الناس وقف مجموعة من الأصحاب.. اقترينا منهم، وجامنا حمادة وفادى، وتحفنا مع رامى..

حمادة : البوليس بيدور عليك، إمش من هنا بسرعة.

فادى : ويتأكد كمان بيدور عليك.. متبقي البوليس راحوا البيت.

رامى : طيب وسألوا على حذ غبرى؟

حمادة : سألوا على الدنيا كلها.. على تامر.. وعادل.. وصلاح.. وبهاء وسامح.

فادى : سامح وتامر فى القسم، وعادل اختفى، وإنت يا صلاح، خليك بعيد إنت وبهاء.

بهاء : هنعمل إيه؟

فادى : اختفوا.

رامى : ها تروح عند ميدو، وأول ما يظهر سامح أو تامر.. تعالوا لى هناك.. ولو بابا سألك على، إنت ما شفتيش.. فهمتكمي؟

فادى : ماشى.. بس إنت ما بتحركش من عند ميدو.. مش عاوزين تلف عليك.

فجأة، سيطر علينا الخوف، ليس بسبب وفاة عاطف فقط.. ولكن الموضوع أصبح فيه بوليس، ونيابة، وسين.. وجيم.. وقلق.. وغوراً توجهنا إلى بيت ميدو.. بطبيعة الحال، شغلنا الأحداث الأخيرة بكل تفاصيلها، وقضينا لوقت كله نتكلم فى شبح المشكلات القائمة.. وحديث فادى وحمادة عن البوليس والتحقيقات جعلنا نشعر أن فى الجو شحنة كهربائية هائلة، وساد للجلسة التوتر الشديد؛ إذ لم نمر بمثل هذا الموقف من قبل، وتساءلنا عما يقوله رامى عند التحقيق معه، وكل منا يدلى برأى، وأكثر ما بخيفنا قرار إجراء التحليل له.. حقاً كثرته..

وكان رأى حسين مطمئناً:

- مَا يَلْفَعُشْ، لَازِمَ إِنْ مِنْ النِّيَابَةِ.

وأخيراً تعلن "الكَلَاكُسات" وصول سامح وقادى، وأسرعنا بالنزول

إليهما، وباهتمام سألته رامى:

- عَمَلْتَ إِيهْ يَا سَامِحْ؟

- وَلَا حَاجَةَ.. شَوِيَّةُ أَسْئَلَةٌ.. سَأَلُونِي أُخْرَ مَرَّةً شَفْنَةُ إِمْتِي؟ أَصْحَابُ مِنْ إِمْتِي؟

بتأخذوا مُخَذَّرَاتٍ مَعَ بَعْضٍ؟ بَعْدَ شَوِيَّةِ عَائِلٍ جِهْ وَكَانَ مَعَاهُ بَابَاهُ.. مُسْتَشَارَ زِي

مَا إِنْتَ عَارِفٌ.. فَالذَّوْرُ إِنْتُمْ بِسَرْعَةٍ، بَسْ الْمَشْكَلَةُ إِنْهُمْ سَأَلُونِي عَلَيْكَ بِالْأَسْمِ،

وَأَسْأَلُهُ كَثِيرَةً كَمَا.. الظَّاهِرُ فِيهِ حُزْنٌ مِنْ أَمْنِ النَّادَى، قَالَ فِي التَّحْقِيقِ إِنَّ رَامِي

أَكْثَرَ وَاحِدَ صَاحِبِهِ.. لَكِنْ مَا حَذَّرَ قَالَ إِنَّكَ بِتَأْخُذِ مُخَذَّرَاتٍ..

- إِيهْ رَأَيْكَ يَا صَلاَحُ، أَعْمَلُ إِيهْ؟

- أَحْسَنَ حَاجَةَ تَزْوُجْ، وَتَأْخُذُ بِأَبَاكَ مَعَاكِ الْقِسْمِ، عَشَّانَ مَا يَنْشَأُ إِنَّكَ هَزْبَانِ مِنْ

حَاجَةٍ.. إِنْتَ شَافِ إِيهْ يَا مِيدُو؟

- عِنْدَكَ حَقٌّ يَا صَلاَحُ، وَإِنْتَ يَا رَامِي مَا كُنْتُمْ فِي النَّادَى أَصْلًا، وَوَصَلْتَ بَعْدَ

مَا عَاطَفَ الْقَوْرَ.

وكان تعليق بهاء:

- بِالطَّبُطْ كَدَه.. إِنْتَ كُنْتَ فِي الْبَيْتِ، وَرَحْتَ النَّادَى، وَمِنْ عَلَى الْبَابِ عَرَفْتَ

الَّتِي حَصَلَ.. مَا تَخْشَى يَا رَامِي.

- مَا شَى.. بَسْ بَابَا هِي تَأْكُدُ إِنْنِي بِأَضْرِبُ، لِأَنَّهُ شَافَ عَاطَفَ مَعَايَا النَّهَارِدِ.

- مَا هُوَ عَارِفٌ إِنَّكَ بِتَضْرِبُ.. وَكُلَّ النَّاسِ عَرَفَتْ خَلَّاصَ.. أَقْعَدَ لَكَ يَوْمَيْنِ فِي

بَيْتِكُمْ وَالدُّنْيَا بَيْتَكُمْ.

وكان لى رأى:

- بِأَبَاكَ مَشْ مَشْكَلَةُ تَلَوَقْتُ.. هَيَّامُ فِي ثَانِيَةٍ، بَسْ نَخْلَصُ الْأَوَّلَ مِنْ تَحْقِيقَاتِ

الْبُولِيْسِ وَالْغَمِّ دَه.

انطلق رامى بسيارته إلى البيت، وحاول أن يفتح والده بأنه لا يعرف أى

شئ عن هذا الموضوع، وطبعاً لم يصدق والده، وإن كان يريد أن يصدق،

وفى رأيه أن المشكلة الأساسية هى وفاة عاطف، فذهبا معاً إلى القسم، وأخذوا

أقوال رامى، الذى أنكر تماماً أنه رأى فى ذلك اليوم، وأنه لم يذهب إلى النادى..

بالإضافة إلى أنه لا يعرف أى شئ عن المخدرات، ولا يعرف أن عاطف

يتعاطى المخدرات، وتطابقت أقواله مع أقوال عائِل وسامح.. وبهذه الصورة

وضعت للنهية للموضوع، وفى اليوم التالى سافر رامى إلى القرقة مع والده؛

ليبتعد عن هذه الأجواء، وعن النادى والمنطقة كلها.

واستمر للموضوع صدها القوي، فكل من لا يعرف.. أصبح من

العارفين، وكل من لم يسمع عن البودرة، سمع عنها وأصبحت على كل لسان..

وكل الأهالى عرفت بما جرى، وبدأت حملة واسعة فى النادى لضبط أى مخالفة

أو خروج على النظام.. الحملة كانت مشددة على كل الشباب بلا استثناء، فقد

استيقظ مجلس إدارة النادى على المفاجأة المفزعة، وأن المنطقة حول النادى

مؤتومة، ولابد من محاربة هذا الوباء، وفى الواقع أن عند الضرب ارتفع بشكل

غير طبيعى ومخيف، والموضوع لم يعد ضرباً "وهزاراً" وخفة دم، لا.. أصبح

وفاة، وبوليساً، ومنمعة.

أذكر جيداً، أن هذه كانت آخر مرة يتجمع فيها الأصدقاء الخمسة معاً..

لم يجتمعوا منذ ذلك اليوم.. وللأسف الشديد أبداً..

ورحمة الله عليك يا عاطف.

في الجيش، ومكان ترحيلي، وأى وحدة، والرقم العسكري.. أعطيت كل التفاصيل، على أمل أن يتصرف والده ويخرجني من هذا الموقف الصعب.

وكانت الخطة البديلة تعتمد على حسام، وعلى صديقه، وهو ضابط شرطة شهيم من شيلة مصر الجديدة، واسمه ماجد، بالإضافة إلى المقدّم طلعت، وهو ضابط جيش من سكان مصر الجديدة أيضاً، وصديق حسام جداً، الذي عرف مني كل الموضوع، وفهم كل التفاصيل، وكنت أعتد عليهما كلياً في هذه القصة، وكل آمالي أن أطلع في يوم وصولي، أو أخرج في اليوم التالي على الأكثر.

وصلت إلى منطقة التجنيد يوم السبت الساعة التاسعة، وأخذت كل تفاصيل الترحيل، واسم الكتيبة، واسم قائد الوحدة، واتصلت تليفونياً بصديقي رامي، وصديقي حسام.. كلاهما طمأنني بأنه لا داعي للقلق، ووعداً لي بالتصرف.

وفي سيارة ميكروباص.. وصلت إلى الكتيبة، ودخلت المعسكر الساعة الخامسة بعد الظهر، ولا شيء على الإطلاق يمكن أن أعله، وبدأت أسمع التعليمات والأوامر:

- تعال يا عسكري.. اجتمع يا عسكري.

وأعجب من هذا كله، جاني شخص قصير وعجيب المنظر، وقال لي بأعلى صوت:

- لم ألزق التلي في الأرض.

نحن في الصحراء!! أين الورق الذي يتحدث عنه؟! بالإضافة إلى هذا.. فإن الذي يعطيني هذا الأمر، من رابع المستحيلات أن يقف ليكلمني في الشارع.. أعتقد أنه لا يعرف القراءة، وجاء إلى هنا من آخر ركن في العالم.

التجنيد

جاء موعد تقديم أوراقي للجيش.. استمارات.. كشف طبي.. تجنيد.. سلاح.. كتيبة.. وحدة.. مركز تدريب.. موضوع مهم وصعب، ورفض الولد أن يجرى اتصالاً تليفونياً واحداً، يساعدني في هذا الموضوع.. إنها فرصة ذهبية بالنسبة له للتربية والانضباط.. إنه لم ينجح منذ سنوات في إقناعي بدخول كلية الشرطة، وجاءت الفرصة التي يتناها من كل قلبه، وكان حاسماً، فقد أراد لي دخول الجيش لأعرف كيف يكون الالتزام، ولمواجهة الحياة برجولة.

بدأ من يوم الكشف الطبي، وضح لي وضوح الشمس حجم صعوبة الفترة، والأيام التي سوف أعيشها.. لم أسمع إلا الأوامر الصارمة: قف هنا.. إلتح ملابك.. تعال.. امش.. شتائم، أصوات عالية، "شُخْط"، وأصلاً والذي لم يكلمني مستخدماً "الشُخْط" أو العنف، لأنه يعرف جيداً لو أن هذا حدث، كنت سأترك البيت.

بعد انتهاء الكشف الطبي، دخلت سلاح المشاة، ومركز التدريب في المعادي لمدة ثلاثة شهور، وبعدها يتم التحويل إلى وحدتي الأساسية في السويس أو في الإسماعيلية.. "يا سلام".. حقاً.. إنها مأساة.. وبعد الكشف الطبي مباشرة، بدأت أفكر بعمق في الموضوع، يا ترى من يستطيع مساعدتي في حل المشكلة؟ مثلاً والد ريكو لواء في الجيش، ويحبني فعلاً، وفي رأيه أنني من أحسن أصدقاء رامي، وأنتي من عائلة محترمة.. لكن في هذا الوقت، لم يعد ريكو يشعر بمن حوله وبمناعبهم، أو بمعنى أصح اختلقت أولوياته بعد أن سيطر عليه موضوع الضرب، وقالت له إنت المسئول عن إيلاج والدك بتفاصيل موقعي

فى ذلك اليوم، كنت أرتدى جينز "ليفز"، وحذاء ماركة "ايلاس".
واقرب منى اثنان من الشباب، مظهرهما يتحدث عن أصلهما الطيب، وقال
أحدهما:

- إيه ده؟ إنت جاي الجيش بجزمة ايلاس؟

إنهما من بورسعيد، ويندو واضحا أن لهما خبرة فى الملابس
المستوردة والماركات العالمية، وأعجبني أسلوبهما فى الحديث، وقد شعرا لنى
فى حالة اكتئاب، فقالا:
- خليك معنا.

وافقت طبعاً، إذ ليس عندى أى اختيار آخر.. وجاء موعد العشاء،
ورفضت دخول عنبر الأكل، ولم أكل، واشتريت شيكولاته باليسكوت، وزجاجة
مياه غازية، واكتفيت بهذا تماماً.. وقفنا فى طابور طويل للتوزيع على عنابر
النوم.. وكان الجو بارداً جداً.. طبعاً برد، فنحن فى الصحراء.. واضطرت
إلى دخول عنبر النوم.. سريرى فى عنبر به أكثر من ثلاثين سريراء والمرتبة
عبارة عن تراب، وسلموا لكل منا بطانية.. والأوامر:
- ولا كلمة يا عسكري منك لى.. والصبحان الساعة خمسة.

طبعاً لم أتم.. من الخوف، والتراب، والروائح الكريهة.. استيقظنا الساعة
الخامسة صباحاً على أصوات عالية ومزعجة، "وَحْبَطَ وَرَزَعُ"، وطبعاً لم أدخل
الحمام، وأسرع إلى الشباب وأخذانى إلى مكان به خرطوم ماء، وغسلت وجهى،
ومرة أخرى أكلت شيكولاته وشربت الشاي، ولم أمد يدي للإقطار المكون من
فول شكلة غريب، وخبز شكلة أغرب.. واستغفر الله العظيم يارب.. أين أنا؟
وما هذا الذى أمر به؟! نصحنى الشابان بإخفاء عبئة السجائر، وقال أحدهما:
- سجائر "ماركورو" فى الجيش؟! الحمد لله إنك لابس "ايلاس" و"ليفز" ومفיש
حد فاهم حاجة.

إن وجودهما بجانبى جعل الموقف أكثر سهولة.. وحوالى الساعة
العاشر بدأ تسليمنا المخيلة، وبعض الملابس، وحذاء أكبر من مقاسى بكثير،
وبعض الأشياء التى لم أفهم أوكها من آخرها، وعلى الفور ذهبت للمقعد فالت
الكثيفة، وقلت له:

- يا أفندم.. أنا لازم أمشى من هنا.

- تمسّى تروح فىن؟ إنت فاكّر نفسك فىن؟! فى النادي؟

- أنا عايز أجازة أربعة وعشرين ساعة بس.. أرجع البيت.. يعرفوا أنا فىن..
وأرجع تانى.. بصراحة يا أفندم.. أنا مش هأقعد هنا خالص.

- إيه إن شاء الله؟

- يا أفندم أنا كنت فى مدرسة لغات، وخريج جامعة، وعُضو فى احسن نادى
فى مصر، وكل صيف فى أمريكا، ولو قعدت هنا يوم كمان هاسوت.. وبصراحة
لوا سطت بتاعنى "قلان للفلاي".

قلت له اسم معروف جداً، من الشخصيات المرموقة والقريبة من رئيس
الوزراء فى تلك الأيام، وهو من أقارب ولدة مينو، ولتى كانت تعمل مديرة
مكتبه، وقد وعدتني بمساعدتى فى موضوع التجنيد، لكننى اعتمدت على راسى
وحسام، وسألنى المقدم:

- "وَالَّذِكَ يَشْغُلُ إِيَّاهُ؟"

- "والذى المهندس"..... "عضو فى مجلس الشعب.

- "والذى المهندس".....؟

- إيه يا أفندم.. يوم واحد يا أفندم وأرجع.. دا أنا حتى ما قفرتش لأدخل الحمام.

- الأول شوف المخيلة وطبعتها، وبعدى نشوف موضوع التصريح.

- وعد يا أفندم؟

- خلاص يا صلاح، راجع المخيلة الأول.

- شكراً يا أفندم.. شكراً يا أفندم.

راجعت المخلة، ورجعت إلى مكتب المقدم للمرة الثانية.. فقال لي:

- والله ما عرفتُكش بليس الميرى!! شكك انتغير في الكاكي!!

- ممكن التصريح يا الفندم.

- النهاردة مش هانفع.. لو عنك بكرة انيك التصريح لمدة 24 ساعة بس.. يعنى لغاية الساعة سبعة الصبح تانى يوم.. مش أكثر.

- يعنى النهارده مش ممكن يا الفندم؟

- لا.. مش هانفع.. مفيش ولا واحد من نفعتك أخذ تصريح.. وانت هتبقى لول واحد بكرة.

- خلاص يا الفندم.. أستحمل لبكرة.. شكرًا يا الفندم.

واليوم فى الجيش كأنه سنة.. عقارب الساعة لا تتحرك.. والساعة الخامسة مساء كأنها الساعة الثانية عشرة ليلاً.. ولم أكل.. اكتفيت بالشيكولاته بالبسكويت، وزجاجة مياه غازية.. وكانت الليلة الثانية مثل الليلة الأولى.. لم أتم ساعتين متواصلتين.. صوت صغير الهواء، و"الشخير" والروائح الكريهة، والخوف من المجهول طرد النوم تماماً، بل شعرت أنني فى كابوس لا نهائى.

ولم أقرب من الحمام، ولم أأفطر.. بسكوت وكوب الشاي، وشكرًا.. وقفت فى الطابور، وسمعت للشائم بأعلى صوت، وبدأ مسلسل وفوق المجنين فى حالات إغماء.. البعض يقول إنه مريض، والبعض يدعى إنها ضربة شمس.. ولم أعرف الحقيقة.. هل هذا تمثيل، أم أنهم يقولون الحقيقة.

وبعد طلوع الصباح.. بدأ الطابور الجماعى لتحية العلم، وكلمة الترحيب من قائد الكتيبة.. بعد انتهاء هذه الإجراءات وهذا الفيلم الممل.. صدرت الأوامر بالجري مرتين حول الملعب.. خرجت من الطابور، ولا أحد يفهم ما الذى فعلته، ولم أزد على أحد، واتجهت الى مكتب المقدم.. وجاعنى الضابط المسئول عنا.. وسألنى:

- ليه مشيت من الطابور يا عسكري؟

- سيادة المقدم قال لى أجيله يا الفندم.

- ولله ما استألفش منى؟

- لا آسف يا الفندم.

- بقى عليك ها تشوف أيام سودا فى الجيش.

لم أزد.. وتمنيت أن أقول له: لن تترانى أبداً يا الفندم.. ولكن بصراحة لم أستطع.. وسكنت نماماً.

سبب هذا الحوار لى التوتر، وشد أعصابى، وكان واضحاً أن الضابط سوف يضمنى تحت الملاحظة، وبكل تركيز.. إذا ما العسل؟ أنا فى حالة لا تسمح بأية مناعب أخرى، وانتظرت ساعة حتى وصل سيادة المقدم وسألنى:

- إيه يا صلاح.. واقف كدا ليه؟

- لى انتظر ميادتك يا الفندم.. التصريح من فضلك.

أخرج المقدم التصريح من جيبه وقال:

- إتفضل يا سيدى.. تصريح أربعة وعشرين ساعة.

- ربنا يخليك يا الفندم.. ميش هأ نسى لحضرتك الجميل دا أبداً.

وأصبح التصريح فى يدي.. إنها الساعة الثانية، ومشيت أكلت نفسى.. إلى أين لجه؟

وليضاً لابد أن أبلغ الأوصحاب البورسعيديين بأننى أخذت التصريح.. شعرت بألفهما، فمنذ يومين لم أكل، ولم أدخل الحمام، وشعرا بعداى.. وبقتر فرحتى بالتصريح، كنت حزينا وغازيا لأن والد رامى لم يتصرف، ولم يبعث لى بأى تمسك، وحسام أيضاً لم يحضر كما وعد.. وبخطوة سريعة مشيت لى المعسكر، نعم كنت سعيداً بتصريح الخروج.. ولكنى أشعر أنني كاره للحياة، يومين عذاب "وبهتلة" فى هذه اللحظات سمعت "صول" ينادى على اسمى.. توقفت أنه من طرف والد رامى.. فسألته:

- نعم.. عايز إيه؟

- هو إنت.. ذا إنت علبنا عشان نلاقك.

قلت (بافعال):

- علبتكم إيه؟! سأليني هنا ياغل إيه؟

- إختا بندور عليك من إمبراح.

- من إمبراح؟! خرّجني من هنا بسرعة.. وامسك، أدى نصريح، أخذته النهارده

بالعافية عشان خلاص باموت.. مذبذب الحمام من يومين، ولا أكلت أى حاجة.

- فين المبخلة؟

- فى العنبر.

- ياللا روح جيبها.

أخذت المبخلة من العنبر، ولثاء سبرى فى المعسكر، قابلت الضابط

الذى عاملنى بعنف وشدة، وسألنى:

- مش قلت لك تجيلى.. ماجتش إيه؟

- والله يا أفندم.. لسه ماشى من مكتب سيادة المقدم دلوقتى حالاً.

- وعلى فين بالمبخلة يا عسكرى؟

- معاًيا معانك جواب إلحاق على كتيبة خدمات.

- يا سلام!! من أولها كدا.. وزبلى الجواب.

- أفضّل سعادتك.

- ذا كله متوضّب بقى!! عال.. عال.. بس ها تروح فين؟! هاشوفك تانى..

الإلحاق هيخلص وترجع.

فقلت له:

- أكيد يا أفندم.. شكرًا يا أفندم.. عن إنك يا أفندم.

وبعد خطوات جاعنى الوصول الذى سوف أخرج معه من المعسكر.

وسألنى:

- هو خطك فى دماغه إيه؟

- أصلى خرجت من الطابور.. طبعًا إنجن.

- مات المبخلة.

أخذ الوصول المبخلة منى، وذهب إلى زميله وأعطاهما له، وطلب منه أن

يضمها فى المخزن، ثم قال لى:

- نصريح المبيت أفندك من الضابط الذى خطك فى دماغه، ومن بكره عندك

إلحاق خدمات لمدة شهر ويتجدد، وبعد كدا هتشف سيادة اللواء هياضر بيه.

- يعنى إيه إلحاق؟

- يعنى تقعد فى بيتكم، لأن الإلحاق ده على كتيبة قائد صديق لسيادة اللواء..

فينت؟

وتنفست الصعداء: أه ده ده.. الحمد لله.. الحرية.. الحرية.. الحرية.

عدت إلى بيتى وكأننى كنت على سفر منذ سنتين.. طرقت الباب

بقوة.. ولم أرفع يدي من على الجرس إلى أن فتحت أختى رولا..

- حمزة الله على السلامة.. مالك؟ بقى كدا إيه؟

- يا رولا يا حبيبتي.. كانى غايب من سنين طويلة.. مش من يومين.

وفجأة.. وجدت أبى أمامى، يقول لى:

- خرّجت إزاي من معسكر التجليد؟

- طبعًا مش فى دماغك، وما صنعتك رميتنى هناك.. صح؟! ماشى يا بابا.

- خرّجت إزاي يا صلاح؟

- كنت علوزنى أقعد هناك على طول واللا إيه؟! ولعلمك أنا مش راجع للمعسكر

ده ثانى.. خلاص.. خلصت.. اتعلمت الدرس كويس أوى، ومش راجع الجيش

تانى.

- إزاي يعنى؟

- هتشف.. وعن إنك أدخل الحمام.. ما دخلتوش من يومين.. وعابز أكل أى

حاجة.. ما أكلتش غير بسكوت فى اليومين دول.

أخذت دشًا، وتخلت إلى السرير لأنام ساعة واحدة.. واتصلت برامى ولم أجد، وتركت له رسالة مع والدته ليتصل بى بمجرد رجوعه البيت.. ولم أجد حسام أيضا.. رثت دُعاء على تليفونى، وقالت لى إنه خرج مع ماجد وطلعت، وراحوا لكِ معسكر التجنيد، فقلت لها:

- بعد إيه؟ أنا رجعت خلاص، على العموم ها أنام ساعة، لأنى ما تميل من يومين.. اتبهذلت وتعبت جدا.. أخبار الضرب إيه؟

- سيم!!

- لما أصحى فاعذنى عليكم، ولما يرجع حسام قولى له يكلمنى.

- اتفقنا.

- بالقولك إيه.. كلمى نانسى وقولى لها تيجى.. وخشيتى.

- دى ليلة بقى.

قضيت الليلة فى بيت حسام فى مصر الجديدة، وكنت فى منتهى الغضب لعدم اهتمامه بالموضوع، ولأنه تركنى فى المعسكر لمدة 48 ساعة.. وقال حسام مفسراً الموقف:

- والله كنا عندك، وقابلنا ظابط وحدتك، واتضح إنه يعرف طلعت، وخدم معاه فى الجيش، وحكى لنا قصة الإحراق.. مائسى يا سيدى.. إلحاق على مفيش.. الظابط ده كان ناوى يظبطك لما ترجع، بس علشان خاطر طلعت خيمتيها لك.

- والد رامى اتصرف وعمل الواجب، بس لازم أنظم الموضوع، لأنى عشت كارثة.. فكرت أغرب.. ما استخيلش لأنى حصل لى.. ياللا ضرتنى.. وش دافع كمان.

- إنسى.. النفع قبل الرفع.

- لا.. لا.. لا نرى لغة جديدة يا معلم!!

- مفيش فلوس وعاوزين نجيب شغل.. بالقولك إيه يا صلاح، عربيتى بالإنطة، وبنا تسافرش، وعاوزين نطلع السويس بكره نجيب بودرة، وهوجب معاك واجب متكلمش بيته.

- هو أنتم بتجيبوا من السويس؟

- من السويس أو بلبيس، ولعلمك السويس ساعة من هنا، وأقل بسواقتك، والترزبن على، وهناك ما تتكلمش كثير، أصلك خنفس وهتضخنا.

- انت تلمز يا معلم.

فضينا نحن الأربعة ليلة طويلة.. ضرب، ضرب، ضرب.. فعند وجود البودرة لا نتوقف عن الضرب، لدرجة أننى لم أستطع حتى التحدث مع نانسى فى آخر الليلة.. وفى اليوم التالى سافرنا إلى السويس، ودخلنا عند تاجر يعيش فى الضواحي، وأحسن استقبالننا، ودخل حسام فى الحديث مع التاجر قائلاً:

- أخبار الشغل إيه يا معلم؟

- زى القل.. هتجرب بنفسك.

- الكمية التى فاتت كانت قلة شوية.

- يا راجل حرام عليك.. على العموم فيه شغل جديد.. بودرة "ملبكة".

- يا راجل.. ملبكة؟ والله زمان.

- خذ الورقة دى يا حسام بيه؟

- سألت حسام:

- معنى إيه ملبكة؟

- أصبتر.. هتشوف دلوقت.. بس عيبها أنها بتجيب رُغطة.

- ياللا يا عم حسام.. خالص.. عايز أشوف قصّة الملبكة إيه.. اضرب لى

الأول.. بالقولك إيه.. شبر العرق.. غروقى باظت.

وبدا حسام بتجهيز الموسى.. قائلاً:

- إيدى يا جدى.. دى بؤرة عالية جدا.

- ياللا يا حسام، ادفع وياللا بينا.

- إيه النظم يا معلم؟

- قل لى إيه رأيك بس الأول؟

- حلوة.. الجرام بكام؟

- 400 جنيه؟

- جرام إيه ده إن شاء الله!!

- طيب علوز قد إيه؟ وهنحسب لك الجرام عشان خاطر ك بد 350 جنيه.

- ياللا يا صلاح.. إحنا أختنا قد إيه يا معلم؟

- عيب يا حسام بيه.. هتدفع الواجب؟

- أضحك إيه بنى يا معلم.. ما إنت بتشتغلنا!! همتا 200 جنيه.

- والله ما جيت حقها.. يا حسام بيه إنت مش زبون!!

استمرت صليحة المساومة طويلاً بين حسام والمعلم، فلم أستطع التركيز معهم، فقد بدأت أعيب عن الوعى، وأفبق، ثم أغيب مرة أخرى.. وفى النهاية لم أعرف كم دفع.. أتصور ليس أكثر من 280 جنيهًا فى الجرام، وهذا السعر ممتاز؛ لأن الجرام ثمنه 500 أو 600 جنيه فى القاهرة.. أسرعت إلى السيارة، وخرج خلفنا المعلم.

- مع السلامة يا بهوات.. ما تغيث علينا يا حسام بيه.

- آجى لك على آخر الأسبوع.

- بتور يا باشا.

فقلت:

- باقول لك إيه يا معلم.. عايز مرنجة عشان الطريق.. أنا مالش ذنب فى القصة دى كلها، وعلى ما أوصل القاهرة أكون فومت خلاص.

- بس كدا.. علينا يا أستاذ.. يا ثابت.. اعمل مرنجتين للبهوات.

- إنتا هتتك مرنجات كمان؟

- طبعاً يا باشا.. ساعات بيحى لنا زيان، ومغيث معاها مرنجات.. شغل

بيكروا بس، وتفتش.. وإنت فاهم يا بيه.

- اتفضوا يا بهوات.. مرنجات وصاية.

- نسلم يا ثابت.

وأعطاه حسام 20 جنيهًا.

- شكرًا يا باشا.. شرفتوا يا بهوات.

- با قولك إيه يا حسام.. إحنا ليه بنجيب بؤرة من أم سيد؟ الورقة من هنا أحسن

لك مرة.. بمتشها السويس على طول.

- المشكلة فى العربية.. ومشوار برضة.

- مشوار إيه.. أنا ولا خضيت بالطريق وإحنا جايين.. ودلوقت تعال إنتا سوق،

عشان "الملكة" دى بنت*.....

- أنا لسوق؟ حاضر يا سيدى.

- قل لى يا حسام.. الجرام بيعمل كام ورقة؟ وبكام الورقة؟

- بيعمل التلى بيعمله.. وإنت مالك إنت.. إنت عليك تضرب، وبس.

- عذاك العيب.

عندنا بعد الرحلة التى استغرقت من الساعة السادسة حتى الساعة للعاشرة

مساءً، وفى بيت حسام وجدنا نانسى ودعاء فى انتظارنا.. قالت دعاء:

- جالك 60 تليفون يا حسام.

- طبعاً.. الكل عارف إنى رايح أجيب بؤرة.

قالت نانسى لحسام:

- شكلكم "يشعوز" يا أولاد الإيه.. أنا علوزة أضرب بسرعة.

*يشجع على التماطى.

- حالاً يا قمر.

واستمرت القصة بهذا المنظر.. بطلع السويس نجيب التمثل ونرجع..
حسام يقطع ويبيع.. وتمر بنا الأيام على هذا المنوال، وذات يوم، أول ما وصلت
بيت حسام، قال لى:

- أنا بنت عربيتي.

- بعثها؟ قول فوركتها.

- فوركتها أو بعثها.. فى ستين ذاهية.

- مع أنى يا أختى كنت باحبها.

- والعربية كمان كانت بتشكر فيك يا صلاح.. باللا بسرعة.. المرة دى على
بليس.

- إنت بتعرف السكك دى لزاى؟ وإمتى؟

- واحد صاخبى اسمه هشم.. هنزوح معاه.. هو عاوز نجيب.. فأدى توصيلة،
وأكد هو هتوجب معانا، ونعرف سكة جديدة.. وبليس أقرب من السويس.

- يمكن البونزة هناك وحشة؟

- وحشة إيه؟ هو أهبل واللا تلميذ؟ وبعدين هو ضرب من بونزة السويس قل
كدا، ويقول بونزة بليس أحمى والجرام بـ 250 جنيه بن.

- ماشى.. بليس.. بليس.

اشتهر حسام فى مصر الجديدة، ولم يكن يعرف أكثر من خمسة أو ستة
أصحاب ضريبة.. والآن أصبح عنده أكثر من عشرين زبون.. وارتفع عند
الشباب.. ولم يعد المكان أمام البيت يسمع لوقوف السيارات، وشعر الجيران بأن
هناك كارثة ما تدور فى شقة حسام ودعاء، بتعبير آخر معروف لنا "تشموا"،
فأخذ شقة جديدة، أو بالمعنى الأصح، دعاء أجرت شقة جديدة لشخص من
الخليج، وقامت له حسام على أنه شقيقها الكبير.. وطبعاً كان للزواج "عزفى"،
تماماً مثل الذى قبله، والذى قبله.. لكن من مزايا هذا العريس أنه يزور مصر

ثلاثة أيام كل شهرين. وكان يدفع الإيجار، والمصروفات، والبونزة قباغ
والأحواى مستقرة.. لكن المشكلة التى ظهرت بوضوح أن الجزعة لم تعد كما
كنت، والورقة لم تعد كافية.. طبعاً لم أكن أضرب مثل حسام.. لكن الواقع يقول
إن الجزعة زادت، وبدأت أضرب كل يوم، والكمية فى جسمى تغيرت.. كنت
فى وقت ما أضرب وأتقيأ، ولم أعد أتقيأ بعد الضرب.. بينما حسام لا يعانى من
هذه المتاعب منذ فترة، إلى درجة أنه يضرب ثم يأكل.. ولاحظت أن ناسى
بذلك تنفذ الكثير من وزنها.. هى أصلاً من الأحجام الكبيرة، وهذه الرشاقة
جعلتها أكثر جمالاً.. وكانت تخفى الهالات السوداء تحت عينها بأدوات التجميل،
وهى خبيرة فى عمل "المكياج"، والذى ساعد فى إبراز جمالها، وإخفاء لون الوجه
الباهت.

فى تلك الفترة، ازداد اهتمامى بموضوع الجينز والتجديد، لقد مررت
بالتجربة، وعرفت جيداً خلال 48 ساعة قضيتها فى المعسكر المواقف الصعبة،
لنى لا أتخيل تكرارها.

ومرت فترة التريب ثلاثة شهور دون مشكلات، ومثلها شهور الإلحاق
بمساعدة صديق والد رامى، ولكن كان لابد من تدبير الموقف فيما بعد الإلحاق..
لحق يقال إن والد رامى أخذ الموضوع بجدية، وكانى ابنه، واستطاع أن ينقلنى
إلى سلاح آخر، وتم قيدي فى إحدى الدور التابعة للجيش.. الحمد لله يارب.

و يا سلام على راحة البال..

ولاً: سأظل فى القاهرة.

ثانياً: لن أذهب إلى هذه الدار كثيرًا.

ثالثاً: سأذهب بملابسى المدنية العادية، وليس بملابى الميرى.. والمواعيد من
الساعة العاشرة إلى الساعة الثانية على الأكثر.

إضافة إلى هذا كله.. فإن هذه الدار في مصر الجديدة، بجانب منزل حسام ودعاء ونانسي.. لقد تم حل جميع المشكلات.. منهنش.. رائع.

وفي رأيي، أن الأمور سارت إلى الأحسن بعد حل موضوع التجنيد، وليست هناك مشكلة بالنسبة للضرب؛ لأن حسام فتح الثولاب مع دعاء، وبذلك أخذ منه تذاكر وأبيعها لأصدقاء في المهندسين.. ثمن التذكرة 30 جنيهًا وأبيعها بـ 40 جنيهًا، وكل ثلاث تذاكر، يصبح لي شخصيًا تذكرة هدية.. شيء سهل وجميل، وكان رامي أحسن زبون، يأخذ مني يوميًا هو وشلتة 6 تذاكر على الأقل، وأحيانًا ثمن التذكرة 40، أو 50 جنيهًا ويتوقف ذلك على من يشتري ومتى؟! وقد دفعت من قبل لكل هؤلاء الشباب عشرات المرات من جببي، وجاء الوقت الذي أطالبهم بالرد.. ثم للضرب إذا وجد الثورثة أمامه وثمنها 50 جنيهًا، أفضل له مائة مرة من ألف والثوران بحثًا عن دولاب للشراء منه. وبدأت أفقد عمليّات جديدة.. مثلاً اشتري سلسلة أخت فلان الذهب وثمنها 300 جنيه، وأتق 200 جنيه، وساعة "رولكس" ثمنها 6000 جنيه، وادفع 2000 جنيه، ولم يكن من الصعب إعادة بيع هذه الأشياء في النادي، ومكتب الساعة يصل إلى 2000 جنيه، والسلسلة 100 جنيه والنظارة 50 جنيهًا، ولكني رفضت شراء أجهزة الفيديو؛ لأن بيعها صعب، واكتشاف الأهل لاختفائها سهل، فيسبب في عديد من المشكلات.

وبدا التغير واضحًا بالنسبة لصديقي رامي.. لم يعد الإنسان الجميل الرياضي، بعد أن فقد كثيرًا من وزنه، حتى سيّارته "بي إم دبليو" الحسنة تحتاج إلى شمكرة ودهان من الأول للأخر.. ماذا جرى للأناقة؟ وأين ذهبت الصناعات الفاتنة؟ أين الجيتار؟ أين.... وأين..... حبيبته نيلى وضعت نهاية لعلاقتها، بعد أن ساءت سمعته، وعرف عنه أنه ضرب، وكلمة رامي "ممن" أصبحت على كل لسان.

ولم تنته العلاقة بيلى وبين راندا.. كنت أتردد كثيرًا على الجامعة للتواصل مع شلتى هناك، وهى دائماً معهم، ولا تزال صديقتي.. حقًا.. لقد انكسر بيننا شيء ما، والكل يعرف هذا جيدًا، وكل من الواضح أن هذا الشيء من المستحيل إصلاحه.. وهى موقفها معى واضح، بيلى وبينها هى "مراتي"، وأصحابي شهود العقد العرفي، ولكن فى حقيقة الأمر.. لقد انتهى ما بيننا.

راندا تسكر ولا تشعر بمشكلة، "جوينين" وليست عندها مشكلة.. وأنا أيضًا لم تكن عندي مشكلة، تسكر، أو تحشش كما يحلو لها، إحساسى ومشاعرى تجاهها اختلفت كثيرًا.. لم أعد أحبها، ولكن وجودها لا يضايقنى، حقوة.. تمها خفيف وتعيش معى بالطول والعرض.. فى "مراتي" أولاً وأخيراً.

أما مريم بوجهها البرىء.. فإنها لم تتغير.. بالعكس ازداد اهتمامها، وازداد تعلقها بى، بل حبها.. وكثرت هداياها، ورأيها غير المعن، ولكنه واضح ومفهوم: "أعمل اللي إنت عاوزة، وعمري ما هأفوك إنت بتعمل إيه.. إعمل أو ما تعملش.. كلم أو ما تكلمش".

لها حقًا ذكية؛ لأنها استطاعت أن تعرف أنني سأفعل كل ما أريد.. وأتخذ أفكرى.. وكان أهم شيء بالنسبة لها أن تتزوجنى فى نهاية المطاف.. فكرة لاأرجح من مريم لم تكن تضايقنى.. على العكس تمامًا، كانت فكرة مقبولة، خاصة بعد الموقف الذى حدث من راندا.. كنت أشعر أنه ليس هناك أفضل من مريم.. تحبني حبًا أفلاطونيًا، ولا تعرف أى شيء فى الدنيا، وفى حياتها لم تفك يد أحد غيرى.. وكرجل شرقى، بهمنى أن أكون أول رجل فى حياتها.. لم ليس هناك أجمل من التمتع بحريتي.. أتصرف كما أريد، ومطمئن تمامًا إلى أن فى بيتى زوجة محترمة تتنطرى، وليس لها مطامع أكثر من الحياة معى.

أجازة

أكبر مفاجأة حدثت آنذاك، كانت في مطلع شهور الصيف؛ حيث كل قرار سفر بابا، وماما، ورولا لعمل جولة في بعض الدول الأوروبية، وزيارة أسرة أخى كريم في إنجلترا، وروية التوأم الصغير "رنا ودنيا" لأول مرة بعد سنتين من ميلادهما.. والرحلة تستغرق شهور الصيف.. ما هذا الجمال؟

سوف أعيش وحدى في البيت.. نعم وحدى ومعنى 4 سيارات!!

وبالنسبة لى، ليس أمامى خطة للسفر وبما أننى في الجيش، فقد كانت الخطة الترفيهية لى أضرب في البيت، وانتظر زيارة الصديقات.. أخذت من الوالد نفقات الإقامة التى تكفى لمدة شهرين، والمبلغ لا يكفى الضرب لمدة أسبوع.. إذا ما الحل؟! وجنته.. فصنعت سلك الكيلومتر للسيارات الثلاث، وأجرت سيارة والذى لأحد الأصدقاء الملتزمين ليسافر بها إلى شرم الشيخ.. بدلاً من تأجير سيارة أخرى من الأسواق، وبدلاً من أن يدفع 200 جنيه يومياً، يدفع لى 150 جنيهًا فقط.. وهذه فكرة عملية ومريحة له وللى.. وأهم شرط أن يحافظ على السيارة.. ووعدنى بهذا، ونفذ وعده فعلاً.

وأخذ حسام السيارة الثانية للسفر إلى السويس أو بلبيس أو هنا وهناك.. إنها سيارة أسمى، واشترطت عليه المحافظة عليها، دون خبطات أو أشياء مهلهة داخلها، ويتم غسلها في محطة البنزين كل أسبوع، وبصراحة حسام لم يحب ظنى فيه أبداً، وفي المقابل "مؤسسته يومياً في الليكو".

وتتحرك السيارة الثالثة وفقاً للظروف.. إنها سيارة أختى رولا.. سيارة "مشاوير".. يأخذها من يريد شراء الأكل أو حثيش أو لقاء صديقه.. وحقيقة الأمر لم تكن تتحرك إلا قليلاً.

ونبقى سيارتى لا أحد غيرى يركبها.. عربيتى وأخذى.. إننى أحبها، وأحاف عليها.. قمة الأناثة.. وكان الموقف كالآتى:

• القلوب موجودة..

• العريبات موجودة..

• ثقة تؤخذى، نعم وأخذى.. آخر مزاج..

فى تلك الأيام، كانت راندا موجودة أغلب الوقت مع مثلة الجامعة، وكانت تشعر بأن هناك أشياء غريبة ومريبة، وأن الموضوع ليس موضوع سيارتين متوقفتين، ولكنها لم تستطع معرفة الشيء الغريب والمريب، ومن حين إلى آخره، كانت تسأل:

- "مؤ فيه إيه؟ هو إثم تأمين على نفسك كذا إيه؟

طبعاً لم يخطر ببالها، ولم تكن قادرة على استيعاب أننا بلضرب بوردرة. وتسكن مريم ذات الوجه البرىء فى العمارة المجاورة.. وكانت على تربية كاملة بما يحدث.. تنف فى شرفة بيتها، تفتح فيها فى ذهول لرؤية شباب من الجنسين فى انتظار المصعد، وأحياناً لا يصبرون على الانتظار طويلاً أمام أبواب المصاعد، فيقفزون على السلالم نزولاً أو صعوداً.. وسياراتهم أحدث "مونيلات"، "فورد كابورليه"، "مرسيدس كوبيه"، "جولف كابورليه".. وهم جميعاً غاية فى الأناقة، ويحكى مظهرهم أنهم أولاد ناس، وهى ترى ما يحدث خارج بيتى، أما داخله فلا تراه، وإذا رآته قلن تستطيع استيعابه.

وقد سمحت لها بزيارات سريعة من حين إلى آخر، وتأتى دائماً وهى تحمل مختلف الهدايا بأفكار مبتكرة، وبعد سفر أهلى مباشرة أهدتنى كلب "دورك شلر" جميلاً.. إنما أصحابى المزعجون كانوا يتفخون الحثيش

فى وجَّهه، وبالتالى أصرخ فى وجوههم، طالبا الرحمة لهذا الكائن الجميل والذي أحبيته كثيرا.. ورأت مريم عشرات الأمور المعجبية، ولا تتعقّب من جانبها.

وتردّد أصحابي من الجامعة على بيتي، وكان يأتي فى صحتهم أصدقاء لهم، وبعضهم لا أعرفهم، وأحيانا أخرج وأتركهم فى البيت، وعندما أعود.. أجد مجموعة أخرى، ويعم السلام على أنغام الموسيقى.. لكن القوضى تم أيضا، فلا شيء يثبت فى مكانه، وانقلب الليل قهرا، والنهار ليلا.. ولم يعد من المعروف لأحد مواعيد النوم، أو الصُحيان.. وليست هناك خطة أو هدف.. فقط الاهتمام بالخروج، والشرب والضرب والموسيقى والحفلات والبنات.. والحل عاجبني، وأصبحت الحياة احتفالية يومية.

وذات صباح.. دخلت سريري الساعة السابعة صباحا استعدادا للنوم، وارتفع رنين التليفون.. إنه بالنسبة لى من الأشياء المزعجة بسبب معاكسات البنات الكثيرة، ولا يتسع وقتي لمثل هذا الصداق والأحاديث المملة، ومع هذا رُذيت على التليفون، ودار الحديث التالي، ومن غير "ألو" قلت:

- ألقدم.

- ممكن أكلّم صلاح؟

- نقوله مين؟

- هالة.. هو ما يعرفكش.

- دا أنت جريئة أوى.. يعنى بتتكلّمى الساعة سبعة الصبح، وبتردّي، وكمان ما يعرفكش.. أحسن لك تكوني عايزاه فى حاجة مهمة أوى، أنا صلاح.. خير يا هالة.

- أنا أسفة إني بتكلّم فى وقت زى ده.. بس الحقيقة أنا من يومين باتكلّم، ومفيش حد بيردّ على.

- أنا كنت معذّى بالصداقة وداخل أنام فجّت متليمة.. نعم؟ خير؟ عايزه إيه من صلاح؟

حاولت الكلام بأسلوب مهذب؛ لأن صوتها عجبتني، وأسلوبها راق يذكّر أنها بنت لاس..

- أنا وصلّت من الجلترا.. وقابلت مامتك عند كريم، وقالت لى أكلّمك فى الأوقات غير المناسبة علشان أعرف أهلك.

- ياه!! دا إنت طلعت مهمة بجد!! أسف لو كنت دخلت شمال، أصل المتعاسات فى التليفون كثيرة، وأنا خلاص زهقت.

- ولا نهمك.. أنا متعايا جولبات، وصور لأجل تولم فى الدنيا رنا و دنيا.

- إيه المفاجأة دى.. أنا نفسى أشوفهم.. قولى لى: حلّوين؟ يارب يكونوا شبة مائهم؟

- الحقيقة شأ لأجل تولم فى العالم كله.. الصور فتعجيك أوى.

- بس إنت ما قلّيش، بغرفى أخويا ملين؟

- بابا يشتغل معاه.. ولعلمك أنا أعرف أهلك كلهم، وكحوا لى عنك كثير.

- لعلمك كل كلامهم مجرد إشاعات.. دا أنا طيب جدا.

- ومين قال إنهم قالوا إنك شرير؟

- بالقولك إيه يا هالة.. كلميني عن نفسك شوية.. عندك كام سنة؟ جامعة إيه؟

- أنا حاسبين إن ممكن نكون نعرف بعض.

- أنا عندي عشرين سنة.. فى الجامعة "....".

- يا سلام.. يبقى أكيد نعرف بعض.

- أنا أعرف إنك اليومين دول فى الجيش، بس بتتفرّج عليه فيديو، وعامل مشاكل كثيرة.

- لا.. لا.. دا كله الخراف.

- قل لى.. ممكن نكون نعرف بعض إزاي؟

- أنا شلّتى قلّها لسه فى جامعتك، وصاحبتي.. أقصد اللى كانت صاحبتى من نفس الجامعة، فأنا معظم الوقت عندكم.

- صاخبتك مين؟

- ميش صاخبتني.

- أوكيه.. مين هي؟ جازيكون أعرفها.

- رلتنا.. رفيعة وطويلة وشعرها منكوش.

- بيتبثلي أعرفها.. كانت بتأخذ معانا درس.

- بقولك إيه أنا خلاص صحبت.

- والله أسفة.. بس هُم اللي قالوا أكلّمك فى لوقات غريبة، وأنا فعلاً باحاول

من يومين، وميش عارفة الإهيك.

- ميش مشكلة.. وبما أنى صحبت.. أقوم اخد نش وأجى لك اخد الصّور.. إنت

مشكلة فين؟

- فى المهنسين.. شارع ".....".

- أوكيه.. بعد ساعة اكون عندها.. آه عيارة كام؟ دور كام؟

بصرحة.. لم أقرر للأهاب من أجل الصّور.. ولكنى أردت أن أشوف

هالة، وأعرف من هي.. إحساسى قال لى إنها حلوة.. أيضاً أعجبتى أسلوبها

فى الكلام، فقررت أشوفها ودون تردّد.

أخذت "النش"، لفيت سيجارة، واخترت ملابس أنيقة بعناية، وكنت

فى هذه الأيام أتبع موضحة أميركا، ألوان كثيرة، وسلاسل فى الرقبة لا يقل عددها

عن خمس لو ست، بالإضافة إلى مجموعة مثلها من الأسيالات فى ردى،

وشعرى طويل والنظارة العرّاية.. شكلى خفّض جداً.

وصلت إلى منزل هالة.. طرقت الباب، ثوان قليلة وفتح الباب.. ياهو!

تسنّرت فى مكانى لحظات.. "صاروخ" يا نهار أبيض على للجمال.. جمال

لدرجة إنى سكت تماماً.. لم أطق من روعة المفاجأة.. إبسامة ملائكية لوقفتنى

الحائرة.. وظللت ثابتاً فى مكانى ساكناً.. تماماً.. فقالت:

- صلاح.. إزيك.. اتفضّل.

استجمعت كل قوايا.. ركزت وقلت:

- ميش تقولى إنك حلوة كده؟

- اتفضّل.

جلسنا فى الرئيسين وسألتنى:

- يشرب إيه؟ نسكافيه؟ شاي؟ كوكا؟

- إبسامة خبيثة" قلت:

- بيرة.

- لا.. ما عُدّيش بيرة.

- طيب.. ويسكى.. واللاً هتقولى كمان مفيش ويسكى!!

- تخيل!! وكمان مفيش ويسكى!!

- خلاص.. نمشينا نسكافيه، بقولك إيه.. هاتى لى الصّور الأول.

- خادير.. دقيقة واحدة.

وكلمت نفسى:

- يا نهار أبيض.. إيه ده؟ هي دى؟ خلّص يا معكم.

- اتفضّل الصّور.. ها أعمل نسكافيه وأجى.

- بيتشك!! ده يبقى أحمل نسكافيه فى العالم.

تخرج هالة إبسامة جميلة.. وأخذت أقرأ رسالة أهلى وأأمل الصّور..

وتعود هالة ومعها نسكافيه.. قائلة:

- شفت الصّور!! شفت ضحككهم؟ ونظرة عينيهم!! تخيل وحشولى أوى.

- لما يكون عندهم 16 سنة، هيكونوا أجمل بئذ العالم، ومستولى أفتح عينيهم

على حقيقة الدنيا.

- لا.. والنسى.. سينهم يعيشوا دنيا البراءة.

- إنت باين عليك جاية مشحونة من إنجلترا.

- بصراحة.. كلهم كانوا بيُشكروا فى شغافك طول الوقت.

- ظلم.. افترا.. بس غريبة إني مانتفكيش قبل كذا في الجامعة!!

- أنا شفتك، ما اللي إنت فيه دا مانتفكش مانتفكش نظرك خذ.

- هتغلط!!

- إيه السلاسل والأنسيالات دي كلها؟ إنت فاكرك نفسك في نيويورك واللا في هوليوود؟

- بقولك إيه.. إحنا في بلد حر، أنا أكل اللي يعجبني، والبس اللي يعجبني، وأعمل اللي يعجبني.. بس إزاي صحيح غمزي ما شفتك قبل كذا؟!

- أصل أنا من الدرس على البيت، وميش بقعد في الجامعة خالص.. مانتفكش في المناظر دي.

- باين عليك دحاجة.

- أيوه.. أنا من الأوائل، بس والله مش بذاكر كثير.

استغرقت جاستنا معاً ثلاث ساعات.. كلام، كلام، كلام.. وشعرت أنها مهمة ولديها رغبة في التعرف على بأسلوبها الخاص.. حقاً إنها ذكية وليست سهلة.. على أية حال.. الطريق مفتوح أمامي، ولن أتركها تفلت من يدي، سوف أسأل عنها.. أعرف أصلها وفصلها من أصدقائي.. وكان أول من سألت هو صديقي مصطفى:

- مين يا سيدي هالة دي؟

- إنسي.. ولا تخضر في بالك.. نصن طالبة الجامعة جفوا وراها.

- ماني.. دي بقي يا معلم بتاعتي أنا، وميش هتفتك من أيدي.

بدأت الحوارات التليفونية يومياً ولمدة ساعات طويلة.. ومن حين لآخر نذهب معاً إلى النادي، وكان واضحاً أنها معجبة، ولكن بحذر شديد.. فهي تتأق وتتأق في مظهرها وكلامها.. تتق في نفسها وفي جمالها.. وسَمَعْتُها في الجامعة عشرة على عشرة.

والعكس صحيح بالنسبة لي.. صاحب رائدا، صابغ وضابغ، والشبعة في الجامعة لا تسر عدوا ولا حبيباً.. ومع هذا محبوب من الناس، وكانت هذه هي الميزة الوحيدة.. وقد أعجبنى كثيراً أنها لا تحب البقاء بالجامعة.. ومن جالبي لم أكن أريد الظهور معها هناك، فقد تسبب رائدا في مشاكل، وأردت أن أبتظر على الموقف.. وبعد عشرة أيام، كان عيد ميلاد هالة، وكانت هذه هي فرصتي لاستعراض عضلاتي أو إمكانياتي، وأن أقم في هذه المناسبة شيئاً ما قد يعجبها، ويدير رأسها.. ولم أتردد.

• حجزت راقصة فتنق لمدة ساعتين.

• الاحتفالية لنا وحدنا.. هي وأنا، وتورثة صغيرة مع أجمل "كارت" تهنته في العالم.

• موسيقى تناسب نوقها، وكانت الموضة أغاني هادئة لـ "مايكل بولتن".

• باقة ورد أرسلتها إلى البيت.. وأعتقد أنه كان أجمل، وأكبر، وأشيك "بوكيه" في مصر.

• نصف من الذهب، مكتوب عليه لا إله إلا الله، والنصف الآخر محمد رسول الله.

باختصار.. عملت أراجوز يومها، وقلت لها:

- إقتضلي.. نصن بئسيه، والثاني بئنيه للي يستاهلك، حتى لو مانتفكش أنا.

كلام مؤثر.. الشيا حلوة.. والجو تحفة.. لسوا ما في الموضوع، إني كنت ضارب أكثر من مرة، وتحت عيني سواد، ويبدو على الإرهاق.. وصارحتني قاتلة:

- بصراحة إنت عاجبتي، بس أنا خايبة منك.. معروف إنك شقى، وكل يوم مع واحدة، غير موضوع الشرب، دي قصة ثانية كمان.

- بقولك يا هالة، واحدة.. واحدة.. وكثرة هيبقى لوكن.

حفر الباطن.. والجائزة

وفي تلك الأيام كنت لازلت مجنّداً في الجيش، وعاش الوطن العربي كله تحت وطأة مشكلة احتلال العراق للكويت.. أيام سادها التوتر والانفعال بين أطراف كثيرة، وكانت أمريكا ستدمر الكويت لإخراج العراقيين منها.. المنطقة مشتعلة، والجيش المصري في حالة تأهب، وكنت بعيداً عن كل المشكلات، فبهمني أنا محددة، مكلف بمسؤوليات في إحدى الدور العسكرية، ولكن المشكلة كانت في صديقي فتحي، زميل مرحلة الدراسة الجامعية.

لقد تم استدعاء زميلي فتحي كضابط احتياط، ولم اكن أدري إلى أي مكان تم ترحيله.. إنه ليس الفتى المثل مثلي، لقد تعود طوال عمره الحياة الخشنة، ثم هو الآن ضابط احتياط.. إنها مسؤولية كبيرة.. المهم ذات صباح، تلقيت اتصالاً هاتفياً من فتحي، وكانت المحادثة قاسية بالنسبة لي، فكرهت الأحداث الرهيبة الساعنة، والموقف برمته أكثر وأكثر.. وجاء صوته خافتاً:

- إزيك يا صلاح؟ واحشني أوى، وإزاي بابا وماما؟
- أبو فتحي!! إنت فين يا عم؟ والله واحشني جداً.. إيه يا بني مش ها نشوفك واللاً إيه؟

- والله يا صلاح مش عارف.. جايز أعرف أشوفك.. وجايز ما أعرفش، أنا بأكلمك علشان أسلم عليك، وأقول لك أنا رايح حفر الباطن.
- حفر الباطن؟ يا نهار أبيض!! إنت رايح مع الكتيبة المصرية.
- أبوة.. جالي استدعاء النهارده الصبح.. ولازم أسلم نفسي بكرة، فقلت أكلّمك، وأسلم عليك لأني مش عارف هارجع تاني واللاً.....

- إيه لوكن دى؟ عليك كلام.. مش عارفة بتجيبة منين.. ولا مامتك ولا ياك
ولا أخوك ولا أختك بيتكلموا كده!!

- يعنى.. بقول مزروك؟ بقرا الفاتحة.. بسم الله الرحمن الرحيم..... وركعت يدى، وبدأت في قراءة الفاتحة.. وبإستسامة مضيئة قالت لي:

- فاتحة إيه اللي بتقراها؟! إرخمني.. إنيني فرصة أفكر.. أحسن أنا بجد فتحة وعرفت.. أو بكل تواضع، أيقنت أنني دخلت قلب هالة، ويبقى الاهتلال من عقلها، لكنّها مسألة وقت.. ثم يحق لي أن أقول لنفسى: يارجل أنت لم ترها إلا منذ عشرة أيام فقط.. ومن الواضح أنها إنسانة ليست مثقلة.. وموف تتابعني بكثير من التركيز.. ليست مشكلة على أية حال.. لن تغت منى.. مستحيل، لا ألقها في سيجارة وشربها.. إنما لن ألبو بها.. هذا أيضاً مستحيل.

مرت أيام الإجازة سريعاً، وعاد أهلى من رحلتهم.. مرّ الشهران كالخمر الجميل.. يا ألف خسارة..

عودة إلى الاستقامة، أو بمعنى أصح: كلّه يرجع في مكانة.

- ثلاثى تقول كذا يا فتى.. ذا عُمَرُ التُّقَى بَقَى.. وإن شاء الله تُرْجَعْ إلى سلامة.. پسَ إِنْتَ خَلَى بِإِثْكَ مِنْ نَفْسِكَ، وأول ما ترجع بالسلامة كلمنى.. لفقاً؟
- ربنا يُستَر.. أشوَفك على خير.. وسَلَمَ لى على الأهل.
- لا إله إلا الله.
- سيدنا محمد عبده ورسوله.

انتابتنى حالة من الذهول بعد انتهاء هذه المحادثة تليفونية.. وظللت أكلّم نفسي: فتى!! حفر الباطن!! العراق!! الكويت!! أمريكا!!
لقد بدوت متمسكاً طوال المحادثة ببنا.. ولكنى شعرت بعدها بالخوف، وأيضاً الحزن.. كلاهما يتصيب من مسام جلدى، وأردت البذاء بصوت عال.. رحمك يا الله.. لماذا فتى بالذات؟ وما كل هذه الأخبار السوداء؟ لماذا يذهب فتى إلى حفر الباطن؟ ماذا يفعل هناك؟ ثم سيُحارب من؟
عشرات الأسئلة بلا إجابة.. وأسكت القلم، وكتبت رسالة إلى رئيس الجمهورية.. حكيت فيها عن فتى ذلك الفتى الطيب.. فى أعماقه قدر هائل من الخلق الكريم.. وحكيت فى الرسالة عن أيام عشناها معاً، وقدرته على العطاء وإنكار الذات، والتفانى فى منحنى المحاضرات والملازم لأخذ فرصتى كاملة فى المذاكرة والنجاح.. كانت رسالة طويلة، حَمَلْتُ سيانته فيها مسئولية صنيقى فتى، وختمتها بقولى: ذِمَ فتى فى رِقَبَتِكَ باريس..

ومرت سنة التجنيد بالنسبة لى بسلاسة، وهتوء، وبلا مشكلات لكنهم طلبوا منى التواجد ساعات منتظمة ولمدد أطول، فقد تقرر افتتاح الدار، ومن المهم استكمال الأشياء التى لم تُستكمل بعد.. وكان العميد نائب الدار، يجمع فى يده كل الخيوط، وكنت مساعده بل وصديقه، وكان يثق فى ذوقى، وعهد لى باختيار أنواع وألوان لقشة مفروشات القاعات، ومنها قاعة الأفراح الكبرى والسائر.

وكان العميد أيضاً يتمتع بالنوق الجميل، وهو شخص ذكى ومرن، وكنا نقضى معاً ساعات طويلة بدءاً من العاشرة صباحاً حتى الساعة الثانية ظهراً.. أعرض عليه خلالها المفالصات وعروض الأسعار لكل الأشياء المطلوبة بكافة تفاصيلها.. وكانت ثقته بى كبيرة، وذات يوم سلمنى حقيبة بها 40 ألف جنيه شتاء لشراء تليفونات وأجهزة أخرى.. ولم أأخذ العهد ولا العهدة.

بصرحة.. أحببت الدار كثيراً، وأحببى العاملون بها، وشعرت أننى أضفت لمسات مهمة وجميلة فى المكان.. وفى يوم افتتاحها، كنت العسكرية الوحيد الذى جلس على مائدة وزير الدفاع، كواحد من أعضاء الفريق الذى قام بتجهيز الدار للافتتاح.

وبعد هذا اليوم التاريخى فى حياتى.. استمر تواجدى بها ثلاث مرات نسوياً لمدة ساعتين تقريباً، وبقيّة اليوم أقضيه مع حسام ودعاء ونانى فى مصر الجديدة، ومعهم صديقنا الضابط ماجد.. كنت أذهب إليهم لقرب المسافة سيراً على الأقدام، أضرب وأعود إلى الدار بعد حوالى نصف ساعة.. وكلّهُ تمام.. ومع الأيام، لاحظت أن بعض العاملين بالدار بدأ يشك فى الأمر، ويشعر بأن هناك شيئاً ما خطأ.. ولكن لم يناقشنى أحد فى الموضوع.. وانتهت، وبذلك أترجع ولا أذهب إلى الدار بعد الضرب، أو على الأقل حذت التجربة، لأن أحد الضباط أيضاً بدأ يراقبى بعين ثاقبة، وكأله يقول: يا معلّم.. أنا فاهم كل حاجة.

انتهت فترة التجنيد.. حقاً كانت أياماً جميلة، تعلمت فيها الكثير خاصة عندما قمت بشراء احتياجات ومستلزمات الدار، كنت أدرس الأسعار، وأقارن بينها.. التجربة عملية ومفيدة جداً.

وفى تلك الفترة، تلقت الأسرة نبأ سعيداً بحصول والدى على الجائزة الأولى، فى تصميم واحد من أكبر المشروعات الهندسية فى السعودية.. واقترح الوالد أن أسافر، أنا ووالدى معه؛ لتتعرّف إلى الناس هناك، ومشروعاتهم

التسوية الكثيرة، فقد تكون فرصة بالنسبة لى للتفكير فى العمل والاستقرار هناك.. ولم أكن قد سافرت إلى بلد عربى من قبل.. كل رحلاتى إلى أوروبا وأمريكا.. بالإضافة إلى هذا، كانت الدعوة لاستلام الجائزة، تشمل دعوة لأداء العمره مع والدى ووالدتى.

كان أول خاطر: أن أقل من الضرب، بعد أن أصبحت أضرب كل يوم تقريباً.

والخاطر الثانى: أن أشتري ملابس جديدة.

والخاطر الثالث: الدعوة من أحد الأمراء المرموقين.. إذا كل شيء بمستوى الأمراء.

والخاطر الأهم: تمنيت أن أرى الكعبة، وأصلى فى الحرم المكى، فى كل يوم.. يتوجه الآلاف من مصر والعلمين من العالم إلى هناك.. وطبعاً لزور المدينة المنورة التى أجمع كل الناس على حبها.

سافرت، بابا وماما وأنا.. والرحلة "ملوكى" منذ بدايتها.. التذاكر درجة أولى.. رغم أنه قد سبق لى وجريت السفر بالدرجة الأولى.. لكن بهذا المستوى.. لا، لم يحدث.. الطائرة عملاقة، واسعة، كرم ضيافة، والخدمة ممتازة.. عشرة على عشرة.. وصعدنا الرياض، وعلى الممر كانت تنتظرنا سيارة ليموزين، وتسلم مندوب ديوان الأمير جوازات السفر، والتذاكر أيضاً لاستلام الحقايب.

ما لرؤع الترحاب الذى استقبلنا به، والكرم العربى الأصيل الذى ينبو فى كل تصرف.. نكل شيء جميل إلا الجو.. الحرارة شديدة، والرمطوية أرضاً.. أظن من المستحيل الوقوف فى الشارع دقيقة واحدة أثناء النهار.

وصلنا قصر الضيافة، وللتقينا مع الفائزين الآخرين بجوائز أخرى.. واستقبلنا الأمير، صاحب الدعوة، بحفاوة بالغة.. وكل التفاصيل تحكى عن الكرم، الثراء، والمعرفة بأقدار المدعوين.

فى غرفتى كل ما أحلم به.. فاكهة، وثلاجة مليئة بالعصائر والمثلجات من كل الأنواع.. كل ما أريده موجود تحت أمرى.. وكأنى أعيش عصر ألف ليلة وليلة، وشيئك لتيك.

الأعجب من هذا وذاك.. وجدت رجلاً يقف بالقرب من باب غرفتى، فسألته عن سبب وقوفه عند بابى طوال الوقت، وأدهشتنى الإجابة:

- لو أحتجت لى أى شيء، أنا هنا تحت أمرى.

- حاجة إيه التى ممكن أعوزها؟ كله موجود.. "إنكل على الله"، ولو سألونى عنك ما قول لهم راح يجيب ريش فيل أبيض، وعدى على كل كام ساعة عتشن القلق.

لم يصدق الرجل نفسه، وشكرنى و"إنكل على الله" ومن حين إلى آخر، بطرق بابى ويسألنى: هل أحتاج شيئاً ما، وأطمئنه، كل شيء تمام.

هذه الرحلة كانت بمثابة رحلة تغذية، وبإلهى.. ما كل هذا الكم من الطعام؟ إبنى لا أفعل شيئاً إلا الاستمتاع بما لذ وطاب، وبصراحة إنها فرصة ممتازة لزيادة الوزن، وامتألت قليلاً بعد أن فقدت كثيراً من وزنى وأصبحت كالشبح.

وجاء يوم الاحتفال.. وتسلم الفائزون جوائزهم، وكانت الجائزة الكبرى من نصيب والدى، وشد سمو الأمير على يده بحرارة، وهو يسلمه "شيك" المكافأة المالية عن مشروعه الهندسى، الذى تفوق به على المشروعات الهندسية الأجنبية.

تبادل الفائزون التهاني، خلال حفل العشاء مع سمو الأمير وضيوفه الذين يعملون فى البنوك والسفارات والمشروعات الحديثة.. إنها تجربة جديدة بالنسبة لى، وحققاً إنها رحلة جميلة.. مختلفة.. وممتعة.

صباح اليوم التالى مباشرة.. جاءنى الوالد فى غرفتى، وأعطانى 5000 ريال، رغم أننا اتفقنا على 3000 ريال فقط منذ بداية الرحلة.

وقال لى:

- اشتر كل ما يعجبك، ومن جيبك.. من محفظتك، ولا تقبل أبداً أن يدفع لك أى واحد هالة واحدة.

أدعشتنى كلامه.. ولم أعلق.

خرجت مع مندوب بعث به رئيس ديوان الأمير، يرافقنى فى رحلة المشتروات، وفهمت معنى ما قاله والدى، عندما وصلت عند المحصل الكثير للتفح. فقل مندوب رئيس ديوان الأمير:

- ما يصير إنك تتفح!! إنت اختار.. والرجال يتولون توصيل كل شىء إلى القصر.

راضت بآداب، وصممت أن أدفع من فلوسى، وإلا فإننى سأعود إلى القصر ولن أشتري شيئاً، وقلت له بحسم واضح:

- إنها تعليمات الوالد، ولا بد من تنفيذها.

أمام إصرارى، وافق الرجل، وبدأت أختار مشتروائى.. 'جيزتات، نى شيرتات، وكله من ماركات عالمية، وأنفقت 4500 ريال، واحتفظت ببقية المبلغ.. فسوف ينفعنى بعد العودة إلى بلادى.

وبصراحة.. كنت أجلس على عرش السعادة، وأشعر بالفخر عندما زارنا سمو الأمير فى قصر الضيافة، لتحية الفائزين وعائلاتهم قبيل السفر لأداء العمرة.. وضغط سمو الأمير بيده على يد والدى بإعزاز قائلاً:

- ألف مبارك وبالتوفيق دائماً، والحقيقة أن ابن سبانتك أجبكنا برفضه شراء أى شىء على نفقة الديوان كهدايا رمزية.. فاسمح لى أن أهديه ساعة يد هدية منى، وبارك الله فى أخلاقه، والفضل يرجع لوالدته السيدة الفضلى.

بصراحة.. شعرت أن ما قاله سمو الأمير يساوى أكثر من مئتين ريال. وقد لاحظت أن كلمات التحية والتهنئة للأخريين لم تكن بالحرارة والوقو نفسها.. وعرفت فيما بعد أنهم قاموا بشراء كل احتياجاتهم على نفقة ديوان الأمير..

هذه الساعة أعتر بها لأن.. كانت ومزلت بالنسبة لى رمزاً للعزة والكرامة، وفهمت الوالد، عندما شرحها لى بوضوح:

- هنا لتكريمى، واستلام جائزة عن مشروع وعمل مبدع.. وليس للإنفاق على أو على عائلتى.

سافرنا كلنا لأداء العمرة.

طبعاً تعينت أشوف الكعبة.. بصراحة الموضوع شغل تفكيرى كثيراً، فقد قرأت عنها ورأيتها على شاشات التيليزيون، وحكى لى الناس عنها الكثير.. وقد قالوا لى مثلاً:

- لا بكيت أول ما شفت الكعبة.

- لى جالى دُحول أول ما شفت الكعبة.

أنا.. لم أبكى.. ولم أشعر بالذهول.. ولم ينتابنى الشعور بأنى منبسط أو شعور آخر مختلف.. الحقيقة لم أفهم، ولم أحدد إحساسى بدقة.. وبعد أن مرت الدقائق، وأحسست بالراحة والخشوع بلا حدود.

تأملت وبتركيز شديد حركة طيران الحمام.. هل يطير فوق الكعبة لم يطوف حولها؟

يا إلهى.. هنا كان فيل إرهة!! واقتربت من الحجر الأسود.. لمسته.. بالهنى.. الزحام بالقرب من الحجر الأسود فوق التصور.. وشغلنى بنز زمزم.. وتدفق المياه.. قرن.. وراء قرن يا إلهى.. ما أغفلتك.....

ما أروع أداء العمرة مع بابا واماما.. ودعوت ربى أن يغفر لى "الذلاوى" التى غفلتها فى هذه الحياة القصيرة.. نعم، والعمر كله قصير، مهما طال.

وزرنا المدينة المنورة، وهناك كان إحساسى بالراحة، وفى أعماقى دائرة مضنية، ولست أرى لهذا سبباً، لكن بصراحة شعرت بالراحة كثيراً فى المدينة المضنية، الهادئة، وبين أهلها الناس الطيبين، وصلبت كثيراً عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم.. فعلاً سبحت فى المدينة المنورة.

انتهت الرحلة الجميلة على خير، وعدت إلى مصر.. وقد ازداد وزني ثلاثة كيلو جرامات، ولم يعد لون الوجه باهًا، ولم تعد منطقة السواد تحت العينين واضحة.. فعلا عشرة أيام ليست من العمر، والفرق بين ما قبل الرحلة وما بعدها واضح جدًا.. عدت هذا الإنسان الممتلئ صحةً، وكلّى جنت للحياة بكل نصارة من جديد، أيضًا مشترواتي كلها أتيقة، ومعى مبلغ لا بأس به.. وكل شيء تمام.

ومنذ اليوم الأول لوصولي.. عرفت أخيار الأصدقاء، واحدًا، واحدًا، بولو بيزترَب "بِهَل"، والجُرعة زانيت، ولو استمرّ على هذا المنوال سيَقْد عقله، ويُجنّ، نعم.. هو ورث ملايين، إنما المثل يقول: خُذْ مِنْ ثُلٍّ.. يَخْلُ.. بالإضافة إلى أنه قد فصل من الجامعة بعد رسوبه للمرة الثالثة.

ريكو، الشيء نفسه، يضرب بلا حساب، وصديقه الحديدية بنت ناجر مُخَذَّرَات في شبرا، وتغير كل شيء.. صحته، شكله، مظهره، وكثرت مسأله، وساعت سمعته إلى أقصى درجة، ولم يدخل الاستحان.

زوني.. كما هو.. صداقته مع نيفين مستمرة، ويقضى معها كل النهار، ويذهب آخر الليل عند مينو يشرب سيجارتين وزجاجة بيرة مع علاء.. هذا البرنامج اليومي رسمته له نيفين، ولم يخرج عنه.. ولا ينظر حوله أبدًا.. لا يمين ولا شمال.. هي بصفة مستمرة فوق رأسه، وهو سعيد بهذا، ويحبها حقيقة.. وبعد سبع سنوات في الكلية، استطاع أخيرًا النجاح في السنة الأخيرة.. نعم.. عنده ملحق في مائتين، ولكنه نجح.. وغير.

"مينو"، كما هو.. ينتظر في بيته من يأتي ليلأخذه في جولة، وأحيانًا يضرب مع بولو، وأحيانًا مع ريكو.. أو يلف سيجارتين مع زوني، وأحيانًا يضرب معى ثم يذهب إلى النادي الأهلي لمشاهدة مباريات الكرة، ومن حين إلى آخر يذاكر.. بشكل عام لا أحد يفهمه.. المهم أنه نجح..

ولكنه يرفض البحث عن عمل.. قرر ألا يعمل.. ويقول:
- مائش نفس الشغل.

يذكرني دائمًا بفيلم "الأبدى للناعمة".

علاء، لا يتغير، بيرة.. أفلام جنسية، قراءة مجلات وصحف.. ينفق بلا حساب، وفيما يبدو أن ثروته من الميراث على وشك النهاية.. شيء متوقع، فهو منذ عشر سنوات ينفق ببذخ، ولا يريد أن يبحث عن عمل، ويريد البقاء في البيت طول الوقت مع اثنين من أصحابه، حياتهم هم الثلاثة ممتلئة إلى أقصى درجة.

واضطر حسام ومعه دعاء إلى الانتقال إلى شقة ثالثة في مصر الجديدة أيضًا، بعد أن اشتبه الجيران في تصرفاتهما المريبة، وضيوفهما الغريباء الذين يترددون عليهم في كل الأوقات.. وكان من الواضح أن المال لا ينقصهما، واعتقد أن دعاء تحصل على بعض هذا المال من الرجال الذين تتزوجهم.

نلسي بدأت تتعلق بي، وكنت على العكس تمامًا، وكانت تطاربنى بأصلااتها التليفونية، وعندما تراني لا تدعني في حالي، وكنت أفلت بصعوبة.. إنها الآن تحبني بجنون، وهذه كارثة!! نلسي!! هذا آخر شيء يخطر على بالي.. رائد.. كما هي تحبني جدًا، ولكنها بدأت تفهم الحقائق، فالزواج لن يحدث.. وقبّلت في نهاية الأمر أن تكون موجودة في حياتي، ولكن دون مسئولية.. عندما أطلبها تنفذ فورًا، وعندما أقول لها مع السلامة تنفذ أيضًا ودون مناقشة.

مريم، فأنا حبها الأول، وحبها الأفلاطوني.. ولا تريد أكثر من أن تكون بحوري.. بل ويكفيها أن تسمع صوتي هاتفياً، وعندما نلتقي، في كل مرة أفاجأ بعبية محترمة، أو مفاجأة لا تخطر على البال.. ولم يغب عن خيالها أبدًا أن علمها في النهاية سوف يتحقق، وأنى سوف أتزوجها في يوم من الأيام.. كنت أرى مريم مرة في الأسبوع، أو مرة كل أسبوعين، وفي كل مرة أصطحب أحد

الأصحاب؛ حتى لا أشعر بالملل.. إنها بنت بسيطة وطيبة.. كانها ملائكة في زمان ليس به ملائكة.

هالة الجميلة.. هي وأخوها في القلب.. فعلاً أحبها، وأحلى الأوقات هي التي أقضيها معها.. هي أيضاً بدأت تتعلق بي، بل أحسست فعلاً أنها بدأت تحبني.. المشكلة كانت الشك.. وتساؤلي ألف سؤال وسؤال:
- كنت فين؟ وضع مين؟ ورجعت إمتي؟ وشريت وللا لأ؟

سمعتي بالنسبة لها كانت سينة، وكان من السهل عليها معرفة أخباري من أصغائتي في الجامعة، وكل التفاصيل تصل إليها بسهولة.. إنها تتمنى أن أهدأ.. وأن أحسن اختيار أصغائتي.. وأن أتوقف تماماً عن الشرب.. وأن أبدأ التركيز في البحث عن عمل، وبناء المستقبل.. كل كلامها منطقي ويدخل العقل، إنما المشكلة أين العقل؟ العقل في اتجاه آخر تماماً.. في "جوينت".. في زجاجة ويسكي.. في مؤسسته.. إنما في المستقبل!! إنه شيء بعيد.. بعيد.. كنا لا نخرج إلا قليلاً لأنها متفوقة ومن الأوائل.. تقضي وقتها في المذاكرة والتحضير والقراءة.. بينما أقضي وقتي في بلبليس أو السويس أو الساحل.. الفارق كبير.. هي جادة تذاكر، وأنا، على العكس، سهرائي مرعبة، وكل ليلة قبلُ شكل، وأصحو في "عز الضهر".. بمعنى العلاقة مستمرة، ولكنها ليست مستمرة.. بصفة مستمرة تشك، وقصة رائدا تسبب لها صداماً مستمراً.. هي تعرف وسمعت، وترى رائدا، وتعلم بمدى حبها لي.. ولم يكن بيني وبين هالة أي علاقة جنسية.. فهي لم تعطيني الفرصة، ولم تسمح أبداً بوجود مثل هذه القصة، وكنت بصعوبة، في أي مكان وفجأة، أخطف قبله سريعة.. كان الموضوع صعباً جداً.. كان أهلي من المعجبين بها، ولكن في رأيهم أنها مغرورة إلى حد ما، وبصراحة معها كل الحق.. فهي فتاة متفوقة، ذكية.. بنت ناس ومن عائلة محترمة.. وفي منتهى الجمال "صاروخ".

رولا أختي.. توأمتي، كما هي دائماً، تتلكني، تهتم بي كثيراً، تدافع عني في كل المواقف، وتغضب وتثور إذا قال عني أحدهم: صايع أو ضايع أو مستهتر ولا فائدة منه.. إنها حامي الحمى، وكريمة معي.. تعطيني من مالها لخاص بستاء.. كانت رولا دائماً تحل مشكلاتي المادية.. فعلاً أخت "بشر" رجالة وهي كثيرة السفر.. عملها في الأمم المتحدة يضطرها لحضور المؤتمرات والندوات، وبعد زواجها لم تعد رحلاتها كثيرة بالدرجة نفسها، وطبعاً لم تعد تعيش معنا في البيت نفسه.. ومع هذا كنت "أنكغل" فيها كل يوم تقريباً.

ونحمد الله، عاد فتحى من حفر الباطن، سالمًا.

صدمات متتالية

رجعت من السعودية، وكانت الرحلة جميلة حقاً.. دخلت إلى المنزل واستقبلت أول مكالمة تليفونية من شريف ملك "الغرز"، وقبل أن يسأل على وعمر حالي، دخل في الحديث مباشرة:

- تعال بسرعة يا صلاح.

- فيه إيه؟

- يا عم جارك مراد عذى، وأفور من نفسين بانجو.

- مراد.. هو مراد ببشرب؟ دا حتى مينيشرش سجاير.

- يا سيدى شرب، تعال بس بمزعة.

نزلت جزئى على شريف، أشوف حكاية مراد إيه.

مراد جارى، طيب جدا.. كان من أشطر الناس أيام المدرسة، وتخرج فى كلية الهندسة.. هوايته الأولى والأخيرة السيارات، ولم يفكر طوال عمره فى دخول عالم المخدرات.. كنت فى حالة دهشة، أصابت تفكيرى بالشلل، وعندما وصلت إلى شريف، وجدت منظراً غريباً.. مراد جالس على الكنية فى "البلكونة"، ورفقة مائلة.. وعلى صدره فوطة، وسألت شريف:

- مراد مالاه؟ إيه اللى حصل يا شريف؟

- كنت فى الشارع وقابلته.. سلامات، ويتخين سائلنى معاك حشيش؟؟ ربيت: إنت ببشرب يا مراد؟! أنا لللى عارفه إنك حتى ما بتشرش سجاير، قال لى: ببشرب دلوقت حشيش، بيرة، ويسكى، كله.. قلت له: معايا بانجو، فقال البانجو ده متيعملش حاجة، قلت له: اللى معايا بيعمل.. طلعنا على البيت عذى ودخلنا بلكونة الأوضة، لأن أبويا وأسى موجودين.. قفنا على الكنية فى البلكونة،

ولقيت له جويونت، فقال لى: ما تلف 5 ولا 6 علشان بتشرّبهم، قلت له: لا.. بشرب ده الأول، ولما تحتاج تانى أنا معايا كثير، وهالفلك زى ما أنت عايز.. لا كنت متأكد إنه مش فيقدر يشرب أكثر من جويونت، لأن "المنقب" اللى معايا جامد!...، وفعلنا ولع الجويونت وخذ حوالى عشر أنفاس وزا بعض.. رجّع لى للجويونت وقعد على الكنية وأنا كمتها.. نص دقيقة وقيته نزل فى الكنية لتحت، وبمافه واقعة على كتفه.. سألته: مالك يا مراد، قال: أنا تخان لوى.. سألته: تخان لوى؟ فيه إيه؟ رد بصعوبة: إن دماغه ثقيلة لوى ومش قادر ياخذ نفسه ولا قادر يتحرك.. وابتدا وشه يصغر ويعرق جامد لوى.. جريت على المطبخ وعلت مئة يسكر ورجعت أكلهم.. مايردش على.. أجيبه يمين، شمال مقبش فائدة، كلمنى أبوس إيدك.. حاولت أنشرّبه، فشلت.. أضل إيه؟! رجعت المطبخ تلى، وكل فرايز المية السابعة اللى فى التلاجة حطتها فى حلة كبيرة وعليها شح من الفريزر، جئت الفوطة الكبيرة، وحطتها على صدره وكتافه زى ما أنت شاف كده، قاعد بيعحق.. غرخته مية، مسكت كوباية، ومليت بقى، ونفخت فى وشه زى المكوجية، كل رشّة يتنفّض، بس مكتش بيفتح عينيه، ولا بيتكلم.. وبعد ما لفتح الميه على وشه أنشغ بالفوطة.. واستمر الحال دا لمدة نص ساعة، ليحذ ما أخيراً نطق وقال لى: كفاية.. أنا كويس خلاص.. فسألته: يعلى بقدر تقوم تزوح؟ قال لى: كمان شوية، وطبعاً أنا كنت خايف خذ يدخل وهو فى الحالة دى، جريت على التليفون أكلّمك، سينته دقيقة واحدة.. رجعت لقيته فصل تانى، فكرت أسبىه دايماً لغاية لما إنت تيجى.. قل لى: هنعمل إيه فى التهمة دى!!!

- لوئس ميه على وشه تالى، بقوق، يأمن لى الطريق لغاية لما تنزل.. غربيى نقت، حافعه فيها وأليّمه الكرسي وأطلعك تانى بشوف موضوع البانجو اللى معاك ده إيه.

- يا عم بانجو جامد شوية، بس مش قصة.

الصلب

- طيب وأخبار الثورة إيه يا شريو؟

- البيسة، لا، أنا لست خارج من المستشفى من كام يوم ومنهذي اللعب.

- للثورة بقى اسمها بيسة؟

- أه اسم الذئب الجديد.. وبعدين علشان نتكلم براحتنا، هو مين خيفهم إن بيسة
يعنى ثورة.

- بيسة.. بيسة.

- بقولك إيه، خلصنا من التهمة دي، أمى ممكن تكبر فى ثانية.

من الأشياء التى كنت أهتم بها.. علاقتى بأهل أصحابي؛ فوالدة شريف
كانت دائما ولذا تعتبرنى من الأولاد الصالحين، أبناء العائلة العريقة، والمستوى
الدراسى الجيد، ولم تتخيل أبدا أنني أتعاطى أى مخدر، وكانت دائما تشجع
شريف بأن يعتبرنى مثله الأعلى، ويتمسك بصداقتى، وأن يتجنب أصدقاء
السوء.. فكنت أحرص كل الحرص على أن تستمر مثل هذه النظرة فى أعين
أهل أصدقائى، وكنت أبذل جهدا للحفاظ عليها.

وبدأنا فى رش المياه مرة أخرى على وجه مراد إلى أن بدأ يفيض،
وفورا ضربناه يمين وشمال، وتحققنا معه، شجعناه على الحركة إلى أن نصلنا..
أمن شريف الطريق، ونحلقنا الأسانسير.. واستند مراد على كتفى، وزوجته لى
بمائله نفسه إلى أن نصل إلى السيارة.. بصعوبة وصلنا إلى السيارة.. ولكن
كشفتنا البواب.. فقال:

- خير يا صلاح بيه، هو الباشا ماله؟

- مفيش، بظنه بتوجعه، عنده مفاص.

وصلت إلى السيارة وفتحت بابها.. أدخلت مراد وفتحت له الكرسي..
فى أقل من لحظة نام، تركته وصعدت إلى شريف مرة أخرى، وطلبت منه يؤم
جويبتين من البانجو، الذى قضى على مراد.. كان الصنف قويا، ولكن لم يكن
سببا لشعورى بأى شيء أكثر من "السُّلُل"، وأعترف أن البانجو ما هو إلا مخدر

غير.. شربت "جويبتين" مع شريف، ونزلت إلى مراد فوجنته ناتما.. ولم يتحرك
من مكانه، لكنه بدأ يعى بوجودى وأخيرا تحرك، وتكلم بصعوبة وتلعثم عندما

بالتى:

- هو أنا فين؟ هو إيه الذى حصل؟ دماغى.. أه يا دماغى.. أنا عايز أروح.

أخذته إلى بيته، ومشيت بعد أن أعطيته الوصايا العشر، وكانت آخر

وصية:

- ولا أنا شوقك ولا إنت شوقتى.

تقبلنا بعدها بحوالى شهر، وصارحنى بأنها كانت آخر مرة فى حياته
يترب فيها مخدرات من أى نوع.

وفى منزلى وبعد العودة مباشرة، دارت فى بيتنا أسطوانة من كلمات
لوك وأكحانه ومطعمها: لازم تستغل.. هذه الكلمات التى يرددنها على مسنمى
بلا توقف، وأنغامها اللشار كرهنا من كل قلبى، فهى تعذبتى، وتذكرنى بالفراغ
الذى أحياه، والوالد لا يمل، ولا يتوقف عن اللوم والتأنيب كلما رأتى قائلا:

- ما يتفمش حياتك تستمر بالمنظر ده.. الاستهتار، والسهر خارج البيت،
والبنات، والقلوس التى يتصرفها من غير حساب، ومفيش أى نظرة للمستقبل.

وعندما يفقد الأمل، يقول لى:

- أنا دابى أقاطعك.. يعنى مالبش دعوة بيك، ولا لك دعوة بيا.

- لرحمتى يا بابا.. أنا خلاص حفظت التى هتقولها.. وميش كل يوم اسمع نفس
الأسطوانة.

وفى حقيقة الأمر.. كان موضوع المقاطعة المتكرر بالنسبة لى شخصيا
جميلا، ويعجبنى لأكثر من سبب.. السبب الأول، ألتى لن أسمع هذه الأسطوانة
المثروخة خلال فترة المقاطعة، والسبب الآخر ألتى لن أكون مضطرا لذكر
مترزلات التأخير كل ليلة.. وبشكل عام، كان لقائنا فى البيت يحدث صنفه
من حين إلى آخر، فهو يصحو فجرا فى موعد عونتى، وما يدور من حوار بيننا

لا يزيد عن كلمتين: "صباح الخير"، أو "تصبح على خير".. وأنا استيقظ في الرابعة بعد الظهر، لأجده تناول طعام الغداء بعد عودته من الشركة، ودخل إلى غرفته لينام ساعتين، ويستيقظ ليجلس إلى مكتبه، ويعاود نشاطه في رسم مشروعاته أو إجراء اتصالاته المهمة.. وهو على النقيض مني تماماً، كل شيء مرسوم في حياته، ومخطط له بالدفقة والثانية، وأحاول إذابة الجليد، وكسب وده، وأقول له:

- مساء الخير يا بابا.. وَحَسْبِي وَالله.

- إيت خايت فيها صباح من ليل.. وبعدين أنا لست أكثر من عشر أيام ما شفتكش.. ينع الكلام ده؟!

- والله يا بابا.. ظروف.. الحياة صعبة، والدنيا مش زي الأول.. أقولك إيه بس؟! كفاح.. الحياة كفاح.

- طيب وبعدين.. يعني هاشوفك إمتى؟

- ناخذ ميعاد.. إيه رأيك يوم الجمعة على الغدا؟

- خلاص.. يوم الجمعة، نتغذى في النادي.

- والغنة دي على أنا.

- طبعاً هتفرملي، وناخذ مني حق الغنة عشر مرات.

- زينا في ديقنا يا إكسيلانس.

- أنا نفسي أعرف بتجيب الكلام السوقي ده من فين؟

- يا "إكسيلانس"، ابنك كيتلوازجي* قديم.

ظل لقاء الجمعة في النادي لطيفاً، إلى أن فتح الوالد موضوع البحث

عن عمل، ورفضت قاتلاً:

- أنا لازم أستريح شوية.

- تستريح من إيه؟

* بدء الترسيف.

- انفرجت.. وخلصت فترة التجنيد، والله العظيم حضرتك راجل مقترى، وربنا ما يرضاش بالظلم.. هو اللي أنا عملته ده كان سهل؟! وخلى بالك، حضرتك بعني في موضوع الجيش، ولا كلمت بسى آدم واحد علشان آخذ إعفاء، ما بتكرش أنا هأعزى لك الموضوع ده.. لانا وقفة.. بس كل وقت وله أدان.

- بقى كده؟! لك حق، فعلاً أبوك عايز يتربى.

تدخل رولا في الحوار ضاحكة:

- عيب كذا يا صلاح.

لا تعليق من أمي، وكعادتها في مثل هذه المواقف، تقضل أن تبدو كأنها

لمسمع الحوار.

كان الشد والجذب السمة المميزة للعلاقة بيني وبين الوالد فيما يتعلق بالأمور المادية، وكانت لنا كل أسبوع معركة حول هذه القضية الحيوية.. تبدأ بأن أطلب بالدعم المالى، ورفع الميزانية المقررة، وأن تضاف إليها منحة خاصة، وتنتهى المفاوضات باتفاق جديد، وأخذ منه المبالغ التى أطلب بها.. تنتهى بأئني الغالب ولست المغلوب.

الحق يقال.. كان الوالد شديد الكرم معي، يعطيني بسخاء حقيقي، ولكنني كنت ميذراً إلى أقصى درجة يمكن تصورهما، ولا يمكن تصورهما.. بسبب السهر، هذا بخلاف أن المخدرات تنسف وتحرق كل المبالغ التى أخذها منه، ونظراً لأننا لم نكن نلتقي كثيراً، كنت أعتمد على كتابة رسائل قصيرة وبود، أقول فيها:

صباح الخير يا بابا..

تحية عبقرية من الغرفة المجاورة.

واضح جداً، أن حضرتك ينتهز مني اليومين اللتي فاتوا دول علشان عايش فلوس، والكلام ده عيب وما يصحش.. لابد من تصحيح العمار، والعودة إلى الواقع والحق..

من فضلك يا بابا سيب لى مائة جنيه، وخليك أب جدع ولطيف..

ابنك البار..

صلاح بك.

كنت كثيرًا ما أحاول، وأبذل جهدًا فى الكتابة باللغة العربية الفصحى، وأأخذ الوالد كل ورقة أكتبها، ويصححها بقلم أحمر، ويعيدها إلىّ وقد كتب جملًا صغيرة: تفضل آخر مبلغ إلى آخر الشهر.. ويعطينى نصف المبلغ المطلوب، فقط: خمسين جنيه.

لم يكن ذلك مهمًا بالنسبة لى، فقد حصلت على مبلغ مائة.. وبالنسبة للوالد، فهو يشعر بارتياح لأنه أظهر اعتراضه، وهدد وتوعد.. وكنت أعرف جيدًا أن هذا التهديد مثل غيره "قشك".. أعترف منذ صغرى أن بسدى كانت طويلة، تعبت فى بنطلون أخى كريم، وشنطة أختى رولا، ودولاب أمى، ومحفظة والدى.. ومن فترة لأخرى أقوم بعملية مطو على أحدهم.. ولم يكن هناك أى حل لهذا الموضوع لخطير، إلا أن يحترس كل منهم، ويركز جيدًا فى إخفاء أمواله.. وبطبيعة الحال، إذا وجهت إلى الاتهامات أو نظرات الشك والريبة، كنت أنكر بشدة قائلاً:

- لا.. مش أنا طيعاً.. أنا لما بأخذ أى حاجة بالقول على طول.. ويتسدين أنا معاي فلوس، ومش عايز فلوس.. هو أى ظلم وإخلاص.. "واين بعض الظن إثم".. ربنا هبحاسيكم يوم القيامة على الظلم ده.

وتضيق الحقائق، وتدور بعض الشكوك حول الشغلين فى المنزل.

عودة إلى الشلة مرة أخرى.. ظل الحال كما هو.. زوى وميسو لا يتوقنان عن شرب البيرة والحشيش، ريكو ازدادت جُرعاته، وبونو وصل إلى درجة تحطى الخط الأحمر.. وكنت أقضى معظم الوقت مع مصطفى من شلة الجامعة.. شاب طريف، طيب وكريم بوقته وأمواله، فولده من أكبر الأثرياء، وكلما سافر إلى الخارج، تأخذ سيارته المرسيدس آخر موديل، ومن

سيارات القليلة فى ذلك الحين، واللى بها ثلثون، وعلى مقعد القيادة شاب صغير.. وكنت أفضل الجلوس فى المقعد الخلفى، ألف سجاير، وأشرب البيرة،

وبكل غفلة استند على المسند، وبدأ اتصالاتي التليفونية، وأعطى تعليمات:

- أبلغ على المهندسين.. أدخل شارع شهاب نعلق بنتين.. وطبعاً السجيرة الرئيس تدير رأس كل من يراها من الجنسين، حتى ضباط الشرطة، بندو فى أعينهم وربما على المستنهم التساؤل:

- أولاد مين دول اللى راكبين عربية آخر موديل، تمرقها (نمرتين فقط) ملاكى

قاهرة!!

لازال الضرب لنذًا، حقًا إن مشكلاته أصبحت أكثر وضوحًا، ولكن ملاك الموقف تحت السيطرة.. يوم أضرب مع رامى، واليوم التالى مع حسام، وأخذ الثوردة وأطلع على الجامعة، أضرب مع مصطفى وآخرين.. الجامعة مليئة بهم، ولكن لكل منهم طريقته الخاصة.

لم تكن هناك أى مشكلات مادية.. دائماً هناك حل، بمعنى أن كل الطرق مفتوحة ولم تقفل بعد.. ولكن فى أوقات كثيرة بدأت تتساقط أحاسيس مختلفة بسبب موضوع الثوردة، وكثيرًا ما قررت أن أتوقف تمامًا عن الضرب، بسبب المواقف المخيفة التى نواجهها من الضربية، ومن التجار.. كنا نقضى ساعات حقًا عن الثوردة ولا نجدها، وننجول من تاجر إلى آخر، ونحن نشتمل من الغيظ والغضب.. دولاب قفل، والذالى أسعاره باهظة، والثالث لديه ثوردة قليلة وسينة، فضطر إلى السفر لشراها من السويس أو بليس أو الإسماعيلية.. هناك نجدها بوفرة أكثر، وأحسن، وأرخص أيضًا.. المشكلة الوحيدة، أنه لا بد من شراء كميات، على الأقل جرام، وثمنه فى ذلك الزمان ستمائة جنيه بما يعادل ستة آلاف جنيه فى هذه الأيام.

استمرت المحاولات الضاغطة لتشجيعى للبحث عن العمل من: ملأه وباه، ورولا، وكريم، الذى تسلم عملاً جديدًا فى إحدى الشركات المتعلقة

فى إنجلترا، من هالة، ومريم.. باختصار من كل الناس المحبة والعاقلة،
والتي يههما أمرى.

استطاعت أختى رولا من خلال علاقاتها الواسعة، أن تحدد لى موعداً
لللقاء رئيس مجلس إدارة شركة جديدة للمواد الغذائية، لم تكن معروفة فى
الأسواق، والدعاية عنها محدودة.. إنما لا مانع من التجربة.

تمت المقابلة مع رئيس مجلس الإدارة، ومدير المبيعات، وخلال اللقاء
كنت حاضر الذهن، وفى أحسن حالاتى، وأجبت التحاور بلباقة، وعرضت
بعض الأفكار المبتكرة عن تسويق الأغذية؛ فموضوع الشراء والبيع فىسمى
ومن هوايائى المفضلة منذ أيام الطفولة، ومنذ فكرت فى بيع أول دراجة تلقينها
كهدية عيد ميلادى الخامس، ومنذ صغرى كنت أبيع السجائر فى المدرسة.
وبعد ساعة من هذا اللقاء الناجح.. تلقيت التهنة من رئيس مجلس

الإدارة شخصياً، وقال لى:

- مبروك.. تمت الموافقة على تعيينك بمرتب 500 جنيه، بالإضافة إلى علاوات
ونسبة من المبيعات، وأنت تحت الاختبار لمدة ثلاثة شهور.

طار أهلى من الفرح.. الحمد لله يارب.. صلاح نجح فى المقابلة،
وأخيراً قرر أن يشتغل، ويكف عن أفكاره العجيبة، التى تقفز إلى ذهنه من حين
إلى آخر، دون مقدمات، وذات مرة قلت لأبى:

- بابا.. عايز أفتح نادى فيديو فى النادي.

الوالد رفض طبعاً، وإنما بعد سنتين.. افتتح نادى الفيديو فى النادي..
وعندئذ صارحتنى أسمى بأنها كانت فكرة ممتازة.. وفكرت فى مشروع جديد
آخر، قائلاً:

- بابا.. أنا عايز أعمل عربية سنوتشات ومشروبات مثلجة فى شارع جامعة
الدول العربية.. أو أفتح محل شرايط كاشيت وصُور فرق الموسيقى،
والإكسبنوارات بتاعة الأولاد الخفافس، وهى موضة خطيرة الأيام دى.

رفض الوالد الفكرة، كما رفض مناقشتها معى.

المهم.. بدأت العمل فى شركة المواد الغذائية بالتدريب المطلوب على
مدار يومين، كل يوم أربع ساعات.. رسمت خطة طموحة، وقمت بجولات
منظمة على المطاعم، والفنادق الكبيرة.. وحقيقة لم أكن أتوقع كل هذا النجاح
خلال فترة قصيرة، وعلى مدار شهرين حققت ضعف الهدف، وقررت الذهاب
إلى شرم الشيخ.. فكنت أخذ الطائرة وأقوم بجولة فى كل الفنادق.. وعندما تصل
السيارة محملة بمنتجات الشركة، يجدوننى قد عقدت الاتفاقات ووقعت العقود
بكميات أخرى جديدة.. وتعود السيارة من شرم الشيخ، وقد أفرغت كل حمولتها
من منتجات.. نعم، كنت "شاطر" جداً، وهذا التميز ساعدنى كثيراً، وعزز موقعى
فى الشركة.

لم ينعنى هذا النجاح من الترويج الكثير من حين إلى آخر.. كان
من المفترض أن أذهب إلى المصنع مرتين أسبوعياً، ولكننى كنت أكتفى بالذهاب
مرة واحدة فى الأسبوع.. اعتبرت أن هذا حقى، فالتسويق وبيع المنتج يتحققان
فعلأ باعلى المعدلات، رغم أننى لا أعمل أكثر من ثلاث أو أربع ساعات
فى اليوم.. فى رأى هذا يكفى جداً، مادام أدائى فى العمل أكثر من ممتاز بشهادة
لجميع، كما أننى أحقق هنفاً يزيد عن الهدف المأمول.

بعد النجاح فى شرم الشيخ، ناقشت مديري الشركة فى أن أقوم بتجربة
جديدة، وهى محاولة إقناع الدور العسكرية بالتعاقد معنا.. رفضوا وقالوا إن مثل
هذه المحاولة لن تتجح، بحجة أنه من الصعب التعامل مع مثل هذه الدور، فلن
توافق على الأسعار التى ننشدها، ولن تتم نظم الدفع أيضاً بسهولة.. لم أفتنع،
وتوجهت إلى الدار التى قضيت فيها فترة التجنيد العسكرى، وساهمت بجهد فى
شراء كافة احتياجات قاعاتها وأجهزتها، بالإضافة إلى علاقاتى الممتازة بإدارتها
والعاملين بها.. إنهم جميعاً وبلا استثناء يحبوننى، فقرروا خوض التجربة

والتعاقد لأجل خاطري، واعترافاً بالأيام والأسابيع والشهور الجميلة التي قضيتها بينهم.

لقد شجعتني هذا الدعم المعنوي الهائل على التوجه إلى دار... من أكبر الدور في مصر.. ونجحت في بيع كمية هائلة، وكان الدفع شبه فورياً، لدرجة أنني استلمت تحصيل نصف المبلغ في اليوم نفسه، والنصف الثاني بعد شهر، بينما كانت الفناقي الكبرى تدفع بعد 45 يوماً.

لم تحدث هذه المعدلات في الشركة من قبل، وفاق هذا الإنجاز التصور.. أصاب الذهول مدير قسم التسويق ومدير قسم الدعاية.. وبعد ثلاثة شهور، ذكرت الإدارة المالية بنفع ما استحقه من مكافآت.. ولكنني تلقيت ردّاً غريباً، فالوائح تقول إن الشهور الثلاثة الأولى هي فترة الاختبار، ولا يحق لك الحصول على مكافآت في فترة الاختبار، لكن تقرر رفع مرتبك إلى 800 جنيه حتى نهاية العام، وإذا أثبت كفاءة، نرفع المرتب مرة أخرى، وسنبدأ احتساب المكافآت اعتباراً من اليوم.

وبالطبع.. لم يقتنعني هذا المنطق.

هل من المعقول أن أحقق ضعف الهدف، ولا أحصل على حتى بخعة أنني في فترة الاختبار؟! لم تكن "الفئوس" هي المشكلة لكن المشكلة هي عدم مصارحتي بهذه التفاصيل منذ البداية.. ولم أعد أعمل بالهمة ذاتها، وانخفضت بموعدها واحد في اليوم، والمتابعة من خلال الاتصالات التليفونية، والذهاب إلى الشركة في فترات متباعدة.. باختصار لم أعد أعمل بالحماصة السابقة نفسها. اعترف أنني.. في خلال الفترة التي عملت فيها بجدية.. لم أكن أضرب إلا نادراً! لأنني ركزت في عملي، الذي أعجبني وأحببته، لأنه مختلف، وكانت علاقاتي الكثيرة والقوية تدعمني، ولا أحد ينافسني.

لأسف، لم يفهم أحدهم سرّ هذا التحول، واختفيت تماماً دون أن ألقاض بقية المبالغ المستحقة لى لسديهم.. لا يهم.. المهم أن الموقف لم يعبني.

تركت العمل.. وارتفع معدل الضرب مع حسام ودعاء وتامسي، وفي أوقات كثيرة، تمنيت أن أمر على بهاء، ومتعني ما سمعته عن مشكلاته الكثيرة.. بما أنني لا أعرف كيف يستقبلني أهله في ظل هذه الظروف الصعبة.. بصراحة كنت أخشى الذهاب إليه، فالموقف بالنسبة لي غامض، وكل ما أعرفه عنه وسمعه من الأصحاب، هو أنه في أسوأ حالاته.

في تلك الأيام.. ازدادت مشكلات الضرب، ومطاردة الضريبة.. وكم مستملي نأبيع رامي لسيارته "بي إم دبليو" وتسلم ثمنها واختفى تماماً، وصمتني أكثر أن أعرف أن والده يبحث عنه في كل مكان.. وفي يوم ما فاجأني سيادة اللواء بزيارته، وبعث لي البواب:

- خير يا عم عويس.

- سيادة اللواء "....."، والد صاحبك رامي تحت في العربية، وعزيزك.

- أنا نازل على طول.

وبمجرد أن رأيته والد رامي، بادرنى قائلاً:

- إزيك يا صلاح.

- إزيك يا أنكل.. اتفضل معيا فوق في البيت.

- شكراً يا صلاح.. استمعني كويس.. أنت طبعا عارف اللي حصل لصاحبك رامي.. أومن الهيروين، وأنا أتأكدت.. وعارف كمان أنك بعثت عنه بسبب الموضوع ده.. مش إنت بس.. إنت وأحمد وحسين.. وعرفت أن بهاء أومن هو كمان.. دا غير أولاد كثير من سكان المنطقة.. دي مصيبة.. مصيبة كبيرة، وأنا مش عارف أعمل إيه؟ رامي سرق ذهب مائته كله.. مائته اكتشفت الموضوع بالصدف.. إنت عارف هي مش بتخرج كثير من البيت، والعلبة في

أمي

تعودت الاستيقاظ مبكراً بفضل العمل في شركة الأغذية، واتفقت مع حسام على اللقاء لشراء يُونِرة من تاجر كبير اسمه أبو مريع، وهو لا يتعامل إلا مع الورق الصغير، وأقل شيء ربع جرام، حتى يمنع الضريبة من التردد عليه كثيراً.. وعملت لبابا بَهْلَوَان، وبصعوبة استطعت تدبير 80 جنيهاً، ونسرت حسام مبلغاً لا بأس به، وقبل إجراء عملية التمويل هذه لا نستطيع تخطيط برنامج اليوم.. ماذا نفعل، وإلى أين نذهب؟! وبعد ما بضرب، لا بهم كثيراً ما يحدث في يومنا.. تحركنا الظروف كيما نشاء، كما تحرك الرياح مركبنا بلا شراع.

ضربتنا وكانت اليُونِرة قوية إلى حد كبير.. وبعد تقسيم اليُونِرة بيتي وبين حسام، عدت إلى بيتي حوالي الساعة العاشرة.. فعلاً كانت اليُونِرة شديدة، لم تكن مضروبة برشام لو "نوفاسي" أو أي شيء آخر.. ومع هذا لست أترى لماذا من بخاطرى أن أضرب مرة أخرى.. ولم لا؟ اليُونِرة كثيرة ولا مانع من جرعة أخرى صغيرة.. لن تضرب.

كما لا أنسى.. أن وضع نولاي في غرفتي يساعدني على التحرك في جاني منه، دون أن يرى أحد ماذا أفعل.. وأعددت الفجائن، وعملت سُمُشتة خفيفة، ولكنها لم تكن سُمُسته شخص يريد التعلية فقط.. وبعد إزالة كل الآثار لمرئية، وإخفاء اليُونِرة في الدولاب، أحضرت حزام "البُرُتُس" وقصت بربطه جيداً حول بدي، وضربت الحقنة.

ولجأة، فتحت عيني على مفاجأة رهيبة.. فوجئت بأني تكلمني ولم أسمع كلامها جيداً.. وحاولت أن ترتفعني من على الأرض.. وأن تصنعني يهود

الدولاب مثل بتفتح.. ولما فتحتها بالصنفة، اكتشفت أن الذهب كله مثل موجود!! مثل بس كده، غريبته باعها واخفى.. أنا مثل عارف ممكن يكون راج فين؟! قلت أَلْجَأْكَ جابر تعرف تساعدني، رامي فيضيع يا صلاح.. وإنت وهو إخوات من أيام الحضنة.. ولو تعرف حاجة عنه قل لي.

لم أرد بكلمة واحدة.. كلماته كانت أشبه بالصاعقة، وكنت في حالة ذهول.. كان والد رامي على وشك النكاح فعلاً.. هذا الرجل العملاق، جلس في سيارته مرتدياً ملابس لواء جيش مهيبة، ويعز على أي إنسان أن يراه في هذا الموقف.. كيف يحطم الأبناء آباءهم إلى هذه الدرجة؟! كم كان ضعيفاً.. وكس كان مسكيناً.. يؤثر الشفقة، ويبعث في النفس أمناً بلا حدود.

كنت أبكي.. وأنا أجلس بجانبه في سيارته. الفولكس بيتلز الصغيرة.. إن من حبه الكبير لابنه رامي، اشترى له سيارة "بي إم دبليو".. وعندما ينطلق رامي بها فخوراً ومزهواً، يصطف الشباب في الشارع، ونظرات الإعجاب والانبهار تطل من كل العيون، فهم لا يعرفون لها أصلاً أو نوعاً أو ثمناً.. وأخيراً نطقت، قائلاً:

- والله يا أُنْكَل ما أعرفش حاجة عنه من فترة طويلة.
- ما أعرفش أُوْمَك.. ما إنت لازم تتعد.. رامي ضاع خلاص.. لك حق يا بني.
- لا.. ما ضاعش ولا حاجة يا أُنْكَل.. إن شاء الله هيبقى كويس.
- يارب.. ما عنديش حد أَلْجَأْ له بعد ربنا يحرك يا صلاح.. طيب يا حبيبي لو كلمك، من فضلك قل له يرجع البيت، وقل له إن أنا جيت لك، وسألت عليه، وإن مامته عيانة في البيت، ومش قادرة تستحمل اللي بيحصل ده.
- حاضر يا أُنْكَل.. حاضر يا أُنْكَل.

تحرك سيادة اللواء بسيارته، ووقفت ثابتاً في مكاني مثل التمثال.. وقلت أكلّم نفسي:

- يا نهار إسود.. إيه اللي بيحصل ده؟! الدنيا مآلها بقت سودا كذا ليه؟

على سريري.. حاولت استيعاب الموقف، وأن أساعدها للصعود على السرير،
وتسمرت عيناى على الحقة المليئة بالدم، وذراعى أيضا تتدفق منه السماء،
لأننى بمجرد أن ضربت الحقة، سقطت من طولى.

رويدا رويدا بدأت أنتبه إلى موقعى الخطير، ولكننى فى حالة لا تسمح
بالميطرة على قوى.. وبعد دقائق مندت يدى ولشعلت سيجارة وكنت مغمض
العينين.. وفيما يبدو ولأول مرة استطاعت أسمى أن تفهم، لماذا أشرب السيجارة
وأنا مغمض العينين.. إذا، ففى كل مرة دخلت إلى غرفتى، ووجدت فى يدى
سيجارة وعيناى مغلقة، كانت الثبوة السبب، وليست الرغبة فى النوم..
وكم دارت من مشادات بسبب حرق القمصان، والملاءات والبطاطين، والكراسى
فى البيت أو السيارة.

ورأيت حبات الدموع تغطى وجه أسمى، وملامح وجهها تبدو مثل لوحة
سيراليية، تتداخل فيها خطوط الأسى والدهشة والذهول.. وجاءت كلماتها خافتة
بصوت هاسن.. وأخيرا سمعت جملة واحدة تكررهما، بلا توقف، بعد هذه
الصدمة الهائلة:

- هو فيه إيه؟ هو إنت بتأخذ إيه؟

- مفيش حاجة يا ماما.

- مفيش حاجة إزاي؟ دا إنت كنت بتسوت من دقية واحدة!! قل لى إنت بتأخذ
إيه؟ والحقة دى بتاعة إيه؟ رد على.

- بؤثرة دى يا ماما.

- بؤثرة.. حيزوين!! لا.. ميش ممكن!!

كانت تجلس بالقرب منى.. ترجعت، وجلست فى آخر السرير.. مرت
دقائق طويلة دون أية كلمة، وقد وضعت يديها على رأسها، وكأنها تتشال
الحزن.. ولست أترى ما الذى دار فى رأسها فى تلك الدقائق الرهيبة.. رأيت
أعلى درجة من درجات الدهشة والذهول.. رأيتها فى قمة حزنها.. قمة أعلى

بكثير من قمة حزنها يوم وفاة جنتى.. لأننى لم أرها فى هذا الموقف منذ وعيت
فى هذه الحياة.. وبعد الصمت الرهيب، سألتنى:

- من إمتى؟

- كلم شهر.

- أخذت كلم مرة؟

- يتنى.. مش كثير.

تركتنى وحدى، وخرجت من غرفتى.. كنت طبعًا فى دنيا بعيدة،
وفى عالم آخر.. لا أشعر بوقوع المصيبة، وحجمها.. وبذلك أشعل سيجارة من
سيجارة، وجاعتنى أسمى، وقالت بحسم:

- أيا مش ها أقول لبناك، لو وعنتى إن دى آخر مرة تأخذ فيها الأرف ده..
إنت كنت هتسوت!! فاهم بعنى إيه هتسوت؟

- خلاص يا ماما.. أنا عُمري ما تأخذ البؤثرة دى تانى أبدا.. والحمد لله ربنا
سُر.

ولم أصدق نفسى.. جاعنى الحل على صليبة من ذهب، وخرجت من
لموقف الكارثة ببساطة.. أنا وعدت، وهى صنتت.. ولكن فى الحقيقة، ومنذ هذا
اليوم المشهود، ضاع أسمى، فقد بدأت أسمى تجمع بذاب شديد قطع الصورة
المعروفة مثل "البازل" لثرى صورة مكتملة.. راجعت الميزانية فى دولابها، ومن
المؤكد سألت نفسها: ألف مرة حاولت أعرف سر اختفاء سلاسل وأساور رولا
الذهب.. ولم أعرف.. وحاولت تحليل شكوى الوالد من حين إلى آخر عن اختفاء
أمواله من محفظته.. كيف كانت تسرها؟ هل أنفقا ونسى؟ وفى حالة ضياعها..
من وراء هذا الضياع؟ أما كريم.. فهو أغرب فرد فى الأسرة.. كانت تختفى
ممتلكاته، وألق أنه يعرف جيدا من يستولى عليها.. لكنه يسكت.. لا يستكلم
ولا يصارح أحدا بحقيقة الأمر.. ولا يتحدث أبدا عن أخطائه المفقودة.

بدأت أسمى التركيز والمتابعة لكل تحركاتي.. إلى أين؟ ومع من؟ ومتى أعود إلى البيت؟ وإذا تأخرت عن الساعة الثانية عشرة تكلمني عند الاستقاء.. وأقول لنفسى:

- ياه!! دلوقت يا ماما تقولى الكلام ده؟ دلوقت؟ ما خلاص.. الللى حصل حصل.. تأخرت كثيرا فى البحث، والرقابة، والمتابعة.

بعد هذه الواقعة، استمر الضرب.. ولكن فى هدوء، وبجرعة أقل، وحاولت بقت الإمكان ألا يحدث هذا فى البيت، أو أضرب عند الأصحاب ولا أعود إلا بعد أن أستعيد توازنى، وأبدو فى حالة أقرب إلى الطبيعية.. ولكن المشكلة كانت فى الرقابة المشددة على كل تصرفاتى وتحركاتى.. ولم تعد المسألة سهلة، بل كانت فعلا صعبة.. نظراتها قاجصة، وثاقبة بعد أن تُضح الموضوع، وعرفت أسمى الأعبى.. وبدأنا نلعب القط والفار.

قررت أسمى أن تتولى زمام المسؤولية نيابة عن والدى، وأعلنت قرارها ذلك لوالدى قائلة:

- مآكش دغوة بصلاح خالص.. أنا الللى ها أثيلة مصروفاته كلها.

وكانت تتألمنى بصقة مستمرة قبل الخروج: ماذا لو ندى، وكيف أندو شكلا.. وموضوعا.. سواء من الناحية المنظهرية أو الصحية.. وتساءلت إلى أين أذهب؟ ومع من؟ ومتى أعود؟ ورغم تركيزها الشديد وإصرارها على معرفة كم معى من أموال، وماذا تبقى منها.. مع هذا أصبحت يذى أكثر طولاً.

بدأت خلطى بعمل قسمة من مفتاح دولابها.. وتبين أنه من النوع الذى لا يمكن عمل نسخة منه إلا بعد فك "الكالون"، فأعطانى الرجل مفتاحاً يفتح مش هذا النوع من الدواليب.. وهكذا استلكت مفتاح الكنز، لأنى أعرف جيدا أنها تحتفظ بكل أموالها ومجوهراتها فى هذا الدولاب.. وكان الجزء الثانى من الخطة - لكى أفلت من إعادة ترديد نغمة البحث عن عمل - أن أعلن قرارى بالنسجم للتسجيل للدراسات العليا، والحصول على درجة الماجستير.. ليجعل ما فى

الموضوع أن العائلة تنق فى ذكائى وقدراتى، وخاصة بعد النجاح بتقدير جيد فى السنة الثالثة ومثله فى السنة الرابعة، ولم أذكر أكثر من شهرين.. ومن يحقق هذا الإنجاز يستطيع أن يحقق إنجازاً أكبر.. وقد ثبت هذا عملياً بعد تجربة التجنيد، والعمل فى شركة الأغذية.

- ماما.. أنا خلاص نويت أعمل ماجستير.. ومن بكره هأ اشترى الكتب.. لا بعت جواب عشان أفرح كريم بالخبر والقرار ده.. ورد على برسالة جميلة.. الموضوع مش سهل، بس مقيش مشكلة خالص، وزى ما نجحت فى ثالثه وزابعة.. أنجح فى الرّمانة.

إنه كلام يعزف على الوتر الحساس، ويعجب بابا ورولا.. أسمى لم تصدق نفسها أو أذنيها.. وكانت سعيدة بمعنى الكلمة، وقالت لى: - يا سلام أما فكرة، وشى مذهش فعلا.. شذ حيك يا صلاح.. وبعد الماجستير فاجيب لك أى عربية تشاور عليها.

- عربية إيه بس يا ماما!! الكلام دا كان زمان.. خلاص.. موضوع العربيات مش مهم أبداً دلوقت، خلبنا نشوف مستقبلا.. ضيعنا وقت كثير.. وجه وقت لحد.. وعلى فكرة مش عاوز قوس.. أقل مبلغ كفاية.. خلبنى أركّز فى موضوع الرسالة.

وعادت أسمى إلى أبحاثها ومحاضراتها.. والتركيز فى امتحانات الطلبة ووضع الأسئلة.. والتصحيح.. وكأنتى بهذا القرار رفعت من على كتفيها أحمالاً ثقلة.. وعندما أخرج، أطمئنتها بأننى لن أغيب أكثر من ساعتين لزيارة أحمد وحسين.. إنهما بالنسبة لها من أولاد العائلات الأصيلة، وعلاقتهى بهما ممتدة منذ أيام البراءة والطفولة الجميلة.. تلك الأيام التى لم تشهد فيها المتاعب والمشكلات الصانعة التى نعيشها الآن.. وكانت عندما تسمع هذين الاسمين شعر بالاطمئنان.. أما جارى حسام، فقد انكشف أمره، وأصبح مثل الكتاب

المفتوح، وعرفت أنه ضريب.. تابعته أخباره، وسألت عن أخلاقه وعن أصله وقصته، وضربت حصاراً لتحديد علاقته به.

بعد هذا اليوم المشهود.. اليوم الصدمة، استقرت الأحوال وانتظمت تساماً.. معى مفتاح الكنز.. أو مفتاح دولاب أمي، وأقضى معظم الوقت في البيت، في غرفتي، أجلس إلى مكتبي الذي صفت عليه الكتب التي أشرت بها للتحضير للدراسات العليا ورسالة الماجستير.. والغريب في الأمر، أو ربما هذا هو الطبيعي، رغم كل هذا التسبب كنت أحب القراءة وأنا ضارباً قالمناخ العلم في بيتنا يشجع على القراءة.. والذي لديه اشتراك سنوي في معظم الصحف اليومية، والمجلات الأسبوعية بسبب لشغاله بالقضايا السياسية إلى جانب مشاريعه الهندسية، وهذا عودني قراءة الصحف بانتظام، أو على الأقل قراءة العناوين، وصفحات الرياضة.. ورغم أنني أفلاوي صميم، إلا أنه لا مانع من متابعة أخبار بقية الأندية، والأخبار الرياضية عموماً.. واستمر والذي بلا يس، يبحث عن وسائل تشجعي على القراءة للجادة.

هذات الأحوال وسكنت العواصف، وبعد جلمة ودودة مع والدي، سألتني عن الرسالة، وحدثني عن مشروع هنسي عملاق مبنقه مع شركة إماراتية، وبعد أن استمعت منه إلى قصيدة إعجاب بعفريتني، تشجعت وقلت:

- عايز 500 جنيه علشان أسافر إسكندرية مع أصحابي؟

- ليه؟ هو إنت رايح أوروبا؟

- طيب خذهم 400 جنيه.

- ولا 400.. وبغنين أنا مش موافق إنك تسافر من أسامه.

- ليه بن يا بابا؟ هو إنت على طول كده متعرض!!

لم أكن أريد أكثر من 300 جنيه، ولأني أعرف مسبقاً أسلوبه في المساومة على كل مبلغ أطلبه.. بدأت برقم أكبر لأحقق هدفني، وأحصل على ما أريد..

بعد دقائق صمت، قال:

- لاها أوافق بس على شرط.. وهذيك كمان الـ 500 جنيه اللي إنت طالبتها.

- الأمر أترك يا حاج دادى.. أشرط.

- عدى مجموعة مقالات قصيرة عن أخطر المعارك في تاريخنا العربي،

عائزك بأخصها.. هناخد منك يومين.. ثلاثة، ومقالات عن أهم المناطق

إسلامية في العالم، عائزك بتزجها.. وبرضة هناخد منك يومين.. ثلاثة، مش

لكثر.

- ليه المقالات دي؟ إيه أهميتها دي بالنسبة لك؟

- ذا موضوع يخصني.. قلت إيه؟

- أنا عايز أسافر بكره.

- طيب.. أنا هاضل معاك اتفاق رجالة.. خذ الفلوس وسافر وإنيسيط،

ولما ترجع سلمني المقالات خلال أسبوع.

- اتفقنا.. فين المقالات؟ وإيدك على الفلوس.

- أدى المقالات.. والفلوس تاخدها مني بكره.

- لا.. لا.. دي مقالات كتيرة.. حضرتك ضحكك على.. كل نوع

500 جنيه.. حسابنا على الأقل ألف جنيه.

- خلاص.. أقعد وبلاش تسافر.. وبعد أسبوع سلمني المقالات وخذ الألف جنيه.

- أنا ها أوافق، وهأخذ نص المبلغ مقدم.. بن عمل حسابك للنص الثاني، أسلم

واسلمك.

إنها كانت وسيلة لأهدأ واستقر ولأندرب على القراءة.. إنها ليست من

هزباتي، واكتسبتها من الجو الذي أعيشه، وهكذا سوف تصبح مشروعاً مربحاً

بإزائس.. وكنت، بيني وبين نفسي، ألق أن هذه المقالات لا تهم أبي في كثير

لو قليل.. ولكن اعتقد أنها معلومات مفيدة في رأيه، وكان يهمله أن أعرفها.

عاشت أُمِّي فترة من السلام النفسي بعد هذه التغيرات الجديدة، فلست
أُنتفى أُنْقضى معظم وقتي في البيت.. وهذا تغير كبير، ولكنها لا تعرف أُنفسى
وحدى في البيت.. ومفتاح دولابها معي.. دولاب هذا أم مغارة على بابها؟ أُنفتح
يا صاصو.. ياسلام.. شَيْتِك تَبَيْك.. الدولاب بين يديك.. ويهتو أُنفرج على
محتويات الدولاب الغني بالمُتَمَنَّمات الكثيرة القِيَمَة في شكل أساور، خواتم،
سلاسل، مُصاحف، ساعات، وكلها أشياء ثمينة جدًا.. كان أجمل ما فيه الأوراق
النقدية.. جنيهات مصرية، دولارات، إسترليني، مارك ألماني.. فَرَنَك فرنسي..
كَنَز فعلا.. ولست أدرى لماذا تضع كل هذه الأموال في الدولاب؟ لماذا
لا تضعها في البنك؟

وتحسنا لأى ظروف.. كان ممن رأى الوالد تخصيص مبلغ ما
للطوارئ، وكانت أُمِّي حريصة على وجود المبلغ المقرّر كاحتياطي بعد أن
واجهت أزمة صحية كبيرة، واضطرت إلى السفر المفاجيء إلى لندن لإجراء
عملية جراحية خطيرة.. وبصراحة كان المبلغ المُحتَجَز كبيرًا، لكننى لم أبدأ
بالسحب من النقد المصرى، سحبت من الدولارات لأن الورقة فئة مائة دولار،
تحل مشكلات وتكفى أكثر من يوم.

سحبت حوالى 50% من ظرف الدولارات خلال ثلاثة أشهر.. كنت
أضع ورقة فئة مائة دولار في مكان مرى تحت الدواسة أمام باب الشقة، وأخذها
حسام، ويرجع بعد ساعتين أو ثلاث، ويضع البونورة في المكان نفسه.. وعندما
شعرت أن كمية السحب قد زادت، وأصبح من السهل كشفها، بدأت التحول إلى
الأوراق النقدية المصرية.

لم تنبه أُمِّي إلى عملية السطو على دولابها.. ولو فرض واكتشفت
المسألة.. فإنها قد تشك في ذاكرتها، إذ لن تتخيل، ولن تصدق أُنفسى التفاعل..
كما أنها تريد من أعماق قلبها أن تصدق أن واقعة البونورة في اليوم المشهود،
كانت في الأصل غلطية، وحادثًا عابرًا، ولن يتكرر.

كنت على ثقة من أن أُمِّي تحاول إقناع نفسها بالتغير الإيجابي في حياتي،
والحقيقة في رأيي أنها تتعذب، فهي تكاد تلمس الحقيقة، ولكنها تكذب نفسها.. كل
شيء على ما يرام.. وتكذب عينيها، وتتجاهل المنظر المؤلم للشبح الذى تراه
أمامها يتحرك، بخطوات مهزوزة، وغير ثابتة، وقد تناقص وزنى كثيرًا، وتحت
عينى حالات سوداء، وتغيرت شخصيتى بشكل ملحوظ، لا بخطوة أحد.

في تلك الفترة، أصبح حسام مكتوفًا أمام الدنيا كلها.. والده، والدة، أخواته
والجيران، وظهر من حوله عشرات الشباب الذين يَضْرَبُونَ البونورة بصورة
رهيبة، ومجموعة جديدة بدأت الدخول في هذا الشفق المُظلم، ومنهم من بدأ يبيع
البونورة، وفتح دولابا للبيع.. أصبحت المنطقة موبوءة، مثل غيرها من مناطق
كثيرة.. والمُصيبة الأكبر أنهم تجمعوا في مكان واحد، وكل منهم يمثل مصيبة
وكرامة مستقلة.. إذ كيف يكون الموقف عندما تتجمع كل هذه القنابل الموقوتة
معًا؟

بعد شهر عاد رامى إلى منزله بعد أن أنفق ثمن السيارة.. كنت أزوره
من حين إلى آخر في بيته، وكانت أسرته تستقبلنى بحفاوة كبيرة، وبعد قضاء
بعض الوقت معهم، أخرج مع رامى ونشترى المطلوب ونعود معًا إلى بيته..
ثم تغير رامى في تلك الأيام!! اشترى له والده سيارة 128، ووعدته بصندوق
أن يشتري له بى إم دبليو أخرى إذا توقف عن الضرب.. بدأ رامى يستخدم
المُطوب المُصَب الواضح، ويبيع التكررة بمبلغ 60 جنيهًا، رغم أنه اشتراها بمبلغ
40 جنيهًا فقط.. ويدخل عند التاجر، ويخرج من مكان آخر، ويدعى أنه قد تم
القبض عليه، ويخلق قصصًا، ويلقُ أحدًا عجيبًا.

لم أصدق أن رامى يفعل مثل هذه التصرفات.. ولم يحث أبدًا أن جربها
معي، لى أن جاء اليوم الذى لعب فيه اللعبة نفسها معي.. فقد ذهبنا معًا لشراء
بونورة من دولاب في بولاق، وكنت أعرف جيدًا أن ثمن الورقة 30 جنيهًا،

وباعها لى بضعف الثمن.. أنا شخصيًا قمت بالحركة نفسها أكثر من مرة،
لكن مع رامى.. لم تحدث أبدًا، سكت وقلت لنفسى:
- يا حرام.. رامى ألغن خلاص.

يا ألفت خسارة.. لم يعد ريكو يحتضن جيتاره.. لم يعد يعزف، أو ينتكر،
ويبدع أحيانًا جديدة.. اختلف الحال تمامًا.. يمسك الجيتار ليعزف، فيتركه بعد
دقائق معدودة، بعد أن كان يقضى معه ساعات وساعات.. أصبح قطعة أشك
مهملة، الى أن باع الجيتار.. إنه قطعة منه!! رامى يبيع الجيتار!! إذا لا شىء
عزيز أو غالى.. لا شىء يساوى ورقة بؤذرة.. يا خسارة يا رامى.. شكله تغير،
ولم يعد أنيقًا كما كان.. فقد الكثير من وزنه، وبرزت عظام وجهه، ولا يستطيع
التركيز.. وفى يوم مررت عليه فى البيت، وقابلت والدته، فسألته:

- رامى موجود يا طنط؟

- لا.. يا صلاح.. مش موجود.

- طيب يا طنط.. ها ألوت عليه تانى.. وسلمى عليه.

- حاضر.. ها ألول له، وخلينا نشوفك أكثر من كده شويرة.

- حاضر يا طنط، وسلمى على ألكل.

وبعد خطوات من بيته، وجدت رامى فى سيارته، ومعه ثلاثة شباب..
شكلهم مربى.. كل منهم لابس مدمًا فقط، بل مجرمًا أو "قتال قتلة"، وجذبته من
ذراعه قائلا:

- رامى.. أنا عذبت عليك من دقيقة واحدة.. تعال.. علوذك.

- إنت فبن يا سيدى؟ مخفى وشكلك كده واقع على دولاب سفع؟

وأخذت رامى إلى سيارتى، وسألته:

- مين الناس دول؟ شكلهم غريب، ومش عاطفى خالص.

- ألكلى جنبى حمزة.. وألكلى قاعد ورا سامح، وواحد صاحبه.

- سامح؟! يا نهار إسود.. ذا أنا مغرقتوش.

- سامح خلاص بيسلم.. ببؤذع.. ببضرب حوالى جرام فى اليوم.

- يا نهار إسود!! جرام؟

- وحمزة ساكن فى عمارتى.. ابن ناس، بين البؤذرة ببئله.. المهم عايز إيه؟

- إنت بشيع وللأ إيه؟

- لا يا أخى.. تابع إيه بس؟ إحنا نروح نشتري سوا.. معاك كاش أد إيه؟

- هى الورقة بخام؟

- فيه ورقة ب 40.. وفيه ورقة ب 100.

- خيلنا فى لم 40.. تكفى كام واحد.

- بسك إثنين!!

- يشى تموت واحد.. قشطة.. أدى 80 جنيه.. وياللا بينا.

- ناخذ سامح معانا.. ونيجى معاك فى عربيتك.. يا ألول لك إيه.. هو فاهم

إن التذكرة ب 60 جنيه.. أنا مش ها أضحك عليك.

وكنت أعرف جيدًا أن ثمن التذكرة 30 جنيهها.. "ما علينا".. توجهنا نحن

الثلاثة إلى عين شمس.. المكان عجيب، والشوارع ضيقة، نُدخل يمين.. نُدخل

شمال، ووصلنا عند ضامة خمسة أدوار.. الساعة الثامنة.. وممرت السدقات،

ثقله، والساعة الثامنة والنصف غمرت الإحساس بالقلق:

- إيه الحكاية يا عم سامح؟ هو فيه إيه؟

- رامى خلغ يا باشا؟ تخيل؟

- لا.. رامى مش ممكن يغفلها معانا.. تسى يا ابنى.. رامى معانا فى الفصل

من حضارة.. يمكن ميسكى الشغل يتقطع

- بس كده كثير.. دا إحنا لنا أكثر من ثمن ساعة.. والمفروض يطلع وينزل

فى دقيقة!!

- غريبة جدا!!! هو الرجال فى الثور الكام يا سامح؟ تعرف؟

- آخر دور.. بتفكر تطلع وللا إيه؟

- ليه لا؟! أنا ها اطلع أشوف إيه الحكاية.

- ماشى.. بس ملتأخرش إنت كمان.

- هو الرجل اسمه إيه؟

- اسمه سبعة.

والمعروف، عندما نذهب لشراء للمخدرات.. أن نقف بعيدا بالسيارة، وليس بالقرب من التاجر، نقاديا للرقابة الحكومية.. مشيت فى اتجاه العمارة الشارع هادى، والظلام دامس، ونحلت من باب ضيق، فى عمارة صغيرة، سألها بلا إضاءة، وتحسنت طريقى وصعدت السلالم على مهل، وعند الدور التالى قابلت طفلة صغيرة وقالت لى:

- أوعى تطلع.. الحكومة فوق.. وببستوا الزباين ويقضوا عليهم. دا فيه عشرة متسوكين.. وأبويا فزكنى وقال لى روى لعمتك، وفهمنى أصف جنب البيت علشان أقول للزباين ما تطلعش.

ترددت لحظة.. أطلع.. أو أنزل، وحسنت الطفلة الموقف بقولها:

- ياللا أنزل بسرعة.. هاتروح فى داهية.

رجعت إلى العربية، وحكيت كل أنى حصل لسامح الذى صرخ قائلا:

- يا نهار إمودة!! رامى إتمسك؟ ياللا بينا يا غم من هنا.

رجعت ومعى سامح.. دخل سامح للنادى، وقررت أنا العودة إلى البيت الساعة الحادية عشرة، وليس معى نفود، ضاعت مع رامى، ولا أنزى ماذا أفعل.. وفى تلك الليلة، ولأول مرة عرفت فيها أعراض انسحاب للإسودرة من الجسم.. لكنها الأعراض المحتملة أو الخفيفة.

دخلت إلى سريرى الساعة الواحدة، واستحال نومى.. ظننت أنقلب وأفرك فى السرير.. ثم أتت ثانية واحدة.. غمرنى العرق.. ونجرت إلى الحمام والام.. ومغص.. أمعائى تتمزق.. أه والإسهال.. أه.. يالها من ليلة صعبة مؤلمة.. وأخيرا نمت الساعة الخامسة صباحا، وصحوت وقفزت من السرير الساعة

الثانية، وقبل أن يخرج والذى إلى مكتبه، ابتكرت قصة عن سيارتى التى تحتاج إلى إصلاح، وأخذت منه خمسين جنيهًا، وطلعت بالسيارة وذهبت إلى أم سيد فى الجيزة.. ولم تخيل أن أجدها فى هذا الوقت المبكر.. الساعة التاسعة لكن الباب الأسود مغلق.. إذا عندها شغل.. أوقفت السيارة فى مكان بعيد، وبعد ثوان رجعت إلى السيارة، ومررت على الضبيلية قبل الذهاب إلى البيت.. وكنت مطمئنا لوجود التيمون فى الثلاثة.. إذ لابد من إضافة نقطة ليمون على البيرة.. وذات مرة سألتنى أمى:

- إيه حكايك يا صلاح.. دايمًا تسأل: غنينا ليمون؟ وساعات بتشتري ليمون وبكبات كبيرة كمان.. ليه؟ فهمنى!!!

- يا ماما أنا أهم حاجة عندى الليمون.. أنا ما يهمنىش الأكل، ما يهمنىش تشرب.. أنا يهمنى الليمون، وكمان أنا مش عايزه ليموناده.. عايز الليمون لنصه.. هو دا النظام، وما تشغليش بالك.

طبعًا.. لم تفهم أمى كلامى، ولم يخطر بباليها طبعًا، ماذا أفعل بالليمون، وما فائدته.. وبعد دقائق معدودة.. تغير الحال، وللشخصية المتعبة، والمصابة بالإسهال، والرداء الذى لا يتوقف من الألف.. كل هذا تغير فى لحظة واستعنت بشايفى، وتكررت رامى وما حدث له ليلة الأمس، وحوالى الساعة الحادية عشرة اتصلت بشيفونيا، وردت والدته:

- صباح الخير يا طنط.. إزاي حضرتك؟

- الحمد لله.. إزيك يا صلاح؟

كان صوتها خافتا، وكأنها لا تقوى على الكلام.. فسألتها:

- يا ترى.. حضرتك قلت لرامى إنى عذبت عليه إمبراح؟

ردت بأكية:

- لا يا حبيبى.. أصل أنا ما شفتوش.

- مال صوتك يا طنط؟

- لا.. مفيش حاجة.

- طيب، هو جاي إمتى؟

- مش عارقة يا صلاح.. مش عارقة يا صلاح.

- فيه إيه بس يا طنط؟

- مفيش حاجة.. ها أقول له يا حبيبي إنيك اتكلمت.. باي.. باي.. مع السلامة.

وبذلك، تأكدت أن رامي قد قبض عليه.. غمرني الإحساس بالأسى.

لكن لا شيء أستطيع عمله..

يا حرام.. رامي أدمن، وهذه هي نهاية الإيمان.. وحتى هذه اللحظة.

كنت أنصور أنني اختلف عن كل هؤلاء المذممين.. أنا ليست عندي مشكلة

نهائياً؛ لأنني لو أردت التوقف عن الضرب.. فسوف أتوقف فوراً.. لكنني

لا أريد.

وفي يوم ما.. قررت ماما إعادة تنظيم الدولاب، وإخراج كل الملابس

الصيفية، وتعليق ملابس الشتاء بدلاً منها، وكانت المفاجأة المذهلة.. ومن بعيد

جاءتني صيحة أو بمعنى أدق صرخات أمي:

- اللوس فين؟ الذهب فين؟ الدولاب حصل فيه إيه؟

وكانني لم أكن أعرف بأن هذا اليوم أت.. أت.. ولم تمر ثمانية واحدة..

إلا ووجدت أمي في غرفتي.. فتحت دولابي بسرعة خاطفة، إنها "كبسة" غير

متوقعة نهائياً.. ووجدت: سرنجات.. بؤرة.. ليمون.. فنجان.. أوراق مالية

مختلفة.. من بينها دولارات.

انفجرت أمي بالكية.

لم تتكلم.. لم تسألني.. لم تناقشني.. ولم أعرف بنقطة سر هذا البكاء.

طبعاً.. تصورت أنها تكي على أموالها التي سقطت عليها.. تكي على

الدولارات التي صرفتها في شراء البؤرة وضربت بها.. المبلغ كان كبيراً.

فتصورت أنها تكي ضياع أموالها وذهبها.. لم أفهم سر هذا البكاء إلا بعد

أن أختبئ في أحضانها واستمرت في بكائها.. لقد سرفت دولابها، وهي تأخذني

بين ذراعيها.. وتكي بحرقة!! قلت لها:

- ما تخطيش كده يا ماما.

اعتذرت لأمي عن الذهاب إلى الجامعة.. وهذا نادراً ما يحدث.. وظلت

حبيسة غرفتها، نأني إلى كل ربع ساعة، تتألمني، ثم ترجع إلى غرفتها، وترجع

إليّ وتسألني سؤالاً أو سؤالين، وتعود إلى غرفتها، وتمر دقائق، تأتيني وتكلمني

بكل هدوء:

- يتأخذ إنت ومين؟

- أصعب ما تعرفهمش.

- اسمهم إيه؟

- ولا واحد فيهم تعرفيه.

- ساكنين فين؟

لا أرد.. فتستمر في أسئلتها المغموسة بالشموع:

- طبعاً حسام منهم.. ومين كمان؟

- بجد يا ماما، ولا واحد فيهم تعرفيه.

تعود إلى غرفتها بإحساس الإنسانية المهزومة في أهم معركة في

حياتها، وبعد ربع ساعة تعود إليّ وتسألني:

- يتأخذ كل يوم؟

- لأ.. مش كل يوم.

شعر والدي أن هناك شيئاً ما مريباً.. ولكنه لا يعرف ما هو.. فساءل

أمي:

- منكم؟ هو فيه إيه؟

- مفيش حاجة.. يراجع مع صلاح كتب وأوراق الرسالة.

كان من الواضح أن أمي لا ترغب في تصدير المأساة إلى الآخرين..
ولكن في الوقت نفسه الكارثة كبيرة الحجم، والموضوع ثقيل، ولا تستطيع
أن تتحملة وحدها.. كانت توأمي رولا ألوك من عرف بحدوث الكارثة.

جاءت رولا الساعة الثالثة، فوجدت أمي في البيت، وأدهشها ذلك لأنها
تعرف جدول محاضراتها، وتصورت أنها تمر بوعكة صحية.. جمعتني رولا
تُسلم وتقبلي كالمعتاد، وحدثتني نظراتها بأنها تشعر بأن هناك شيئاً ما خطأ..
وبدأت استرد الوعي كاملاً بما يحدث حولي، عندما دخلت أمي غرفتي، وقلت
الباب، وبلا مقدمات قالت:

- استمعيني يا رولا كويس.. فيه كارثة..

- إيه يا ماما؟ فيه إيه؟ قلّقتيني.

- أو يا رولا.. لازم نتلقى.. أخوك بياخذ هيروين.

- هيروين؟! يعنى إيه؟! يا دى المصيبة؟! إزاي؟

- من حوالي ستة شهور، دخلت على أخوك الأوضة لقيته مغشى عليه وواقع
على الأرض، وجنبه حقنة كلها دم.

وظلت رولا طوال الوقت في حالة ذهول، يداها على وجهها، ونمها
مفتوح، وتصرخ قائلة:

- يا نهار إسود.. يا نهار إسود.

- أنا للأسف الشديد تحيلت إنها غلطة «وَعَنَت»، وتقاهمت معاه، وصنقته لما قال
لى دى آخر مرة.. بس النهارده الصبح اكتشفت أن أخوك أخذ ألوف الدولارات
من دولابى، وذهب كثير، وبياخذ هيروين كل يوم.

- إيه ده اللي ماما بتقوله يا صلاح؟

- بصنى على ذراعه وإنت تفهمي كل حاجة.. وزنيها ذراعك.

ودون أى مقاومة رفعت يدي لثري رولا ذراعى.

- يا دى المصيبة!! حقن!!

بعد أن حكّت لى لها تفاصيل الكارثة منذ البداية.. منذ اليوم الذى
وجئت فيه رائداً على الأرض بلا حراك، والحقنة بجانبى مليئة بالدماء، أعلنت
لها قرارها بكل حسم ووضوح:

- لما قررت أخذ إجازة بثون مرتب، أو حتى أقدم استقالتى من بؤره الصبح،
بحجة لى حالتى الصحية لا تسمح، وأقعد جنبه أشوف إيه اللي بيحصل.. وإزاي
تعالج الكارثة دى.

- فهنى يا صلاح.. فيه إيه؟ اتكلم بسرعة.

- ماعنديش حاجة أقولها يا رولا.

ردت لى منفعلة:

- لا.. إنت لازم تتكلم.. لعل عايز تتكلم إمى؟ بعد ما تموت.. أخوك يا رولا
كان فعلاً خيموت.

- والله العظيم كنت حاسنة إن فيه حاجة غلط، بس عمرى ما تصوّرت،
ولا خطر فى بالى أن صلاح ممكن يكون بياخذ هيروين.

- طبعاً دلوقت بس فهمت أخوك خاسر كده ليه، وتحت عينيه أسود، وعينيه
لتسورة دى.. والسجاير اللي بتقع من إيده، والسجاير اللي باشيتها من إيده
وهو نايم، والملايات المخروقة، والتيشيركات المخرمة والتليفونات المزببة..

وأنا قاعدة جنبه مش قاضية بيكلم مين.. ويقول إيه.. أ كده أنا مغفلة؟! من هنا
ورايح.. مقيش خروج من البيت.. مقيش تليفونات.. رجلى على رجلك وإنت
يا رولا معايا.. هتساعطينى.. مش هتسيب أخوك ثانية لوخذه.

مثال النموذج بنهم من عيني رولا.. وبصوت خافت تقول:

- حاضر.. حاضر يا ماما.

- وميش هتقول لباباك أى حاجة.. دا لو عرف ممكن يموت فيها.

- حاضر يا ماما.

- دلوقت أسيبك مع أخوك.. تقعدى معاه وتفهمي منه كل حاجة.

- حاضر يا ماما.. إطمَئني.. صلاح هيك كيتي كل حاجة.

تركنا أمي وحدنا.. رولا تنظر إلیّ بذهول.. لم أطق بكلمة واحدة.. هي أيضا لم تتكلم، صمت رهيب، ولا أقوى على النظر إلی وجهها السريء، إلی أن استجمعت كل قواها، ومسحت دموعها المنهمرة كالشلال، وبدأت تتكلم:

- إزاي يا صلاح؟ إزاي؟

- ماغرفش يا رولا.. ماغرفش.. والله مش عارف.

- أول حاجة أنا ها أجيب مُصنّف، وتحلف عليه أن عُمرِكَ ماما تاخذ أي مخدرات تاني.

- حاضر..

- المُصنّف أه.. إحلف.. امسكه واحلف إن عُمرِكَ ما تاخذ مُخدرات تاني.

أسكت المصنّف بين يدي.. وأقسمت:

- والمُصنّف الشّريف، أنا عُمرى ماما أخذ مخدرات تاني.

بعد هذا القسم، هدأت أختي، وشعرت كأن المشكلة قد حلّت تماما، وتركنتي وحدي وذهبت إلی أمي.. وأعتقد، بل كنت على يقين أن أمي لم تصدق هذه المرة.. ولكنها من أفعالها كانت تريد أن تصدق، وكل تصرفاتها منذ يوم الصدمة، تبدو كأنها صدقت فعلا لأنني سأتوقف عن تعاطي المخدرات.

وملأت الشكوك رأسها، وقلبها، وأصبحت هي وحدها التي تستقبل الاتصالات التليفونية.. وتسأل في كل مرة: هل فلان يتعاطى المخدرات؟ ومن هنا، وابن من، وابن يسكن، ومع من يعيش، وماذا يفعل في حياته؟! أسئلة.. أسئلة دون توقف.

وأعذت أمي بالاتفاق مع رولا جدولا زمنيا بحيث لا تتركاني وحدي في البيت أبدا.. وكتم تعذبت في أيام الرقابة المشددة.. إنها أول مرة أتوقف فيها عن الضرب لعدة أيام، وبدا الأمر وكأنني مريض، وسألني الرائد:

- مالك؟ عامل كده ليه؟

- عذري برد في معنشي.

الآلام في جسمي من التعب وصفها.. معص، إسها.. غلبة المناديل لا تكفي إلا ساعات قليلة، ولا أستطيع النوم، والجديد أيضا.. أنه لم تعد عذري شبيهة للأكل نهائيا.. فقدت الإحساس بالتذوق.. حتى السجائر لم يعد لها طعم، تغير طعمها، وبعد أن كانت خفيفة أجدها ثقيلة، وتوقفت تقريبا عن التدخين، بعد أن كانت السجارة معلقة دائما بين شفتي.. ولم تصور أبدا أخذ أي نوع آخر من المخدرات أو الخمر.. لقد تعلّق ذهني بمخدر واحد.. النيوتره ولا شيء غيرها.

استمرت حالة الطوارئ لمدة أسبوع أو عشرة أيام، وهدأت الأحوال بعد أن رجعت أمي الرقابة عني، وعادت إلی الطلبة والمحاضرات وتصحيح الأوراق.. وبدأت رولا تنظم في عليها إلى حد ما.. لكن درجة التركيز عالية، ولم تتوقف المتابعة والأسئلة، والتفتت ألفاسي، وتحسنت حالتي الصحية، وهدأت نفسي، وأصبحت شبه طبيعي، وخرجت أكثر من مرة لزيارة ميدو وزوني، وهناك أشرب سيجارتين حشيش، وتلعب كوتشينة، وأرجع البيت قبل الساعة 12:00 مساء، وكل شيء تمام.

لكن المشكلة في دماغ.. كأن هناك قرذا أو نسانا ينط في رأسي كل خمس دقائق، يقول لي: إضرِب بؤرة.. ثم الخطر زال والرقابة رفعت عنك، أرجع مرة ثانية للصياغة لكن نظمها.. وأقول لنفسي: لا.. مستحيل.. ولا داعي أبدا للمشاكل.. كفاية البيرة، الويسكي والحشيش.. وتذكّر المُصنّف والقسم.

وفي يوم قررت أن أُرور صديقي رامي، وأسمع منه تفاصيل أحداث ليلة السوداء التي كنّا فيها معا.. الحجة أنني أريد الاطمئنان عليه، ولا أريد لصوت.. وعندما رأيته كان جالسا مع والته.. وكأنه رأى ليلة القدر..

استقبلني بالأحضان قائلا:

- إنت قين يا صاصو؟

- كان عندى شغل، إزى حضرتك يا طنط؟
 - الحمد لله.. أنا كويسة.. إزيك إنت يا حبيبى؟ اشتغلت فين يا صلاح؟
 أنكرت تركى للعمل قاتلا:
 - اشتغلت فى شركة مواد غذائية، نائب مدير تسويق، بس أنا فى أجازة لست أسبوع، لأنى تعبت جدًا فى الشغل الشهرين اللتى فاتوا.
 - ربنا يوفقك.. عقبال رامى.. باباه جابله شغل، بس هو ببس دلع شوية باللا شجعه يا صلاح.
 - ربنا يسهل يا طنط.. إن شاء الله كل حاجة هنبقى كويسة.
 فى رأى والده رامى، إن صلاح إنسان ممتاز، صديق البتة من أيام المدرسة والطفولة البرينة، تخرج، ويعمل نائب مدير، بمعنى إنه أحسن صديق لابنها..
 فقال رامى:
 - كفاية رعى وكلام.. تعال يا صلاح نعد سواء من زمان ماشفتكش.
 - عن إديك يا طنط.
 - أتفضل يا حبيبى.. ها اعلمك كاكوا.
 - شكرًا يا طنط.
 - إيه الأخبار يا صلاح؟
 - الأخبار عندك إنت.. إيه اللتى حصل فى الليلة السودا.. يوم مئارضنا عين شمس سوا؟
 - أسكت.. كانت ليلة سوداء فعلا.. طلعت يا معلم.. لقيت طلابنا ومعلمنا أمساء شرطة قاعدين جوه، وكل واحد يدخل المكان يتكلمش فى ثانية.
 - وبغدين؟
 - أخذونا على القنم، وعملوا لنا مخضّر تعاطى، وكلمت باباه وجابى، وخرجت من الحجز تانى يوم.. ومن يومها وأنا قاعد فى البيت، أخرج مع أخويا بس..
 وباحاول أتم الدور شوية، وإنت النجدة بالنسبة لى.. قل لى أخبارك إنت إيه؟
 - أنا اكتشفت.. أمى عرفت..
 - ما هى عارفة من زمان..
 - لا، اكتشفت أنى رجعت أخذ من تانى.. هى كانت فاسدة إيسى بطلت زى ما وعنتها، وعرفت أنى سرقت الذهب والفلوس من دولابها.
 - أخدت لدايه؟
 - كثير جدًا.. ماكنش باعد.. بس ألوف.
 - عشان كده كان معاك فلوس كتيرة اليومين اللتى فاتوا.
 - وبغدين يا ريكو.. هنعمل إيه فى المصيبة اللتى إحتا فيها دى؟
 - يا عم، ولا مصيبة ولا حاجة.. استمع.. عايزين ننزل بضرب يا صاصو.
 - نقش معايا فلوس.. عشرة جنيه بس.. إنت معاك كام؟
 - أنا فا أنصرب.. هاخذ من البواب.
 - لبواب؟
 - عادى.. يا ما أخدت منه، ولما يتجى أى مصلحة، وتفرج، أرجع له فلوسه وبزينة.. مثلكش إنت دعوة.. أنا ألبس، وإنت اطلع لأمى تبهما.
 - ماشى.
 - يا طنط.. بتفكر نروح النادى؟
 - بلاش يا صلاح.. خليك قاعدين فى البيت.
 - أصل رامى زهق من قعدة البيت، وعازي يغير جو.
 - بن يا صلاح أنا خائفة، وبعدين باباه ممكن يتخاف معايا لو عرف إنه خرج.. طيب استنوه لما يرجع واستأنوه.

مواجهة مع الموت

- ضربنا.. وعند بيت رامى وقفنا نقائق للسلام والقبلات والأحضان..
ومن أعجب الأشياء بعد ضرب البوذة، تبدأ الموجات المتتابعة من السلامات والأحضان، كما لو كنا فى نهائى الكأس، وفرنا بحدارة.. حقاً إنه لشيء غريب!!
ولى تلك اللحظات الثمينة بصدق رامى، وكنت أعرفه اسمه: إبراهيم، وضرب معنا أكثر من مرة، وطلب من رامى أن نأخذه معنا ليشترى ورقته.. وسألته:
- فحبيب أد إيه يا هيماء؟
- ورقة.
- إيه رأيك فى البوذة يا مبدو؟
- حلوة يا معلم.
- أنت بتفكر يا مبدو.. يا ابن الإيه.. "الدور" بتاعك واطى.. وأنا يا ثوب الورقة بتكفى.
- أصل أنا ماضى بيش من زمان، فعملت معايا أحلى شغل.. هى الورقة بكام؟
- 50 جنيه، وإحنا عاوزين نشترى ورقتين.
- ماشى.. وأدى 100 جنيه.
- فقال إبراهيم:
- يا صلاح، أنا معايا 40 جنيه، كملى لى 10 جنيه أو نحاول ندى لحسونة
140 جنيه بس، فبنشترى ثلاث ورقات.. ده بيوس إيده وش وضهر.
- أنا ها أنصرف.

- بنشترن إيه يا ماما!! قولى له نزل مع صلاح على النسادى، وإيسك على
عشرين جنيهه علشان أكل حاجة هناك.
- طيب يا رامى، بس صلاح يراجع معاك هنا.
- ماتخافيش يا ماما.. إطمنى، صلاح مش هاتيسبى.. ياللا.. باى باى.
أخذ رامى 50 جنيهًا من البواب، وأخذ منى الجنيهاات العشرة
بالإضافة إلى 20 جنيهًا أخذها من والدته، وانطلقنا إلى بولاق واشترينا ورقتين،
ثم الورقة 50 جنيهًا، وأفنع التاجر بدفع بقية المبلغ فى اليوم التالى.. وكنا قد
نعودنا مثل هذه الصفقات مع التجار، ولكن المشكلة أنه ليس معنا مسلم واحد،
ومطلوب شراء السموت.. ما الحل؟ من يدفع؟ من؟ مينو.. إذا إلى هناك..
وعندما وصلنا إلى ميدو، قلت له:
- تصور معانا بوذة، ومفيش معانا ولا مايم نشترى سموت.
- جيتوا فى وقتكم.. تصنفوا أنا ما ضربتس من زمان، ونقى أضرب جدًا..
طلبنى يا رامى.
- بس البوذة اللى معانا مش كفاية.
- يا أخى.. إيه البخل ده!! يشترى ثانى.
- خلاص، رجعوى البيت وروحوا اشترىوا.. مش عايز أبويا يرجع، وأنا برة.
- خلاص يا ريكو.. اضرب أنت ورقتك.. وأنا ومبدو تقسم ورقتى، وبعدين
أنا وهو نشترى ثانى.
- ماشى.. إطلع يا صلاح على الصيدلية.. معاك لمونة فى عربيتك؟
- عيب.. افتح الدرج.. أكيد هتلاقى لمونة.

اشترينا ثلاث ورقات، ودفعت 130 جنيهًا فقط.. وهكذا عسانت لى
 10 جنيه، التى كانت معى منذ البداية، وخلال تجهيز السموم، قلت:
 - بأقولك إيه يا ميدو، مانتضربش الورقة كلها، اضرب شوقة والباقي ليكره.
 - لا.. إنت عارفى.. أنا مش بحب أشول بؤرة.
 وكان تعليق ابراهيم:
 - يا عم، دى ورقة مش قصة.. أنا أصلاً ضربتها خلاص.
 ضربت لنفسى، وبغدا ضربت لأحمد؛ لأنه لا يعرف كيف يضرب
 نفسه.
 - تمام.. تمام.. مية مية.. تسلم إيدك يا صاصو.
 فجأة، وفى لحظة، أغمى على ميدو، وضرب رأسه فى زجاج باب
 السيارة.. فقال ابراهيم:
 - يا نهار إسود.. ذا ميدو أفور.
 - ميدو.. ميدو.. فوة يا ميدو.. إيه ده!! مش بينطق!! نعمل إيه!! ميدو.. ميدو!!
 - نوصله عند بيته، ونسيبه هناك.
 - يعنى نسيبه يموت يا ابراهيم.. لأ.. مش ممكن.
 - طبيب.. نوديه مستشفى السموم.
 - فين مستشفى السموم دى؟
 - فى رمسيس.
 - قل لى بسرعة أمشى إزاي؟
 - على طول.. بس استمع مائش دغرة.. مش ما ادخل معاك.. دا فيها سجن
 وجيم.
 - متخلش.. وصلنى بس ومالكش دغرة.. حاول تقواه.. رش على وشه مية
 بسرعة.
 - المية مش مأثرة فيه يا صلاح.

- يارب.. يارب.. أستر يارب.. واللى يارب غديها على خير.. يا أحمد..
 ركة على يا ميدو.. ما تموتش يا ميدو.. يا رب.. يا رب..
 وصلنا إلى مستشفى السموم، وجريت فى منراتها.. يمين وشمال..
 ولا أجد أحدا لأسأله، ولم أجد لافتة توضح المعالم فى هذا المستشفى.. وقفت
 حائرة، لا أعرف ماذا أفعل، وأخيرا رايت طبيبًا، يؤكد مظهره أنه إنسان محترم،
 وأنى أستطيع التفاهم معه.. جريت إليه وفى لهفة قلت:
 - من فضلك يا دكتور.. معايا واحد صاحبي، واخد "أوفر دوز" من ساعة..
 أصل إيه؟ أرجوك ساعدنى.
 - حالته إيه؟
 - مش بينطق.. بس قلبه بينبض.
 - هوفين؟
 - فى العربية بزه.. أرجوك يا دكتور.. تعالى معايا شوفه، وأعمل له أى حاجة
 بسرعة.
 وفى اللحظة نفسها، أسرعت إحدى الممرضات وراء الطبيب، وقالت:
 - يا دكتور المريض الذى فى.....
 - وإشنى ميبى الدكتور نلوقت.. معايا واحد بيموت فى العربية.
 وعندما رآه الطبيب، أمسك بيده، ثم تأملنى بنظرات فاحصة، وفى
 لهفة سألته:
 - إيه يا دكتور؟ هنعمل إيه؟
 - إيه عايش.. بس مائوش علاج هنا.. أجرى بيه بسرعة على مستشفى "...."
 وإنت وحطك.. يا بلحق.. يا متلحقش.. هناك، هيدوله حقة.. الحقنة دى ممكن
 تنقذ.
 - شكرًا يا دكتور.. اركب يا ابراهيم.. هى المستشفى فى الدقى.. صح؟
 - صح.. أجرى بسرعة.. ما قداموش كثير.

- شكرًا يا دكتور.. ربنا يُستر.

ولم ينطق إبراهيم بكلمة واحدة.. وطوال الطريق، لم أتوقف عن الدعاء بصوت عالٍ مسموع:

- يارب استرّها.. عذّيبا لنا يارب.. والنبي يارب.. يا رب.

ثم أخاطب إبراهيم قائلاً:

- اعتدل دماغه يا إبراهيم، رُش على وشه ميّة.. يا أحمد.. رُد يا مينو.. والنبي يا مينو ماتموتش.

وصلنا إلى المستشفى، وب نظرة خاطفة رأيت، لون وجهه الأزرق، إنه يرفد دون حراك.. ودون إحساس، مثل تيار الكهرباء المقطوع.. مينو قاصدًا تمامًا، وتبدلت مع إبراهيم نظرات القلق والرعب، لدرجة أن إبراهيم قال لي:

- الظاهر إنه مات.

وضعت يدي على قلبه.. إنه لا يزال ينبض... قفزت من السيارة، وفعل إبراهيم الشيء نفسه، ولكنه جرى بعيدًا، بعيدًا عن السيارة.. إنه يهرب من مواجهة تبعات هذا الموقف البائس.. ولم أهتم، وجرويت داخل المستشفى، وصرخت بأعلى صوتي:

- عايز دكتور بسرعة.. معايا واحد بيُموت في العربية.

لا أحد في مكتب الاستقبال.. وجاءت ممرضة، ونظرت إليّ في ذهول، ثم خرج الطبيب من غرفته، وسأل:

- هو فيه إيه؟

- معايا واحد صاحبي في العربية.. واخذ "أوفر دوز".." بسرعة يا دكتور.. لازم يتّخذ.. في مستشفى السموم قالوا لي عَنْدَكُمْ حَكَن يبتنّذ.

قال الطبيب (وهو يوجّه كلامه إلى الممرضين):

هاتوه من العربية بسرعة.. ثم سألني:

- هو واخذ إيه؟

- بؤرة.

- واخذ كمية أد إيه؟

- تذكره واحدة.. بِن هو أصلًا مش بياخذ إلا كُل فين وفيّن؟

- بِن للحقنة 650 حنّيه.. معاك فلوس؟

- لَقَصَص.. ميدالية المفاتيح، دي ذهب.. ومفاتيح العربية كمان.. مش مُهم أي حاجة.

أعطيته الميدالية وبها مفاتيح السيارة.

أذهشت الطبيب بكلامي، وخوفى.. تركته وجريت لأتابع نقل أحمد من

سيارة إلى "التروتي" وعندما عدنا إلى الطبيب، أعطى تعليمات مريضة:

- خذوه.. وهاتوا سرنجة بسرعة.. ذا أزرُق.. مفيش في وشه نقطة دم.

- يا دكتور.. فيه أمل؟ أرجوك قلّ لي يا دكتور.

- خَلِك إنت بَره.. ما أغرُقش فيه أمل والأ لا.

أخذت أدعى وأقول:

- يارب.. أستر يارب.. والنبي يارب.. آخر مرة أضرب فيها في حياتي.. بِن

مينو يعيش.. والنبي يارب.

لتظرت خارج غرفة الطبيب.. الدموع تُغسل وجهي، ولا أتوقف عن

الدعاء، بينما شريط ذكرياتي وصداقتي مع مينو يمر مثل فيلم سينمائي..

هل هذه نهاية الفيلم، أم بداية لحياتنا الجديدة المختلفة؟! وقفزت أمام عيني صورة

مجسمة لوالدته، وأخرى لأخيه.. وبعد عشر دقائق طويلة ورهيبية، خرج الطبيب

من غرفته، فقزت إليه، وكل خلية في جسّمي تتسائل:

- خير يا دكتور؟!

- ذا فعلاً مَحْظُوط.. لو كنت تأخرت خمس دقائق، كان مات.. بِن هو محتاج

حقنة ثانية.. واضح إن جسمه كال نضيف، وأخذ كمية كبيرة.

- مش مشكلة يا دكتور.. إديّ له حقنة ثانية.. ممكن أشوفه؟ مش ها اعمل إن حاجة، بس ها ألق جنيبة.

- استنى.. هاندى لك بعد شوية.

وبعد خمس دقائق عاد الطبيب، وقال لى:

- تعال يا سيدى.. وشوف صاحبتك.. فام بس بيخرف.

فى قفزة واحدة كنت بجانب ميدو.. نائم على السرير، وبحرك رأسه حركات عنوية غير منتظمة.. وسألته:

- ميدو.. يا ميدو إنت سامعنى؟

- آه.. أنا هين؟

نطلقها بصعوبة بالغة.. فقلت له:

- حرام عليك يا أحمى.. مؤتتى.. الحمد لله.. الحمد لله يارب.. شكرا يا دكتور..

شكرا.. الحمد لله.. الحمد لله.

- إنت هاتين عليك صاحبة أوى؟

- أكثر من صاحبه يا دكتور، وأكثر من إخوات كمان.. ذا إختا مشربيين مع بعض من أيام الخضانة.

- كنت فى منزلة إيه؟

- منزلة ".....".

- وأنا كمان كنت فى نفس المدرسة.. بس أنا أكبر منكم بكام سنة.. قل لى..

وإنت كمان بتأخذ بؤرة والا إيه؟

- لا يا دكتور.. أنا ما تأخض.. لو كنت تأخذ مكنتش عرفت أجيبه هنا.

بيدو أن كلامى كان مقنعا إلى حد كبير.. ولست أدرى هل صدقنى

الطبيب، أم أراد أن بيدو مُصدقا لما أقول.. واستمر يسأل:

- طيب إيه بس اللى وصله للهباب ده؟

- علمى علمك يا دكتور.

- طيب.. دلوقتى هتعمل إيه؟

- بس يا دكتور.. أنا عايز منك خدمة.. أنا مش ها أقدر أكتف مامته،

ولا أحوه.. ممكن حضرتك تكلمهم؟! أنا ها أتليك نمرة التليفون، وقل لهم من

فضلك وهم جاتين بجيبوا فلوس معاهم.. إطمئن يا دكتور.. أنا مش ها امشى..

لا مافد هنا فى أى أوضة، وإدبنى مفتاح العربية أركنها بعيد شوية عن

المستشفى، عشان ما حدش منهم يشوفها.. وحضرتك خلى معاك الميدالية الذهب

لأخوة لئلا أخوه ييجى ويدفع الفلوس.. وقول لهم إن واحد كان معاه، وتخله

المستشفى ومشى.. أرجوك يا دكتور.. من فضلك.. مش عايز أكون فى الموقف

ده.

- للى يعمل كذا مع صاحبه، مايفقش بهزب.. خذ مفتاح عربيتك والميدالية.

وافق الطبيب الشهم على طلبى، وابتعدت بالسيارة عن بوابة

المستشفى.. ثم انتظرت فى غرفة صغيرة إلى أن جاءت والددة أحمد وشقيقه

علاء.. ولم أعرف ماذا دار بينهما وبين إدارة المستشفى التى أنقذت حياته،

وعلقت فى مكانى فى انتظار خروجهما مع ميدو من المستشفى، اللى عاد فيها

إلى الحياة.. وقلت لنفسى:

- يا إلهى.. أخذك وأشرك.

كان يوما طويلا، ورهيبا.. مرت كل ثانية وكأنها سنة لو أكثر.. لقد

لغرت عن الموعد المتفق عليه مع أمى.. إنها الساعة الثانية بعد منتصف

الليلة.. ولا تكفى كلمة التعب لتصف حالتى.. أنا لا أقوى على المشى.. فتمأى

لأحلاملى، وعندما أدخل إلى البيت بهذا المنظر، بالتأكيد سوف تشك أمى..

لما حق فى هذا الشك.. لكن لا شىء يهم الآن.. المهم أن ميدو لم يمت..

له حى.. لم يمت.. والأهم أيضا أن ربنا سترها معنا، والشرطة لم تتدخل..

بعد التعب والهلاك الذى أشعر به.

عندما دخلت إلى البيت.. بدأت أُمي تفحصني كعادتها.. تتأمل وجهي،
وتنظر في عيني.. ولم يكن يبدو بعد هذا الموقف الرهيب، أنني ضربت بؤثرة،
وإنما شكلتي كان مرهقاً للغاية، وشعري لشعث، وفي ثالثة أُنْتُ لها قصة عن
مباراة كرة في شارع بيت ميدو.. ولست أدرى هل صدقتني أم لا، وتركتني
لأخذ النش، وأدخل غرفتي.. وفي مريري بدأت أكلّم نفسي:
- كفاية كذا يا صلاح.. كفاية.. كفاية.

في اليوم التالي، شعرت بالإرهاق الشديد.. لا أستطيع الحركة من
مكاني، ولست قادرًا على الكلام، أو التفكير في الضرب.. فقط أفكر في ميدو،
وأريد الاطمئنان عليه، لكنني خشيت الاتصال به، ماذا أقول له؟ وبالتأكيد والدته
وشقيقه علاء قد عرفا أنني وراء كل ما حدث، وآخر من كان معه قبل إصابته
بهذه الأزمة القاتلة.

مرُّ يومان ولم أخرج من البيت، وكنت تحت رقابة أُمي.. وكنت
أُتصرف بهنوء تام؛ لشعوري بالتعب الشديد، كما أن قصة الأمس لم تغلق
خيالي.. وفي اليوم الثالث كنت أحسن حالاً، ولكن لا يشغلني إلا التفكير في
أحمد، ولا أعرف ماذا أفعل.. أحسست بعجزِي، وبالرعب عند سماع رنين
التليفون.. فقد خشيت أن تتصل والدته ميدو، وتكلّم أُمي لتحكي لها عما حدث
لابنها، وتولت أختي رولا الرد على ركنين التليفونات، وندتني.. وسمعت نفاث
قلبي.. لماذا أخاف؟ إن كل شيء يخيفني.. نادت رولا عليّ قائلة:

- يا صلاح، تليفون عَشَّانك.. أحمد.
- إزيك يا ميدو؟ كويس إنك كلمتني.
- إزيك يا صلاح؟

- الحمد لله.. أنا كنت عايز أطمئن عليك.. بين مش عارف أصعل إيه؟
- تصوّر.. من يومها وأنا نائم.. تخيل نمت 36 ساعة متواصلة.. ولبته صاحي
من نص ساعة.

- طيّط ماجدة وعلاء عملوا إيه؟
- متّة طبعاً.. الدنيا مولّعة في البيت.
- عرفوا إني كنت معاك؟
- عيب عليك.. طبعاً لا.. ذبستها في إبراهيم.. قلت لهم قابِلته بالصدفة، ورحنا
مُرتبنا سوا.
- وبغين؟

- أُمي منهارة طبعاً.. عياط مُستمر، وعلاء مش بيكلّمني.. أنا عاوّزك تحكي لي
حصل إيه.. لما علاء قال لي إن فيه واحد معاك هو التّسي وذلك المستشفى،
وباك هناك، عرفت على طول إني إنت.
وحكيت لمينو ماحدث بالتفصيل.. حتى وصول والدته وعلاء إلي
المستشفى..

- يا لَهْ أبيض!! إيه ده؟ أنا فعلاً كنت هنا أموت!!
- الحمد لله جت سليمة.. ربنا ستر.
- تصدّق يا صلاح أنا لسه تغيّبان، وديماغي لسه ثقيلة.. هذا أدخل أناام تالي.
- تلم إنت وأستريح، وأنا أعدّي عليك بُكره.

وضعت سماعة التليفون، وأنا لا أكاد أصدق أن سيناريو هذه المأساة
سار على هذا النحو، وأن اسمي لم يذكر نهائياً في أحداث تلك الليلة السوداء،
والتي خرجت منها، كما يُقال: "مثل الشعرة من العجين". وعندما ذهبت إلى
ميدو، وجدته جالساً مع زوني، وضممتنا جلسة ممتعة معاً، نتذكر أيام زمان،
نحكي ونضحك ضحكات من القلب.. أحسست بأن ميدو اليوم يختلف عن ميدو
لَمَّا الحادث المروع.. نعم.. شيء ما مختلف.. لكن ما هو هذا الشيء؟
لم أستطع تحديده.

وطلعتنا إلى "البلكونة" لأن حسين يريد أن يشرب "جُويْنْت" .. وأعطاني
 "الجُويْنْت"، وأخذت نفسين، وأعطيته لميدو قائلاً:
 - صباح الفل يا معلم.

قال أحمد.. وقد نظر إلى طويلاً:

- مش ها اعرف أمد يدي على أى مخدرات مرة ثانية.. خلاص يا صلاح
 جُويْن على كده.. صتر الحكم.

أعدت الجُويْنْت إلى حسين، وأكملنا حديثنا، وهذه كانت آخر مرة لقول
 فيها لصديقي ميدو: "صباح الفل يا معلم" .. وعدنا إلى حديثنا السابق، حديثنا حول
 المأساة، وقال أحمد:

- بس علا هتجتن علشان عايز يعرف مين إيه؟ عايز يشوفه علشان
 يشكره لأنه وتللى المستشفى، لأن الطبيعى إنه كان رمانى فى أى مكان
 وهرب .. والدكتور قال لعلاء إن واحد صاحبي أتقننى من الموت فعلاً، وإنه كان
 ممكن يزوح فى داهية لو كنت مت .. بس هو مافموش.

كانت هذه هى نهاية السهرة .. وعند باب البيت نظر إلى ميدو نظرة
 لها معانٍ كثيرة، وأخبنى بين ذراعيه، "حضنتى" بقوة، حضن نون أى كلام
 أو نقاش، وكسر حسين المشهد بكلمتين .. قائلاً:
 - بالراحة يا عم .. هتقضمه.

- سلام يا ميدو .. تصبّح على خير يا صاحبي.

- سلام يا رجاله .. أشوفكم بكرة إن شاء الله.

عدت إلى بيتي، وكنت أشعر بالسعادة الحقيقية .. ووجدت أمى فى
 انتظارى كالمعتاد، وكالمعتاد أيضاً أمطرتنى بمليون سؤال:

- باين عليك مَبَسُوط .. خير؟!

- عادى يا ماما .. كانت سهرة حلوة عند ميدو .. افكرت فيها أيام زمان
 وضحكنا من قلبنا.

- كان مين هناك؟

- حين .. وطبعاً علاء .. كل شوية بعدى ويقعد معانا.

- طيب بتعشى إيه؟

- إبنيت خلاص .. ما إبت عاركة بيت ميدو .. "رستوران".

دخلت إلى غرفتى، وأنا أشعر بالسعادة .. فعلاً كانت ليلة سعيدة.

وفى الصباح، فاجأتنى أمى بأنها حجزت موعداً مع طبيب باطنى،
 وتخصصه الكبد، فى قلقه بسبب نقص الوزن، والهالات السوداء تحت عيني ..
 وبهنا معاً، ومن خلال الحوار فهمت أنها التقت به فى زيارة خاصة، وشرحت
 له الحالة، وطلبت منه مساعدتها، بأن يشعرنى بخطورة ما أفعله، وفتر الطبيب
 حجم القلق الذى تمر به، فطلب أشعات وتحاليل، وفى الزيارة الثانية صارحتنى
 قائلاً:

- إبت محتاج علاج مستمر لمدة سنة، وأشوفك كل شهر، وطبعاً مش هينفع أبداً
 شرب تانى، لأن الشرب تأثيره قوى وخطر على الكبد.

- حاضر يا دكتور.

بعد هذه الزيارة العلاجية، شعرت بالقلق فعلاً .. لكن مشكلتى فى القرد
 والسلس الذى يقفز فى نعاسي: اضرب .. اضرب .. وأقامه، وأطرد الأفكار
 من رأسى، وتقديت لقاء حسام أو الظهور معه، فكل الناس تعرف قصته ..
 وأنه قد تم طرده من موقعه فى الشرطة بسبب المخدرات، وكانت مشكلاته
 كثيرة، وفقد وزنه بشكل واضح، وعرف كل الناس عنه أنه مدمن.

وأعترف، أيضاً بأن أسلوبى فى الحياة قد تغير كثيراً، سواء بالنسبة
 لمواعيد النوم أو الخروج، ونقص الوزن، والإهمال فى ملابسى ومظهري ..
 (الاشك أن الناس أنكياه، ويتصور أنهم لا يعرفون الحقيقة، والحقيقة عكس هذا
 تماماً .. إنهم يعرفون ويفهمون كل شىء، واحتراماً لاعتبارات كثيرة لا يتكلمون.

وشاية

وخلال تلك الفترة العصبية، التقيت مع راندا، وكان اللقاء ساذجا،
ولسكت يدي، وظللت نقول:
.. لا مراك وحبيبتك.. وما أفرش أعيش من غيرك أبدا.
وفجأة انفجرت وقلت لها:

.. بين عرفة كويس إنت عملت إيه!! أنا باخد ثؤذرة وإنست السبب.. بُصِي
براعي.. شوفي مخرم إزاي؟! شايفه اللي إنت عملتيه، عمل في إيه؟

طبعا لم تكن راندا هي السبب.. ولكن وجدتها فرصة أضلها شماعة،
أفكرها بالذنب وتائب الضمير، وأردت أن تفهم أنني اختفيت طوال هذه
لفترة، ليس بسبب حب جديد، كما تدعى، ولكن لأني بأضرب، وهي السبب.

وسيطر على أُمي الإحساس الطاعى بأن راندا أحد أسباب الانهيار
الذي لمر به، وبدأت تعاملها بحفا، وتردد على اتصالاتها التليفونية بخشونة،
ولا تسبقها بحفاة كما كانت.. لكنها في الوقت نفسه كانت معجبة بقصتي مع
هذه.. كانت فعلا تحبها، رغم أن الحديث بينهما سريع، وعلى فترات متباعدة..
هذه أصلا شخصية متحفظة، وخجولة، وناذرا ما تتصل بي تليفونيا، وكنت
أشعر:

.. إنك مش بتكلميني إيه؟

.. لأن عمري ما اتكلمت ولقيتك.. فأتكلم إيه؟ ولو اتكلمت ضُر ما حد فيقول لك
إنك تكلمت.. أصل اللي بيكلموك كثير، فيقولوا مين ولأ مين؟!

وكانت حالة أجمل ما في حياتي.. وتوطدت العلاقة بيننا، إلى أن بنست
النسي مني تماما، فقد كنت عند حسام في مصر الجديدة، وضربت قبل مجيء

في تلك الأيام، كثر الحديث عن الثورة.. الصحف تنشر كل يوم أخبار
القبض على التجار.. أحدهم متلبسا معه 150 تذكرة هيروين.. وامتألت صفحة
الحوادث بأخبار الشباب الذين يتعاملون المخدرات، وأخبار القبض على طلبة
يتعاملون الهيروين داخل سيارة.. حملات بوليسية بتركييز شديد، كما زادت
التحقيقات الصحفية، والمقالات، والأصدة حول كارثة الإنسان وخطورته.
ويسبب هذا أصبح من الصعب الحصول على الثورة.. فأتجها إلى 'أبو صليبة'،
ولطحن عليها قرص دواء 'نوقاسي' ونشمه، وأحيانا نشرب كودالين، لأن به
نسبة كودالين عالية، وأبو صليبة.. كنت أسميه 'أبو مصيبة'، يا ساتر سارب..
كنت أشعر أنه يحدث تغيرا خطيرا في شخصيتي، كان يحولني إلى إنسان
شرير.. إنه يحول البني آدم إلى مخلوق خطير، بل مجرم يفقد القدرة على
التمييز تماما.. لا يدرك ما يحدث حوله.. يسرق أي شيء.. يقوم بأي تصرف
أهوج ومجنون.. في أي وقت، وتحت أي ظرف.. الحقيقة أنني كنت أخاف من
'أبو مصيبة' أو 'أبو صليبة'، لأنني في كل مرة استيقظ لأجدني عملت كارثة
أو مصيبة بسبب 'أبو صليبة'.

رغم محاولات أُمي المستمرة في مراقبتي، مع من أتحدثت تليفونيا،
وفي أي الموضوعات نتكلم.. وقبل الخروج، وأنا على الباب، توقفتي لتسألني:
ماذا معك في جيبوك؟ وماذا معك في محفظتك؟ وتكرر الأسئلة نفسها بعد العودة
إلى البيت.. وتضيف:

- وزيني تراحك.. كنت مع مين؟ اكتب لي أرقام تليفونات كل أصحابك.

كانت تتصل بهم فعلا، وتسألهم عني، وتفتح معهم التحقيق دون كلل
أو ملل، وكانت ألعب معها لعبة القط والفأر، ورغم كل هذا الحصار، كنت
أستطيع الإفلات.

نانسى، وبعد وصولها مباشرة ضربت هى الأخرى، ودار بيننا حديث غريب جدا:

- إنت بتعمل معيا كده ليه؟

- بأصل ليه؟

- ولا بتكلمنى.. ولا بتعيرنى.. كانى كنية.. هو عشان باحيك تعلملى كده؟

- هو أنا قلت لك إنى ها اتجوزك؟ هو أنا وعنديك حاجة؟

- وما بتجوزنيش ليه إن شاء الله.. عارضة ولا حولة؟!

- لا.. مش عارضة ولا حولة.. إنت بن صايرة وصايرة.

- طبعاً.. دلوقت صايرة وصايرة.. مائى يا صلاح.

- هو أنا الأول قلت لك إنك برنيسة واللا إيه؟

- فتدخل حسام فى الحوار قائلاً:

- بن يا نانسى.

- دافعت دعاء عن نانسى قائلة:

- لا.. يا صلاح.. مش كده.

- ردت نانسى بغضب:

- طيب يا حبيبى.. خلى البنات الحلوين بتوع الجامعة يتفعموك.

- فكركتنى.. أنا عندي مكانة مهمة، ومش عايز حد يدخل على.

- فتشوف يا صلاح.

- خوتيتى.

ولم تكن حالة تركيز فى القصص والأفلام والمصائب والمشكلات لتي

كانت تسمع عنها؛ فالنسبة لها أهم شيء التركيز فى المذاكرة.. اتصلت بها

وقلت لها:

- مذاكرة!! مذاكرة!! نخرج ساعة واحدة بن.

- طبعاً ورايا مذاكرة.

- طيب أنتوك.. وحشتنى أوى.. لغة بالعربية واطلعى ذاكرى على طول.

- ياه.. إنت مصيبة من مصائب الزمن.. استغ.. هى نص ساعة مش أكثر..

ناخذ لغة فى المهندسين وترجعنى البيت على طول.

- اتفقا.. ثلث ساعة وأكون عندك.

- سلام يا حسام.

- على فين؟

- أيارايح مشوار ساعة.. ولما أرجع مش عايز ألاقى نانسى هنا.

وبعد عشرين دقيقة وصلت عند هالة.. كانت فى انتظارى، ولونها

باهت، وشكلها غريب.. وركبت إلى جانبي، ودون مقدمات سألتنى:

- إنت كنت فين؟

- يعنى ليه كنت فين؟

- يعنى إنت جاي ملين؟

- من مصر الجديدة.. ليه فيه إيه؟

- عند مين فى مصر الجديدة؟ جاوبتى.

- ليه بن؟ فيه إيه؟ كنت عند حسام.

- بعد ما قلت معيا بخمس دقائق، خبيبة القلب كلمتى.

- خبيبة القلب مين؟

- ما قالت اسمها.. بس قالت لى إنها حامل.

- قلت فى دهشة:

- حامل؟! مين دى اللى حامل؟! إيه اللى إنت بتقوله ده؟

- ولا نقول لى ولا أقول لك.. روح يا ابى شوف خبيبتك الحامل.. ما يسففس

تبع عنها فى ظروف زى دى.

- حامل إيه بن؟! أنا مش فاهم حاجة!!

- بعد ما حضررتك قفلت معاي.. واحدة كلمتني.. وقالت لي إنها صاحبك، وإنها حامل في الشهر الثاني، وإن أنا لازم أبعد عنك علشان حضرتك تتجوزها.
- إيه الهيل ده!! دا فيلم هابط.. أنا عرفت مين اللي عملت كده.. وعملت كده ليه!!

- أنا بقى ما يهتمش أعرف.. استمع يا صلاح.. أنا مش غاوزاك نكلمني تسالي أبدا.. إنساني، وخليك في الحوامل يتوكل.. أنا ما بقس لثق فيك.. وعشرو ما ها لثق فيك.. من فضلك أبعد عني وسيتني في حالي.. أنا مش لك، ولا لأ مواضيعك العجيبة دي، كفاية كده.. الموضوع بيأثقل خلاص.. لنقل ثمانا.

انتهى موضوع حالة بهذه النهاية المأساوية.. وحاولت أكثر من مرة أكلّمها، وأشرح لها، إنما بالنسبة لها الموضوع انتهى.. وعلى رأيها "انقل" تماما.

استمررت علاقتي بالفتاة النقية الرقيقة: مريم.. وزاد تعاقب بسى، وكما نتحدث تليفونيا ساعات طويلة، واكتشفت أنها تعرف عنى كل شىء، فهي تتابع أخبارى من خلال الجيران، وعندها كل المعلومات والتفاصيل الدقيقة، وتعرف كل صغيرة وكبيرة في حياتى، وكنت أهم إنسان في حياتها.. وكثيرا ما كنت أمز بأزمات مالية، فأخترت قصة درامية لأرويها لها.. كائنى أحدى فيلما من أفلام الميلودراما للساذجة، وأخبرنى عن صديقى وصاحبتى التى قررت قطع علاقتها به، بعد اكتشافها أنها حامل، وضحك عليها ولا يريد الزواج بها كما وعد، وهى مضطرة لإجراء عملية إجهاض، وأريد مساعدتها مالياً، لكن ليس معنى الشئ الباهظ الذى يطلبه الطبيب لإجراء العملية.

ترددت في هذه الفترة عشرات القصص للفتيات اللاتي لم يعثن عذارى، وتسمع مريم هذه القصص ولا تصدق، إلى أن تكشف أن ما أقوله لها

صحيح مائة في المائة، بعد أن وقعت صديقتها في الفخ، وتوالت قصص صديقتها.. وفي كل فترة تحكى لى عن مأساة جديدة، وفي ذهول تقول:
- تصور، ستوى مش "الرجين"، وقالت لى إن صاحبها رياض هدهدا لو بعدت عنه، فيفضنها، وهى مش عارفة تعمل إيه، لأنها ثلوقت بكرهه من معاملته للرجلة معاه.

كما حكى لى قصة صديقتها منار.
- تصدق إن منار سافرت مع أمين العجمى، وهتقعدوا يومين هناك.. لكن قالت لى إنها إنها مسافرة مع سلوى!!

وأحاول أن أشرح لها الهدف من هذه الرحلة.. وأسلتها:
- بتلى تفكرى هتأ مسافرين مع بعض ليه؟ هيتأوا كل واحد فى أوضة لوحده!!

- طبعاً، الليلا بتاعة أمين فيها أوض نوم كثيرة.
تمر الأيام، وبعد شهرين أو ثلاثة، تحكى لى، وهى فى قمة الاتزعاج:
- الحق.. مضيعة.. منار حامل في الشهر التالى، وإجازة تعمل عملية إجهاض..

وتصور كمان، فلاتة صاحبة فلان وقعت في المشكلة نفسها.. وتتلقى هذا الكلام كالصاعقة.. فهى برينة براءة الأطفال، وكنت أشعر لها أختي الصغيرة، ولم تحرك غرللى كائنى، رغم أنها جميلة، واحترمت براعتها وسذاجتها.. وقد كانت أسمى تعرفها من خلال اتصالاتها التليفونية الكثيرة، وهدهاها القيمة التى تبعث بها إلى من حين إلى آخر.

وبعد اكتشاف أسمى اختفاء الذهب والأموال، وبعد تحديد ميزانيتها معرفتها.. كنا كثيرا ما نختلف في رفع تلك الميزانية، أو منحى معونة، وترفض خشية الوقوع تحت إغراء شراء المخدرات، ولم يكن عندى اختيار غير اللجوء لى مريم..

علاء

كنت أحياناً أقول لها:

- إريك يا مريم.. بأقولك إيه، تعالى بسرعة وهات معاك 200 جنيه.

حقاً.. إنه مبلغ كبير فى ذلك الوقت، ولكن هى أيضاً لم يكن عندها اختيار آخر، وعن طيب خاطر، كانت تنفذ كلام حبيب القلب، وأحياناً تأخذ من والدها أو من والدتها أو تستدين من إحدى صديقاتها.. فقد كانت مسئلة ثمنها، وتصديق كل قصصى وأفلامى، وأسعدها جداً أن يحدث بيننا هذا التقارب.. والحق يقال، لقد مرت مريم بأيام صعبة، ولكن كله يهون، مادامت علاقتها بى حميمة وبالتقرب منى.

ظلت أمى تراقبى، وتلاحقنى، وأهرب من أسئلتها، ولكنها كانت تكشفنى بنظرة أو كلمة، وأكرر وعدى لها بأنها آخر مرة، وكنت لها عشرت الرسائل، أعدها فيها بالنى لن أتعاطى المخدرات نهائياً.. ولا أنفذ وعدى.. كلها فى الهواء.. وكلها جبر على ورق.

نعم.. هى لم تأخذ أجازة دون مرتب، وبحجة ظروفها الصحية تعاون معها زملاؤها، وقاموا بتسويق الجدول، وتبادلوا إعطاء المحاضرات الخاصة بها، وإجراء الاختبارات كما عودت طلبتها، وكانت هى تصصح هذه الاختبارات، وتسلمها أول كل أسبوع.. وتتأوب أختى رولا معها خلال الساعتين اللتين تذهب فيهما إلى الجامعة، ولكن الأعبى توقفت على كل محاولات حصارى، ولمس نهاية المطاف.. أخلق قصة تصنفها أختى، وأنزل اشترى وأضرب وأعود بانسا.

ورسمت أمى خطة جديدة، وعقدت لقاءات مستمرة مع أصدقائى.. كل أصدقائى دعيتهم واحداً، واحداً إلى البيت.. سواء من يتعاطى منهم أو من لا يتعاطى.. وكانت تقضى معهم ساعات طويلة كل يوم، تسألهم وتحاورهم بلا كلل أو ملل، وكثيراً ما كنت أعود إلى البيت لأجد أصدقائى ضاحكين فى المنزل.

وكان الجزء التالى من الخطة، هو إحكام الحصار حولى.. راقبت اتصالى التليفونية.. أخضعت تولا بى وملابسى وغرفتى لحملة تفتيش يومية، وعندما ألتزم، تذهب إلى الجراج وتقوم بالبحث والتفتيش الدقيق فى السيارة، كما رافقت لقتل من باب الحمام ومن الغرفة.. راقبت حركة الشباب الذين يتحركون حول العمارة، فهم يعرفون أن حسام أحد هؤلاء الشباب، ولمست أدرى كيف عرف أنه يترك لى ورقة البوذية والسوسيه تحت الدواسة، وذات مرة ضيقت له أثناء رفعه للدواسة، وفتحت الباب فى اللحظة نفسها، التى وضع فيها حسام لمرجحة، فرماها وجرى، وبالطبع لم تستطع اللحاق به كسى تمسكه مثلياً، ولحقت المرجحة، وهى فى حالة غليان.. ولم تتم فى تلك الليلة.. مثلياً مثل ليالى كثيرة، وأصبحت أمى لا تنام إلا قليلاً، ولا تنام فى غرفتها، بل تنام على مقعد بالقرب من باب الشقة لتطمئن على وصولى، وترى بنفسها كيف أبوء، وتسألنى أنت سؤال وسؤال، وبعد أن أنام تذهب لتنام فى سريرها.

أما والدى.. فكان يشعر أن هناك شيئاً ما غير عادى، وغير مفهوم بالنسبة له، لكن هو بشكل عام كثير السفر، ولا يركز إلا فى مشاريعه الهندسية، وتلقياته مع الشركات والمكاتب العالمية.

غياب الضمير

ازدادت الأزمات المالية، ولم تعد التقود متوافرة معى لشراء البونورة. وفي صباح يوم من هذه الأيام السوداء، عرفت مصادفة أنه يوم زفاف ابنة عمى سلمى.. هذه العائلة لها مكانة خاصة لدينا فقد توفي عمى وترك أطفاله صغاراً. فى ذلك اليوم خرجت مع حسام، يذهبنا لشراء البونورة، ولم نحد. ولكننا وجدنا "أبو صليبة" أو "أبو مصيبة"، واقترح حسام أن نطحن أربعة البونورة صليبة مع قرصين ثوماس، إلى أن نجد البونورة.. وقد كان، ونفطنا الاقتراح. واتفقت معه أن نتقابل بعد ساعة، يحاول خلالها بكل الطرق أن يتصرف ويبدو مبلغاً لشراء البونورة، بينما أذهب إلى بيت عمى فى المهندسين، لأثبت حضورى أمام العائلة فى يوم زفاف سلمى الصغيرة.

وصلت إلى بيت عمى.. مظاهر الفرحه جميلة، العروسة سلمى سحابة جداً، شقيقها معتر يستقبل الضيوف، ويقف واقفة رجل، ويبدو دائماً أكبر من سنه.. وأخت العروسة سحر، تكاد تطير بجناحين من الفرحه، وزوجه عمى أسعد واحدة فى الدنيا.. كل ركن فى البيت تملؤه الفرحه، و أنغام الموسيقى، والزغاريد تنطلق هنا وهناك..

بحفاوة بالغة استقبلنى الجميع، رغم انشغالهم بالحديث عن الفستان، وموعد الكوافير، والزفة.. والكوشة، ورغم اتساع البيت.. إلا أن زحام الضيوف كان أكبر من اتساع البيت، وفى كل جانب منه، مجموعة مشغولة بالكلام فى الترتيبات النهائية، قبل نزول العروسة الصغيرة سلمى من البيت للذهاب إلى الفندق.

خطر ببالى أن ألقى نظرة من الشرفة لأطمئن على سيارتى التى ركنتها صف ثان.. وفى طريقى إلى "البلكونة"، مررت بغرفة نوم سلمى، ولمحت علبة طفلة، وسألت نفسى:
- يا ترى.. العلبة دى فيها إيه؟

فتحتها بسرعة، ووجدت خاتماً ماسياً رائعاً.. أغلقت العلبة بسرعة، وعدت إلى الصالون حيث تعلقو الموسيقى، والضحكات، والغناء.. ولكن شكل الخاتم لم يفرق عيني.. وقفز شيطان "أبو مصيبة" إلى رأسى، وأقلت لنفسى:
الخاتم يحمل مشكلات كثيرة، ثم الزحام فى البيت غير عادى.. لا.. ولن يشك أحد ابنتى أخته.. مستحيل أن يشك أحد فى صلاح.. ممكن أن تكون إحدى صديقات سلمى مثل تلك، حركات بدأت وغيره من بعض.. أو يشكون فى "شغالة" يدها مؤذنة، مدت يدها وأخذت الخاتم، فى البيت ثلاث شغالات.. ممكن أخذه وتعدى. وفى أقل من ثانية، غاب فيها الضمير، وانتصر الشيطان.. فتحت العلبة، ووضعت الخاتم فى جيبى، وبعد ثانية أخرى رجعت الصالون أغنى الرقص، وبعد رقصتين قلت لسلمى:

- مزوك يا عروسة.

- مانتأكوش.

- حاضر.. أنا جاي مع رولا.. اتفقت معاها.. باى.. باى.

نزلت ومعى كنز.. وفى الموعد المحدد قابلت حسام، وسألته:

- عرفت جيب فلوس؟

- 30 جنيه بالعمالة.

- خذهم لك.. هات بيهم سجاير.. امسك.. شوف.. خاتم الماط.

- إيه ده.. جيبه منين؟

- علقته من بيت عمى.

- يا ابن..!...!.. إزاي؟

- ولا حاجة.. الدنيا زخمة، وثقمة، وفرح.. لقبته، فأخذته.. بحبيب كام؟
 - ما أعرفش.. بس شكته بحبيب كثير.
 - طيب وينصرف فيه إزاي؟
 - دهب والمأط، تخصص نانسى.
 - لا يا أخى.. دى حرامية، وممكن تسرقنا.
 - ماتقولش إنه بتاعك.. أقول لها بتاعى لانا وعقته من مرات أخويا.
 - وتلاقىها فين دلوقت؟
 - هى ودعاء كلمونى، وضاربهم السلطه، وعاوزين يضربوا ومغيش معام فلوس.
 - على النهارده.. النهارده بس يا حبيبى.
 - إيه المعاملة دى؟ ده أنا يامام شيلتك يا صلاح.. إنت ناسى واللا إيه؟ على العموم هنروح فين؟ نكره نيجى على حجرى نالى.
 - أنا بهزر يا أخى.
 - عندما وصلنا إلى مصر الجديدة، وجننا دعاء ومعها نانسى، وبعد ما فعلته مع هالة، وتسببت فى قطع علاقتنا، كرهتها من كل قلبى.. إنما المضطرب يركب الصعب.
 - وأخرج حسام الخاتم من جيبه، وأعطاه لدعاء، اتنى قالت:
 - يا جمادى.. ذا المأط بجد، بصى يا نانسى.
 - ياه!! ذا هيراط، لو ماكناش قيراط ونص.. حيتة منين يا حسام؟
 - خاتم مرات أخويا.. عقته من ساعة.
 - يا ابن.....
 - بحبيب كام يا نانسى؟
 - حوالى خمسة أو ستة.. مش أقل من كده.. صح يا دعاء!!
 - لو الفاتورة موجودة.. بساوى أكثر بكثير.

ضحك حسام ساخراً وقال:
 - الفاتورة إيه يا هبة.. ها اسرقه بفاتورة؟؟ طيب باللا.. عاوزين نخلص.
 - ذهبنا إلى الجواهرجى، وتخلت نانسى ومعها دعاء.. وبعد قليل عادت نانسى وقالت:
 - كان عاوز يدفع ثلاثة ونص وبالعاقبة خلّتهم أربعة.
 - كم شعرت بالندم.. كنت حزينا من قلبى.. أرنت أن أعيد الحاتم، ولكن للأسف.. الأمر قلت، والموضوع انتهى.. وقلت:
 - طيباً يا حسام.. ضربت لها بأكو على الأقل فى القصة دى.
 - لا يا رجل.. أكيد دعاء هتقول لى لو عقلت علينا أى مصلحة.
 - إيه النظام؟
 - باللا بينا على السويس.
 - مشى.. بس لازم أرجع بسرعة.. عتدى فرح.
 - سافرقنا.. وفى السويس صرّقنا اثنين من الأربعة.. ورجعنا وكل واحد منهم معه ما يكفيه لمدة ثلاثة أو أربعة أيام، ومعنى ما يكفى لمدّة أسبوع بالإضافة إلى أبقى جيبه، وأخفيت هذه النقود تحت الاستين، فمن المستحيل أن ألاحظ بها فى غرفتى، فقد أخضع للتفتيش المفاجئ من لى.. فهى تقوم بحملات التفتيش فى أية لحظة.
 - عدت من السويس، وكنت أثرّج، ورمقتنى أمى بنظراتها الثقيلة.. كل شيء يبدو واضحاً ومفهوماً، ولم نتكلم.. وبعد النش، بذلت أرتدى ملابسى الأنيقة استعداداً للفرح.. صدّق المثل القائل: يُقتل الثقل ويمشى فى جنازة..
 - كيف غاب الضمير!! كيف لا لى!!
 - وصلت إلى الفندق مع رولا.. وذهبت ماما مع بابا فى سيارته.. دخلت لاعة الفرح بمنتهى الثقة.. أسلم وأحبى الأقارب وأقيلهم، وكان شيئاً لم يحدث..

وأشعلت سيجارة من سيجارة، وأضحك مع هذا وذاك، وكأنتى لم أكن بحريمة فى الصباح.

كنت أراقب سلمى من بعيد.. الطفلات الفرحة، الألبسة حزينة.. نعم سلمى الصغيرة حزينة، ومع هذا تحاول أن تجميل الناس.. أكاد أرى الضموع فى عينيها.. هذه الصغيرة لونها باهت.

لقد سرقت فرحتها يوم فرحها.. وفى لحظة أخرى أحس أنها طبيعية، وكان شيئاً لم يحدث، وجاءت لحظة تقديم الشبكة، وارتفعت أنغام الموسيقى، وذهبت!! الشبكة!! من أين جاءوا بالشبكة!! إذا ماذا سرقت؟ خاتم من!! ووقت أمى وزوجة عمى جنب العروسة التى همس زوجها حسن فى أنفها، وكبر التركيز، وفت أراقب كل حركة، وفى رأسى تدور الأسئلة:

- يا ترى هيكشفوا دلوقت إن الشبكة أسترقت!! طيب ويعملوا إيه لما يعرفوا هينصرفوا إزاي ساعتها؟

وحدث ما لم أتوقعه، دوت الزغاريد.. ووصلت الشبكة على صينية مغطاة بالورود، وأمسك زوجها حسن بالعلبة، فتحها، وأخرج الخاتم، ووضعه فى إصبعها، وقبل يدها، وصفق المدعوون وانطلقت الزغاريد، ودارت أكواب الشرابات.

تخيلت أنهم اكتشفوا سرقة الخاتم.. فاشترىوا شبكة جديدة، وفيما بعد عرفت الحقيقة الأليمة، إنها ليست شبكة جديدة، ولكنها استعارت شبكة أخوها سحر، وكان هذا هو الحل الوحيد للخروج من هذا المأزق.. وبصراحة، لا أجد تعامل معي بجفاء، ولم يوجه لى أحد كلمة واحدة لا تعجبى.. لا همسات، ولا تلميحات، وقد تصرف على سجيته، على أساس أن الشبكة موجودة، ولست هناك مشكلة على الإطلاق.

بعد الفرح.. كان موضوع سرقة الخاتم له نوايع، مثل الزلزال وتولعه، وفى اليوم التالى مباشرة، سمعت من رولا قصة ضياع الشبكة.. روتها لها

سحراً، وبالطبع عرفت أمى للقصة من زوجة عمى، وأنهم فكروا فى إصلاح الشرطة بعد اكتشاف السرقة، ولكنهم غيروا رأيهم حتى لا يحدث تشويه لجمال هذا اليوم أكثر من هذا، وقرروا أن يمر الحدث الأليم، وكأن شيئاً لم يحدث، وقالوا:

.. عوفنا على الله.

وأصيبت العروسة الصغيرة، بالانهيار، ورفضت السفر لقضاء شهر العسل، بينما ظلت زوجة عمى تبحث عن الخاتم فى كل ركن فى البيت، على أمل أن تجده.. رغم أنها كانت تشك أنى أخذته.. ولأنها إنسانة محترمة.. لم تصارح أمى بشكوكها، ولم تقل لها كلمة واحدة تشير بأصابع اتهام إلى أحد.. بل بهام لشكر اسمى فى الموضوع نهائياً.. كانت زوجة عمى تخشى على الروابط العائلية الحميمة أكثر من أى شيء.

تدريجياً، وبمرور الأيام هذا الموقف، ولم تعد قصص الخاتم المفقود تتردد، وتصورت أن الكل قد نسى الموضوع، وفيما بعد عرفت أن والدى سأل زوجة عمى عن ثمن الخاتم، عرفت السر وراء سؤاله ذات يوم، وكان يوم مولد لى.

فى صباح ذلك اليوم.. أضر والدى على إيقاظى من النوم.. فتح النور، ثم فتح الشباك، وقال:

- يا صلاح.. إصغى يا صلاح.

- ليه يا بابا؟ عايز إيه بس.. هى الساعة كام؟

- الساعة 10:00.. قوم، هنخرج سوا.

- هنخرج نروح فىن دلوقت؟ يا بابا.. أنا بنمت الساعة 5:00 الصبح.

- أنا فى أوضة المكتب.. وقدمك نص ساعة تجهز فيها.

- ليه؟ هنروح فىن؟

- هنروح سوا بيت عمك.

- ليه؟؟ مش عايز أروح.. أنا شعبان.

والدو والدو.. وأحسست أنني أعيش كابوينا أسود.. ضريت راسي في الوسادة، وبذأت أكتب نفسي:

- أروح بيت عمي!!! إيه الشيب؟

لقد اختفيت منذ يوم القصة المأساوية، ولا أريد الذهاب هناك.. ولكن والدو يصر، ولا مناقشة ولا تفاهم.. وظل يروح ويحيى إلى غرفتي في محاولة مستمرة لإيقاظي:

- باللا يا صلاح.. قوم.. خذ دش وألبس..

- حاضر.. حاضر.

أخيراً، وبمنتهى التكاثر قمت، وليس بعد دش ساخن، وظللت أتساءل: ياه!! أروح بيت عمي؟ لماذا؟ ثم أنا لا أريد الذهاب إلى هناك!! لا أريد دخول هذا البيت لمدة عشر سنوات قادمة على الأقل!! من هناك يا نزي؟

كنت أفكر في إنها ستكون كارثة كبرى لو وجدت مسلمي هناك.. و كارثة أكبر لو أحدهم سألني عن الخاتم.. سوف أفكر صلتني بالموضوع نهائياً، ثم ماذا أقول لو حاصرني معتر ابن عمي بالأسئلة؟

ألف سؤال وسؤال دار في رأسي، منذ أصر والدو أن نذهب إلى زيارة بيت عمي، صباح يوم مولد النبي. وعندما وصلنا لم يكن الاستقبال بحفوة كالمعتاد، وأعترف أيضاً أنه لم يكن استقبلاً بارداً، ولكن بعد هذه المدة الطويلة، كان الطبيعي والمتوقع منهم الاحتفال القوي بحضوري.. وكان واضحاً أن الموقف "متأزم" بعض الشيء.. وسألتني زوجة عمي:

- تترب إيه يا صلاح؟

- شكراً ولا حاجة.. كمان شوية.

في هذا اليوم تأكدت شكوكي في أن الجميع يعلم جيداً أنني أخذت الخاتم.. لقد قمت بهذه الزيارة من أجل خاطر والدو.. وسألت نفسي: لماذا الوقت؟ لماذا استسلمت لرغبته؟ لماذا خضعت لإرادته؟

أحسست أن الجو تملؤه موجات كهربائية، وأني تعرضت لمأس أكره في صاعقة كهربائية.. وكان الكلام الموجه إليّ قليلاً من زوجة عمي.. وتبادلنا إشارات باهتة، ليست مثل كل الإشارات التي تعودتها.. واستمرت زوجة عمي تكرر سؤالها لوالدو:

- نشرب الشاي دلوقت والأ بعد الغداء؟!

- نشرب دلوقت.

شربنا الشاي، ثم نادى بابا على مسلمي فهي لم تشاركنا جلستنا.. جلست في غرفة أخرى، وهذا التصرف من جانبها لم يحدث من قبل أبداً.. ظلت تدخل غرفة وتخرج من الأخرى.. كأنها لا تريد مواجهتي بكلمة، أو أن تقع عيناها في عيني.. وكلها هي سارقة الخاتم، ولست أنا.

ودارت عيني التاتاهتان في الغرفة التي شهدت رقصتي معها يوم الفرح.. واستقرت على طرف وضعه والدو بجانبه.. كان يحمل هذا الطرف الكبير في السيارة، ولم أنتبه إليه.. تسمرت عيناى على الطرف، هل يحمل أوقاً مهمة؟ لماذا لم يتركه في السيارة؟ ومرة أخرى نادى على مسلمي، وتبعته زوجة عمي التي قالت:

- تملي يا مسلمي.. عمك عاوزك.

- نعم يا عمي.

مد والدو يده بالطرف قائلا:

- اسكى يا مسلمي، دى فلوس الشيكه بتاعتك.

- لا يا عمي.. أنا مش عايزة أى حاجة.

- خذى يا مسلمي الفلوس.. وكفاية اللي أنت استحملتيه.

- فرحتي كانت بالخاتم التي اشتراه حسن، ولا أي خاتم في الدنيا يمكن يكون زينة.

- أنا عارف يا سلمى من غير ما تقولي.. ومغيش أي فلوس ممكن تعوضك عن التي حصل.. امسكي يا سلمى.

ساد الصمت الرهيب.. الكل يستمع إلى الحديث بينهما، دون تعليق بكلمة واحدة، وبعد تردد قالت:

- حاضر يا عمى.

وأخذت سلمى الطرف، بينما الدموع تتساقط من عينيها كالقطر، وأسرعت تجزى إلى غرفتها، وكسر حاجز الصمت قول والدي، الذي ضرني في مقتل:

- ربنا يجازي التي كان السبب..

دوامة

يا له من يوم!!

يا لها من زيارة!!

يا له من كابوس!!

خرجت من بيت عمى، وأنا أشعر بهزيمة قاتلة، رغم أنه لم يوجه أحد لي كلمة واحدة.. بل لم يلمح أحد بكلمة، ولم يلمنى أحد.. ولكنني شعرت بأن المعاملة كانت جافة، على عكس ما تعودت.. وبكل صراحة، كانت هذه أقل نقوبة في مأساة بهذا الحجم.. ما فعلته كسر قلب سلمى يوم فرحها!! لقد دمرت فرحة العائلة بالكامل.

لقد جعلني هذا الحدث المأساوي أفكر في موقفى من الحياة.. لقد وضع لي أن لا شيء عندي غالٍ أو عزيز.. وأننى أصبحت مثل أصحابي الذين كنت أطلق عليهم صفة المذمنين.. قبل هذا اليوم كنت أرى نفسى غيرهم، وأرى أننى أستطيع فى أى وقت الرجوع عن هذا الطريق.. لكن أصبح واضحاً كالشمس أننى مثلهم.. وأننى لا أستطيع الرجوع.

ما حدث منى، كنت أسمع عنه، ويدهشنى.. ولم يكن ما أسمعه بمثل هذه الصورة البشعة!! أنا سرفت خاتم بنت عمى الماسى يوم فرحها.. يا نهار يسوء يا صلاح.. غاب الضمير.. مات الضمير.. أنت أيمنت فعلاً.. ليس هذا فقط، أنت أيضاً إتخفت.. انتهت، السرقة أصبحت خارج المنزل.. وثبتت أيضاً زيف الخجل التي كنت أرددها لأصحابي مائة وألف مرة:

- لو هد له عندي فلوس، ييجى ياخذها.

- أنا مبسوط بالضرب.. لو مش عايز أخد، مش ها أخد.

هذا مجرد كلام ليس له أى أساس من الصحة.. وكنت أشعر بالأسى لما يفعله بهاء، ولما يحدث من راسى، كلاهما يعز على حاله، ويصعب على أن أراهما فى موقفهما الضعيف المهزوم.. أصبحت متلهما، وأن الأوبان أن أصعب أنا أيضا على نفسى.

ويعز على أن أجدنى أمر بهذا الموقف الضعيف المهزوم.

أصبحت الدنيا مغلفة بالسواد، ولم أعد أرى شعاع ضوء واحد، وعندما فزلت إلى أرض الملعب الموبوء، وفى دائرة صغيرة جدًا.. عرفت أن قلان بيضرب، وعلان أيضا، وتركأن هو الآخر، والحقيقة المرأة أن عدد الضربة أصبح غير طبيعى.. فعلاً المنطقه موبوءة، وفى كل عماره كان هناك أكثر من شابين مدمنين، وربما أكثر، بالإضافة إلى الأولاد الصغار الذين يحاولون خسر نبض الملعب، وفهم ماذا يفعل الذين هم أكبر منهم.. وبعضهم اقترب من المجموعات المكونة من شابين أو ثلاثة.. يلتقون، وكل منهم يضع ما معه من نقود "جمعية"، ويتوجهون معا إلى أماكن مهجورة ومظلمة، نحرق فيها عمليات الشراء والضرب.

اكتشفت أن هذه المجموعات تجتمع قريباً من بيتى، وعند كشك سجن تجرى تصالاتهم بالمدمنين الكبار، وخلال اللقاء بهم، يتبادلون الأخبار والخبرات، وأسماء التجار وأماكنهم، ومتى يشتغل هذا التاجر أو ذاك، وكم ثمن الثورثة.. ويستمعون أيضا إلى قصص قلان الذى قبض عليه، وآخر باع سيارته، والثالث باع الفيديو، والرابع الذى فقد حياته.. ومات.

أحكمت أمتى حصارها.. فقلت غرفتها بالمفتاح، وأصبح والذى يلقى متحفظته، وإذا فتحت أمتى الباب، ودخلت الحمام، وفى أقل من ثانيتين أدخل الغرفة، وأخطف سلسلة ذهب أو أسورة، وأخرج من البيت قبل أن تخرج هى من الحمام.

أصبحت أستولى على النقود بكل الطرق.. ولكن الأمر يزداد صعوبة.. وأسل نفسى: إلى متى؟ وإلى أين؟ ما نهاية هذا النفق المظلم؟ وكثيراً ما أشعر بالحنان الندم خاصة بعد الضرب، فبدأ فى كتابة الرسائل إلى أفراد أسرته.. رسائل من يقرأها لا يفهمها، فالخط يرتجف، والسطور معوجة، والكلام فازل تحت وطأ فوق.

ولم يكن أحد يقدنى فى الأزمات سوى مريم.. بالاه..

بذلت هى الأخرى تتعرض لضغوط ثقيلة لتوفر لى المبالغ المطلوبة، وكنت تستسلم، وتحاول، وتعمل المستحيل وتعتبىنى ما أريد.. ولم يتوقف الأمر عند هذا، بل بدأنا نبيع الذهب.. باعت مسلسلين، وأكثر من "خويشة"، بالإضافة إلى "مُحِبِّل"، ثم التالى.. وبالطبع فهمت أننى أمرٌ بمشكلة، وأتسى مدمن.. لم أعد تشك فى هذه الحقيقة.. لكن حينها لى أكبر من أى مشكلة، وأعطيتى الأمان والإحسان بأنها لن تتركنى، مهما كانت المشكلات والأسباب.

ثم لکن فهم سر حبها، ولم أكن أفهم لماذا تتحمل كل هذا العناء؟ نعم، هى طيبة وبقية، وتشعر أننى أحافظ عليها، ولست مثل أصدقاء صاحباتها، الذين دعوا البنات البرينات، كل بطريقته، وصارحتنى بقولها:
- على أن ما أنا زعزلة على حالك، ولتى إنت فى، على أن ما أنا سعيدة لأسى لألوحيدة التى ولقة جنبك.

فعلاً، كانت هى الوحيدة التى تقف معى.. ولا أحد غيرها من البنات. هذه السلة كانت مريرة، ثقيلة، وأيامها سوداء، والمنحنى ينزل بمعدل غير طبيعى، وإذا توقفت عن التعاطى يوماً أو يومين، أعود للضرب فى اليوم الثالث بمعدل أعلى، وكأنى أنتقم من نفسى، وبعد أن كان الضرب مرة واحدة فى اليوم، ارتفع إلى مرتين وأحياناً ثلاثاً، وكله يعتمد على ما معى من نقود.

بذلت أرى أصحابى من ضريبة الجامعة كثيراً، بعد أن اكتشفوا أننى أستطيع بيع الأشياء، التى يريدون التخلص منها لتوفير النقود لشراء الثورثة،

وكننت اصطلاحهم وأضرب معهم.. طبعاً لم يكن من السهل أن أجد 1000 جنيه كل يوم لشراء البوذية.. الأمر أكثر صعوبة بعد أن أصبحت مكشوفاً.

وكان مصطفى هو صديقي الوحيد الذي استمرت علاقتي به رغم ما حدث في حياتي من تدهور، وكننت أخشى عليه من الوقوع في هذا المثلق. وقد أكد لى إحصاسى الشخصى أننى بذات أعجز في هذا المستقع، وجعلنى أرفض أن تنتزلق قدمه ويقع في الهاوية، ولا أنسى أبداً الحديث الذي دار بيننا، قل لى مصطفى:

- يا أقولك إيه.. أنا عايز أضرب..

- بضن يا مصطفى.. الموضوع ده كمين، وأنا خلاص اتسكتت.. عايز أخرج منه، بس المشكلة إني مش عارف ها أخرج إزاي وإمسي!! خذ نصيحتي.. كفاية.. إنت حربت وعرفت وشفت.. اللي أنا فيه وحش جدا يا مصطفى.. ناس كثير يتقع اليومين دول.. ناس بالهتيل يتقع.

- يا أخى ما تخافش.. إنت عارف أنا باضرب كل فين وفيين.

- ما إنت عارف برضه.. أنا كمان كنت باضرب كل فين وفيين.. ياربتي أقدر أكون مكانك.. والله العظيم ما كنت ضرتك.

- يغنى ولا المرة دي بس!! مرة أخيرة.

- أنا من سنين باضرب.. وكل يوم أقول لنفسى دي المرة الأخيرة، وعمرها ما كانت الأخيرة.. إسمع كلامي وعشان خاطر.. أنا مش عايزك تبقى في اللي أنا فيه.. الطريق أسود.. وطول عمري كنت واقف في مكانك ده.. وكننت مبسوط بيه جداً.. وكننت دايماً بالترنق على الناس اللي وقعت، وراول: أنا لا يمكن أصل زبهم.. أنا أبطل في أي وقت، بس أنا مش عايز أبطل، أصل هما.. ما عتفموش إرادة.. وقال إيه كمان، طول الوقت أحكم عليهم: إنت يا فلان خلاص بتموت.. طب يا أخى ما تخش مستشفى.. وبالمعنى اللي أنت فيه ده الحكومة مش هتسيبك.. وفلان ده.. أنا مش عارف أهله سايبيته كده إزاي؟ بضن

في عامل إزاي؟ فكر يا مصطفى. رامي صاحبي؟ تخيل إيه بقى مرشد الحكومة!! تخيل!!

- رامي!! ريكو!!

- إيه يا مصطفى، جنوده، عشان يتبع على التجار الحداد، وعلى العيال لضريبة، للتخطيط سهل أنه يجيب واحد بجدة مقابل إيه.. إنه يسببه بضرب وما يتخش عليه.

- طب.. ورامي أهله سايبيته كده إزاي؟

- يعني أنا أهلي سايبيته كده إزاي؟ خلي بالك، بيني وبينه خطوة.. أو خطوتين، بس أكثر.

- وبعدين يا صلاح؟ هتعمل إيه؟

- بس عارف.. أول مرة يا مصطفى أبقى مش عارف.

قبل أن تمر أربع وعشرون ساعة على هذا الحوار مع صديقي مصطفى، ذهبت إليه في الجامعة، فوجنته ينتظرني بالقرب من الباب الرئيسي، وليل دخولي ناداني بإشارة سريعة:

- امشي من هنا بسرعة.. استك على كل الأبواب.

- أبواب إيه؟

- أبواب الجامعة كلها، فكرينك معانا في الجامعة.

- هو فيه إيه يا مصطفى؟ أنا مش فاهم حاجة!!

- مسكوا كل الناس اللي شاكين أنهم بيضربوا، وأخذوا منهم عينات للتحليل، وأتا منهم، إنما الحمد لله أنا ما أخذتش إمبراح، كان زمانى مرفود.. أخذوا منى أعية وبقي ساعة مستبك، خايف تيجي وتدخل بمسكوك.

- بسكوني، إيه؟

- فيه عيال قتلوا إن إنت بتبيع في الجامعة.

- مين ولان؟..... دول؟

- مش مهم من دلوقت.. المهم يمشى من هنا علشان ما خدش يشوفك..
خصوصا ان انت عربيتك معروفة للكل.

- طيب بقولك ايه.. اذلى 100 جنيه لخدمين مفيش معايا ولا ملهم، وعساير
أضرب.

- إسمك.. معايا 70 جنيه.. خدكم كلهم.. خلى بالك من نفسك.

- ماشى.. سلام يا مصطفى.

وبذلك أغلقت الجامعة.. التى كانت تساهم فى حل مشكلات كثيرة
أبوها فى وجهى.. وبات من الواضح اننى احترقت فيها هى الأخرى.

وأصبح موقف أمى أكثر صعوبة.. تحرياتها مستمرة طوال الوقت،
وكل يوم للتحقيق معى لا ينتهى.. ومضاف إليه التنقيش ومراقبة كل حركة
وهمة.. احترت فى أمرى ماذا تفعل مع بنى آدم، عمره أكثر من 25 سنة،
طايح وفاليت زمامة!!! كيف توقفه عند حذو؟! كانت تقضى ساعات طويلة معى
فى مناقشة المسألة.. وأنا ضارب سمع منى أحلى كلام.. وأنا ضارب موقفى
على كل شيء، ودائما على استعداد للتغيير من الغد.. أعد بهذا فى كل جلسة،
ولكن هذا الوعد لم يأت ميعك حقيقة أبدا.

يا حرام.. لئى كانت تنفع فى قرية مقطوعة، وكل ما تقوله لئلا،
وكل ما أعد به، أنساة تماما فى اللحظة التى استيقظ فيها، وأبدأ قسى التخطيط
للحصول على النقود، وأرسم خطة للخروج لشراء البونزة والضرب والتعاطى..
ورغم كل ما حدث، ويحدث منى، لم تفتح الموضوع مع والدى، ولست أرى
لماذا أخذت هذا الموضوع الخطير على عاتقها؟ لماذا تحملت هذا العبء الثقيل
وحدها؟! وشاركتها أختى المسكينة رولا.. أما أخى كريم فكان يعمل ويدرس
فى إنجلترا، ولا يعرف أى شيء عن أى شيء.

ذات صباح، ذهبت إلى حسام وفاجأته بقرارى:

- حسام، أنا قررت أبيع العربية.

- يا راجل؟

- وياه يعنى.. فى سبتن داهية.. وأنا أصلا كرهتها.

- طيب ومتبعها لمين؟

- معرض عربيات.. يبيكها بعربية صغيرة وناخد الفرق.

- أنا أعرف واحد هنا فى مصر الجديدة.

- باللا بينا نروح له.

ذهبنا وقد كان، وقال حسام بعد رحيلنا من المعرض:

- معلول؟! نبيع عربية فى ربيع ساعة وناخد بتالها عربية 127 بباب واحد؟

- وياه يعنى.

- ختول لأهلك ايه؟

- ولها ماتهم.. دى عربيتى وبيعها.

- لا يا حبيبى.. إسمك فوررتها.

- بقول لك ايه.. بيعتها.. فوررتها.. ولعتها.. مخدش له دعوة.

لخذنا الفلوس.. واشترينا كمية لا بأس بها.. المشكلة إن أى مبلغ

لا يكتفى إلا لياما قليلة.. وبعد يوم واحد من بيع العربية، كانت البونزة التى معى
كثرة، وطفاسة أخذت جرعة كبيرة، ضربت و"أفورت" ووقعت على الأرض
فى المطبخ.. حدث هذا فى البيت للمرة الثانية، وعندما دخلت أمى المطبخ
وجدتني جالسا على الأرض، وكنت جاهدا أحاول الوقوف، فسألتنى فى لهفة:

- مالك؟ فيه ايه؟

- نفس حاجة.. خبطت فى التلحاجة، فوقعت على الأرض.

- ايه ده؟ ورينى؟ عندك سنة إنكترت.

- بجد.. إزاي؟

- أسمع، إنت خلاص.. لازم تسبب البلد دى وتسافر.

جريت على غرفتي ليس لرؤية السنة المكسورة، ولكني أردت أن أفرغ نفسي ولو لدقائق معدودة.. هل فقدت عقلی؟! ماذا فعلت؟ كيف أخذ خُرصة كبيرة بهذا الشكل؟ هل كنت أريد الانتحار.. لا أعرف، وهل المشكلة في البلد؟ لا طبعاً.. المشكلة ليست في البلد.. المشكلة في أنا شخصياً.. إنما قد يكون في هذا السفر الحل للمشكلة، وعلى أمل أن ينجح، قالت أمي:

- أنا فكرت في الموضوع، وهو ذا الحل الوحيد.. وعفئش غير كده.. فسافر أمريكا، عند خالك متزوج.

ولأول مرة أعرف أنباء سفر خالي متزوج إلى نيويورك للعمل، واستكمال دراساته العليا.. أذهلني النبأ، الذي لم أسمع به من قبل.. وكيف لي أن أعرف أخبار عائلتي التي لا أتعاش معها؟! واستمرت أمي في حديثها قلقة:

- إنت تروح عند خالك شهرين لغاية ما تقف على رجلبك، وبعدها تعتمد على نفسك، وهناك تبقى مستقبلك، ولو أنت مصمم أنك تأخذ مخدرات وتعيش الحياة الفاشلة دي، إنت حر.. تعيش.. تموت.. تتجبن.. تتجلبن، تدخل مستشفى.. إنت حر.. بس خد بالك، كل ده من غير ما يأتُر على حياة خالك، وعلى مستقبله، وعلى عيلته.. أنا خلاص، عملت اللي علي.. وإنت أعمل اللي عليك.. أنا قررت أكرم خالك وأقول له.. وإنت من بكرة تروح على العمارة، تأخذ التأشيرة، ومع ألف سلامة.

مسكينة يا أمي.. الصدمات أكثر من احتصاليها.. وهي تتحمل المشكلة وحدها، بالإضافة إلى الإحساس بالفشل، فاضطرت إلى أن تستعين بشقيقها الوحيد ليساعدها في هذه المحنة.

أما أختي رولا، حياتها هي الأخرى تحولت إلى مأساة كاملة.. ولا أراها إلا وهي باكية.. طوال الوقت تبكي، ثم تبكي، ثم تبكي.. كانت تقضي معي الساعات بعد التعاطي.. نتكلم معي برقة وحزن، في محاولة صائفة بإقناعي أن أتوقف عن التعاطي، وتقسّم لي إنها على استعداد لأن تفعل أي

شيء، وكل شيء، وفي كل مرة.. أؤكد لها، وأعدها وعداً مضاعفاً، بأنني سألتف نهائياً، وتصدقني.. العصفجيب حقاً أن تصدق وعودي.. ولكن لا عجب، فهي لطيف إنسانة في الدنيا كلهيا.

حقاً إنها إنسانة جميلة، ومظلومة معي، وفعلت كنت أشفق عليها.. وكلما دخلت عليها غرفتها، أحدها تمسست بكتاب أو صحيفة تقرأ، وتبكي.. تقف أمام المرأة، وتبكي.. وتبكي..

وفي تلك الأيام، كان عت والذى كثير السفر إلى الخارج للتعاقد مع شركات الهندسة العالمية.. وبالقتالي لم يكن يدرى شيئاً عما يحدث، ولكنه يشعر بأن هناك مشكلة.. ولأنه يفقد - السخيرة في مواضيع التسيب والانفلات.. لم يمر بخاطره أبداً أني أتعاطي هيرويين.. ربما بعض الشك في شرب الخمر أو الحشيش فقط.. ولكن هيرويين.. فهذا هو المستحيل، ولا يرد على الباطل والظلم.

وعندما عرفت أمي ببيع السيارة، وشراء سيارة أصغر، لم تهتم.. لقد خرج الموقف من يدها، ولا شيء يشغل تفكيرها إلا موضوع السفر، وفي أسرع وقت.. وفي يوم ما، وجججتنيها تجلس مع مريم.. هل جاءت إليها متطوعة تهدي من روعها، أم استدعتنيها؟! لا أدري.. لقد دار بينهما الحوار التالي، كما عرفت من مريم فيما بعد:

- طبعاً كل المواضيع واضحة.. ومش عايزة شرح.. صلاح لازم يسافر في أسرع وقت.

- فأزبني كده بزمضه يا ططططط.

- أنا كملت أخويا وشرحت له كل الموضوع بوضوح.. أنا كمان مش عايزة لأسبب له مشاكل، إنما مضطرة.

- وهو قال إيه يا طططط؟

- مقول إيه؟! طبعاً رايه إن = دي آخره الدلع اللي صلاح إتكمه.

- الظاهر كده فعلاً.

- إنما كنت له مغيث خذ النجا له غيرك، وأعمل اللي ربنا يقدرك عليه.. وفهمنا
إن صلاح اللي كنت سيئته هنا من سنة، اتغير، ومش هو صلاح اللي هيستأقر له.
- وقال إيه يا طنط؟

- معلوم أخويا راجل شهم، وقال لي خليه ييجي، وأنا ها أشوف أفتر أعمل إيه
معاه.. بس فهمته كويس أن صلاح بقى بنى آدم تاني.

- والله يا طنط، صلاح كويس، بس لما بيكون فايء.

- المشكلة يا مريم إنه خلاص مش قادر يقوء.. صلاح آدم.. عارفة بقى إيه
أنتن؟؟ لا حول ولا قوة إلا بالله..

- إن شاء الله يا طنط نعدنى من الكابوس ده.

- يارب.. انت مش متخيلة أنا بادى له أنه إيه.

- وأنا كمان والله يا طنط.. وإن شاء الله بعد ما يسافر، لنا هاسافر أضل غفرة،
ومش ها أعمل حاجة فى الكعبة غير إني أصلى وأذى له.

- أخته إنهارت خلاص.. رولا بتحب صلاح أكثر من أى حاجة فى الدنيا.
ثوأم، إحسان محنش يعرفه غيرها.

- ربنا يسترحها يا طنط.. إن شاء الله يخرج من الكارثة دي.

الخطبة أصبحت واضحة وجرى تنفيذها بدقة.. لقد تقرر السفر إلى
أمريكا، وانتهى الأمر.. وكان رد الفعل إن التزام أفنت منى، ومن الجميع، وقد
احتاجت الإجراءات ستة أسابيع، خلالها، كنت أتعالج بشكل هستيري، أحياناً
ثلاث وأربع مرات فى اليوم، وأيضاً بغت السيارة الصغيرة دون علم أمى،
وصرفت قلوبها كلها حتى آخر مليح.

وفى هذه الفترة توطنت علاقتى بجارى شريف "ملك الغزل" اتصل به
أو يتصل بى، للذهاب إلى بولاق، أو للكحكيين لشراء الثيمنة.. وقد نحتت فى
الحفاظ على مظهرى أمام والدته، وفى رأيها ألقى من الحصل أصدقته، وشجعته

على الاتصال بى كصديق وفى، ومن عائلة محترمة، ولم تكن تعلم أنى أتعالج
أى مغررات، ولم ينجح شريف فى الحفاظ على هذا المظهر أمام والدتى،
فقد حضرت فى يوم إلى المنزل فجأة، بعد أن تعاطينا الحقن مباشرة، كنا فى
حالة نشوة وشبه غيبوبة.

وجدتنا جالسين فى غرفة المعيشة، وشريف يمسك بتفاحة فى يده،
ركته لا يستطيع أن يرفع يده ليأكلها، وكان الأسهل بالنسبة له أن يزل براسه
إلى يده التى سندها على قعبيه كى يستطيع أن يأكل التفاحة، وفى يده الثانية
ميجارة يدخنها، وبالطبع مكان "الطافية" هو الأرض.. وفى الركن الآخر كنت
نلقا على الكعبة، وأضغ قدمى على كرسي صغير، واستندت برأسى إلى الكعبة،
ستمعنا إلى الموسيقى، وفى يدي سيجارتين، واحدة مشتعلة والثانية جديدة، حتى
لا قوم بأى مجهود لإحضار سيجارة أخرى، ولأسامى "طافية" السحائر، ويتضح
منها أننا شربنا على الأقل 20 سيجارة.

دخلت أمى، وفى أقل من ثلثة فهمت الموقف بوضوح، وصاحت
بغضب:

- إيه ده؟! إيه للى إنتم فيه ده!؟

- إيه يا ماما، مالك؟! ده شريف.. كويس خالص.. ده زى القل.

انتبه شريف بصعوبة، وبصعوبة بالغه ألقى التحية:

- لربك يا طنط.

لم ترد أمى وكأنها لم تسمع، لكنها استمرت فى ثورتها قائلة:

- لازلوا من هنا حالا.

- حاضر يا ماما.. إحنا كنا نازلين فعلاً.

غلترت أمى الغرفة وذهبت إلى غرفتها.. فسألتى شريف:

- هى ملها.. زعلانة ليه؟

- أكيد "فرشتا".

- ثيه يا عم.. ما إحنا زى القل أهه.

- تفكر؟

وكاننا نعيش فى عالم الأحلام، ولا أحد منا يستطيع تمييز أى شىء يحدث حوله، تمالكت.. وأغلقت الشيفريون والغشيو ونزلنا نطوف لشوارع بلا هدف، ومررت علينا أبنام وأسابع، ولم يتخللنا أحداث جديدة وكنا نضرب كل يوم وبشراهة.

فى تلك الفترة رفعت أمى يديها عنى.. فقد كان اهتمامها الأول والأخر كيف تنتهى من إجراءات السفر بسرعة.. وأحياناً كانت تقاجأ بسخول أشكل جديدة وغريبة فى بيتنا.. أصحاب كأنهم نسخة مكررة منى، وبلا تردد أو مراعاة لأية قواعد، كانت تتبعها من قبل.. تفتح الباب فوراً، وتطردهم قاتلة:

- اطلعوا بزء.. مش عايزه أشوف حد منكم هنا.

وعندما عاد والذى من رحلة من رحلاته الكثيرة، فوجيء بقرار السفر إلى أمريكا، وبالاتفاق مع خالى ممنوح على استضافتى لفترة ما ثم أسافر إلى أصدقائى فى كاليفورنيا.

وافق والذى.. لم يمانع رغم أن فكرة السفر والحياة فى أمريكا لا تعجبه أصلاً، ولا تتفق مع ميادئه وأرائه، ولكن حجم المشكلات التى سببتها لهم جميعاً كان كبيراً، ومن المحتمل أن يكتب لى النجاح فى هذه الفكرة، وأنستطيع بناء مستقبلى هناك.. كما أن رولا شجعت أيضاً فكرة السفر بسرعة، فهى تشعر لبنى لو لم أسافر سوف أفقد حياتى كلها، أو يقضى على، وأعش وراه الأسول بقية عمرى.

قبل السفر لم أتوقف عن التعاطى، وأعددت نفسى تماماً للسفر، حقيبتى وضعت بها كل ملابس الصيف والشتاء، سأسافر بلا عودة.. ماذا فعلت بنفسى بهذا الإيمان، الذى حطمنى والتهم صحتى وإيتسامتى؟ لم تتوقف رولا عن البكاء.. ولكنه كان بكاء يلفه الأمل هذه المرة.. وشاركها مزيم الشقاء،

ولى رايها أن هذا التغيير أفضل مما يحدث لى هنا، وأنه قد ان الأوان لهذه

لثقة.

وكانت أمى أحسن حالا، وأكثر اطمئناناً، وقررت أن تستعد للسفر لأمريكا وتلحق بى بعد شهر.. بداية لتضمن تماماً على الموقف والوضع الجديد، ومبصرى فى هذا العالم، ثم لتزور شقيقها الوحيد وأسرته، وبطبيعة الحال.. فلها فى حاجة إلى هدنة بعد هذه الحرب التى خاضتها، وفرضت عليها رغم

لها.

رحيل

رفضت أن يذهب أحدهم معي إلى المطار، وهم أيضا فاضلوا هذا، وكان يوم الوداع في بيتنا مؤثرا فوق الوصف والكلام.. شد والدي على يدي بقوة، وقال لي:

- شد حبلك.. ابني مستقبلك، وبعد كذا ارجع بلدك ناجح رافع راسك.. إنت مش أقل من إخوانك، بالعكس أنت أنكاهم، أنا مرتيكم إنتم الثلاثة، وعارف إنك فعلا أنكاهم.. وربنا يوفقك.

رولا.. لم تتكلم.. إنها تبكي.. وأمي أخذتني فسي أحضانها، وسين ذراعيهما، سمعت منها الوصايا العشر:

- ماتسبيش أى مشاكل لخالك.. خالك عده شغل وعنده دراسته وسمعه، وأسرته وأولاده.. دى فرصتك، أخرج من المستقع، وابدأ حياة بضيفة وجديدة، وأنا ها آجى وأخلصك ونرتب كل حاجة.. الأولوية صحتك.. رجع صحتك الأول.. وبتعدين بتشغل.. وعذتني كثير، وأخلفت وعك كثير.. افتكر لى فيه الوفاء بالوعد مهم إذا كان الإنسان.. إنسانا بحق وحقيق.. ممكن المرة دى تنف وعك؟

- لى شاء الله يا أمى.. ادعى لى إنت بس.

- يادعى لك، فى كل يوم، فى كل ساعة، فى كل دقيقة.

لكن من الذى أصر على توصيلى للمطار؟! صديقى مصطفى.. صمم أن يصحبني إلى المطار، وكانت أمى مطمئنة لأنها وافقة أن مصطفى إحسان ممتاز، ولا يتعاطى المخدرات.. وفى طريقنا إلى المطار قال لي:

- هتوخصنى يا صلاح.. بس الحمد لله أنك هتسافر وتبعد من هنا.

- خلاص، خربتني يا مصطفى.. ولعت الدنيا.. وفعلنا لازم أمشى.

- إنت متعمل إيه.. وناوى تروح فين بعد ما تمشى من عند خالك؟

- متفكرش أى حاجة.. أهم حاجة لى أبطل.. دا الهدف الأول والأخير.

- يا أوكلك إيه يا صلاح.. أنا عايز أشكرك.

- بتكرتى؟ على إيه؟! دا أنا أخذت منك كمية فلوس!!

- فلوس إيه بس للى إنت بتتكلم عليها؟ أنا عايز أشكرك لأنك ماجرتيش معاك

فى الضرب، أنا فعلا مش عارف كان زمانى فين دلوقت؟ وكان مصيرى إيه؟

لبن كثير أوى فى الجامعة ضاعوا، يوم ماتكلما سوا، وكنا مع بعض فى

الجامعة، والكلام للى دار بيننا، أنا عثرى ما ها النساء، وكان لك حق فى كل

كلمة قلتها لى.

- الثورة دى حرب خسرانة يا مصطفى.. شفت أنا كنت فين من كام سنة،

وتنهاره أنا فين؟ لعلمك، دا ربنا سترها معايا، كان ممكن أكون فى السجن

أو ميت.

- إنت لازم تقبل يا صلاح.. لازم.

- ياريت يا مصطفى.. بعد ياريت.

وصلنا إلى المطار وأخذنى بالأحضان، وشهدت صالة المطار أجمل

لحظات الوداع المؤثرة بين صديقين، ووعلى ووعده أن يتبادل الرسائل من

حين إلى آخر.. ومثبت بعيدا، بعيدا واحتضننى الأسى، وقدمت جواز السفر،

وأخست لى عيني تيكيا بغير دموع.

عندما خلقت الطائرة فى سماء القاهرة، سمعت نقات قلبى، وغسلت

أجهى بدموعى، ولمت بأكيا حتى وصلت الطائرة مطار أسترادام.. وبسرعة

حصلت على فيزا ترافزيت، وانطلقت خارج المطار محاولا البحث عن

الثورة.. وهناك بعيدا.. وبعد ما بقرب من ساعة، وتحت أحد الكبارى الصغيرة

رأيت ثلاثة شباب.. على الفور وبالحيرة عرفت وأيقنت أننى وصلت إلى

هدفى.. أسرع إلىهم واشترت البودرة والسمريجات، وفى ثوان معدودة ضربت، وطيران على المطار.. ومن استردام إلى نيويورك، ونزلت فى مطار كيندى، وكنت فى حالة إعياء تام من كم الجرعات التى تعاطيتها، وهناك سألنى مسئول المطار:

- شكلك عيان!!

- دور برد وسفر مرهق.

- إنت جاي أمريكا ليه؟

- خالى بيشتغل هنا، وحاي لزوره واقعد معاه شهرين تلاتة.

وسجلوا اسمه، وعملته، وعنولته، ولم أكن متسلكاء فنادوا على خالى فى الميكرفون، فأصابه الهلع فى تلك اللحظة، تخيل أن هناك كارثة؛ خاصة أنه قد فهم التوضع من أمى. فشر برعب حقيقى.. دار فى ذهنه بسرعة البرق أن صلاح بالتأكد جاء بمصيبة، لكن فى حقيقة الأمر أنهم أعلنوا هذا الداء كوسيلة لمساعدتى، وبمجرد أن رأتى سألنى:

- فيه إيه يا صلاح؟ إنت معاك حاجة ممنوعة؟

- ماكنشش.. مقيش معاليا أى حاجة خالص.

سلم على بحرارة، وأخذنى إلى سيارته ودار بيننا حديث هادى.

- إزتك يا صلاح.. أخبارك إيه؟

- والله أخبارى مش كويسة.. أكيد ماما حكيت لك كل حاجة.

- هى حكيت لى، بس أنا عايز أسمع منك.

- ماكنشش أعرف أن الثورثة دى مصيبة.. ماكنشش أعرف، أخذت مرة.. فى الثانية فى 10، فى 100، فى 1000، لغاية ما خلصت وخزنت الدنيا.

- وبخدين؟ ناوى على إيه؟

- عايز أبطل.. حاولت كتير.. بس كل مرة يارجع تالى.

- معاك مخدرات؟ مش عايزك تكذب على عشان أعرف لاساعدك.

- لا.. مقيش معاليا مخدرات.. لو معاليا كنت أخذتها.

- آخر مرة أخذت إمتى؟

- قبل ما أركب الطائرة فى هولندا.. أنا خايف من اليومين الآسى جايين..

لاش عارف ها اعمل إيه؟ أنا ها اتعّب لوى.

- ككده.. من أعراض الانسحاب.

- أقدم؟

- طبعاً حتتعب بسبب أعراض انسحاب المخدرات من جسمك.

- وإنت عرفت الكلام ده إزاي؟

- فريت ثوبية، ما أنا كان لازم أفهم فيه إيه!

- أنا ناوى أستحمل، ماغنديش اختيار.

- أنا حاولت أخذ إجازة عشان أكون جنبك، بس ماأعرفشش.. على العموم أهاره الخميس، وبكره عندى شغل والسبت والحد إحداه مع بعض.

وصلنا إلى بيت خالى، فيلا صغيرة حولها حديقة جميلة.. وكان الجو

بارداً، وأثار الثلج فى كل مكان، وقبل أن ندخل البيت، قال لى:

- على فكرة، رعدة ماغندهاش فكرة عن أى حاجة خالص، مارضيشش أقولها،

غير لو أنت عايز تقولها.. أنا ماغنديش مشكلة.

- كوين أنك ما قلشش.. طبعاً مش عايزها تعرف.

استقبلتنى رعدة بحفاوة وترحيب كعادتها، وأول حاجة قالتها لى:

- إنت مالك خاسن كذا ليه يا صلاح؟

- مش بأكمل كويس.

ولأول مرة أشوف أولاد خالى: أشرف وشريفة.. أنا شفت صورهم

لى القاهرة مع أمى، ولكنهما أجمل من الصور ألف مرة.

ومر اليوم الأول دون متاعب لأن المخدرات لازالت فى جسمى..

لغى اليوم الثانى، بدأت أشعر بالتعب: غرق شديد، إسهال، صداع، برء، تكسير

يكاد يحطم عظامي وصَلَوَعِي، وبصعوبة نعت ساعة واحدة، تصمت الأمي بكل قواي، ولم أخرج من البيت في اليوم الثالث، ولا ثانية واحدة.

بصراحة.. أحسست أنها فرصتي، التي يمكنني استغلالها، وفعلًا أحاول التوقف عن التعاطي.. ومر أول أسبوع بصعوبة حقيقية، فقد غابيت من موجك الاكتئاب.. وتحسن الحال في الأسبوع الثاني، وأحسن وأحسن في الأسبوع الثالث، وأصبحت قادرًا على النوم المتواصل لمدة 6 ساعات، وهذا ما كنت أتمناه.. فقد كنت لا أنام أكثر من ساعتين أو ثلاث على الأكثر.. تحسنت صغتي وزاد وزني 5 كيلو جرامات.. الفارق كبير الآن.. لكن الهالات السوداء تحت عيني لا زالت موجودة، إنما أفضل كثيرًا وكُم أسعدني اليقظة في بيت خالي، لأول مرة منذ فترة بعيدة أحس بالأمان، والراحة، والثقة، والهدوء..

أخيرًا توقف الحرقى خوفًا، والتهات والتلق.. أخيرًا استطيع الجلوس هادئًا، ومستمتعًا بالهدوء ودون صخب من أي نوع، وأقول لنفسي:
- كان بين الكلام ذا من زمان؟ كان قين؟

خالي ممنوح.. كان كريمًا، لطيفًا، محبًا، ودودًا معي إلى أقصى درجة.. وهكذا كانت زوجته رعدة، وأولاده الصغار، منبئين جدًا، حتى إنها عائلة جميلة، وربنا يحبهم جميعًا.

بدأت ألتقط أنفاسي، وأستجيب للدعوات التي توجه لي مع خالي في إجازة نهاية الأسبوع، وكنا نخرج في رحلات، ومنتضفين الأصحاب، ولقد في استقبالهم.. أخيرًا عاد صلاح وأفاق من غيبوبته.. أخيرًا استطاع صلاح أن يته ويقف على قدميه.. أخيرًا أصبح الصباح يُصنح علي، وأعيش النهار.

الاتصالات التلفونية من أمي وأختي رولا مستمرة يوميًا من بداية رحيلي وسفري، وظننًا هذه التلطفة مشروعة بعد كل هذا العذاب الذي سبته لهما.. كان معهما كل الحق في شعورهما بالتلق، وفعلت مريم الشيء نفسه..

تتلقى كل يومين أو ثلاثة، وتبعث برسائلها المطولة، وتكتب يومياتها، وكيف تعيش حياتها يوميًا.. كانوا جميعًا سعداء عندما أطمأنوا من خالي شخصيًا، وبعد شهر جاءت أمي.. وصلت بالسلامة، ولم تصدق عينيها عندما

رأته.. الوجه مضى.. أجلس بهنوء، وأتكم بهنوء.. إنسان صحي وشخصية جديدة مختلفة.. وقضينا معًا أجمل الأيام، وبعد أن مر الشهر الثاني، قلت لنفسي: حان وقت الرحيل.. إنهم جميعًا يرحبون بوجودي بينهم، وبصراحة لم أكن أريد مغادرة هذا البيت الآمن، ولم يطلب أحد مني هذا.. إنما أنا الحمد لله استعدت وعيي، ولا يجوز أبدًا أن تستمر حياتي هكذا في حالة من حالات البطالة.. لقد حان الوقت أن أبدأ من جديد، وأصنع مستقبلًا وأنبئه.. ثم في البداية والنهاية، لقد لدى أهلي وأحبهم نحوي.. وكما يقال دائمًا في مثل هذه الحالات عملوا التي عليهم وزهادة.. لقد أن الأوان أن أتوجه إلى أصدقائي في كاليفورنيا لإبدأ حياة جديدة.. ورحب صديقي رأفت بالفكرة، وهو يعيش في كاليفورنيا منذ ثلاث سنوات، والحياة كفاح وما زال في أول الطريق.

ذهبنا إلى المطار، ولم تكن لحظات التفراق سهلة، بل صعبة، وقبّلتني لى وهي في غاية السعادة، وفي أعماقها إيمان قوي بأن المشكلة قد تم حلها أخيرًا، وأنها كانت أزمة كبيرة "وعتت".. وبعد أن سمعت وصاياها العشر، مكثت خمسة آلاف دولار.. نفقات إيجار شقة صغيرة، والمأكل والاحتياجات الأخرى حتى أبدأ العمل.

في تلك الأيام، كان مبلغ الخمسة آلاف دولار مبلغًا محترمًا، ولم أشعر بالقلق من الناحية المادية، فأنا أعرف جيدًا كيف أدير وسيلة عمل، وكأسب وأطلى احتياجاتي بلا منازع أو مشكلات.

استقبلني الأصحاب بصدر رحب، وكنت في ضيافتهم لعدة أيام، إلى أن أظلم أمور الحياة.. واشترت سيارة جميلة "هوندا" بسعر معقول، وفي حالة مستقرة، وتوجهت إلى الجامعة، للتعرف من خلال الإعلانات إلى العائلات التي

تطلب إيجار الغرف في بيوتهم للطلبة.. كل منها إعلان صاحبه عازف جيتار في إحدى الفرق الموسيقية، ويعيش مع والدته في قِلا صغيرة.. حولها حنينة جميلة، وفلبنت والدته.. وسألتني عن دراستي، وعن أمي، وطبعاً إجاباتي كلها تؤكد أنني شاب ممتاز، ومن أحسن عائلات مصر، وهذه حقيقة، وجاء أمريكا بلد الأحلام، بتعلم، ويعمل ويبني مستقبلاً، ويكون ثروة.. إنه الحلم الأمريكي.. أعجبته، وانفقا.

في اليوم نفسه أخذت حقائبي من عند أصحابي، ودعيت لأعيش مع هذه العائلة الصغيرة.. أحبتي الأم، وكذلك ابنها ريتشارد عازف الجيتار، وأنا أيضاً أحبتهما.. ويسرعة البرق ربطتني علاقة صداقة مع ريتشارد، وانفقا أن نخرج معاً نعرفني إلى أصدقائه.. خرجت مع ريتشارد.. أخذني في سيارته، واستمعا إلى الموسيقى وطلع "جوينت" وسألتني:

- بتسرب؟!

توقعت هذا الموقف، بل وتعلبت أن يحدث هذا الموقف، بالقر نفسه أو أكثر قليلاً تمنيت ألا يحدث.. بالتأكيد لاعب جيتار في فريق موسيقي.. بالتأكيد يتعاطى المخدرات.. مددت يدي وأشعلت "الجوينت"، وأخذت نفسين، ثلاثة.. فقال:

- إيه ده؟؟ هات.. هات.. هات.

ضحك، وضحكت.. وأعطيته "الجوينت".. نفسين في نفسين، والنهي مرة، وأشعلنا اثنتي، ووصلنا إلى البار، وكنت الوحيد غير الأمريكي.. وشارت الموسيقى وأكواب الشراب، والماريجوانا.. والبنات.. يا نهار أبيض.. ياها من سهرة، ليست على الحاضر أو البالي.. واحتفل أصدقاء ريتشارد بوصفوني إسي كاليفورنيا، ووجهوا لي الدعوة لحضور حفلاتهم.. وطبعاً رحبت.

ربطتني وريتشارد علاقة صداقة قوية.. كنا نخرج معاً كثيراً وساعتني في استخراج رخصة القيادة، وفتح حساب بالبنك، والشيكات، والحصول على

بطاقة الائتمان.. وبصراحة ساعني بكل ود ومحبة، بالإضافة إلى أنه لم يكن هناك شيء يشغله سوى الموسيقى وحدها.

قصيت شهراً بهذا الأسلوب إلى أن وجدت عملاً في محطة بنزين أعمل بها ليلاً.. وكبداية، لم يضايقي هذا العمل، كنت آخذ معي جهاز تسجيل، لنضع إلى الموسيقى، وأشعل "جوينت"، وتتقضى الليلة.. وكنت حريصاً ألا يعرف ريتشارد أو والدته حقيقة عملي في محطة البنزين؛ فمثل هذا العمل لا يليق بي، وكانت حتى في الخروج كل ليلة أنسى أنكسى بأصحابي من المبرزين كل ليلة.. للعب كوتشين، ونفسي أوقاتاً ممتعة معاً، إلى أن أخذت عملاً وبدأت الدراسة.

لم يمنع أمي بأن تكون البداية في مثل هذا العمل، إلى أن أجد العمل المناسب.. وكان أهم ما يشغلهم ألا أتعاطى المخدرات، وكنت أتلقي رسالة يومية من مريم، ومن حين إلى آخر كتحشي تلفونيا، إنها تحبني حباً جنونياً، وسألتني ووقفت بجانبني "وَقَفَ" عشرة رجل، ولم يكن لي في حياتي في الفترة الأخيرة علاقة عاطفية مع أحد غيرها.

ولستمر خالي يتصل بي يومياً ليطمئن، وسألتني عن احتياجاتي.. كان موقفه مني كريماً ومحناً بحق، وفي واقع الأمر، لم أكن احتاج إلى شيء محدد، لكني بدأت أشعر بالمثل.. الحياة روتينية، أيام صباحاً، وأعيش ليلتي في المحطة وراء الزجاج.. وفي ليلة من الليالي، جلست أستمع إلى الموسيقى، وأشعلت جوينت، وفجأة وقفت سيارة ليموزين سوداء فارغة، ونزل منها شاب شعره طويل ومجعد، واقترب من الزجاج، وسألتني:

- كوكاين؟ ماريجوانا؟ كراك؟ سيبي؟!

وبلا شعور سألته:

- هيروين؟

- بيور؟

- أيوه.. بيور.

- مقيش معايا تلوقت، بس أفتّر أجيب لك بعد شوية.

- بكام؟

- أول مرة على حسابي.

بسرعة خاطفة اختفى الشاب.. وكأنه لم يكن موجوداً.. لم أكن أعرف.. هل هذا حلم أم حقيقة؟ وهل يعود مرة أخرى أم لا، وضربت أختاماً في أسداسي، وفجأة عاد ووقف أمامي مرة أخرى ومعه تنكرة.. فعلاً ذعرت لأنني كنت في عالم آخر، سرحان وأفكر فيما حدث، وبسرعة فتحت درج المكتب، وأخذت التنكرة وسأته للمرة الثانية:

صلاح : قل لي بكام؟

الشاب : على حسابي.. ونسئ المرة دي.

صلاح : ويكره؟

الشاب : 20 دولار.

صلاح : عايز سرنجة.

الشاب : حالاً.

وأحضر لي سرنجة من السيارة.. أخذتها منه، وضربت في أقل من دقيقة، وطلت وفقاً وراء الزجاج ينأمل ما أفعله، ثم انطلق بسيارته، وأنا جلست ووضعت رأسي بين كفي.. فقد أدركت فوراً حجم الكارثة التي أمر بها، وقلت لنفسى:

- ثاني؟ ثاني يا صلاح!! والتمرة دي إنت لوحدك.. وفي أمريكا!!

في الليلة التالية.. جلست في المحطة أنتظرو.. كنت أعرف أنه سيأتي في الوقت نفسه تمنيت ألا يأتي، لا أريد حضوره حقاً.. ويا للهول.. وبأليسة

مبداء، النفا تنور بي من جديد وسرحت بعيداً، وجلست مهموماً، والقرود لو لتسكن يفتز وينط في نماغى.. وفقر الشاب من سيارته، وفورا سألته:

- اسك ليه؟

- فراك.

- ولنت؟

- كراكن.

كان اسماً جديداً أطلقه على أصحابي بعد رحلة التفردقة.. كسراكن.. ثم مخدر جديد.. ظهر في ذلك الوقت، وكنا من المعروف أنه شديد الخطورة.

- لما تستعجل، بس قلت أعدى عليك لو عايز حاجة.

- أم.. بؤرة.

- 20 دولار ودولار للسرنجة.

أعطيته النقود، وترك لي السرنجة والورقة، وطار بسرعة الريح. وهذه المرة لم ينتظر ليرى مشهد الضرب.. وتكرر هذا السيناريو لمدة أسبوع، وفي ليلة الإجازة الأسبوعية أخذت تنكرتين.. وفاربتا وكان خفيف الظل، بحسب المنحك، وفي الأسبوع التالي مدأني:

- نصب بشتغل معايا؟

كنت الإجابة (كالتفذية):

- أيوه.. اشتغل معاك.. من النهارده هاسيب شغلي في المحطة واشغل معاك.

تركت العمل في المحطة، بعد أن قضيت بها حوالي ثلاثة شهور، ورجعت في الموعد والمكان المتفق عليه، وكانت المحطة قاعدة الانطلاق وأخلفت في سيارته، ودون مقدمات قال:

- اشترط الأول، مقيش بؤرة.. كوكابين مقيش مشكلة.. ماريحوانا مش مشكلة.. من بؤرة لا.. أنا مش باشغل مع ناس مينة.

- مقيش بودرة.. مش مشكلة.

لم أقل لا.. لم أرفض.. رغم أنها مشكلة بالنسبة لى.. فلما أحسب الثبوتة.. إلما المهم المخدرات بشكل عام متوافرة، وسوف أجرب، ربما أتعود الكوكايين.. والمشكلة الأخرى، أننى شعرت فعطلى الثبوتة خلال أسبوعين، ولما الخروج من هذا المارق نيس سهلا، لأن فرانك كان واضحا وحاسما عندما كان يوم ما بخصرب بودرة، إلما مش ها بنشغل مع بعض تالى.

وتعبت جدًا لمدة يومين، وإلى حد ما ساندنى الكوكايين والسبيد.. والحمد لله خرجت من الأزمة، وشرح لى فرانك أسلوب العمل معاً:

- فيه زبائن تروح لهم الشغل، وزبائن تروح لهم البيت.. وفيه زبائن تقابلهم فى أماكن عامة زى موقف سيارات، أو فى الشارع قدام محلات الأكل، والشغل بالساعة وهتاخذ فى اليوم 200 دولار، والشغل خمسة أيام فى الأسبوع..

هكذا أصبح دخلى 200 دولار فى اليوم، بدلا من 250 دولار فى الأسبوع من محطة البنزين.

لعرض مخر فعلاً، بالإضافة إلى أننى سوف أحصل على المخدرات بأسعار خاصة أو مجاناً.. واختفيت تماماً عن أصحابى المصريين. ولم أعد أكتب صتيقى رافت، ولم يكنلى أحد منهم.. فقد شعروا بالاطمئنان لأننى أعيش فى بيت ريتشارد ووالدته، وأعمل فى محطة البنزين.. وأعطانى فرانك جهاز ييجر للاتصالات السريعة.. يمكنه أن يكنلى فى كل وقت ومكان، ويطلب منى النفاذ لمقابلته، أو المرور على المشتري.. وكان يسعدنى رنين "البيجر" وبشعرنى لى مطلوب ومهم.. كما أعطانى شلطة صغيرة سوداء، وكنت أحمل ثلاثة أنواع من المخدرات: كوكايين وماريجوالا وسبيد، وهو عبارة عن مخدر يمنح الشخص طاقة غير طبيعية، ويجعله منقبها ومستيقظاً لمدة يومين، وأحياناً أكثر.. وقد سبق لى أن جربته فى بلادى واسمه ماكس.. مخدر قوى يجعل عينى الإنسان مفتوحة

مفتحة طوال الوقت، وشعر الرأس واقفاء وكان معروفًا باسم "كيف الحرامية" لأنه يجعلهم منقبين، وفى نوبة صحيان طوال الوقت، بينما كل الناس نيام.

فى الأسبوع الأول كنت أبيع بمبلغ 700 دولار فى اليوم، وأخذ منها 200 دولار.. وفى نهاية الشهر الأول زاد عند زبائنى، وبدأ بعضهم يعطى رقم "البيجر" لأصدقائه، وهذا يعطيه للأخر.. فاشترت أجهزة صغيرة لسجل فيها أسماء الزبائن، وأرقام التليفونات والعناوين، ولرسم خرائط الطرق إلى بيوتهم، ولإمكان اللقاء.. وعندما يتصل بى شخص لا أعرفه، أسأله من أعطاك رقم "البيجر"، وأعرف الاسم، وأراجع الأجهزة؛ لأعرف هل هذا الاسم عضدى وفى لورفى لم لا.

وفى الشهر الثانى.. زاد عدد الزبائن، وحققت فى اليوم الواحد 1500 دولار بدلا من 700 دولار، ورفع فرانك العمولة إلى 300 دولار، وكما كان مسروراً بما حققته فى زمن قياسي، وكنت معه أكثر من مستشار، وكثيراً ما أهدانى كوكايين.. بل وأكثر من هذا، وجه إلى الدعوة لزيارته فى بيته، واكتشفت مدى ثرائه.. إنه يعيش فى فيلا وحيداً، وأقلاماً أيقنة حولها حديقة بها حمام سباحة.. وهو يؤجر شقة أخرى صغيرة يستخدمها كمخزنٍ يضع فيه المخدرات، ولا يبقى فى الشقة الواحدة أكثر من شهرين.. فقد رسم لنفسه نظاماً يضمن له الأمان، ولم يكن بهم كثيرًا بموقع الشقة.. المهم أن يحقق لنفسه أكبر قدر من الأمان، ومن الواضح أنه نجح فى هذا.

وبعد أن كثر عدد الزبائن، قررت أن أغير رقم "البيجر"، ولا تعامل مع عدد قليل منهم، الذين أعرفهم جيداً، ويطلبون ويشتررون بمبالغ كبيرة، ووافق فرانك، وكان من رأيه تغيير الرقم.. لما زبائنه شخصياً فكانوا على أعلى مستوى، ويقوم بتوصيل المخدرات إليهم بنفسه، ولقته الكبيرة كان يأخذنى معه لى بعض المهمات.. أصبحت صديقه، كما أصبحت مفاجاته الحلوة تسعدنى..

ومن حين إلى آخر يكلمنى، ويقول لى تعال حالا، عندى لك مفاجأة جميلة، وأجد فى بيته حفلة، وعشرات البسات الجميلات "صواريخ"، وببساطة يقول لى: - اختار ألتى تَعْجَبُكَ.

كانت مثل هذه الحفلات تتكرر كل أسبوع أو عشرة أيام، وكنت فى الحفلة أشرب الويسكى، وأتناطى كوكايين وماريجوانا، ولم يكن ثلاثتها التسلية المدمر الذى تعلمه البؤرة.

سارت حياتى مع فرانك للشهر الخامس دون مشكلات، وهو الشهر الحادى عشر لى فى أمريكا، واختلفت ظروفى، وارتفع دخلى إلى حد كبير، لكنى كنت أنفق ببذخ، وبدأت أهتم بألأقتى ومظهري، وأنفق أثمانا باهظة فى الملابس الغالية، وأنكر أننى دفعت 800 "دولار" ثمنًا لقمعة "كابوى". إنها أعلى قمعة رعاة بقر.. وكنت أسهر فى الأماكن الفاخرة بمستوى سهرات فرانك نفسه.

بطبيعة الحال.. كنا نختلف معًا فى بعض الأحيان، ولكنها كانت خلافات صغيرة، وتمر سريعًا.. وطبعًا، وكالمعتاد، لم يسلم من بعض حركاتى الشيطانية، فقد سطوت على الكوكايين أكثر من مرة، وفى مرات زينت الحسابات، ولكن فرانك لم يكن يندق فى أمور كثيرة، فهو يقدّر ألتى حققت له مكاسب كبيرة.. أحببى فعلا، وكان رايه ألتى شخص خفيف الظل، وقويته علاقتنا وأصبحت وطيدة، وبدأ يأخذنى معه إلى كل مكان، وعزفتى بالأساكن التى يشتري منها، وكيف تتم الصفقات، وكما يدفع ثمنًا لها.. وهذه قصص أخرى تروى فى مجلدات.

وبصراحة لم يحدث أن تجاوزته أبدًا فى هذا الموضوع، وكان أيضًا شديد الموضوع معى.. كانت له سيارة شهيرة: لو ألتى خرجت من تحت مظلة، فلن يكون مسئولًا عنى.. وهذه العبارة كانت لها معان كثيرة جدًا.. من أبسطها أنه لو قبض على فلن يساعدنى، ولن يساعد فى الإفراج عنى.. وأخذنى معه

الكثير من مرة، ورايته وهو يتلع الرشاوى، وحاول فى مرات كثيرة، أن يثبت لى أن لديه علاقات قوية، مع شخصيات لها وزنها، وأنه فى أمان أيضًا من ناحية الشرطة.. إنه يعرف معظمهم معرفة وثيقة.

أصحت علاقتى مع ريتشارد وثيقة جدًا.. كنت أخرج معه، أو مع صنفته، وأسهر معهم فى حفلاتهم وتتريلاتهم.. لم تكن لى صديقه محددة، فقد كان ينفى أن أكسب كثيرًا، وأنفق كما يحلو لى، وأقضى أوقاتًا مريحة فى تلك الحفلات، وشعرت ألتى أستطيع أن أعيش بهذا الأسلوب مدى العمر.. نعمت من الحياة مشكلته بسيطة.. وكنت من قبل قد عشت أيامًا بلاسة، وأصعب منها.

اشتريت سيارة "جيب" جديدة، وأدخلت فيها التليفون، وشعرت ألتى سعيدة بالحياة بهذا الأسلوب، معتقدة أنها سوف تنوم بهذه الكيفية، بل إنها سوف تصبح أحسن وأفضل.. وازداد عند الزبائن، ومن حين إلى آخر أغير رقم "البير".. وطلبت من الزبائن عدم إعطاء الرقم الجديد لأحد، وإذا حدث هذا، فن أبيع له، وأصبحت مثل فرانك، وأصبح عندى أكثر من 60 أو 70 زبونًا محترما، ولكن ليس على مستوى زمائن فرانك نفسه.. إنما بشكل عام.. كان زبائنى لا يأتى بهم، ويطلبون منى كميات كبيرة.. جعلتلى أبيع بمبلغ يصل إلى 3000 دولار فى اليوم الواحد ودون مجهود، وأصبحت أحصل يوميا على 500 دولار.. العجيب فى الأمر، ألتى أقمت علاقات صداقة قوية مع بعض هؤلاء الزبائن، لأن بعضهم كان يدفع جزءًا من المبلغ، ويدفع بقية المبلغ خلال الأسبوع.. ولم يكن أحد ما يمنع من تأجيل الدفع، وكنت أثق أنهم سيمسدونني بويلهم.. لقد مررت بمثل هذه المواقف من قبل، مع الفارق ألتى فى معظم الأوقات لم أكن أدفع ديونى.

كان يبدو أن بعض هؤلاء الزبائن من الشخصيات المهمة المرموقة، وكان هذا واضحًا من مظهرهم الأنيق، وملابسهم الرسمية.. ولكنى لم أهتم بمعرفة نوعية العمل الذى يمارسونه.. بالتأكيد بعضهم يعمل فى بنك، أو شركات

هندسية، أو رجال أعمال.. وكانت أماكن اللقاءات تختلف، ويتوقف تحديد المكان حسب أين هم، وأين أنا، وبعض الناس كنت ألتقي بهم في بيوتهم، وبعضهم في أماكن العمل.

مرت السنة الأولى في أمريكا، والحال كما هو.. أموال كثيرة، زيارات كثيرة، ورجع لي حلم هوليوود، والحياة في أمريكا بالمخدرات والبساتين، ولكن مع الفارق.. لأننا أعود مرة أخرى إلى ضرب الثور، وأتعلقى بالمخدرات التي لا تسبب المشاكل، وكان هناك مخدرات لا تسبب مشاكل.. والحقيقة المؤكدة أن جميع المخدرات تسبب المأسى والمصائب.

وذا ليلة سهرت مع ريتشارد وأصحابه.. وهم جميعاً يتعاطون الكوكايين والماريجوانا، وهذا هو الشيء العادي مع فريق موسيقى.. وفي مثل هذه الحفلات، كثيراً ما قُدمت الماريجوانا والكوكايين هدية للفريق، باعتباري ضريباً منهم، ومعروف على الثراء.. وكنت أتخيّل أنني سوف أحظى بحبيهم.. وفي الحفلة الأخيرة، تنبهت، رغم الشرب والمضجيج، وأصوات الغناء العالية.. فقد وقعت عيناى على ريتشارد، يتحدث مع شاب بعث له الكوكايين من قبل.

صوب ريتشارد نظراته إليّ.. نظرات غريبة أذهنتنى، نظرات لها معان كثيرة.. فيها الذهول بمزج بالعتاب والذهشة، وعندما التقست العيون الأربع، عيناى وعيناى، قرأت الرسالة بوضوح كأن ريتشارد يقول لي:

- أنا عرفت.. وفهمت المر.. عرفت إنت بتشتغل إيه.. عرفت خلاص!! شعرت بالاضطراب، وأن أصابع الاتهام تشير إليّ.. الصورة واضحة الآن.. ولقد انكشفت تماماً بعد هذا الحديث الهامس بين ريتشارد والشاب الذي وقف معه في ركن بعيد.. عرف المرء في أن اسمى كان كركس.. الآن فقط عرف أن هذا الاسم لم يأت من فراغ، ولكنه واثق من الواقع.

في تلك الليلة، ذهب ريتشارد وصديقه ليندا معى في سيارتى إلى الحفلة، ومن الطبيعى أن نعود معا بعد قضاء السهرة.. لم يستكمل ريتشارد إلا

كلمات قليلة.. لقد الموقف أن صديقه ليندا معنا، وأنا لم تكن وحدنا، فكانت هي تكلم معى معظم الوقت، وحاولت أن أستجمع شتات أفكارى، وأردت بجمال قصيرة، ولم يتوقف "البيجر" عن الرنين، وأخيراً تكلم ريتشارد وقال:

- "البيجر" بيرن كثير، مع لك مائتة مدة طويلة في أمريكا.

وأضافت ليندا:

- آه.. لك حق يا ريتشارد.. أنا برضة أخذت باتى من الحكاية دى.

لم أجد رداً، وتظاهرت بأننى أحاول معرفة من يكلمنى لأقول "البيجر"، وقلته فعلاً.. لم تسكت ليندا، واستمرت تسأل:

- صحيح.. إزاي عندك كل الأصحاب نول في فترة قصيرة كذا؟

- ذل أصحابى من زمان.. من رحلات أمريكا قبل كذا، ومعظم الأصحاب نول من مصر.

كان الرد مقنعاً، وهزت رأسها عن قناعة بكلامى.. فهى لا تفهم حقيقة الموضوع، وأسلتها برينة: لذا كانت الأسئلة واقعية.. وعندما وصلنا إلى البيت، وقت بالسيارة، ونزل ريتشارد بهوء، ولم ينطق بكلمة واحدة، فقررت أفتح الموضوع، وبطريقة مختلفة، لأرى رد الفعل.. دخلنا البيت، وقلت له:

- عاوزك يا ريتشارد.. عاوزين نكلم.

- إبنى ربع ساعة.

بصراحة، كان إعطائى هذا الوقت مفيداً، فقد كنت فى حاجة للانفراد بنفسى لتفانق، لأجهز أفكاراً تساعدنى فى الحديث معه.. التقتلت أنفاسى، وخرجت إلى الحديقة، وخرج ريتشارد ورأى فى يده جويونت وأشعله وأخذت نسبن وأعطائى الجويونت.. هذه الحركة كانت غريبة فى هذا التوقيت، وهذا التصرف جعلنى أشعر بأنه لازال هناك قدر من الود بينى وبينه، وبدأت حديثى بقول:

- أنا ناولى أعزك من هنا خلال اليومين الجايين.

- على فين؟

- لقيت بيت صغير.. مش بعيد من هنا.

- على العموم.. إنت عندك لغاية آخر الأسبوع يا صلاح.. ولما تغير الطول والسكن لازم تغير عنوان مراسلاتك كمان.

- أكيد.

- فيه إيه يا صلاح؟ إنت لازم تشرح لى.

- مش فينبغ بلوقت.. بس فى يوم من الأيام هاشرح لك كل حاجة.

- خلى بالك، الطريق ده غمر ما حد دخل فيه ونجى أو سلب، أنت معدى على الكوبرى التلى ببوتع.

- شكراً على اهتمامك.

- أنا مش ها أقول لأمى، ولا ليندا.. أمى هتزعج جداً، لأنها بتحبك جداً.

- وأنا كمان بحبها.. قبل نهاية الأسبوع ها أكون برة البيت.

- فكر تانى يا صلاح.. التلى إنت فيه يستاهل أنك بتكر تانى.

حقيقة الأمر لم يكن عندي مكان آخر للسكن.. لكن المشكلة لها حل مادامت معى الشهود المطلوبة.. إذا لن يكون من الصعب أن أجد مكاناً آخر.. وبعد ثلاثة أيام وجدت بيتاً صغيراً وجميلاً، ومن مزاياه أن البيت لا يتقصر على شيء.. بيت مجهز بكل شيء.. ولم يكن ريتشارد فى البيت، عندما قمت بقبول ملابسى وحقيبى.. أعتقد أنه اختار هذا التوقيت عن عمد، ولفضل ألا يكون موجوداً، فقد قصينا معاً أياماً حلوة، أما والدته ريتشارد.. فكانت موجودة، وتأثرت جداً حتى أنها بكت فى لحظات الوداع.. وعندما أعطيتى مبلغ التأمين، رخصت بإصرار، وقالت لها:

- أنا كان لازم أقول قبل ما أمشى بفترة كافية، عشان لو فيه حد تسأل ياخذ مكانى.

- متهينلى أنا مش ها احبب حد تانى ياخذ مكانك.

- التلوم دى حقك، ومن فضلك تقبليها.. هو ريتشارد وليندا فين؟

- ريتشارد بيكره لحظات الوداع، وسلام الوداع.

- لكيد ها الشوفة قريب.

- من فضلك خليك على اتصال، كلمنى وإبني نمرك الجديدة.

- طبعاً، أول مكالمه هتكون لك.

- متوخصنى.

- وإنت كمان.

تأثرت كثيراً من هذا الموقف، وتأثرت أكثر لأن والدته ريتشارد كانت تبدو حزينة؛ لأننى سأتركهم وأنقل إلى بيت آخر، والأهم من كل شيء، كان عندي الإحساس بأننى أعيش بين عائلة.. أحبها وأحببتى كما أحببتها.. كنت أرجع البيت وأجد من يسألنى عن أحوالى، ومن يهتم بى بكل صدق وحب.

وقبل أن أخرج من البيت، منعت والدته ريتشارد يدها بظرف، وقالت:

- ريتشارد سايب لك الظرف ده.

أخذت الظرف، وقبعتها ودخلت سيارتى.. فتحت الظرف فى السيارة، فوجدت شيكاً بمبلغ 2000 دولار ورسالة قصيرة من ريتشارد، كتب لى:

"شكراً على الفلوس.. أنا عارف إنتى أخركها.. أنا نفسى أساعد..

بس فعلأنا أفقرش.. خلى بالك من نفسك." ريتشارد

أول خاطر.. أنا نميت تماماً أنه اقترض منى هذا المبلغ.

الخاطر الثانى.. من الواضح أننى أمر بمشكلة، وأن ريتشارد لا يستطيع أن يساعدى.

وعندما قرأت تلك الكلمات، شعرت أننى فى مشكلة فعلاً.. وأن المشكلة أيضاً كبيرة.. وهل يتبقى المشكلة لها حل، أم لا؟ ومن يساعدى فى حلها؟

رسالة قصيرة، وكلمات قليلة وقفت عندها كثيراً، وقرأت الرسالة أكثر من 100 مرة.. ووضعت الشيك فى الظرف، مع بقية جواباتى.

العودة

استمرت الأمور دون تغيير لمدة أسبوع، ثم أسبوعين، أبسع كثيراً،
ولمهر مع فرانك وأصدقائه.. وكانت كل الأمور تسير بشكل طبيعي.. وجاء
يوم، فستظنت صباحاً لأجد رقماً تليفونياً اتصل بي على البيجر أكثر من
(20 مرة، أنهشني هذا كثيراً.. من هذا الذي يتصل بي كل هذه المرات المتتالية؟
ولماذا؟ تصورت أنه شخص يريد كوكاين.. ربما.. لكن بالتأكيد لن يتصل بهذا
الإحراج.. كلمت الرقم، ورد على ستيف:
- التمرة دي طلبتي.. أنا باكلم مين؟
- لا ستيف، وعائز أشوفك دلوقتٍ حالاً.
- هالو ستيف.. هو فيه إيه؟
- ها أقول لك لما نقابل عند المول.
- تحب أجيب معايا شرايط وسنديجات،
- لا.. لا.. تعال من غير أى حاجة.
- أوكيه.. نتبني 20 دقيقة.

أسعدتني المكالمة لأن ستيف كان قد اقترض منى 400 دولار،
ولكنها مكالمة غريبة.. لم أفهم منها أى شيء!! إنه يريد رؤيتي فوراً، وكلمنى
أكثر من 20 مرة، ولم يطلب كوكاين وأكد فى كلامه تعال من غير أى حاجة..
بإ، بالتأكيد الموضوع ليس دفع ديونته!! إذاً، ما الموضوع؟

إنه رجل فى الأربعينيات من عمره، عرفنى إليه صديقه روبرت،
وكنتم دائماً نلجأ فى الأجنحة أننى تعرفت إلى فلان، عن طريق فلان.. وقد
عرفت ستيف منذ ثلاثة شهور، والحقيقة أنه خفيف الروح، وكنتم نشعر أنه

انتقلت إلى البيت الجديد.. كان جميلاً، لكنه "ميت".. يفتقد الروح،
ومشاعر الحب والحنان.. ليس به أصحاب، وليس به ريتشارد ولا ليندا،
ولا والدة ريتشارد التى أحببتها جداً.. هنا أنا وحدى تماماً.. نعم وحدى، وكثيراً
ما جلست أفكر فى ريتشارد ورسالته، ومشكلتى أننى طوال الوقت أفكر فى
المشكلة وأعائشها، ولم أفكر أبداً فى أن أعيش الحل.

شخصية مهمة.. من ملابسه، وسيارته، وأسلوبه، وقال لى إنه يعمل فى مجال الكهرباء، وعندما سمعت مجال الكهرباء اكتفيت بهذا، ولم أسأله عن تفاصيل أخرى.. وأذكر أنني تصرفته معه بشهامة ونبل فى أحد المواقف.. لقد تحسرت شتيف أن يطلب منى كميات كبيرة، وذات يوم طلب كمية، وعندما ذهبت إليه لأعطيها له، فوجئت بأنه لا يملك ثمنها، وليس معه أية مبالغ ولا يستطيع أن يعدنى بمواعيد للدفع.. بمعنى أنه ليس معه جزء من المبلغ، وبقي المبلغ قديماً بعد، لا.. وصارحنى بموقفه المالى قائلاً:

- أنا مفيش سعيا فلوس خالص.. والتنازله 20 فى الشهر، ومش ها أقدر أبقي فلوس قبل يوم 1 فى الشهر الجديد، ويعدين أنا ها أدليك النص، والنص التانى الشهر التلى بعده.

- طيب وأنا أصعل إيه لو ما دفعتش؟؟ ما تمشاش إلت واخذ كمية كبيرة!!

- القرار قرارك.. أنا شَرَحْتُ لك الموقف، وإنت حر.

لقد مرتت بمواقف من هذا النوع لا أول لها ولا آخر.. ورفضت كل مرة دون تردد أو مناقشة، ولكن هذه المرة، جملة سريعة قالها شتيف.. جلستى أوافق ولا أرفض طلبه.. فهمت منه أنه سيخضع للعلاج.. إنما لماذا أوافق بعد أن سمعت هذا الكلام؟؟ الفكرة هنا أنني كنت أشعر بمعاناة للتوقف عن التعاطى، وكنت أعرف جيداً إحساس آخر مرة مضرب قبل التوقف، فوافقت قائلاً:

- موافق.. وأنت مدنين لى بمبلغ 400 دولار.

وكانت هذه هى آخر مرة أرى فيها شتيف، لقاء حدث منذ شهر أو أكثر قليلاً، حتى تلقيت منه هذه المحادثة التليفونية الغريبة.. وأسرع إلى المكان المتفق عليه، ووجدته داخل سيارته، وعندما رآنى أسرع إلى سيارتى، وقال:

- اطلع بسرعة من هنا.

أقرعنى كلامه بهذا الأسلوب الأمر، ولم أفهم له شيئاً.. المهم سمعتت الكلام، ونفقت.. وسألته:

- على فين؟

- اطلع على الطريق السريع.

- ملى إيه الحكاية بالطميط يا شتيف؟

- لى ها أقوله لك دلوقت مهم وخطر.. وخاص بينى وبينك.. فاستمعتنى بريس.. أنا ودانى وزوبرت، اختارونا إحنا الثلاثة فى مكان ضامنا بشكل عشوائى لأجزاء اختبار وتحليل تعاطى المخدرات.. أنا فى فترة العلاج من شهر، وبالتأكيد العينة بالنسبة لى هتكون سليمة، لكن بالنسبة لزوبرت ودانى بالتأكيد هتكون العينة إيجابية.

- أنا قلتهم من يومين!!

- وداعناه العينة إيجابية، ومعناها تبدأ تحقيقات واسعة وخطيرة، ودائماً الأسئلة عدا من إيتى؟ وإيه أنواع المخدرات؟ ومين بيعيها لك؟ وفين يشتوفه؟ أسئلة كثيرة لغاية ما عرفوا كل التفاصيل، وبوصلوا إلى كل الحقائق المطلوبة، واللى هم علوزين يعرفوه بدقة.

ودارت الدنيا بى.. ما هذا الذى أسمعه؟ ولين يعمل هؤلاء الأصدقاء لثلاثة؟

- إيم يشتغلوا لى يا شتيف؟

- مش ممكن أجواب على سؤالك، بس لازم نفهم إنه مكان حساس جداً.. جداً.

- إيه سؤال لا بهم أبدا معرفة إجابته الآن، ولكن السؤال الأهم:

- أصعل لى يا شتيف؟

- تسافر فوراً من كاليفورنيا إلى ولاية تانية.. سافر فيفادا.

- ولية كنت مهتم بأن تقول لى كل ده؟

- إنا قبضوا عليك، ها تضطر تقول اسمى.

- لظن يا ستيف.. مش هيجصل.

- مش هيكون عندك اختيار يا صلاح.

بعد إلحاح، أخبرني ستيف بمكان عمله.. توقف عتلى عن التفكير..
تمنيت لو أنه لم يخبرني، ثم أكمل حديثه قاتلاً:

- عرفت أنا ليه بتمنى إن اسمي ما يتذكرش أبداً!!؟

- عرفت.

- كان لك عندى 400 دولار.. دلوقت إحنا خالصين.

وفى هذه اللحظة فتحت زجاج السيارة ورميت "البيجر".

ضاع أمني فى دقائق معدودة.. تجربة جديدة رهيبه أواجهها
وأنا وحدى تماماً.. وقد اقترح المغادرة إلى ولاية أخرى.. أى ولاية؟

لا.. لا.. لن أذهب إلى ولاية أخرى.. ودون تردد، قررت أن أرجع
مصر.. وطني.. وفى أسرع وقت.. أرجع فوراً.

وفورا رجعت إلى بيتي الصغير، الذى لم أشعر بأى تجاوب أو تعلق
نحوه.. لم أحبه نهائياً.. جمعت كل ملابسى فى الحقيبة بسرعة مذهلة.. قررت
التوجه إلى أحد الفنادق.. وضعت فى الفندق الحقيبة، وعدت إلى ذلك البيت مرة
أخرى لأطمئن أُننى لم أنسى به شيئاً، فبعلاً وجدت حقيبة بها كل الرسائل التى
تلقينها من أهلى، ومن مريم.. وبعد أن اطمأن قلبى إلى أن كل شيء تمام، قلت
البياب من ورائى، وأنا أعرف تماماً أُننى لن أعود إلى هذا البيت مرة أخرى،
واتصلت بصديقى رافت وقلت له:

- أنا غايذك ضرورى جداً يا رافت.. أنا راجع مصر.

- إنت فين؟ أنا مش فاهم حاجة خالص.

- أنا فى الفندق.. خذ العنوان وتعال لى بسرعة.

بعد نصف ساعة جاعنى رافت، وصارحته بكل شيء، وهو فى حالة

بهول تام، ردّ بجملته واحدة:

- أنا دلوقت بمن فهمت إنت كنت بتجيب الفلوس دى كلها منين!! فعلاً، إنت
لازم تمشى من هنا بأسرع وقت ممكن.. وما ترجعش هنا تانى.

ولم أكن أريد العودة إلى هذا البلد مرة أخرى، وكانت أمنية حياتى
أن أخرج منها فى أسرع وقت ممكن..

- أنا فعلاً اشتريت تذكرة من شركة سياحية من ساعة، وأول طائرة على مصر
بعد 4 أيام.. يوم الاثنين الساعة التين.

قلت لنفسى: أنا مش ممكن أنسى الموعد دا أبداً.. فى حياتى كلها.

- أحسن حاجة يا صلاح إنك اشتريت التذكرة.

- أنا محتاج على الأقل، يومين.. ثلاثة، أحصل فيها قلووسى من البنوك، وأبيع
العربة، وأعمل "ثوبنج".

- أهم حاجة.. إنت ما تتحركش من الفندق.. أنا معاك اليومين الجايين لغاية
ما تخلص كل حاجة منو.

- بس أنا خايف يا رافت يسجلوا اسمى فى المطار!!

- لا.. لا.. مش للترجة دى.. الأول هحاولوا يجمعوا معلومات، وبغذاها يتوزوا
عليك، تكون أنت سافرت خلاص.

- أنا خايف جداً يا رافت.. طيب أسافر ولاية تانية، وأسافر من هناك؟

- ما تخفش لوى كده.. المهم ما تسوقش العربية خالص اليومين دول.. أى
حاجة تحصل، ولو مخالفة بسيطة، ممكن يكون لشمك إنكسج وظهر على
"تسبستم".

شعرتنى الإحساس بالرعب.. وفى هذه الليلة لستحال نومى، وأحسست
أننى أعيش فى كابوس أسود.. وكان اليوم التالى يوم الجمعة، وذهبت مع رافت
إلى البنوك، وسحبت كل أموالى من ثلاثة بنوك، ثم ذهبنا معاً إلى معرض

سيارات وبعدًا الميلا "جيب" .. بدأنا يومنا التاسعة صباحًا، حتى الحادية عشرة مساءً.. كنا قد أجزنا خلال تلك الساعات عشرات المواضيع المهمة، وطلبت منه أن نذهب في اليوم التالي إلى "المول" لشراء بعض الهدايا.

في تلك الأيام الثلاثة السوداء.. تعاطيت فيها كمية مخدّرات غير طبيعية..

أولاً: معى حقبة مليئة بالمخدّرات، وثانياً: لن أبيع مرة أخرى، ولن أرى فرانك أو غيره في عمري كله.. فوق هذا وذلك سيطر على الشعور الرهيب بالخوف، وهذه المخدّرات لا بد أن أنتهى منها.. وكان من الممكن أن أرميها، أو أتركها مع رافيت يعطيها لأحد أصحابي، الذين يتعاطون المخدّرات.. لكنني أردت أن أنتهى منها بنفسى، وانتهيت أيضاً من شراء الهدايا لكل أصحابي.. وأهلى، وسريم.. وقد وضعتها في 9 حقائب.

لم أقم ليلة الأحد، سهرت مع رافيت، وتعاطيت مخدّرات بلا حساب، وشربت الويسكى، وأعددت حقائبي.. وكانت المهمة صعبة، فقد اشتريت بجنون.. إذا كل شيء معد الآن للسفر، وآخر شيء طلبته من رافيت:

- تعرف أنا نفسى فى إيه؟

- بعد كل التلى اشتريته دا، لسه نفسك فى حاجة؟

- مش حاجة اشتريتها.. نفسى فى مكان أروحه.

- نفسك تزوح فىن؟

- نفسى أروح هوليوود لآخر مرة.. أمشى فى الشارع الرئيسى، وبعّد كذا أنصوّر جنب بالطة هوليوود..

- غالى والطلب رخيص.

- عارف يا رافيت، أنا حياتى بتفّع فيلم، ويتعمل فى هوليوود كمان.. بس لسه مش عارف نهايته هتكون إيه؟! لو اتسكت.. أنا ها أنجر، وتكون دى نهاية الفيلم.. فيلم دراما ابن ".....".

- بلاّ بينا على هوليوود وبلاّ الهيك التلى أنت بتقولّه ده.. وبعد كده نرجع لأخذ نشط فى عربة نصن نقل ونطّع على المطار..

وأخذنى رافيت.. ومشينا فى الشارع الرئيسى، وصعدت لأتقطّ صوراً بجانب اللافتة الهلويودية، وغدنا لأخذ النشط، ونذهب إلى المطار..

ماذا أخاف؟؟ أخاف من كل شيء.. من خيالى.. وهرب دمنى، وشعرت أن كل العيون منصوبة نحوى، فسنظر 9 حقائب مع شخص، منظر غير مألوف، ورافيت.. وسارت الإجراءات، ودققت قيمة الوزن الزائد، وتسلّمت بطاقة المغادرة، وقّلت لصديقى رافيت:

- لاش هارتاح يا رافيت إلا لما الطيارة تطير فوق السحاب.

- يا أخى ماتخافش.. خلاص كله تمام والحمد لله.

- رافيتك معايا أنا عُمري ما ها نساها.

- إنت أخويا الصغير.. وآخر حاجة أقولها لك: ارجع بيتك.. أنت نلّقت معاك قوس.. اعمل مشروع، شوف أى "بزنس" وإبدأ حياة جديدة.. أنت عارف كويس أنا كان نفسى أسافر معاك على نفس الطائرة، مصر وخشيتنى، بس لاش ها ارجع من البلد دى إلا لما أنجح.

- هتجّج يا رافيت.. ربنا معاك.. أشوف وشك بخير.. كتملى يا رافيت، وأنا كمان ها اكلمك.. ربنا يستر وما يخصّش لك مشاكل بسببى.

- حتى لو حصل، ماتخافش، هنعرف بتصرف.. ستم لى على كل اصحابنا، ولحد واحد.

- أشوف وشك بخير.. سلام يا رافيت.

- هتوخّشى.. بجّذ هتوخّشى يا صلاح.

مرت هذه الساعات وكأنها سنوات.. سنوات طويلة.. انطلقت نحو بوابة الخروج.. وأخيراً دخلت الطائرة ولكن الخوف يسيطر على، وأنصوّر أن

بين لحظة وأخرى سوف أسمعونهم ينادون اسمي، ويطلبون نلسي النزول من الطائرة.

خوف ورعب غير ملبغي، ولا تصفة الكلمات، ولم أهدأ إلا بعد أن سمعت هدير المحركات، وتحركت الطائرة على الممر، وانطلقت في الجو. أحميك يا رب.. وأشهد أن لا إله إلا الله.. وفي تلك اللحظات فقط، وأخيراً.. أخيراً.. شعرت بالأمان.

ما أجمل هذا الشعور!!

ما أروع الإحساس بالأمان!! ما أجمله!!

وعندما وصلت إلى مطار باريس.. شهد الناس أعرب منظر، لم ألت على ركبتي في المطار، وقبّلت الأرض، والتف الناس حولي في المطار ينظرون منظرى ساجداً على الأرض، وفعلاً كان المنظر يستحق الرحمة.. رفعت رأسي وجلست على الأرض، وأسندت ظهري إلى أحد الجدران الأسريج.. نعم.. أريد أن أستريح.. ومن مطار باريس كلمت خالي ممدوح، وقلت له أنا في طريقى إلى القاهرة، فأصابه الذهول، وسألني:

- معقول يا صلاح.. تسافر كده فجأة؟! على الأقل كنت كمتنى.. وجبت فضئت اليوك إند عندي!!

- أصلى قرأت فجأة، وأخذت طائرة مباشرة من كاليفورنيا وماترنتش نيويورك..
- بالسلامة.. وسلم لي على أختي وبابك وكريم وزولا.. وما اتوفكم لما أقول أجازه إن شاء الله.. بجذا مش فاند أصتق.. رجعت ثاني صلاح أبو المفاجات!!
- بوسة كبيرة للعقاريت أشرف وشريفة، وخشوني، وطبعاً سلم لي على رعدة واشكرها.. مع السلامة.

لم أتأسك بعد هذا الاتصال، وانهارت دموعي وأحقيتها وراء النظرة، فقد قضيت معهم أجمل الأيام، وشعرت بالأمان.. غاب عني عندما غرقت نفسي لهذه الأخطار المبهولة.

وكانت الصورة عند أهلي، وعند مريم وأصدقائي، أنني بدأت بالعمل في محطة بلزن، وبعد شهر عملت في معرض سيارات، والحقيقة أن صديقي رأفت هو الذي يعمل في المعرض. وقد أتاحت زيارتي المتكررة له فرصة التعرف على التفاصيل، وفنون التعامل مع الجمهور.

كم كانت الصدمة بالنسبة لهم جميعاً كبيرة، عندما أخبرتهم بقرار العودة بعد أربعة أيام.. لم يفهم أحد سبباً لهذه العودة السريعة المفاجئة، وبحق لهم أن يسألوني عشرات الأسئلة المنطقية:

لماذا ترجع الآن؟ ولماذا هذا القرار المفاجيء؟ ما سره؟ ما سببه؟ وماذا تفعل هذا؟

وكم فرحت عندما عرفت أن أخى كريم وأسرته في مصر، وهو مكثف عن الشركة الأم في إنجلترا، بمهمة القيام بإجراءات إنشاء شركة جديدة في مصر، وفروعها في أكثر من دولة عربية.. وهكذا ولأول مرة منذ زمن طويل، يجتمع كل أفراد العائلة على أرض الوطن، فدايمًا، ومنذ وعيت.. كان أحدها مسافرًا لسبب أو لآخر.

استقبلني في المطار مريم ومصطفى وخطيبته الجديدة سندس.. وفي رحلات سابقة كان عشرات الأصحاب يخرجون لاستقبالى في خمس أو ست سيارات.. وطبعاً أهم سؤال، ياترنى به مصطفى:

- بنت ليه لللى رجعت فجأة كده؟
- ولا حاجة.. حسبت بالمل، ومعنايا شوية فلوس حلوين.. قلت كفاية كده..
- أراجع وأعمل مشروع في مصر.
- لعقت تمل فلوس في سنة وشوية؟

- لعريات شغلها بيكسب كويس يا دريم.. سيبك أنت.. أخبركم إيه؟
- فرارًا من خوف قريب.

- ياريت.. بس بعد مانحل شوقة مشاكل.

- كل شيء وله حل.

- وايت يا مريم.. مش هتجوزي؟

- ایدی علی کتفک.

- ايه ده؟ انت اتعلمتي تردی؟!

- طبعاً.. تلميذك النجيبه.

السطر الأول

وصلت بيتنا، ولن أنسى سلام بابا، كأنه يقول: "هارد لك" مسافرت،
وانت، ورجعت.. لم يقل هذه الكلمات صراحة، لكنني أحسستها.. أمي.. سلمت
علي والحواف في عينيها.. رولا سلمت والفرحة مرسومة على وجهها.
دخلت غرفتي، ووضعت فيها الشنط بين ذهول الجميع، وكسرت رولا
حاجز الصمت، وسألتني:

- ايه كل الشنط دي يا صلاح؟ أنا مش مصدقة!!

- اثريت هالبا وعملت شوبنج مش هزار.

- بايك ممكن ينهار لما يشوف الشنط دي كلها!!

- تخطها الأوضة قبل ما يشوفها.

- دفت جمرتك أد ايه؟

- دفت كثير يا رولا.. بس مش مهم.. "شوبنج" يساوي.. الشيء البايخ إيهم
قدوني في الجمرك ساعة، وعيني على الشنط.. كنت خايف شنطة تروح كده
ولأ كده.

- بجذ.. دفت كام؟

- سبعة آلاف جنيه.

- يا نهار أبيض.. ذا كثير جدًا.

دخل بابا إلى غرفته، وكانت ماما ترد على التليفونات، وتحكي أخبار
عرفني للأقارب، وكريم في المكتب.. إنه يقدر العمل، ولا يعود من الشركة قبل
منتصف الليل.. ويتحمل المسؤولية بكل ضمير حي ويقط..

رجعت إلى بلادى ومعى مبلغ لا بأس به، أخرته من تجارة المخدرات لمدة ثمانية شهور، ولو لم أكن أتفق بجنون، لأصبحت أملك ضعف هذا المبلغ. وأشرقت شمس يوم جديد.. وعلى أرض الوطن أخضست أن الصباح له طعم ومذاق مختلف.. سمعت تغريد العاصفير.. لكن هنا وعلى سريري برقد إسماعيل متعب.

وكان من أهم أولوياتى شراء سيارة جديدة، وتجولت على المعارض. ووقع اختيارى على سيارة "فورد موستنج كابورليه"، ودفعت ثمنها 120 ألف جنيه.. والله زمان.. وفى أقل من أربع وعشرين ساعة من وصولى أصبح عدى سيارة آخر موبيل.

بحثت عن حسام، رغم أن أمى سبق أن منعتنى من الاتصال به.. وبكر الطرق كنت أتحاول على كل أنواع الحصار، وأكلمه، لكنه غير موجود.. لماذا أفعل؟ بصراحة صوّرت لى الضغط النفسى الذى شعرت به فى هذا الأسبوع. لأننى لن أشعر بالراحة إلا إذا ضربت.. مررت على شريف فى بيته.. وكانت المفاجأة كبيرة لصديقى، واستقبلنى بحرارة قائلا:

- إيه المفاجأة دى؟ إحنا كنّا قلنا إنك مش راجع تانى!!

- استكّ.. خربّتها وربّجت.

- اجئى لى.. أنا عارفك.. أكيد ولّغتها.

- يضرب الأول، أنا هاتجئن وأضرب.

- أليس وينزل.. معاك كاش؟

- معاً 100 دولار.

- يا سيدى.. يا سيدى.

- أه صحيح.. هو حسام فين؟

- عايش فى شقته فى المعادى مع دعاء، وخارّبين الدنيا سوا.

- لا يا راجل.. من إمكى؟

- من فترة طويلة.. والموضوع مقلق جداً.

- طبقاً حسام فتح دُولاب هناك.

- رمش اى دُولاب.. ولعلّك هيتمسك قريب.

- هو إيه بالضرب من عند مين؟

- من عند مخيمر أخو أم سيد.

- هو ليه شغل؟ إزاي متمسك كل ده؟

- يضبط.. دا التريمو دلوقت.

- طيب بروح عند مخيمر، وترجع على حسام.

- لما مش بحب أروح عنده يا صلاح.

- لا يا راجل.. للدرجة دى؟

- هاتروح وتشوف بنفسك.

أشرينا تذكرتين، وكل واحد ضرب واحد.. وقلت لصاحبى:

- ياه! "والأزمان يا بينارى".. على رأى عادل أدهم.

انطلقنا إلى بيت حسام، وكانت معه دعاء ونانى، وثلاثة آخرون من مصر الجديدة.. ضربت معهم أكثر من مرة.. وبعد السلاطات والقبلاط.. تجولت فى البيت، منظم لكنه رخيص، ويبدو أن دعاء حاولت تنظيفه، لكن ماذا تفعل فى هذا الوضع البائس؟

حكيت لهم على تجربة السفر، وما فعلته خلال الرحلة.. وكان تعليق حسام:

- يا ابن الإيه؟ تتاجر فى أمريكا؟ كراكس' بصحيح.

لاحظت أن الثلاثى حسام ودعاء ونانى فقدوا وزنهم، واختلت الدماء من وجوههم، وشكلهم "ضائع" ومتعبين من غير "فصال".. فهبت بوضوح أن الشقة عبارة عن دُولاب مفتوح.

والحديث الذى يدور بينهم: تعرف فلان؟ يضرب مع فلان وفلان..
وفلان يضرب مع أخته.. بعضهم لا أعرفه، وبعضهم سمعت أسماءهم ولم ألتق
بهم.. وبعضهم "خششت" معاهم منذ سنوات.

قضيت بعض الوقت مع الشباب، وسمعت منهم آخر أخبار الإنسان،
والمشكلات التى سببها، ومنها القبض على فلان، ووفاة فلان، ونحسول فلان
المستشفى، ولكنى لم أسمع أن أحدهم توقف عن التعاطى، وشفى من هذا الداء..
وبعد عودتى من هذه الرحلة، تحدثت الإشاعات عني، وقيل إننى سافرت مع
أسرتى إلى أمريكا للعلاج هناك من الإدمان.

عدت إلى بيتنا.. ولم يتم اكتشاف أمرى فى هذا اليوم.
وفى صباح اليوم التالى اتصلت بصديقى شريف للذهاب إلى دولاى من
الدوليب، فردت والدته:

- إريك يا طنط، أنا صلاح.

وقبل أن ترد السلام والتحية.. قالت بانزعاج:

- الحقلى يا صلاح.

- فيه إيه يا طنط؟ خير!!

- شريف وصل من ساعة، وطبعا واخذ زفت على دماغه.. دخل يطوح ومش
فاهمة منه أى حاجة، نام على السرير وبطل يرد على خالص.

- كلمى دكتور يا طنط.

- كلمت المستشفى، وقالولى ماتخافيش، وهيجو ياخدوه، بس أنا خايفة بجرله
حاجة.

- أنا جئى حالا يا طنط.

شريف كان يذهب إلى الجامعة فى الإسكندرية، وعندما أسرف فى
التعاطى و"خرب الدنيا" رجع من هناك.. كانت قصة إيمانه معلنة فى كل مكان..
بذل أهله أقصى ما فى وسعهم لمساعدته، وكانوا يفضلون فى كل مرة، ولكن أحد

الطول التى توصلوا إليها ونفثوها فعلاً، كانت إرسال شريف إلى المستشفى..
أو حضور المستشفى لأخذه، وعندما كنت أسأل حسام عنه:
- شريف قين.. الخفى!!

- إلى المستشفى.. إتشحن من أسبوع.

وكل مرة ذهب فيها شريف للمستشفى، كانت له قصة مختلفة.

ما بين منزلى ومنزل شريف، دقائق معدودة، نزلت فى ثالثة، ووصلت
إلى منزله، فتحت لى والدته:

- هو فين يا طنط؟

- جود نايم على سرير، مش عارفة أعمل له إيه!!

- لاسعت لما حد يحصل له كده يشربوه ميه بملح.

- دخل شوفه، وأنا أعمله ميه بملح.

دخلت إلى شريف فى غرفته لأجد منظرًا غريبًا، شريف نصفه نائم
على السرير وقمعه على الأرض، ويرتدى رجلا واحدة من البنطلون والأخرى
مفلوطة، ويرتدى أيضا "فردة" حذاء واحدة.. نائم، ولا يتحرك وعلى صدره
عقود من العنب، ويده مفتوحة، وقد وقعت منها سيجارة على السرير غير
مشتعلة، ويده الثانية مفتوحة بلا سبب واضح.. أول ما خطر فى بالى أن أطمئن
عليه.. وجدته فاقد الوعي، نائيت عليه بأعلى صوتى لكنه لم يرد، فضربت على
وجهه فاستجاب، فاطمأن قلبى، فهو يمر فقط بحالة غيبوبة مؤقتة، وسوف تمر
مع الوقت، ومن واقع الخبرة هذا يحدث كثيرا.

وبدا حديث ومولود داخلى:

- يا ابن الإبه يا شريف، دا أنت ضارب ضرب مبرح!! يا ترى معاه داني!!

وفى ثالثة وضعت يدي داخل جيبه، ولم أجد إلا عليه السجائر..
وهو دائما يضع المخدرات فى عليه السجائر.. فمددت يدي وأخذتها وفتحتها
لأجد وزقة كبيرة جدا، وبها كمية لا تقل عن 2 جرام، وفى هذه اللحظة، سمعت

صوت وقع أقدام.. إنها والددة شريف قائمة، فتركت العلية مكانها وتحدثت معها بهنوء:

- أطمئني يا منطط.. هو كويس.. بيتحرك إنما محتاج بنام شوية.

وبدأت والددة شريف في سرد الشكوى:

- حرام عليه اللآي بيعمله، أنا مش فائرة.. خلاص هأموت.. نذرلى ونمر البيت كله.. باباه سافر من كلم يوم، وأنا مش عارفه أعمل إيه.

جلست استمع إليها، لكن سيطر على تفكيرى رغبة عارمة فى الحصول على الورقة التى بها 2 جرام الموجودة فى علية السجائر، وأنشأ حديثها سمعا جرس ودقات على الباب، فأسرعت والددة شريف لفتح الباب، وفى اللحظة نفسها مددت يدي لأخذ البودرة من علية السجائر، ووضعتها فى الشراب.. الحبل الوديع تحول إلى ذئب.. وشعرت بالسعادة البالغة، فقد تم حل مشكلة أسبوع على الأقل.

كان الطارق هو الدكتور وليد، ومعه فريد، وحسنين، وصديق المرضيين فى المستشفى، لم أعرفهم لأننى لم أراه من قبل، وقدمتى لهم والددة شريف قائلة:

- صلاح.. من أصحاب شريف الكومبيين.

شد الدكتور على يدي، بينما بدأ الثلاثي فريد وحسنين وصديق يتحركون بخبرة، وحاولوا إفاقة شريف، وأيضاً مراجعة جيبوه وفتحوا علية السجائر.. وتأكد فريد من خلوها من المخدرات، ثم أعادها إلى جيب شريف.. وقتلت فى نفسى:

- فرقت معاك 3 دقائق.

وبدأ حسنين فى مساعدة شريف على الوقوف، ورفع فريد رجله ليضعها له داخل البنطلون.

استمر الطبيب فى حديثه مع والددة شريف، وقال لها:

- المرة دى لازم بقعد شوية كويسين.

- إزاش عايزة لشوفه تانى، خلوه عنكم سلة.. هي دى المرة اكلم يا دكتور

وليد؟

- مش عارف.. بس مش أقل من العشرة.

- وبعتين.. وأخرتها؟! يموت ويريحلى، فى ستين داهية.

بدأ شريف فى الإفاقة، وأمسك الدكتور وليد بيده لقياس النبض وسأله:

- إزيك يا شريف؟

أخذ شريف يحاول فتح وعقل عينيه، ليتأكد من شخصيات الموجودين لئلا، ويتعرف إلى صاحب الصوت الذى يكلمه.. بينما ذهبت والددة شريف لتحضّر شطة المستشفى المعتادة، ومرت لحظات فى حوار فكاهى عجيب:

- أنا كويس.

وطبعاً شريف قال "أنا كويس" بمعجزة، فسأله الدكتور:

- كويس إزاي يعنى!! إنت مش حاسس بنفسك؟!

- من فضلك يا دكتور كلمنى كويس، أنا بنى آدم.

- هو أنا قلت لك حاجة غلط؟!

- إنت بتعلمنى معاملة عربية، وبعدين أنت إيه اللآي جابك هنا؟!

- وحشتنى.

- أنت بقى ملووحشتيش.

ثالث شريف.. وبدأ ينظر حوله فوجد فريد وحسنين وصديق..

وفى دهشة بالغة قال:

- إيه ده؟! هو أنا فى المستشفى واللآي إيه يا دوك؟!

- لا.. إنت فى البيت.

- أكل المستشفى كلها هنا إيه؟

- عايشان إحنا بتفترك.
 - بقولك إيه يا وليد.. مش عايزين النهارده.
 - وفجأة تحركت من مكاني، فانتبه شريف إلى وجودي.
 - إيه ده.. صاصو.. هو إحنا كنا مع بعض يا صاصو؟
 - لأ، أنا كلمتك.. ومامتك قالت لي إنك تعبان شوية، فجيت أشوفك.
 - ده صاصو.. لمسه راجع من أمريكا.. حبيبي.. مستر كراكس.
 - وإنتَ كمان حبيبي يا شريو.
 - صاصو.. متشئ الناس دي من هنا.
 - دخلت والدة شريف تحمل شططة في يدها.
 - ياللا يا شريف.
 - على فين يا ماما؟
 - بعني حيكون على فين؟
 - إيه ده.. سويسرا ثاني؟ لا.. لا.. إنت كده بتظلميني.. والله حرام عليك.. مش تتأكدى الأول.
 - أناكد من إيه؟!!
 - يرد شريف عليها بمنتهى الصعوبة:
 - تتأكدى إن أنا ولخده.. دا هي صليبة واحدة.. كان عندي صداع فأخدت برشامة.. إيه المشكلة؟
 - تدخل الدكتور وليد لإنهاء هذه المهزلة قائلا:
 - ياللا يا شريف على المستشفى، وبلاش تتعبنا.
 - وبعدين معاك يا حماده.. مش قلنا إن أنا بنى آدم؟
 - وإنتَ شافيني باقولك يا خصان؟
 - يووووه.. إنتَ هتهرز واللا إيه؟ يا صاصو، متشئ الراجل دا من هنا.. قول له يفوت علينا كمان أسبوع.
 - عيب يا شريف، متكلمش مع الدكتور كده..
 - إنت مش شليفه بيعلمني إزاي.
 - والله شريف فجأة:
 - أين عتبة السجائر؟
 - كان فريد ولقّا أن العلبة ليس بها أى مخدرات، فقد أعادها إلى جيبه،
 - بعد أن فتشها جيدا فقال له:
 - لي جيبك.
 - أنا قلت اتكلمت ولا حاجة... خركاك يا حسلين.
 - يا ماما، هو أنا خالفت في سويسرا أد إيه؟
 - بك لبابك، أنا متليش دعوة.
 - وجه دكتور وليد حديثه إلى والدة شريف وسألها:
 - حضرتك جاية معانا؟
 - لأ.. بكرة إن شاء الله، النهارده أعصابي مش مستحلمة.
 - لستمر شريف لمدة 5 دقائق يسلم، ويقبلني، ويرجوني أن أزوره في المستشفى، فوعده بالذهاب مع والدته لزيارته في اليوم التالي.
 - أنا هاجي مع حضرتك بكرة للمستشفى.
 - ياريت يا صلاح.. غذى على الصبح ونروح سوا.
 - نطلق الدكتور وليد ورجاله إلى خارج الغرفة ومعهم شريف، وكان بحثن دون انقطاع:
 - إثم كده بتظلموني.. ماشي يا ماما.. ماشي يا وليد.
 - معش، إحنا وحسين.
 - إيه يا عم الدكتور.. أنت بتكلم واحد في حضائنه واللا إيه؟
 - أنا غلطان يا شريف.. حقك على.
 - قول أنا أسف.

- عايشان إحنا بتفترك.
 - بقولك إيه يا وليد.. مش عايزين النهارده.
 - وفجأة تحركت من مكاني، فانتبه شريف إلى وجودي.
 - إيه ده.. صاصو.. هو إحنا كنا مع بعض يا صاصو؟
 - لأ، أنا كلمتك.. ومامتك قالت لي إنك تعبان شوية، فجيت أشوفك.
 - ده صاصو.. لمسه راجع من أمريكا.. حبيبي.. مستر كراكس.
 - وإنتَ كمان حبيبي يا شريو.
 - صاصو.. متشئ الناس دي من هنا.
 - دخلت والدة شريف تحمل شططة في يدها.
 - ياللا يا شريف.
 - على فين يا ماما؟
 - بعني حيكون على فين؟
 - إيه ده.. سويسرا ثاني؟ لا.. لا.. إنت كده بتظلميني.. والله حرام عليك.. مش تتأكدى الأول.
 - أناكد من إيه؟!!
 - يرد شريف عليها بمنتهى الصعوبة:
 - تتأكدى إن أنا ولخده.. دا هي صليبة واحدة.. كان عندي صداع فأخدت برشامة.. إيه المشكلة؟
 - تدخل الدكتور وليد لإنهاء هذه المهزلة قائلا:
 - ياللا يا شريف على المستشفى، وبلاش تتعبنا.
 - وبعدين معاك يا حماده.. مش قلنا إن أنا بنى آدم؟
 - وإنتَ شافيني باقولك يا خصان؟
 - يووووه.. إنتَ هتهرز واللا إيه؟ يا صاصو، متشئ الراجل دا من هنا.. قول له يفوت علينا كمان أسبوع.

- ممكن تقعد ساكت شوية.

وذهب شريف إلى المستشفى، بينما ذهبت إلى الصنيلة وبذلت
الاستمتاع بـ 2 جرام.. كنت راقياً من جودة نوعية البودرة، فتعاملت معها
بمنتهى الحرص.. وإحساسى بأن معنى 2 جرام كان يعطينى الثقة فى التعامل مع
الجرعة بهدوء.

نمت ساعات قليلة، استعداداً للذهاب إلى المستشفى، كما وعدت فى
اليوم التالى.. أخذت سوسته "مستورنج"، بالقدر الذى يساعدنى على الاستمتاع،
وفى الوقت نفسه التعامل مع البشر، فأنا أعلم أن والدة شريف لديها خبرة شديدة
فى مثل هذه الأمور، ولا أريدها أن تكشفنى.. اتصلت بها ثم ذهبت إليها كما
اتفقنا.

تحركت فى سيارتى الجميلة، فهى تفهم جيداً أنه من المستحيل أن يكون
هناك منمن، ويمتلك سيارة بهذا الجمال.. مررت عليها وأخذتها من المنزل
وبذلت فى سرد قصة حياة شريف مع المخدرات:

- هى الجامعة التى فى اسكندرية التى بوطنته وضيعته.

ومن جانبى كنت أرد عليها ردوداً بريئة ودبلوماسية:

- معلى يا طنط، إن شاء الله هيقى كويس.

وتستمر فى سرد المصائب:

- صرف كمية فلوس!! ده سرق نص الذهب بتاعى وعربيته التى باعها.

إنها حقاً مأساة.. كنت أستمع إليها لدقائق معدودة، وأسرح وأعجب عنها
وعن حديثها لدقائق، إلى أن وصلنا إلى مستشفى تبعد قليلاً عن القاهرة، ولتقت
التحبة من الكثيرين، فمن الواضح أنها معروفة ومحبوبة فى هذا المكان.. وكنت
أتوقع أن أرى مستشفى مثل بقية المستشفيات، إنما فوجئت بحدائق واسعة
وأشجار وكافيتريا هادئة.. حقاً المكان جميل..

تجولت فى المكان، ورأيت لافتات كتبت عليها: السجيم، حمام السباحة،
وشجر آخرى لفتت انتباهى إلى: "قسم الإيمان"، وقلت لوالدة شريف:
- المستشفى حقوة لوى، ولا النادى.

- من كوستة فعلاً بس هى آخر مكان بأحب أجيبه.

وصل الدكتور وليد وسلم علينا، وأخذنا إلى غرفة الاستقبال.. جلسنا
فيها، ونحدث طويلاً عن حالة شريف، وأثناء ملء أوراق دخوله إلى المستشفى،
كنت الأم فى حالة يرثى لها.. وكنت أتوقع أن أرى شريف، وكنت عامل له
مفاجأة فهو أصلاً صاحب لـ 2 جرام التى معاها، فجهزت له سوسته وتركته
فى السيارة، وعندما سألت الدكتور:

- هو شريف فىن يا دكتور، مش هاتقابله؟

- لا طبعاً، ده فى "الدبوكس".

- ديبوكس!!!

- يعنى الغزل، علشان يعدنى أعراض الإسحاب.

- طيب ممكن أتوقفه امتى؟

- كلان ثلاث أو أربع أيام، مش قبل كده.

ومر فى خاطرى سؤال مهم.. سألت نفسى:

- هو أنا إيه التى جاتنى هنا، مادام مش هاتشوف شريف!!

تركتهما وخرجت من المستشفى لأخذ سوسته من السوستين الجاهزين،
كمية بسيطة تريح النماغ، ثم عدت إليهما ولم يكتشف أحد أنى أخذت جرعة
مخفرك.. وعندما جلست معهما أثناء إنهاء الإجراءات، سمعت اسم أحد
الأصدقاء الضريبة المشهورين، فعرفت أن هذا المكان ما هو إلا ملقى الأحياء.
لفتت والدة شريف مبلغاً كبيراً من المال، وعادت معى فى السيارة،
وبدأت فى سرد فصل جديد من الشكوى، وكل ليرة تؤكد حزنها وآلامها
وشعورها بالاكئاب بسبب صديقى العزيز شريف.

تركت والدته شريف عند منزلها.. أخذت حقنة أخرى ثم عشت إلى البيت، وكان واضحاً أنني تعاطيت البثور.. أمي كانت في انتظارى مع أختى رولا، وهما في حالة ترقب، وعلى لسانهما سؤال واضح: يا ترى كيف يعود إلى البيت.. مع من؟ وفي أية حال؟ وبمجرد أن فتحت الباب، ناديتى لى قائلة:
- تعال وزيدي ذراعك.. ومن غير ما أشوف.. وشك كفاية.. كل شيء واضح، ولنهارت أختي باكياً وقالت:

- تلى يا صلاح؟ ليه بن كده؟! حرام عليك!!

- إنتم مش فاهمين.. أنا كنت محتاج أضرب المرة دى بس.. أوعتكم أمي مش ها أخذ تانى.. أنا راجع من سفر وتعب، وعمرى ما كنت ها أعرف أها من غير ما أخذ المرة دى يا رولا.

- أد إيه بنفسى أصدقك بس مش قادرة.

تدخلت أمي في الحديث قائلة بحدة:

- اسمع كويس.. أنا مش مستعدة أتخيل إننا نبتدى الموضوع ده من الأول وجنيد.. مش هيتفع أبداً.. ملك لبناك واتصرفوا مع بعض.

فقلت متوسلاً:

- من فضلك اهدى بس يا أمي.. هي المرة دى وخلاص.

- لما بشوف.. وأفلح إن صدق.

فتحت الشنط.. ووقفت مذهولاً.. يا إلهي!! ما كل هذه المشتريات..

ملابس وهذاها تكفى العائلة والأقارب، والأصحاب وجيران الجيران؟! ألبسة الصيفي، والثوبى، والخريفى، وتفضلى يا أمي.. وهلبأ.. تفضل.. وزولا حبيبتى.. وكريم بك.

وطبعاً.. كانت هناك هدايا مريم ومصطفى وحسام ودعاء، ومينو، وبولو، وريكو، وزونى، وعلاء.. وفتحى.. تذكرت الجميع، وكل واحد كنت له هديته المحترمة.. طبعاً.. صلاح أبو الكرم.

ورجعت أشرب ويسكى بشرافة، وألف سجائر، ولاحظت ظاهراً انتشار البانجو، وبخاصة فى العتبة، وأن نسبة كبيرة من الشباب تدخن البانجو الذى سيطر على السوق، فهو يشبه الماريجونا مع الفارق أن الماريجونا يتوخم بشكل.. ورئى أن البانجو مخدر يجعل الإنسان غيباً إلى أقصى درجة، ضيق النفس، بطء التفكير.. وبعد سيجارتين بانجو، كنت أشعر بالتوتر، وألنى عصبي جداً، فقد أحسست أن مخي توقف، وأنى لا أفهم ماذا أقول.. وبعد كل جويست

أريد:

- لاش عارف قصدى إيه!! أنا مش عارف أنا بقول إيه!! أنا مش عارف لاش عارف!!

وكثيراً ما ضحكنا على تلك الجملة، وعلى جمل أخرى تشبهها.. وبعد

لبوع، قابلت حسام مصادفةً، ودار بيننا الحديث العادى:

- على فين لغرم؟

- لم يدر رجعت تشغل تلى.. الباب الأسود يا باشا.

تكررت المسألة مرة أخرى.. وبدأت أضرب من جديد، وبغضب، رغم أنى لم أكن أريد الدخول فى الدائرة السوداء المظلمة من جديد.. حقاً لا أريد، ولكن لك الزلت قدمى فى المحذور.. فما الحل؟ "تريكسان" أحد الحلول، وهو دواء بدأ يعرف فى ساحة الإدمان، والمعروف طبياً أن المدمن إذا أخذ حبة تريكسان، وتعاطى البثور بعد هذا، فإن احتمال الوفاة وارد جداً، وقد حدث هذا مع أكثر من مدمن.. ولو لم يفقد حياته وعمره، فهو لن يستمتع بالبثور، معنى أن "تريكسان" عضو البثور، العدو الأول للمدمن، ومفعول الحبة الواحدة من التريكسان يمتد لمدة ثلاثة أيام.

كنت أعرف كل هذه المعلومات، ولكنى لم أذكرها لأحد فى أسرتى، حتى لا أستخدم ذلك ضدنى فى أى يوم من الأيام.

وفي تلك الليلة رجعت البيت، وبظنرة واحدة كَسَفَتْنِي أُمِّي..
وقد شعرت بالاكنتاب، وارتجفت عندما رأيتها جالسةً في انتظارى، وتَمَوَّعها في
عينها..

قلت لها بكل الصدق:

- أنا فعلاً بش' عايز أضرب، ومش عارف أصعل إيه.. والنشئ ركزى معاً..
أنا عارف إنك عارفة كويس إني خلاص رجعت أخذت تانى من أول وجديد
والدنيا هتتأمر وهاضيع تانى.. وذه مايفعش.. أنا يا أمى فى مصيبة سودا،
ولم تتحرك.. فمثل هذا الكلام سمعته كثيرًا.. فقلت:

- يا أمى اسمعنى.

- نعم.

- فيه نوا اسمه تريكسان، وأنا لازم أخذه.

وكلمتها عن هذا الدواء، وبدأت تتفاعل مع كلامى.. وكَيْفَتْنِي بسرعة،
وسألتنى باهتمام:

- ملين الدواء ده؟

- موجود، ويمكن أجيبه دلوقت.. المشكلة مايفعش أخذ الدواء ده، غير نشأ
جسمى يكون نصيف من البوذرة 100 % علشان لو فيه بوذرة فى جسمى، نفى
مشكلة.. ولأزم أبجد عن القاهرة على الأقل ثلاث أيام، وأرجع أخذ تريكسان..
مستحيل تتجح الخلطة، وأنا هنا فى البيت.

تكلمت من قلبى وبكل صدق.. وكنت فى هذه اللحظات ضارب، وكأنا
الضاربين دلما كلام مقنع ومن القلب.. فى اليوم التالى سافرت إلى الإسكندرية
مع أمى، ونزلنا فى فندق جميل على البحر.. أما الوالد فقد فهم أنها رحلة
استجمام سريعة، وعندما عرضنا عليه فكرة السفر معنا، اعتذر، فأعماله كثيرة
تمنعه من القيام بمثل هذه الإجازات الترفيهية والاستثنائية.. وكانت مشكلتى أن
جسمى تعود البوذرة من جديد، وليس من السهل للتوقف عن التعاطى.. ومُمرت

الأيام الثلاثة الأولى بصعوبة بالغة: آلام ومغص فى البطن، إسهال مستمر،
الأنف أشبه بصنبور مياه مفتوح.. أربعة أيام كائنى فى الجحيم.

ومرت الأيام الأربعة، وقيل للرجوع إلى القاهرة أخذت حبة
"التريكسان".. وبقر التعب الرهيب الذى عايشته لى خلال تلك الأيام، بقدر
شعورها بالسعادة لبده العلاج بدواء "التريكسان".. شعرت أن هناك علاجاً، وأن
هناك حلًا.. والمفروض أن أخذ حبة واحدة كل ثلاثة أيام، ولكنها أعطتني حبة
كل يوم.

ارتفعت مغويات أمى، وأيضاً أختى رولا، وكانت تقضى معى أوقاتاً
طويلة، تحدثنى فى مواضيع لطيفة مختلفة.. هى سعيدة وتشعر يارئيساح، وأنا
أيضاً.

وعانت الحياة الطبيعية فى بيتنا بفضل تناول هذا العلاج.. وعادت أمى
إلى الطلبة والمحاضرات وتصحيح الامتحانات، وانتظمت رولا فى عملها،
وفرت رؤية أصحابى أحمد، وحسين، ورامى، وبهاء؛ إذ إننى لم أرهم منذ
عولنى من أمريكا.

وجدت ميدو وعلاء فى البيت، وصارحنى علاء بأنه قرر الهجرة إلى
كندا، وكان من الواضح أنه استترف معظم أمواله من الميراث؛ فمنذ عشر
سنوات وهو ينفق ببذخ جنونى ودون حساب للأيام القادمة.. أما ميدو فقد تسلم
عمل فى إحدى الشركات الكبرى، وصارحنى هو الآخر بأن طبيعة العمل
لا تعجبه، ولكنه أفضل من الإحساس بالملل، والبقاء فى البيت بلا هدف.

عندما سألت عن الشباب.. كان من الواضح أن ميدو يفضل عدم
العبث فى سيرة الأصدقاء، ولكن علاء صمم، وكأنه أنتظر منى هذا السؤال،
الذى يريد الإجابة عنه بكل إصرار، قال علاء:

- حسين خطب نيسين وهيتجوزوا قريب.

- لا ياراجل.. أخيراً.. بن بصراحة، نيسين دى أستاذة.

- بهاء يا سيدى خلّص ميراثه كله أو مُعظمه، وداخل خارج من المستشفى، خلاص بهاء أمّن.. والمصيبة إن أخوه الصغير ينز، بيضرب هو كمل.. الاتنين خاربينها على الآخر.. أما حبيبك رامى جاتّه قيرس نسي، وخرج من المستشفى من أسبوع وجالنا من يومين.. وبصراحة زعلت عليه جدا لما شفّته. دا مش رامى اللّى نعرفه.. ده واحد تانى، اتبهل، وهو مش وش بيذلة، وأبوه اللّواء طول اليوم ماشى وراءه.. خايف عليه.. أبوه يصنّب على الكافر.

لم يشارك أحمد فى الحديث، ولم يعلق، وأراد أن يغيّر الموضوع أكثر من مرة، لأنّه حزين من تكرار سماع هذه الأخبار السوداء، ثم قال أخيراً:

- إنت ناوى تعمل إيه يا صلاح بعد ما رجعت من أمريكا؟!

فقال علاء نياية على:

- ناوى يضرب طبعا.

رد أحمد بغضب:

- بنس يا علاء، يلاش سخافة.

- صلاح عمره ما هيبطل.. زيّ، زى بهاء، ورامى، ولعمرك الاتنين نول، كمان، آخرتهم قرّبت وما أفكرت.

كان لابد من التدخل فى الحديث فقلت:

- خليك فى نفسك يا علاء، يعنى إنت يا واد عملت مشاريع كسرت الدنيا، ومصر كلها بتحكى عنها.

- بنس على الأقل أنا مش مُنمن.

- أه.. صح.. 15 سنة بتشرب حشيش وبيرة كل يوم، ومش مُنمن.. يعنى لم توتو؟ هى اللّى مدمنة؟!

كلمة مُنمن، عندما اسمعها، كأن مانسا وتبارا كهربائيا صغرى، ويضايقنى سماعها، حتى عندما تقال لأحد غيرى.. قلت لميدو:

- بأقول لك يا ميدو.. تعال نخرج شوية.. أنا مش عايز أقعد فى البيت.. لنشوق

بنس يا علاء.

على حين العزم يا صلاح؟ مُستشفى إيه المرة دى؟

- لا.. مقيش مستشفيات المرة دى، أنا ها أخذ ميدو أفرجه على العربية الجديدة.

- يا سيدى.. يا سيدى.. اشتريت إيه؟

- بطع السلكونة، واتفرج.

وكانت هذه لحظة الانتصار على حديث علاء الهجومى.. وبعد رؤيته

لباره، خرجت مع أحمد، وعملنا جولة فى المهندسين، وفى الزمالة، وفى

البقي، وطلبت من أحمد أن أرى بهاء ورامى.. فعلا تمنيت رؤيتهما، لكنه رفض

فقال:

- كيد بهاء فى المستشفى.. أمة كل أسبوع تشحنه على هناك، ودلوقت بيقد فى

مستشفيات، أكثر من البيت.. بهاء صرّف كل فلومنه.. أنت مش متخيّل خربها

إيه؟!

- وريكو يا ميدو؟!

- رامى يصنّب عليك.. لو شفته مش هتصتق.. ميهل فى نفسه.. خس جدا..

فوز العربية، ودخل المستشفى مرتين أو ثلاثة السنة اللّى قانت ومقيش فايدة..

مش بيكمل أسبوع، ويرجع يضرب تانى.. وآخر مرة بآه زارنى وتكلّما سوا..

أراجل بس ومش عارف يعمل إيه.. من أسبوع كان عندى لى إن رامى

جاته ثيوس نسي والدكتور قال لو فضل يضرب، الكيد مش هيسخمل، ورامى

هيسوت.

- يا نهار لسود!! إيه اللّى بيحصل ده؟!

- يا إنت مش عارف حاجة.. فيه عشرة ماتوا السنة دى.. فلان وفلان وفلان.

- إيه ذا يا ميدو؟ كل ده حصل فى سنة وكام شهر؟

- أحمد ش إنك إنت كويس.

- مش هنا اضحك عليك.. أنا بأخذ تريكسان.. هو ده التلى حامينى.. أنا خربتكم
أول مارجعت، وبعدين قلت مايبذهاش، وبأخذ تريكسان كل يوم.. بس يا مينو
بقيت بالشرب ويسكى واخشش كل يوم بكميات رهيسة.. والبالجو ده كسل
لاجسلى دماغى.

- البالجو كارثة.. إنت عارف يا صاصتو إنهم بيدوه للجمال فى السودان علشان
ما تهيجش.

- لا يا رجل!! بجد؟!

- أه والله.. وكمان بيدمر خلايا المخ، ويخليك أحمى من الحمار.

عدت إلى بيتى، وبعدت عن الضريبة، ورجعت حياتى شبه طبيعية.
وإذا قابلنى واحد من الضريبة وسألنى:

- إيه النظام؟

أجيب على الفور:

- تريكسان.

ويقدر اشتياقى للضرب.. بقدر شعورى بالارتياح، وحرصت على لقاء
مصطفى، وعدت للسهرات الأنيقة، والسهرات الجميلة، وقضاء الأوقات الممتعة
بعيداً عن هذه الدائرة السوداء.. كان الخمر هو سيد الموقف.. كنت أخرج كل
ليلة مع مصطفى وسكس، ومريم، وكنا نحن الأصدقاء الأربعة نستمتع بالخروج
معا.

وبدا والذى يدق على نغمة البحث عن عمل، قائلاً:

- ماينفعش التلى بتعمله ده!! حياتك عبارة عن خروج وسهر وبنات وخلص.

- حاضر يا بابا.. والله بادور على شغل، وقريب جداً حتأقيلنى اشتغلت.

وبالمصانفة، حكى لى مريم عن صديقتها التى تعمل فى شركة سياحة
والشركة تبحث عن مدير تسويق.. وهى شركة كبيرة، وصغيرة فى الوقت نفسه
لأنها مكونة من أربعة أشخاص: صاحب الشركة سيف، وشريكته وصليته

يوسى، والسكرتيرة حنان.. وعامل الشركة "الدينامو" بسرى.. وفى أول لقاء مع
سيف، أعجبنى من اللوحة الأولى، وقلت لنفسى:

- هو ده التلى أعرف اشتغل معاه.. ويفهمنى وأفهمه.

كللى سيف شاباً فى متوسط العمر، حوالى 45 سنة، شعره طويل
ويجمعه خلف ظهره على هيئة ذيل حصان، وتكلمنا معاً فى موضوع السياحة..
ومن خطته التوسع وشراء مكتب جديد، ينتقل إليه بعد شهرين، بعد الانتهاء من
أعمال النيكور.

وخلال فترة زمنية قصيرة، أصبحنا أصدقاء، وأسعده أنسى فهمت
التعامل مع هذا العمل الجديد بسرعة، وبدأت أخطب الشركات العالمية التى
تربل لنا السائحين، ومعظم هذه الشركات إنجليزية وسويدية وأمريكية، وكنت
أبينة تقاوم معهم.. ومن خلال لقاءاتى مع أصحابى أعضاء النادي، والحديث
مهم عن رحلات إلى شرم الشيخ، وبدأت أجتنب عملاء جددا.. وكلمنا مرت
الألام.. أعجبنى هذا العمل أكثر، وأكثر.. سافرت مع سيف إلى شرم الشيخ
لتعريف إلى أصحاب الفنادق التى نرغب فى التعاقد معهم لاستقبال الأنساج
لقائمة.

وكانت مريم أسعد إنسانة فى الدنيا، فهمى وراء قبولى فى هذه الوظيفة..
نعم هذا التعارف بصاحب الشركة جاء من خلال صديقتها، وهى التى فكرت
وخططت لهذا التعارف، ووضعت النهاية الناجحة بإتمام الموضوع.. وذات يوم
جاءتني مريم، وأبلغتني أنها تريد أن تعمل خارج مصر، لتدخر مبلغاً من المال
استعداداً للزواج.. وكانت العلاقة بيننا تنمو وتسير فى هذا الخط، وأصبح هذا
الموضوع بالنسبة لى حيويًا، وأخذته بجدية وطريقة عملية.

والحق يقال أن مريم تحبنى الحب الحقيقى، بل "الجنونى" وتحملت معى
كثيراً.. لقد وقتت بجانبى فى موضوع الضرب وقفة مخلص.. وقفة رجال،
وأهم من هذا وذلك أننى ربيتها بنفسى، ولا شىء عنها يخفى على ولا أعرفه..

ألا للرجل الأول والوحيد في حياتها، وبالنسبة لى، فإن هذا الأمر بالغ الأهمية. وكنت أتمسك بتقديده وطباع الرجل الشرقي، وكان هذا يسعدنا.. وبعد محاورات ومناقشات، وافقت على شرط ألا تزيد التجربة عن سنة واحدة فقط لأغير، غير خلاتها ما تدخره، وينتهي الأمر.

سافرت مريم وبدأت العمل بعقد لمدة عام، ولم تعترض أمى، فهي بكل صراحة تحبها وتتق فيها، وتقدر موقفها البطولي معى فى كازنة تضرب أو الإدمان.. ولم يكن والذى طرفاً فى هذه الموضوعات نهائياً.. لقد رأى عشرات البنات معى.. لشكلاً وألواناً.. بنسات مصريات، وبنسات أجنبية، ولم يركز أبداً فى صداقتى وعلاقته.. فقط يعرف أسماء بعضهن من خلال الاتصالات التليفونية، وعندما يرى إحداهن يناديها باسم آخر، مما يسبب لى مشكلات كثيرة، وكثيراً ما قلت له:

- من لازم يعنى يتكلم فى موضوع الأسماء.. مريم تقول لها يا هتة، وناسى تقايبها باسم رائدا.. يا مبدى كفاية تقول: إزيك، وخلّاص.

ومنذ عودتى من أمريكا، لم أر أخى كريم أكثر من مرثين أو ثلاث.. وهو عند رايه أتنى شاب مدلل، وأن أهلى هم السبب المباشر فيما أنا فيه.. والحديث بيننا لا يتجاوز السلامة والأخبار العامة.. وهو كعادته لا يتابع تفاصيل الأحوال الأسرية.. كل شيء من بعيد.. تبعيد.. وساهم فى هذا سفره المتكررة إلى إنجلترا للعمل، والدراسة.

بعد العمل لمدة شهرين أو أكثر قليلاً فى مجال السباحة.. بدأت الاهتمام بمذلة التوكيلات، التى وقفا عليها مع الشركات العالمية، وأعجبنى هذا العمل، أنفته وأحبته.. حقا إنه عمل جميل.. وتذكرت عندما كنت فى أمريكا، أنه قد ظهرت موضحة "كاسكيتات" اللعبة الشهيرة "بيس بول"، وسيطرت هذه الموضحة على كل الأسواق باكتساح، واقترحت على سيف فكرة استيراد كمية من هذه "الكاسكيتات" وبيعها للشركات السياحية فى الفرقة وفى شرم الشيخ، والاستفادة

بها فى الإعلان والدعاية عن شركتنا، وغيرها من المشروعات فى المجالات المختلفة.. قلت الفكرة إعجاب سيف، وبأخلاقه الرفيعة قرر أن أنفذها لحسابى الخاص، لأن الفكرة فكرتى، ولكننا بدأنا معاً ننقش الكمية التى نستوردها كنداية، ولن نبيعها.

وبعد أن طمأنت أمى على استقرار حالتى الصحية، واهتمامى بالعمل، توكلت عن إعطائى دواء التريكلان، وعادت إلى التركيز فى محاضراتها، والطب، والامتحانات والتصحيح، والكونترول، وانتظمت رولا أيضاً فى عملها، كما سافرت مريم وبدأت العمل.. ولكن لم يفتها الاتصال بى ومعرفة أخبارى ومحلتي عن أخبارها، وفى يوم من الأيام.. قالت فى أحد اتصالاتها:

- العجالة الوحيدة التى مضترائنى على السفر، هى القلوس التى بدلت أحوتها، عشان اشتري أجمل "فيرنيشر" لبيتنا.. أنا نفسى يبقى أحلى بيت فى الدنيا.

- والله وحشتنى يا مريم.. بجد وحشتنى.

لقد بدت لشعر فى عدم وجود مريم معى، بأن هناك شيئاً ما نقصنى.. عواطفى ومشاعرى كلها تتحرك فى اتجاه مستقبلنا معاً.. وفى تلك الفترة، تقمنا فى عشنا، وكنت أسافر كل أسبوعين إلى شرم الشيخ أو الفرقة.. والتجديرات لامتلك المقر الجديد نسير من حسن إلى أحسن، وتقبلياً أول مخموسة من "الكاسكيتات". وفكرت أن أحكى لوالدى عن الفكرة وأنقشها معه، وفى يوم قلت له:

- يا بابا.. أنا استوردت "بيس بول هاتس".

- يا لهنى.. اتعد عتى.. "بيس بول هاتس" إيه بس؟ مين ده التى يشتريها منك؟

- ناس كثير جداً.. تخيل يا بابا.. أنا طللت وعملت تغلق على كام واحدة؟!

- ما أعرفش.

- تخيل كده؟!

فكرت

- 100 أو 200.

- 1400، وكلهم إتباعوا.. وكمان إتباعوا قبل ما يتشحنوا.

- بقول لك إيه يا صلاح.. إنت خلاص اتجننت.. عندي مشروع لازم أخلصه،
وأفتمه خلال يومين.. إطلع نزه، وأقل الباب وزك.

تمنيت أن يمنحني ذكائق ليناقشني أو يُشجّعني.. ولم يحدث.. لم يمنق
والذي الرقم، ولكنه صُنق عندما وصلت الكاسكيتات، وتسمت مكسبي من بيعها،
وأنفتت المبلغ كله، كما أنفتت غيره من قبل.

استمرت الحياة هائلة وبلا مشكلات لأسابيع معدودة.. شغل، سهر،
خروج، شرب ويسكى بيرة، حشيش، بانجو.. وذات يوم ذهبت إلى المكتب،
وعندما وقتت سيارتي، فوجئت بمن يفتح بابها.. يا إلهي!! من!!

- رامى.. ريكو!!

- كدة يا صاصو!! إنت طلعت ندل.. سمعت إنك رجعت من أمريكا..
ولا تقول، ولا تسأل؟

- عنك حق يا ريكو.. والله مش عارف أهو لك إيه؟

- إنت جاي هنا ليه؟

- اشتغلت فى العمارة دى.. اشتغلت فى شركة سياحة، يومين هنا، ويومين
فى شرم، ويومين فى الغردقة.. إنت أخبارك إيه يا ريكو؟

- أنا ليشه خارج من المستشفى.

- شكك كويس.. وشك رايد، ووزنك زاده، وزى اللق.

- وإنت كمان يا حوبا.. وإيه العربيات الحلوة دى!! بقولك إيه هأ امشى العجا
إلى معيا دول وإراجع لك حالة.

لقد انفتحت رامى.. يا الله.. وأحشنى جدا.. إنه أكثر صديق أحبه..

ورجع رامى، وحكى لى عن نفسه:

- لُطُشْتُ معيا الفترة التى فالت.. جالى فيروس سى، دا غير إيسى أنسكت
مرتين.. مرة وأنا خارج من عند فُرح، والثانية عند حسنة، واحدة عرفنا

بلاى لها حل، والثانية أنعمل لى فيها قضية تعاملى، والحكم فيها الشهر الجاي..
رينا بستر.. أنا قلان جدا، وأبويا بيعمل محاولات مستميتة مع المحامين.. وإنت

يا صلاح عملت إيه فى أمريكا؟ وإيه الذى رجعتك؟

- أنا برضة شغلت أيام بنت "....." بن الحمد لله رينا سترها.

فى بيتنا

تحدثنا ونحن فى السيارة لأكثر من ساعة، وممر الوقت لطيفاً وهادئاً،
نتكلم ونحكى ذكرياتنا ونضحك.. ولجأة قال رامى:

- أنا ها اموت وأضرب.. أنا مش علوز أبقي شيطان.. سن بصراحة القرد بيلط
جوة دماغى، ومش عارف أعمل إيه!!

قلت فى ثانية ودون تردد:

- بشتري من مين؟

- أنا سمعت أن لم شادية شغالة.

- مين دى؟ أصل أنا برة الملعب من فترة طويلة.

- دى يا سيدى صديقة الطلبة، بؤذرة ولعة، ورخصة كمان.. إنت شكك مخطط
اليومين دول، ومعك قرشين حلوتين.

- ما إنت فاهم.. لما بقعد شوية من غير ما اضرب الدنيا بيتنطط.. باللا نطلع
على أم شادية.. هى فين؟

- قريبة.. فى الكيت كات.

انطلقنا إلى "الكيت كات"، واشترينا "توكش"، لكل واحد فينا.. ولأنى
لم أضرَب منذ فترة.. فأى شىء يكون له مقعوله القوي، وبالنسبة لصديقى
رامى، جسمه نظيف بعد خروجه من المستشفى.

كانت "بماغ" حلوة.. خصوصاً عندما تكون خالية من المشكلات..
وقضينا اليوم كله معاً، من الساعة الواحدة إلى الساعة الحادية عشر مساءً.

ونلقا على التقاء فى اليوم التالى فى مكتبى.. وعندما رجعت بيتى، من حسن
ظفى.. وجنتهم جميعاً ناثمين وبالتالي لم أواجه أى مشكلة.. ودخلت غرفتى
بأشجان، وهم أيضاً مطمئنون لانتظامى فى العمل والسفر.. ناموا جميعاً، وكل
بشيء تلم.. وفى اليوم التالى جاعنى رامى، وسألته:

- "البزيت" يا ريكو؟

- لا.. وإنت؟

- لا.. كانوا نايمين.

ولم نستطع البقاء فى المكتب أكثر من دقائق معدودة، وقتت للسكربتيرة:
- أأزاح مشوار يا حنان، وراجع كمان شوية، ولما سيف يسأل عنى، قولى لهُ
بشغل بزة.

فقلت حنان مداعبة:

- شغل براضة.. ماشى يا باشا.

إنها فتاة ذكية وجميلة، تعمل بكل إخلاص، ولكثرة مراسلاتى
والصالاتى، كنت الوحيد الذى يضغط كثيراً لإنجاز العمل.. والمسكينة تشعر
بالإرهاق.

ولم أزر بآزمات مالية، فالأموال التى كونتها فى رحلة أمريكا، اشتريت
بج منها سيارة، ووضعت البقية فى البنك، وكلما احتجت إلى مبلغ من المال،
اسحب من البنك، ولأذهب مع رامى نشترى ونضرب.. وبعد يومين انكشف
رامى، ولم تقرب من بيته.. كنت أخشى أن يرانى والده، ويكتشف أنسى أنا
أخر. فقلت وزنى خلال أول أسبوعين، وأصبح الأمر واضحاً، ولم يكن خافياً
على لى لئى علونكت الضرب، ورولا أيضاً كتفتلى.. فقلت لى أمى:

- وزنى تراعى.

- لا.. مش ها أوزيكى.

لشغل.

- بلاش.. بس إنت لازم تأخذ تريكسان ثانية.

- وإيه المشكلة؟ أخذ تريكسان داني.

- يعني أحبيب الدواء دلوقت؟

- لا.. دلوقت مش هينفع.

- أمثال إمتى ينفع؟

- كمان 3 أيام.

- وهتبطل إزاي التلات أيام دول؟

- أنا مسافر شرم الشيخ.. عندى شغل هناك، واحتمال لقعد أكثر من 3 أيام.

- أبطل وارجع أخذ تريكسان على طول.

- هتسافر إمتى؟

- بكره للصبح.

وبدا فيضاض الكذب.. لم يكن فى خطتى السفر، إنما قررت أن أضرع

هذه الفكرة؛ لأخرج من هذا المأزق، ثم فكرت فى هذه الورطة الجديدة، ولدت

لنفسى؛ ولم لا أسافر لمدة ما؟ فعلا سافرت إلى شرم الشيخ، وأخذت معى كمبة

بؤذرة رهيبة.. كمية تكفى لمدة شهر، ولكننى انتهيت منها خلال أسبوع، وكنت

أضرب صياحا، وظهرا وليللا.. وبدأت عملية البحث عن البؤذرة بإصرار،

إلى أن وجَّهتُها مع البدو.. بؤذرة نظيفة ورخيصة وبعد أن فقدت كل أمولى

وانفقتها لأخر مليح.. لم يكن هناك حل إلا العودة إلى القاهرة لمدة يوم.. لسحب

مبلغا من أموالى فى البنك، وأقابل سيف فى المكتب، واقفعا بأبنى أعمال بهية،

وأعد لزبارة يقوم بها هناك، ويرى كل شيء بنفسه على الطبيعة.. وصلت

على الفور.. وهذه أخلاقياته؛ فهو لا يتصور أننى أكذب، وهو يلمس نشاطاتى

ويعترف بقدراتى ومهارتى فى التسويق، ولم يناقشنى، لكنه سألنى:

- إنت مالك يا صلاح.. خاسر كدا ليه؟

- مش تاكل كويس، وطول اليوم لشتغل، وأستهز بالليل.

..ماتى يا سيدى.. بس ما تعلقوش.. علشان أنا عايز أطلع شرم أول ما انت

ترجع

كلمت لى من شرم الشيخ لاطمئنتها أنتى بخير، وأنتى قررت تأجيل

العودة لدراسة بناء فندق صغير، وسوف بشاركنى سيف فى المشروع، وأحتاج

بعض الوقت لدراسة.. وكنت دائما اتصل بها بعد استيقاظى مباشرة، وقبل

الضرب لأنها تعرف تماما صوتى بعد الضرب، وكيف يختلف عن صوتى

الطبيعى.. ومثل هذه الاتصالات كانت تمر على خير.. وعرضت الفكرة نفسها

على سيف، وأعجبته وشجعتنى على دراستها.. طلبت منه أن يتركلى لفترة

أقصر فى شرم لالتهاء من دراسة المشروع.. وبالتفعل تجولت للبحث عن

الأماكن المناسبة لبناء فندق صغير، ودراسة أسعار الأراضي وتكاليف البناء،

وعملت دراسة جدوى ممتازة..

سمرت ومعى 12 ألف جنيه، أنفقتها فى أقل من عشرة أيام.. طبعًا.. حضرة

اللبا عاش فى أفقر الفنادق.. وكل يوم يضرب صياحا، وظهرا، وليللا..

وكل ما تبقى معى ألف جنيه فقط لآخر، وفى الوقت نفسه، تمكنت البؤذرة من

شمى، وأصبحت الجرعة أعلى.. أعلى.. أعلى..

رجعت إلى المكتب مباشرة.. وعندما رأتى سيف أصابه الغزع، فقال:

- إيه ذا يا صلاح؟ مالك عامل كدا ليه؟

استمر فيضاض الكذب من شخص بخص يضرب لمدة أسبوعين، ثلاث مرات

وأحلا أربع مرات فى اليوم.. وقلت له:

- أنا عايز يا سيف، ومش عارف ما أجى الشغل إمتى؛ علشان لازم أروح

لشرك الدكتور، وأعمل تحاليل.. وفى الأغلب عندى مشكلة فى الكبد.

- ألف سلامة، وطمئنى عليك.. أستريح تماما، وما تقومش غير لما تبقى

قويش.. مغش خد هياخد مكانك فى الشغل لغاية ما تحف.

حقاً.. إن سيف إنسان شهيم وغاية في الركنى.. ولكن عيبه الوحيد
كان شديد الثراء.. ولأسباب مختلفة ضاعت ثروته كلها.. وأصبح يعتمد على
ثروة صديقه بومس، ينفق منها، ويتصرف وكأنه لورد، وبالتالي الشركة ليس
بها الأموال التي تحتاجها للتمويل في دفع مقدمات للنفادق وحجز الغرف، لو دفع
شمن الأجهزة التي تعاقنا على شرائها.

خرجت من المكتب للذهاب إلى البيت.. لكنني أعرف جيداً أنني سأجد
أمي، وروولا.. وبظرة واحدة سوف يتكشف أمرى، ومزال معسى بؤسرة،
وفضلت عدم العودة إلى البيت، وتجوّلت من شارع إلى آخر، أضرب في
السيارة، ثم أدخل أحد النفادق واضرب.. حقيقة الأمر.. كنت أخاف العودة إلى
بيتي، ولا أريد مواجهة أمي، ولا أستطيع ذلك.

رجعت البيت.. أنا خائف.. ثم خائف.. كلّي خائف.. وجدت أمي في
المطبخ، وأبي نائم، وروولا في غرفتها، وعندما رأيتي صرخت:
- يا دي المصيبة!!!

سمعتها أمي، وجاءت تجرى:

- فيه إيه يا رولا؟

إنها لم تشعر بخطواتي وعودتي إلى البيت، نظرت إلي وقالت:

- ذا اللي أنا كنت عاملة جسامه.

- هتعمل إيه يا ماما؟

- إيه؟ فيه إيه بس؟ مالك؟ أنا أخذت مرتين ثلاثة بس.

- إحنا لازم ندخلك مستشفى.

- مستشفى إيه بس يا ماما؟ أنا مش هأروح مستشفى.. وتبعين المستشفيات

دي ما يتعملن حاجة، كل اللي أعزقهم ويدخلوا المستشفيات ضربوا أول

ما خرجوا من المستشفى، وفيه ناس أصلاً يتضرب جوه المستشفيات.. مستشفى

لا.. لا.. لا.

- فين شطنتك؟

- في الغريبة.

- هات المفتاح وأنتك تنزل تجيبها.

- مانتافوش.. مفيش معايا بؤسرة.. خلصت.

ثناء حوارنا وصل الوالد.. ستم، وبص لي، وشعر بموجات الكهرباء

في جوف البيت؛ خاصة وقد مكثنا تماماً بعد دخوله.. وجهه إلى الكلام:

- حمداً لله على السلامة.

- الله يشك.

بس لي مرة أخرى.. النظرة فاحصة ولها ألف معني.. ودخل غرفته، واستكملنا

حديثنا:

- هتعمل إيه يا ماما؟

- مش عارفة.. بجذ مش عارفة.

وكسا وجهيهما الأهل، عندما دخل بابا علينا مرة أخرى، وفي يده

كتاب.. إيه كتاب كي بيتنا مدمن.. وعلى غلاف الكتاب صورة لمنمن، واضح

وصريح.. وقال لي:

- مثل إيت ده؟

الموقف مؤلم وحزين، الوجوم واضح على الثلاثة.. قلت بصوت واهن

وضيف:

- لا.. مش أنا.

- لا.. دا إيت.

قالها، وخرج من الغرفة متجهاً إلى غرفته.

تمتمت لنفسى قائلاً:

- أخيراً يا بابا فهنت؟ يا ساتر!! كان المفروض أصلاً إيه عشان تفهم!! أنا من

أكثر من 15 سنة بأخذ مخدرات.. ومن أكثر من 10 سنين بأخذ بؤسرة.

نزلت من بيتي لإحضار التغطية من العربية.. لكن أول ما نزلت
قررت ألا أعود إلى بيتي، وأخذت ورقة وقلماً من عربييتي، وكتبت: "أنا مش
راجع البيت غير لما أبطل.." ثم وضعت الرسالة في ظرف من أطراف لشركة،
وأعطيت الظرف للبوب، وانطلقت بسيارتي، بينما وقت أمي وجانبها رولا في
الشرفة لمراقبة ماذا أفعل.

اعتقد أنهما لم يخطر في تصورهما أنني لن أعود إلى البيت.. بل
تصورا أنني ذهبت لشراء المخدرات وسأعود مرة أخرى.. ثم أعد، رغم أنني
لم لكن أعرف إلى أين أذهب.. ذهبت إلى حسام ودعاه، وبعد قليل وصلت
نائسي، ولم يتوقف الدق على الباب: واحد يدخل، وآخر يخرج، انزعجت جداً،
وقلت:

- مش متقول يا دعاه.. بالطريقة دي اللوليس جاي.. جاي!!

- قال الله، ولا قلنا.

- كله بالعقل.. اللولاب وسع جداً يا حسام.

- نأقولك إيه.. خايف.. إنزل.

- هو إيه يا حسام.. مش موضوع خايف.. وأنا فعلاً ها أنزل.. تعالى يا نائسي.

لم تصدق نائسي أننيها، وكتبت عندما أطلب من نائسي شيئاً تنفذ

فوراً.. وبلا تردد، نزلت ومعى نائسي، وعندما وصلنا إلى السيارة، سألتها:

- عندك ليش فوق؟

- ليش؟ هو إنا راينين فين؟

- راينين شرم الشيخ.

- بجد؟ بجد.. مش مصدقة!!! أنا عندى شوية ليس فوق.

- طيب إنلمي هاتي ليشك، وما تقوليش لحد إنا مسافرين.. فاهمة وللا لأ؟

- حاضر.. ذققة وأنزل.

عانت نائسي مريعاً، وقالت لي:

- على فكرة، أنا معاً تذكرتين كنت مخياهم من دعاه.

- وأنا كان معاً ثلاث تذكر.. ها ابيع العربية، ونأخذ الفلوس.. ونطلع على

نرم الشيخ.. ونشترى من هناك، الثؤرة هناك بالهيل..

- لا.. عربية خسارة.. أنا بحبها أوى.

- إنت ها تضليقني، وتبريفيني من أولها وللا إيه؟! مالكش دغوة.

- خلاص.. الللى إنت عايزه.

منذ شهر قليلة.. اشتريت السيارة بمبلغ 120 ألفاً، والخفض لمتها

إلى 80 ألفاً، بعد إصابتها بخبطتين أو ثلاث.. من المستحيلات أن تستمر سيارة

مريب سيمية دون حوادث.

اشترت المفوضات مع صاحب معرض السيارات، وأخيراً اتفاقاً أخذ

سيارة فيات 128 ومبلغ 60 ألف جنيه، وطلعنا في السيارة الصغيرة على

نرم الشيخ، وبعد يومين على ذهب، ثم رجعنا إلى شرم الشيخ، ثم قضينا يومين

في طابا.. أي لف ونوران والسلام، وحضور حفلات في الصحراء.. نسمع

موسيقى، ونضرب ثؤرة.. وتصورت أن من الممكن أن تستمر الحياة بهذا

الأسلوب، وذات صباح قررت أن أكلم أمي وأبي، وتركت لهما رسالة على

الأسرنج ماشين:

- أنا في العزقة، ومش ها أرجع بلوقت.. أنا مش ها أرجع غير لما بقى

كوبس وسليم، أنا لازم أبعده عن جو الأصحاب دول، وأنا هنا فى أمان..

وما تخافيش يا رولا.. كله هيبقى كوبس.. أطلنى، فترة وأزمة وتعدى، وقولي

ليلى ما تارعتلى منى، صلاح هيبقى كوبس.

كنت أرى أن كريم ليس طرفاً في هذه المواقف، وأنه لا يهم،

ولأفارق عنه أن يتابع أخبارنا أو يعرفنا أصلاً.. وهذا غير صحيح.. الحقيقة

له فقط لا يظهر اهتمامه.. هو إنسان هادى، ويمكنه إخفاء مشاعره، ولم تكن

واضحة في يوم من الأيام، وليس من السهل معرفة ما يدور في عقله، ويجري في أوصافه.

تجولت مع نانسي إلى سيناء، ومعنا 60 ألف جنيه، وفي خلال شهر واحد انخفض المبلغ إلى عشرين ألف جنيه، وأصبحت جرعة الضرب عشرة. والجديد في الأمر أنني أضرب وأكل، وكنت من قبل أضرب، ولتقيا كل ما أكله والعكس صحيح الآن، إذا لم أضرب أتقيا طوال الوقت.

بعد أقل من شهر.. تبقى من المبلغ كله ألفا جنيه، وقررت العودة إلى القاهرة.. وتركت نانسي عند حسام ودعاء، وذهبت إلى بيتي، ولكنني صرخت بجراحات عالية في الطريق، وكأني أحاول الانتحار، وأخيراً.. قففت لاسم باب بيتي.. طرقت الباب فقد ضاع مفتاحي.. كن شيء ضاع، وفتحت لى رولا، ووقعت بين ذراعيها، وقلت بصوت خافت بكاد يكون غير مسموع:

- أنا مش قادر يا رولا.. تخليني أؤسسى.

دون كلام.. التمعوج وحدها تتكلم.. ساعدتني حتى أتخلصني عرضي،

وقالت:

- بابا وماما خرجوا.. مغزومين على العشاء.

ظلت بجانبى نكي، وتكلمنى وتساألنى، وتشيل المنيجارة لما تسع من

أيدى.. قلت:

- أنا لازم أبطل يا رولا.. من بكرة أنا مش هأترز من البيت.. لا.. دا لما جئنا هأخرج من الأوضة.. استعنى يا رولا، أنا اشتريت كام قرارة كودافين، ضللت لما أتعيب أشرب قرارة نمسكنى.

يا حرام.. إنها لم تفهم كلمة واحدة مما أقوله، وإن كانت تحاول لفهم

ومستأنتى:

- يعنى مش هتاخذ نانى؟

- لا.. مش هأخذ، بمن إيت ما يتفعلش بتسببني وحدي أيدا.

- مريم بتدور عليك.

- كليها وخليها تهجي بكرة الصبح.

بعد رجوع الولد والولدة، خرجت رولا من غرفتي.. ودخلت لى

وقلت:

- إيلقن.. أنا أخذت أجازة.. وأنا وأختك ومريم.. مش هنتحرك من البيت.

ولم تكن هناك مشكلة في اليوم الأول.. يوم كتيب بالنسبة لى ولكنه

من سلام، وفي اليوم الثاني أصبح الموضوع أكثر صعوبة، والكودافين طعمه

لا يمتلئ.. ولكنه يساعدني في أن أتمالك بعض الشيء.. وكان معي شريطان

لهو صليبة حتى أستطيع النوم.. المشكلة أنه مصيبة لو أخذته في الصباح، ولو

أخذته ليلا أقام ساعتين ثلاثة فقط.. وفي اليوم الثاني، ولأول مرة يكلمني بابا لى

للموضوع، وأول جملة قالها لى:

- ما تخافش يا صلاح.. أنا هأعمل كل حاجة قسى الدنيا عشان تخف..

وغزى ما هأخلى عنك.

شعرت أنه تفهم الوضع والمشكلة، وأنا مستعيان عليه، وعندما

سارحتهم بلقنى بعث السبارة، كان رد الفعل هادئا من الوالد:

- تهجي ألف عربية غيرها.. المهم.. إيت ترزخع تالى.

ولم يتوقف كريم عن السؤال عني، وأسى قالت له إننى مريض، ومن

التمثل أن تضطر للعلاج في الخارج.. ومرت الأيام الثلاثة الأولى بصعوبة

بالغة.. عشت في كابوس أسود في اليوم الرابع.. الخامس.. أسبوع، وبعد عشرة

أيام بدأت أستعيد قواي، ورجعت مرة أخرى للدواء، وأخذت تريكسان.. إنه

عقبة طلبة رصاص نقل القرد الذي يقفز في دماغى قائلا: أضرب.. أضرب.

وبعد أسبوعين عدت إلى عملي.. وبدأت أساعد سيف في المكتب

الجديد.. إنه مكتب جميل وأنيق.. واستقرت الأحوال لمدة أسبوعين.. إلى أن بدأ

الفرق بين في دماغى، ويقنعنى بإخفاء "التريكسان" تحت لسانى، وبعد ثلاثة أيام،
لرجع وأضرب مرة أخرى.

وذات صباح لم أذهب إلى العمل، ولكنى ذهبت إلى حمام، وقلت له:

- عايز أضرب يا حمام.

- معاك كام؟

- عايز كام؟

- 60 جنيه.

- ليه؟ إنت بتستهيل؟

- خلاص.. ما تزعش.. هات 50 جنيه.

- خذ.. يلا خلصنى.

ضربت، وفى ثانية أصبحت فى دنيا ثانية.. فى عالم آخر.. وبدأت يدي
تنتقل إلى أموال الشركة.. ولم تكن هذه هى المرة الأولى، ولكنها تكرر الآن من
يوم إلى يوم، وأخذ من الخزينة.. ولا أحد يذرى، ولا أحد يعرف.. وأصلاً..
لم يكن سيف يدق فى حساباته، ولا يعرفها جيداً، وكان هذا فى صالح خطتى
الشيطنية.

فى تلك الفترة ألتفتنى أمى بالذهاب إلى طبيب نفسى، وإرضاء لها، لم أسمع..
وفى أول جلسة سألنى:

- عندك كام سنة؟

- بتضرب من أد ليه؟

- عايز تبطل ليه؟

- أكثر فترة بطلتها أد ليه؟

- بتأخذ مخدرات ليه؟

- آخر مرة أحدث مخدرات إمتى؟

- النهارده.

- إنت عارف مشكلتك إيه؟

- إيه هى مشكلتى يا دكتور؟

وقف للدكتور، وخبطنى على صدرى، وقال لى:

- إنت لازم تحب نفسك.. غير كدا عمزك ما هتبطل.

انصرفت من عند الطبيب، ولم أفهم شيئاً، وقررت ألا أزوره مرة

أخرى.. أنا ذهبت إليه لإرضاء أمى أولاً وأخيراً.

تداء رباني

وفي ذات يوم، كنت عند ماجد أحد أصدقاء حسام.. وهو من سكن مصر الجديدة، ويعمل في جوازات المطار.. أحب شهادته، وهو يبدئي المشاعر نفسها، ولأنه ضابط كنت أشعر بالأمان وأنا معه، وفي يوم كنا جلوس في بيته.. وقال لي:

- إنت عارف إن أنا مسافر يوم الاثنين للحج؟

- مسافر فين؟

- الحج.

- ما كنتش ليه؟ أنا كمان عايز أحج.. كذا يا ماجد؟

- وأنا أعرف إزاي؟ عمري ما خطر في بالي إن في تماعك تحج!!

- يرفع أسافر معك؟

- تصافر معايا إزاي؟ النهارده اثلاث، وأنا مسافر الاثنين، وبعدين تأشيرات الحج إتقتل خلاص.

- بالقولك ليه.. أنا ها تصرّف.. أنا عايز تليفون.

- إتفضل.. أدى التليفون.

وعلى التليفون، دار الحوار التالي بيني وبين زوجة أخى كريم:

- إزيك يا رشا؟ وإزاي رنا دنيا؟

- الحمد لله.. أخبارك ليه؟ من زمان ما تفككتش.

- أنا على طول مسافره بنس ها أعدى عليكم قريب إن شاء الله.. كريم موجود؟

- موجود.. ثانية واحدة.

- ألو.. إزيك يا صلاح؟

- تمام.. أخبارك إنت ليه؟

- ماشي الحال.. شغل كثير.

- ريتا معك.. بالقولك ليه يا كريم.. عايز منك خدمة.

- خير.. عايز ليه؟

- عايز أسافر للحج.

- حج!! حج ليه!! تعبد الأسبوع الجاي.. وباب التأشيرات إتقتل.

- بنس مايفكش أفضل أى محاولة مع صاحبك ".....".

- محاولة ليه؟ معش خلتها السنة الجاية، بنس ترتبها قبلها بشوية.

- بنس إنت مش عايز تصاحبني؟ ولا حتى تحاول!! هو أنا غمري ما أطلب

بك حاجة ونعملها لي أبدا.. يا أخى ذا حج.. ولو جيت لي التفرز هتأخذ عليها

نوبه.

- بالقولك ليه يا صلاح.. إنت أخذت بالك النهارده بنس إن فيه حج، ويتكلمنى

كلى أنا اللي بأعمل التفيزات، ويتعدين مسافر إزاي؟ ومع مين؟ وحجز فنانق

وعزبان.. إنت فعلا اتجنتت.

- لا يا سيدى، مانتش دعوة بكل ده.. أنا ها أسافر مع أصحابي.. طباط قى

لناظيه وعاملين ترتيبات لكل حاجة، أنا بنس أجيب التفيزا.

- بنس عارف لقول لك ليه، وأقبعك إزاي؟! مش خيفك السنة دى.. السنة الجاية

وعليك خير.

- ماشي يا كريم.. ممتنكر أوى.. سلام.

وضعت السماعة، ورفعتها مره ثانية، وكلمت أمي:

- ألو يا ماما.. أنا شبه قائل السكّة مع كريم دلوقت حالا.. قلت له أنا عايز

شقة عشان أسافر أحج مع أصحابي.

من أصحابك؟

- طُفَّطُ في الداخليَّة.. ماجد، ظابط في الجوازات، والوفد مسافر بسوم الاكسز الجاي، وأنا عايز أسافر معاهم.

- وكريم يخرف يحل المشكلة دي إزاي؟

- عن طريق صاحبه وجاره '.....' بطوماسي وفي التفصيلية.. لو طُفَّطُها منه فيعملها.. أنا متأكد إنه بقتر، وطبعاً كريم فعز يترياً وقال لى ما يستقش، وهو إنت ما كنتش عارف إن فيه حج إلا النهارده.

- أنا مش قاهمة حاجة منك.

- بَصْنِي يا ماما.. الحج بالنسبة لى فرصة.. أنا عايز أبطل.. ودا أكيد الحل.. بس، كريم، طُفَّطُها قتلها فى وشى.. هو مش عايز يساعدى.. أصلى ليه لى دلو قتر؟

- طيب إنت كلمت أخوك فى لشركة؟

- لا.. كلمته فى البيت.

- طيب.. عَشْر دقائق وكُتْمِي.

أمى الوحيدة التى لديها القدرة على التأثير على كريم، وبعد عشر دقائق كلمتها:

- ماما.. عَمَلْتُ إيه؟

- الباستور فين؟

- فى البيت.

- طيب تعال خذ الباستور وضوريكى، ووصلتهم لأخوك.. وهو وعدلى بميل محاولة.

أسرعت إلى بيت أحمى، ومعى جواز السفر وضوريكى، وتُكَلِّمُتُ بزوجة أحمى رشا على الإنترنت:

- هاى يا رشا.. إنت صاحبة؟

- هاى يا صلاح.. طُفَّطُها صاحبة.. الساعة تسعة.. اطلع.

كلمت فُرُصَتِي لرؤية رنا ودنيا.. لكنهما تعودتا النوم الساعة السابعة مثلاً.. أعطيتها جواز السفر.. وبالتطبع لم أحس معها طويلاً.

فى اليوم التالى.. قابل كريم صديقه، الذى قُتِمَ إلى التفصيل للسعودى، ولدى منحه للتأشيرة، وقد كتب عليها 'منحت بناءً على التعليمات' وأخذت تأشيرة السفر من كريم وقال لى:

- إنت الوحيد فى مصر اللتى أخذت تأشيرة قبل الحج بأربع أيام.. ربنا يتقبل.. نفسى تبطل، وتبندى حياة جديدة.

- يارب يا كريم.. أنا بُعِثْتُ أوى، ونفسى أخفص من المصيبة اللتى أنا فيها دى. على الفور اتصلت بصديقى ماجد، وقلت له، وذُهِل فعلاً، وقال لى:

- رنا مهنى أحجز لك تذكرة الطائرة يا ياشا.

سارت الإجراءات فى سلامة مذهنة، وتم الحجز لى على الخطوط السعودية بالدرجة الأولى باعتبارى مع وقد الداخليَّة.. وصباح يوم السفر 'مُزَيَّنًا' على أساس أنها المرة الأخيرة فى حياتى، وأخذت معى أكثر من زجاجة 'كوداكين' وشريط 'أبو صابية'، حتى أستطيع النوم ليلاً لمعرفتى الأكيدة بشئ سوف أعلم كثيرًا فى أول يومين.

تأثر سيف عندما عرف نأى مغزى فى التوقيت نفسه الذى يفتح فيه مكتب الشركة الجديد، خاصة وقد تحمل غيابى عن العمل مرات كثيرة.. ولأنه إنسان نبيل وطيب، كان دائماً يسامح ويتجاوز، لكن الحج بالذات كانت محاولة أسخنة من قلبه..

ولبينا الدعوة الإلهية، وذهبنا إلى الحج، وكانت رحلة مباركة عظيمة ولا خطوة سهلة، وكلنا نتحرك فى دائرة مضبوطة بنور إلهى.

فى بداية الرحلة، شعرت بالتعب وكُنت لا أنام إلا بصعوبة وساعد شول كوداكين وحيات 'أبو صابية' على النوم، وكنت لا أراهما ولا أحسبهما

مخترت، ولكنها أشياء مساعدة لإيقاف التعاطى، واتحدت من الأم التوفى وأعراض الانسحاب.

وكان إصرارنا جميعاً على الاستيقاظ فجرًا للصلاة، والحرص على أداء كل الصلوات في مواعيدها بنق، غمرنا إحساس أكثر من رائع.. ما أروعها رحلة.. وكنا معروفين بفوج الضباط، وكنا نستقبل بالترحاب، ولنا معاملة خاصة وتميزة في كل مكان.

المدنية المنورة جميلة ومنورة فعلاً، وبصراحة أحببتها جداً، وأحست براحة نفسية عالية بين ربوعها.. صليت ودعوت كثيراً عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وشرح الله صدرى، ومثل لتساع السماء اتسعت أمانى فى النجاح والخروج من هذا النفق المظلم.

وأتجهنا إلى مكة..

وَبَيْتُكَ اللَّهُمَّ لِيَبْكُ.. لِيَبْكُ اللَّهُمَّ لِيَبْكُ.

ودخلنا في أجواء الحج المباركة.. وغمرنى شعور جميل، هادئ ومريح، ورغم التعب الذى لشعر به، إلا أننى كنت لشعر أيضاً أن الله معى، وبحائلى ويسئلها لى.. ومررت بثلاثة مواقف فى أيام الحج، لن أنساها.. أبداً.

الموقف الأول:

كنت أطوف حول الكعبة، وشعرت بالعطش الشديد.. فاتفق وفوجئت ببسطة مسنة تشبه جنتى، مسح بها على كفتى بركة، وأعطيتى كوب ماء زمزم، وبهذوء قالت لى:

- اشرب، وانعش.

أخذت الكوب منها وشربت ماء زمزم، وذغوت من قلبى:

"عايز أبطل".."عايز أبطل".."عايز أبطل"..

ولفت لى لشكرها.. ولم أحدها.. بحث عنها، لكنها اختفت تماماً.. إنها جنتى.. لما متأكد لها جنتى لأمى، رحمة الله عليها.. إنها تشبهها جداً.. جداً.. وظلت أردت: تشبه غريب.. فعلاً تشبه جنتى، وإن كانت جنتى بالفعل.

الموقف الثانى:

صحبنا فى الرحلة شيخ جليل وطيب.. كان يصلى بنا، وفى عرفات وجلب جبل الرحمة، جلست إلى جواره، وحكى له قصتى كلها مع التعاطى، وعن فشل محاولتى فى التوقف عن الضرب آلاف المرات، وبكسل هذوء وساعة وجه وصوت مطمئن ومريح جداً، قال الشيخ:

- لا تخف.. ربك شافيك، بس كله بإنه.

- لقيتم؟ لما مش فاهم.

- لا تخف.. ربك شافيك، بس كله بإنه.

أعاد على مسمعى الكلمات ذاتها، لكننى فى هذه المرة فهمته.. ووضع الشيخ الجليل يده على رأسى، وقرأ القرآن الكريم، وأكثر من ذكر الأذعية بينما أنا أبكى بحرقة، وسأل العرق من كل مسام جلدى، واستمر يقرأ القرآن الكريم، ويقول أذعته لمدة نصف ساعة كاملة.. وبعداً قال لى مرة أخرى، بنغمة ملققة وواقعة:

- لا تخف.. ربك شافيك، بس كله بإنه.. قول آمين.

- آمين.. آمين.. آمين.

كان من الممكن أن أظل طوال اليوم أردت: آمين.. آمين.. آمين.

وتركنى الشيخ الجليل، وذهب إلى حال سبيله، وبعت على الأرض، لأول مرة منذ زمن طويل أقام، ويعمرنى إحساس بالراحة والهدوء، والسكينة، والسلام.

يا سلام.. يا رحمة الخالق العظيم بعنده.

فمت من النوم وكلى نمت 12 ساعة متصلة. وأخسنت بأن كل شيء
حولى تغير.. رائج.. جميل.. ولنى فى دائرة مضينة.

الموقف الثالث:

الحجر الأسود، كثيرا ما سمعت عن مدى صعوبة الوصول الى حجر
الأسود خلال أيام الحج، وقتلت لنفسى: جرب، واعمل محاولة.. أرنت من أصق
قبنى لى لىمن الحجر الأسود، وأدعو الله.. رُبما يستجيب لدعواتى.
وفى لحظة تفتيت إشارة ربانية، وأفاجأ بأن أحد نفسى مباشرة ولقا لى
الحجر الأسود، وبأقل مجهود.. لم أصق نفسى.. وقفت أمام الحجر الأسود
مباشرة.. لمسته.. أمسكت به.. ودعوت المولى عز وجل أن يشفى، ولوقفت
عن تعاطى المخدرات.. وطوال رحلة الحج شربت كمية هائلة من ماء زمزم..
إنها وصية أمى، وكنت دائما أقول لى: "ماء زمزم لىما شرب له". إنها تغسل
وتنظف وتنقى.

بعد الاستجابة للدعوة الإلهية، والثناء الربانى.. بعد أداء مراسم الحج
على أكمل وجه، سرحت طويلا وقتلت لنفسى: الحمد لله.. لى أنلى أعذبت لىهذه
الرحلة.. رحلة الحج منذ شهور، لىما كانت أجمل ولا أحلى أبدا.. لشرك برب.
ونوجهنا إلى حدة قبل موعد الطائفة بيوم، وفى أحد الشوارع لمحت
أحد الشباب، غيتاى لا تخطنان هذا المنظر، إنه منمن بكل تأكيد، وكل بيتا
مقاطبنا يحنى لىه.. اتجهت لىه بخصى سريعة، لأسأله من لىن؟ وفورا
سحبنى ماجد من ذراعى بقوة قائلا:

- تعالى يا صلاح.. يا الله لىمشى من هنا حالا.

سمعت الكلام، ومشيت ومنظر الشاب لا يفارق عينى.. ومن حدة
اتصلت بالقاهرة، وكلمت حسام فى بيته فى حدائق المعادى، ولم أحصل على
الرد.. رتتين التليفون بلا رد.. جريت فى بيت العائلة، ربما تتجح المحولة..

جاعتى صوت والدته:

- لى.. مين؟

- بيده الخير يا طنط.. أنا صلاح.. لىاى حضرتك؟

- لىك يا صلاح.. إنت بتتكلم منين؟

- من السعودية يا طنط.. أنا كنت باحج.. حضرتك مش عارفة واللا إيه؟!

- لىد مبروك.. لىك ألف مبروك.. إيه المفاجأة الحوة دى؟

- الله يخليك يا طنط.

- دعيت لحسام؟

- طبعاً يا طنط.. وهى دى عازمة كلام.

- رُبنا يهديكم.. تالية واحدة.. حسام جنى.

- مبروك الحج.

- الله يبارك فيك.. إنت بتعمل إيه عندك؟

- خلى يا ماما.. مش عارف أنكلم.. بأقول لك إيه.. دعاء كلوش.

- لىاى؟

- لم شابة سلمتها.. إتجار مش تعاطى.

- يا نهار إسود!! ويعنين؟!

- إسى.. بزامتها 15 سنة.

- لىاى الكلام ده حصل؟! دى مضيبة سودا!!

- لىما نرجع أحدى لك.

- يا قول لك إيه يا حسام.. إطلع لى على المظار.. وظننى.. أضحكك.

- لكنت يا صاصو.. ذا فيه ثولاب فتح جديد.. إنما إيه.. حكاية بنت ".....".

- لا يا رجل.. قين؟

- المظفرة.. قريب من كوم السنن.. أنت هتوصل لىنى؟

نمار

عدت من الحج.. وعدت للتفكير في الضرب بأي شكل.. نسيت الحج،
نسيت الدعوات، ونسيت الصلاة. ونسيت الجدة العجوز.. ونسيت ماء زمزم..
ونسيت عرفات.. ونسيت المدينة.. ونسيت الشيخ الجليل وكلامه.
- كيف نسيت كل هذا؟ كيف؟ لست أنرى!!

وصلنا إلى المطار، ووجدت حمام في انتظارى بعد أن نفذ المطلوب
بالحرف الواحد.. أخذ النقود من يسرى، واشترى، وجاعنى المطار..
وفي الطريق سألته:

- متحج يا حمام، قل لى إيه الذى حصل مع دعاء؟
- لست.. فلم ابن ".....". يوم وقفة عرفات راحت عند أم شادية.. فقالت لها
بكره راحة تزور أمها وتعبئ عليها عشان العيد.. وطلبت من دعاء تقعد مع
عائلها فى البيت، وقالت لها خدى 30 ورقة بيعيها، ولما أرجع خدى لك
5 ورققت.. فصنعها.. بلاش تعمل كده عشان 5 ورققات، وقلت لها إنت هبلة
وعبيطة، عشان 250 جنيه تزوحى فى الحديد.. قالت لى: 5 ورققات يرفعوا
شئ ما يرفعن.. وصممت.. أنا مكنتش مستريح للفيلم ده.. راحت، وغابت..
لست يمكن لم شادية تأخرت عند أمها.. الكلام ده حصل الساعة 11:00 للصبح،
والساعة 6:00 طلعت على هناك، وخبطت على الباب، فتحت لى شادية
لمصغرا، وقلت لى الحكومة أخذت أجرة دعاء من هنا.

- وبين؟ دعاء ضاعت كده؟
- لى ونلست رخصا لها القسم.. متبهدلة.
- فتنس لها إيه يا حمام؟

- إحنا هنوصل الساعة 7:00 الصبح. المطار القديم، لو مفيش معاك قسوس
اطلع على يسرى فى المكتب، وخذ منه 100 جنيه.. واطمن أنا معاليا قسوس..
كنا مغرومين فى كل مكان ندخله.

- مائى يا معلم.
- سلام.. بأقولك إيه.. ما بتأخرش.

- ولا حاجة.. يعنى أعمل لها إيه؟ هي اللي خُمارة.

- على الأقل نجيب لها مُحامى.

- تانسى جابت لها محامى.. بس هو مش متفائل خالص، وقال هي مشكدة من

أم شابة.. واضحة زى الشمس.

- فهمت.. دا شغل الشغل يا معلم..

وكانت هذه هي نهاية دعاء.

وصلت إلى بيتي، وسلمت على بابا.. وقلت له إني مرهق من رحلة

الحج، وعندي برد، ومن الأحسن أنام وأصحو وقتما أشاء.. صلتلى والذى.

لكن الحقيقة أن البؤرة كانت شديدة.. وقيلًا نمت، وبعد ما مسحت، وشريت

سيجارة من سيجارة.. كنت نائمًا عندما جاءت أمى إلى غرفتي، ومن ورائها

رولا.. وسعدت نداءهما: 'أحمد لله على السلامة'.. ومبروك.. ففتحت مقرعًا

وفي حالة خلع.. وقلت:

- إيه ده؟ أنا فين؟

كنت في حلم جميل في الحرم المكي.. بالقرب من الكعبة المشرفة،

وكأني لازلتي في أيام الحج.. وبصوت ضعيف قلت لهما:

- ياه!! إيه ده؟ أنا في البيت؟ يووه.. دا أنا فاكِر نفسي لبسه في الحرم وأنا

الكعبة.. أنا إيه اللي رجعتي؟

وضعت رولا يدها على جبينى وصرخت:

- ياه!!! إنت سخن.. إنت مولع.

- أنا حاسن إني سخن.. أنا عيان يا ماما.

- طبيعى، معظم الناس بتراجع من الحج صيانة.

- احكى لنا عملت إيه؟

- مش قادر أتكم يا رولا.. سيونى أنام شوية، ولما أضحي أحكى لكم كل

حاجة.

- جيت ماء زهر.

- طيبا يا ماما.. يعنى هتطلبى حاجة وما اجبتهاش!!

قلت رولا.. ضاحكة:

- يا سلام.. يا سلام.. فاكِر نفسك تكثر تاكل بعقلها خلوة.. غيرك أشطر.

- سيونى أنام.

أحسست بارتفاع الحرارة، ودور أنفلونزا خطير، ومكنت فى البيت

أربعة أيام.. وبعد التحسن البسيط وانخفاض الحرارة، صممت أمى أن تمنعنى

تريكان مرة أخرى.

- يووهوه! تريكان تانى؟ ما خلاص يا ماما.

- واللى يا صلاح.. عشان يخميك من نفسك.. إختا ماصدقنا أن جسمك ضعيف،

وبك تحسنت شوية.

أخذت حبة التريكان، وصممت أمى أن تعطىها لى فى العسل، حتى

لا أضحك عليها وأضعها تحت لسانى أو أرميها، أو أى حل جهنمى آخر..

أفنت النواء ونزلت إلى الشركة، ومن بعيد رأيت 'حسام'.. أنا حفظته، بمجرد

أن لراه، أعرف هل هو ضارب أم لا؟ إنها عشرة سنين، أعرفه كما تعرفنى أمى

من لون وجهى.. من صوتى.. من طريقيتى فى المشى.. من الهالات السوداء

تحت عينى.. من أسلوبى فى الكلام.. اقترب حسام، جاعتى بخطى سريعة، لكنى

منعرة، وسألنى:

- إيه النظام؟

- تريكان.

- إيه الأرف ده؟

- أمى اصطانتنى وأنا عيان.

- معك فؤوس؟

- أمك 30 جنيه.

- تسلم.. دى كانت ميقنة.

رجعت إلى الشركة وأنا أشعر بأنى أحسن حالا، وبعد رحلة الصبح ولمدة عشرة أيام، ازداد خلاليها وزنى، والفرق واضح.. واستقبلنى الكل بحرارة وكان سيف سعيدا يرجوعى؛ لأن حجم العمل أصبح أكبر بعد افتتاح مقر الشركة الجديد، وبدأ أيضا تنفيذ فكرة الفندق الصغير.. كنت صاحب الفكرة وأعجبته ومعارض بتنفيذها.

عدت إلى العمل بحماسة حقيقية، إلى أن طلب منى سيف السفر إلى شرم الشيخ لاستقبال فوج مهم بنفسى، واستلام المستحقات المالية.. وساد القلق فى بيتنا.. أمى لا تخفى قلقها ليذا، وروى أيضا، وهذه الرحلة بالنسبة لهما مدعاة لقلق عظيم.. لكننى استلمت السيطرة على الموقف، وإشاعة الاطمئنان وهزيمة قلقهما، عندما قلت:

- أنا خلاص من ساعة ما رجعت من الحج وكله نسام.. التعليم ده، خلاص لنهيه، وغير كده أنا ناوى أقعد يومين مش أكثر.

اختلف الموقف بالنسبة للوات.. كان أمره غريبا، هو يرى لئلى بخير، وكان هذا الموضوع لم يكن له وجود، وكل شىء منضبط، وصلاح أدى فريضة الحج ورجع بالسلامة، وهو ولد ممتاز وبالتأكيد تغير، ولن يتعاطى المشذرات مرة أخرى.

سافرت إلى شرم الشيخ، وفى انتظار انتهاء مفعول "التريكان" بفارغ التسمر.. أريد أن اضرب.. متى، متى تمر الأيام؟! وتمر اليوم لثانى ثم فى اليوم الثالث صحوت من النوم، ونزلت مسرعا إلى شراء البودرة من اللند، وضربت فعلا، وبقيت هناك يومين، ولم يتكشف أمرى بعد العودة من شرم الشيخ، لكن لى لصرت على إعطائى "التريكان" وطبعاً اعترضت بشدة؛ بحجة أنه يتعاطى ويستغف قواى، وقلت لها:

- لا يا ماما.. مش ها أخذ تريكسان تانى.. خلاص.. التريكسان بيهنتى.

ولم يكن هذا الكلام صحيحاً، ولكن المعروف أن الإكثار منه يتعب تلك، ولعبت على هذا الوتر الحساس.. وقد سبق أن صممت أمى على إجراء تحليل والذهاب إلى استشارى كبير فى أمراض الكبد، وعالجنى بسبب الإكثار من تعاطى المخدرات والخمور، ونصح بالإقلاع عنها فوراً.

أجريت اتصالاً بحسام، وظنيت منه الذهاب معاً إلى الجعافرة.. المشور طويل ويحتاج إلى سيارة.. لم أذهب إلى الشركة، ولكننا انطلقنا إلى مصر الجديدة، ثم إلى طريق زراعى، وسرنا داخل البلدة الصغيرة، بحوار ذرعة إلى ل وصلنا إلى بيت صغير، صاحبه اسم غانم، وبدأنا كلامنا بالتحيات:

- صباح قف.

- أهلاً باليهوات.

هو الأولاد شغل من الساعة كام لكم يا معلم؟

نعل فى أى وقت يا باشا، يا أنا موجود، يا واحد من إخوانى.

- من إبنى إنت شغال يا غانم؟

- قف بعد بكام يوم.. اتقضوا يا بهوات.. اضربوا جواً.

دخلنا غرفة كبيرة.. ليس بها إلا الحصير، وفى ركن منها برآد شاي وبعض أكواب المياه لتقديم الشاي.. وسألنا غانم:

- شاي يا بهوات؟ سكركم أليه؟

- مشى.. سكر زيادة.

احتفى غانم بعد إعداد الشاي، ولمدة خمس دقائق.. وضربت أنا وحسام السومتين، بعد أن تأكدت أنه عمل السومتين متشابهين تماماً، لأن النصب أصبح عائياً، وعائياً.. وبذلك أتحدث مع حسام:

- أمى يا صاصو.. إحتا ضربنا نصن نكره بس.

- لا يا راجل.. وزينى ثورقة كده.

- مش بالقول لك.. صربنا نصن الورقة بس.

- غريبة!! دى بؤذرة سم.. ببور.. الموضوع ده فيه حاجة عظميا حسام..
الورقة دى على الأقل رُبْع جرام وتحتها 30 حنيه!! يعنى سن 150 جنيه
لـ 30 حنيه!! الفرق كبير جداً.. وكمان مش منطونة بأى حاجة، ولا عليها
'أبو صتيبة'، ولا نوقاسى، ولا بلا أُرُق.

- يا عم إنت زعلان ليه؟

- زعلان ليه!! أصتبر نى.. غاتم جه.

عاد غاتم ومعه تذكرة، أعطاه لى فى يدى قتلًا:

- دى واجب منى.

- يعنى أنا جيت لك 10 مرات قبل كذا، وغمرتك ما وجَّست معيا، شمسى
وجبت مع صلاح؟

- الباشا أول مرة يشرقتنى، وقتنا نوجَّب معاه.

- بَسْلم يا غاتم.. مَرَكُود لك يا معلم.. ياللا يا حسام.. نتكلل إحتسا على الله
ونشوفك قريب.. سلام يا غاتم.

- سلام يا بيهوت.

انطلقت بنا السيارة وسرَّخت طوال الطريق فى موضوع البؤذرة،
واسأل نفسى: ما هذه الكمية الغريبة؟ ولماذا يبيع بهذا الثمن السرخيص؟ ولماذا
يبيع بؤذرة ببور؟ لم أذهب إلى الشركة.. وعدت إلى البيت.. ومنظرى وشكى
واضح ومكتشف مائة فى المائة.. ولم تتحمل أسمى ومن غير كلام.. دخلت
إلى غرفتها وقلت بابها.. وعزَّ على كثيرًا أن أراها بهذا الشكل.. إنها تتألم بكل
تأكيد، وأنا أيضا.. دخلت إلى غرفتى، وقلت بابها.. ولم أر والدى، فهو
لا يزال نائمًا.. أما أختى.. فقد تزوجت من مهندس بتزول يعمل فى البحر
الأحمر، تعيش معنا عندما يسافر، وفى أيام إجازته تستمر فى الاتصالات
التليفونية كل ساعتين، وتأتى للاطمئنان علينا مرة فى اليوم على الأقل.

وبعد أن استجمعت أسمى قواها، جاعتى قاتلة:

- ميش شوب سجاير فى المريز.. مش ناقصة كمان تولع البيت.

- منى.

- برضة ضحكت على.. مش عارفة أعمل إيه؟

- طبت محتاج المرأة دى.. صدقنى القرد اللي حوًّا لى ماشى مش ينسكت

- خلتى خلاص.

لما لزم يموت.. منك لأبوك.. لنا خلاص تعبت.

فى اليوم التالى ذهبت إلى المكتب ومعى البؤذرة، رغم أننى أصرب
أن البيت قبل خروجى، وأنزل بسرعة.. وجمعتنى جلسة ونية مع سيف،
نحاولنا حول الارتباطات الجديدة، وخط سير العمل، وأيضًا تحدثنا فى أمور
البك، وضحكنا طويلاً.. إنه لا يعرف، ولم يتخيل أبداً إتنى أتعاضى المخدرات،
وهو معجب بأفكارى المبتكرة، وقال لى:

- أنا لَقَعْتُ على فرض من البك، وأخذت موافقة عليه.. عايزك يا صلاح
زوج البك، وتركز معاهم لغاية ما نصرف القرض، إحنا محتاجين سيولة نقدية
عشان الفندق.

أخذت منه كل التفاصيل، ولمدة أسبوع أذهب يوميًا إلى البك، وأجلس
لم أجمع نصف ناتم ونصف صاحى، ولم بلغت أهدف نظرى، بأنه لا يجوز
أن أبوء بهذا الشكل فى مكان عملهم بالبك، فهم يضعون فى الاعتبار أننى أقوم
بالمعاملات لإنهاء القرض لشخصيات مهمة، وإيضًا يبنو من عشايشى باختصار
ملابس أسمى أيضًا ابن عائلة محترمة.. ولكننى انكشفت تمامًا أمام العاملين فى
البك، وفى يوم قال لى مدير البك بكل صراحة:

- إحنا خلاص خُصصنا القرض، والنحصيل بكرة.. بس ياريت خضرتك تشام
لى البيت عشان محتاجين وناتم لنا فى البك.. المنظر صعب شوية.

لبغت سيف النبا السعيد.. إنه إنجاز كبير.. وذهبت إلى الشركة:

- ميروك القرض يا سيف.

- يا ااه.. أخيراً!!! إنت دلوقت تحوّل القنوس، وأنا أسافر كام يوم شرم، نفسي أعطس وأريح نفسي من التوشه اللي حصلت.. إنت لما اختفيت، أنا شئت كل الشغل لوحدي.

- خلاص يا سيدي.. عوضتها لك، خلّصت القرض، وكمال ها اثيل الشغل كل في المكتب.. ولا يهتك.

سافر سيف لمدة عشرة أيام، وتحول المكتب الجديد إلى مكان ضارب ظهر رامي مرة ثانية وأيضاً بهاء، وكان حسام يقضى معي كل الوقت، ولّاه إلى الجعافرة في رحلات مكوكية.

ولم تعد أسي تنكلم معي في الموضوع نهائياً.. كل ليلة أروح لأجدنا في انتظار وصولي، وبعد أن نطمئن على عودتي، ندخل إلى غرفتنا نسلّم ومن وقت لأخر يُحاورني والدي على أمل أن يأتي بنتيجة.

- يا صلاح، كده مش هينفع.. إنت لازم تتعالج، أنت كده خُتْمَنَ نفسك وشُتْرَا معاك.. أنا خلاص مش عارف اشتغل، ولا عارف أركّز في أي حاجة. أخذتُ مُسْتَشْفَى.. يُسَرِّك بَرَّة.. نعمل أي حاجة.. بس الاستمرار بالطريقة دي.. مُسْتَحِيل.. دا اسمه انتحار.

- فعلاً عندك حق.. أنا كذا بأتجرح.. وبأتجرع بيظء.. أنا خلاص بأتجرح خطّة علشان أبطل، وأتبنى فرصة كام يوم، وأنا ها أجى أقول لك أنا نلوى على إيه.. بس ماتخفش.. الوضع ده مش ممكن يستمر.

كلامي بيثو مطمئناً، ولكنني في أعماقي.. أعرف الحقيقة.. أعرف حجم الكارثة..

قلت لنفسي:

- خلاص يا صلاح.. خلاص إنت خلّصت.. كل محاولات التبطيل والإفلاس الماطلي فشلت.. وحتى رحلة الحج لم تُثمر.. فشلت.. الحج كان المَرَقَا الحار.. وضعت عليه كل آمالي.. وضعتها.. وضعت.

وبدأت أخذ الأموال من الشركة من بحر حساب.. وبدأت أضرب على عار اليوم.. ثلاث تذاكر.. وسيارتي 'الأكسدام' مكسور وفانوس واحد مضىء، والأمر مكسور، والخبّطات في الصّاح في كل مكان.. في الباب، والرقرف.. إيا عربية مدمن.. وتعرضت لحوادث كثيرة بالسيارة.. ولا عجب أن تصبح بجارتي بهذا الشكل، أضرب دون وعي لو تركيز.. والسيارة 128 أصبحت علّة واضعة وصريحة لسيارة صلاح المدمن.. ومع هذا لم أكن أريد الاعتزاز أبداً بأنتي مدمن.

فقدت وزني.. وأصبحت مكتوفاً أمام بسري العامل في الشركة.. أيضاً هناك مسكوتيرة فهمت الوضع المؤسف بسبب الأشكال الغريبة التي تتردد على المكتب، وكانت تصرفاتي كلها مريبة.. يا صلاح انكشف أمرك.. لدرجة حتى أصرّ بقلبهم، والحل الأمثل أن تغادر المكتب والشركة، ولا تحاول أن تواجه سيف.. أخرج من عنده ولا تُف.

بعد أن تركت العمل مع سيف.. مرّت أسي بظروف صعبة.. فقدت معها الذي كان بمثابة والدها، وكنت أصحبها إلى المستشفى لزيارته فيسبل رحله ووداع الحياة.. وكثيراً ما سألت نفسي:

- ليما لسوا: المرض أو الوفاة.. أو حياتي بهذا الشكل؟

وكنت أتردد معها إلى بيت العائلة، وهناك بجمع الأكراب لمناقشة التفصيل بعد الوفاة، وكيفية رعاية أولاده، وذات ليلة ذهبت مع رولا

لاصطحاب أمي في رحلة العودة إلى البيت، وكان معي بؤثرة وسوسة
وضعتها في الشراب، وكنت أصلاً 'ضارب'، لكنني نعدت أن أضرب أكثر
من مرة في اليوم.. وفي ثانية، دخلت الحعلم، وضربت وخرجت منه في حلة
يُرثى لها، وأمام الأقارب جميعاً.. أصابهم الذهول، وسألو:

- ماله صلاح؟

- فيه إيه؟

- عامل كدا ليه؟

- كان ليته واقف كويس!!

أجابت أمي باختصار شديد:

- دي مصيبة ثانية، ووقعنا فيها.

ولم يعلق أحد بكلمة.. هل فهموا جميعاً؟ هل كنت حقيقة معروفاً..
والمصيبة مكتوفة؟! لست أدري.. هل سكتوا ولم يعلقوا لأنه لا شيء يدل
في هذه الحالات؟ لا أعرف.. وأعرف أنني لم أحترم جلال الموقف، لو خربت
الموت.. أو.... أو.... أو....

وأعرف، وأشعر أنني لا أضرب لأضيق نفسي شيئاً ما، ولكنني أشعر
بأنني أضرب وكأنني أنقذ من نفسي.. وفكرت كثيراً في هذه الفترة في
الانتحار.. ثم إنني أجنن من أن أنتحر.. فوصل بي الحال والشعور بالأسى
العميق، إلى أن أضرب وأنا أبكي.. أضرب والدموع تنهمر وتغسل وجهي،
ولم أكن قادراً على إيقافها.

دخلت في مرحلة جديدة، وبدأت أبيع كل ما عندي.. بعث الاستريو،
بعث أكثر من ساعة، إلا الساعة التي أهداها لي الأمير في السعودية.. تألفتها

لها مرة، ولكن لم تمت إليها بدى لكى أبيها.. إنها رمز للمبادئ والقيم
الرفعة.. ولكن أين المبادئ؟ وأين القيم؟

وبدأت اشترى بؤثرة من غائم في الجعافرة.. وأبيع لأصحابي بضعف
التي 50 جنيهًا بدلا من 30، حتى أحصل على المبلغ الذي يساعدني لشراء
أدوية لضرب ثلاث وأحيانا أربع مرات في اليوم.. والمشكلة أن كل كمية
أأخذ تكفي، وفي خلال أسبوع واحد فشل الدواء؛ لأنني أصبحت أضرب
أكثر من ذي قبل.

لم أجد رولا إلا باكياً.. أمي واجمة، ولم تعد نفس الإنسان، وكل
شيء في حياتها تعرض لهزة زلزال مدمر.. كريمة لم يعد باني لزيارتها..
بها مبهوم، واقترح أكثر من مرة أن يأخذني إلى المستشفى، فكننت أقول:

- 'المستشفى' لا يمكن.. شريف لسه خارج من المستشفى من أسبوع واحد
يرجع يضرب ثاني.

وأضفت من تخيلي:

- 'أنا سمعت إن العلاج فيها بالكهرباء، وأعرف واحد دخل المستشفى للعلاج
جذوة، أنا فاشاف سكاجا ومش هأزجع إلا لما جسي يبقى تضيف، وأزجع أخذ
تريشان.. هو ده الحل الوحيد.

كان يوم أسطوانة جديدة، وكان يوم الحالة أسوأ من اليوم السابق.. مريم
لقد والله، وبعد وفاته بدلا من الوقوف بجانبها، كلّمها بحدة قائلاً:
- 'يا مريم.. ما تقيش ذنوة.. انزلي بلوقت حالا، وهاتي لي معاك 200 جنيه..
أعزلي يا مريم.. أنا تغيان جداً، ولازم أشتري دواء.

وترك مريم جلسة الغراء، وأراها هزيلة منتحمة بالسواد، وأغلقتني
200 جنيه وانطلقا بسيارتها إلى الجعافرة، وأقنعتهما أنني لا أخذ بؤثرة، ولكنه

نواء، وهو أيضاً من المنوعات، لكنى مضطراً أن اخذهُ لأتوقف عن تعليل
التوترة.

صفحة على الوجه

بدأت أرى تكره كل ما حولها.. كرهت مريم بلا ذنب.. وبدأت تلوم
الجميع.. تلوم والدي.. تلوم كريم.. تلوم رولا.. تلوم أصحابي.. تلوم مريم..
بهائم بعد فائز على الاحتمال.. ثم بعد هائلة كعادتها، وأصبحت سريعة
السب والأفعال.. وقلت لنفسى: لا خلاص.. ماما أصابها قلقت..
تجذبت، وتمحلت فوق طاقتها، واليوم فقط فهمت معنى عبارة "الغلات
الأصعب".

وفى ليلة من الليالي، زارنى أحد الأصحاب، هو ضريب، وهى تفهم
فأجداً تفهم من أسلوب الكلام، من نظرات العينين.. من الهالات السوداء،
مع هذا، وبكل الصبر جلست تناقشه وتفكر معه فى الحلول، وهى تعرف أنها
ساقطة بيرونية، ولكنها تجرب وكلها أمل.. وخلال حديثهما اختفيت لندقات
معدودة لآهز الموست، وكنت على وشك الضرب، وأجأ بأسمى تفتح باب
لصلى، وأنا أمسك الحقة فى يدي، وحاولت أن تأخذها منى.. فدفعتها بقوة
لأخرج من الحمام، فضربتنى.. صفعتنى على وجهي، واستمرت فى محاولاتها
لأنخذ الحقة.. ولم تنجح.. فهذا هو المستحيل بالنسبة لى.. أمسكت يدها بقوة،
فماضى الصلعة الثالثة، فدفعتها بعيداً عنى، فوقعت على المقعد، ورفعت
صوتى، صرخت:

مكش دعوة.. أنا عايز أضرب.. ابعدي عنى..

أدخل عند غائم، وأضرب، وأرجع إليها شخصية أخرى.. منتهى
للحن والحب، وأقبل يدها وأخذتها عن الزواج والبيت المشترك، والحياة معاً
بقية العمر.. وأى كلام.. وهى لا ترد، ولكنها لا تتوقف عن النكاح، والولول لها:
- الله يرحم باباك.. كان راجل طيب.. تماشى يا مريم.. العياط ما يستغنى
للبقية فى حياتك.

لم تكن تبكى وفاة والدها، ولكنها تبكى على ما وصلت إليه، وقد كان
أملها كبيراً فى رحلة الحج، وأنها سوف تغيرنى.. تصورت أنه سيكتب لى
الشفاء، وأرجع إلى مكاتى الطبيعى.. ولكن هذا لم يحدث.. وفى بعض الأحيان
كانت تزورنى فى البيت، وأطلب منها، وتوسل إليها ألا تتركنى، وتلمس
بعض الوقت، وفجأة أقول لها:

- أنا داخل أخذ نيش علشان أرتاح شوية.

وأدخل الحمام، وأخرج منه إلى الشارع.. وأعود بعد ساعة أو ساعتين
فأجدها لازالت تجلس فى مكانها.. وبكى.. وتساوى باكياً:

- وبعدين؟ عمل إيه يا صلاح؟ قل لى عمل إيه؟ مش عارفة خلاص.. أنا مش
عارفة.

وأبذل جهداً فى محاولة مستمينة لتهدئتها، ولا تتوقف عن البكاء..

وأيام تمر من السنين إلى الأسوأ.

فتحت الباب، والحقة في يدي، وأريد أن أضرب.. أريد هذا بشدة.
ولا أدرى ماذا فعلت، ولا أعرف إلى أين أتجه؟! إن مفتاح سيارتي في
غرفتي.. سيارتي ذات المنظر العجيب.. الخطبات في كل أجزائها، ولم يعد
فيها شبر واحد سليم.. ظننت أجزى في الشارع، بعد أن أخفيت الحقة في
ملابسي.. حزيت ضويلاً حتى وجدت نفسي أمام إحدى دور العبادة.. نظلت
الحمام، ضريت.. وخرجت.. تنقني الشارع وأكاد لا أعرف أين أنا بدقة،
ولا أعرف مصيري، مشيت هاتماً حتى وجدت نفسي على كورنيش النهر
الخالد.. جلست أنامل الشياط الماء في هواء، وأتذكر جلستني مع حمام
أو غيره من الأصحاب "الضربية"، كنا نضرب ونجلس بعدها في هدوء،
لا نتكلم كثيراً، وإذا تكلمنا فنذب حالنا ونسماعل عن مصيرنا، والمستقبل
المجهول الذي ينتظرنا، لأننا نفتقد قوة الإرادة، ولا نستطيع التوقف عن
التعاطي.

عنت إلى بيتي، ووجدت أمي جالسة أرضاً على وسادتها الخاصة في
غرفة المعيشة، وفي لمح البصر، اتخذت على قدميها قائلاً:
- لبوس رجيتك يا ماما، مش عايز أخذ داني.. لبوس رجيتك.. أنا مش عايز
أعمل إيه!

جلست على الأرض بجانبها.. أحاول تقبيل قدميها.. بكت وأخذتني بين
ذراعيها.. ارتقيت في أحضانها الغارقة في دموعها، وبصوت ضعيف وهام
قالت:

- أنا عارفة.. والله أنا فاهمة وعارفة.

دخلت غرفتي وكنت لها رسالة.. مش عشرات الرسائل السابقة..
محرو وعود ولا تنفذ.

مر اليوم.. مثل غيره من الأيام، وأصبح الحصول على النفود أكثر
صعوبة، وكل يوم أصعب من اليوم الذي سبقه، وساد النيت حالة من الحزن
والثابة، كأننا في مالم.. كل منا في غرفته، والشبابيك لا تفتح، والبيت مظلم
وكئي.. قاتم وحزين.. في بيتنا شاب ممن، يمكن أن يموت بين ثنية وأخرى،
ارتفعت جرعتي وزالت بنرجة غير طبيعية، وبدا من ثلاث ورفات،
أصبحت 5 ورفات.. ويزداد البيع عند غائم بكيمات مذهلة، عند الزبائن يزداد
يوماً بعد يوم، وكأننا أمام مطعم في أهم شوارع المهندسين.. السيارات تسروح
وتجيء غيرها، بصورة يصعب حصرها، وذات يوم سألته:

- زنايك كثر أو يا غائم!! إزاي كده؟

- كل زبون بيحب زبون يا صلاح.

- بس يا غائم التؤدة كده هاتخلص.

- لا.. متخفش.. الكمية اللي عندي كبيرة جداً.. دي غاورة بك تخلصها.

- للدرجة دي!!

- بس ربنا بيعد عنا الحكومة، أصل أنا شامم ريحة عنز.

- هو أنت مش سطيظ وعامل حسابك واللا إيه؟

- طبعاً مضط ونص.. وعامل حسابي كمان.. ما تخفش.

- سل الرينة فاحت يا غائم.. إنت عارف ليه؟

- ليه؟

- عشان الكمية بتاعتك مش عادية.. بوزرة لضيفة ومش مضروبة، ورخيصة
رخص للرب.. حاجة تعلق يا حمام؟

- إيه يا صلاح.. أنت عايز غانم بقلل الكمية واللا إيه؟

- لا يا حسام.. ولا تلق.. الكمية ختفضل زي ما هي.. بس غانم لازم بالحد ذاته، ويأمن نفسه شوية لأنها وسعت منه أوى.

مشيت أنا وحسام بعد أن اشتريتنا.. فقلت لحسام:

- إنت عارف يا حسام، إيه الحكاية؟

- إيه الحكاية يا معلم؟

- البونزة دي بونزة سهيلة.. البونزة دي من إسرائيل.

- إسرائيل إيه يا عم إنت؟

- اسمع بس التلى بالقولك عليه.. البونزة دي تزيت البلد بالكومات دي، وبالرخص ده علشان الشباب يضرب ببها.. إنت شايف للزحمة عند غانم النهارده كالت عاملة إزاي؟ التلى ماضريش يضرب، والتلى ضرب يضرب أكثر.. دي أرخص من الخشيش يا حسام.

- يا ابن '.....' جه فى بالك الكلام ده إزاي؟

- مستحيل ينسوا حرب 73.. ضربناهم والنهارده بيرودها لسا.. بيستمرونا وبيتمروا البلد.. ذى خراب يا معلم.

- نصنق.. معاك حق يا صلاح.. فعلا بونزة كثيرة أوى، ونضيفه كمالي.. كمية كبيرة ورخيصة.. رخيصة جدًا.. ده كمين.. كمين ابن '.....'.

- أصعل مؤسستين لأن القيلم ده فولانى.. وخلى بالك.. غانم مش فاضيل عليه كثير.. هتقع قريب، وها أفكرك.

رجعت إلى بيتي.. والحال كما هو عليه.. ظلام، كابة عجيبة، أو متوقعة؛ فالمسكينة أمي أصبحت حياتها مصطربة، وهي سجيبة غرقها معلم

الوقت، وإذا خرجت تقفل بابها بالمفتاح.. كل فرد فى الأسرة يحرم على مشتاته الخاصة، والذي يخفى محفظته فى أماكن مختلفة، وزولا لسي بيتها.. وهكذا لم يعد هناك أى شيء تطلونه يدي.

تحولت البوصلة واتجهت نحو مريم.. سحبت منها نقودا كثيرة اشترتها من عنها.. استوليت على مجهودها وعرقها فى العمل.. فى دقائق أو شوان معودة أضيقه، وزاد الطين بلة استغلالها، الذى وصل إلى أبعد مدى، بذلت أخذ لذهب منها وأبيعه، وهي مششمة ثامانا.. فقط تنكي بكاء مرأ.

وفى يوم من الأيام، جامنى صديقى شريف ومعه صاحبه فؤاد لأذهب معهما إلى غانم.. فلما أعراف الطريق إليه، وهو حبيبي.. طبعًا غانم لم يكن حبيبي.. بالمعنى كنت أكرهه، كراهية بلا حدود؛ لتقتى أنه عميل إسرائيلى.. وذهبت معهما، ودخلنا البلك كالمعتاد، ولكنى شعرت أن الجو مكهرب، شيء ما لا أنريه جعل الجو مختلفا.. وخرج علينا عشرات من أطفال القرية، بصرخون ويجرون فى كل اتجاه، وكانت الصبيحة المميزة: حكومة.. حكومة.

لم ندخل البلك فى اتجاه بيت غانم، ووقفنا بالسيارة بعيدا، وفى اللحظة نفسها طلع لنا فجأة من وراء شجرة، واحد من الأولاد، الذين يبيعون البونزة فى بيت غانم، وقال لنا:

- أهلا يا بيه.. الدنيا مولعة من الصبح.. الحكومة ممسكت غانم وإخواته.. عشر عريكة أسن كانوا هنا.

- يعنى مقيش شغل؟

- عاوزين إيه؟

- 12 ورقة.

- لقيقة وزاجع لك.

في لمح البصر اختفى، ورجع بعد ثوان معدودة، ومعه 12 ورقة وأخذ
الفلوس... خطنها وضار، واختفى بين الشجر... ومن بعيد استمعنا لروية سيارة
الشرطة، ولم نهتم... فتحت ورقتي وحزبت السترة، واعترض فيلاد قلائد:
- يا ابني غط كده... احزب ورقة.. ورقة.
- ماتكش دغوة.

ضربت، وكلاهما ضرب، وعلمنا أدار شريف السيارة لنعود من حيث
أتينا.. انطلقت فجأة الشيران علينا.. نهال الرصاص تحاينا.. رصاص كثير
بدرجة لم تكن نتوقعها، وأسرع شريف وجرى بسرعة خطيرة، أثبتت رأسي
على الكتبة تقاديا للرصاص، ولم أستطع رفعها مرة أخرى، وقتت الوعي بسبب
الجرعة الكبيرة، حالة "أوفر دوز"، واستمر شريف يجري بالسيارة بسرعة
رهيبية، حتى نجح في الهروب.. وفيما بعد عرفت له ثم القبض على المئات في
ذلك اليوم، والتكثير منهم أعرفه، وبعضهم من أصحابي.

ظلت فاقدا الوعي حتى وصلنا إلى بيتي، ولم تكن عند شريف فرصة
ليتوقف بسيارته في محاولة لإقلاقي وإيقاذي.. وفي ظل هذه الظروف، المعروف
والطبيعي بين الضريبة، أنه إذا مر أحدهم بعمل هذه الحالة، يفتح باب السيارة،
ويبقى به خارجها وانتهى الأمر لأنها مسئولية خطيرة، والموقف اتى مسررت
به مع ميتو ذات يوم، تاجر الحنوث، ولا يتكرر.. وكان من الطبيعي جدا
أن يفتح شريف باب سيارته، ويرمى في أى مكان على الطريق، وينص ينه
من المسئولية.. لكن شريف رجل عشرة عصر، ولم يفعل هذا، رغم أن صاحبه
فواد الذي كان في صحبتنا قال له، بدلا من المرة، ثلاث مرات:

- نرّميه في أى مكان.. نحطه في الطريق ونخلص.. لو قام يبقى كويس وشه
عمر، لو مات يبقى إحنا برؤ التيلة دى يا معلم.. المشرحة مش ناقصة قطة.
اختار شريف الموقف الرجولى، وصمم أن يأخذنى معه إلى بيتي، وكان
مصادفة أن أهله وقتها سافروا إلى مرسى مطروح، وفي البداية رسم خطة

للخطف بي إلى المستشفى، ولم ينفذها لأننى أفتت بعد أن عمر رلى بالمياه،
وضربنى على وجهي إلى أن أخذت أنفاسي، وأفتت قليلا من الإغماء..
وهذا الفتنة من هذه الورطة الخطيرة، فقال لي أمام باب عمارته:
- يا أهني سافروا النهارده مرسى مطروح.. أطلع عندى لغاية ما تقوء،
لم يكن لدى القدرة على الاعتراض أو الموافقة.. واعتبر سكوتي معناه
الموافقة، فعلا خرجنا من السيارة، وطلعا بيت شريف.. امتدنت على زراعه،
ويش بجانيه صاحبه فواد.. وطبعنا منتظرنا عجب، بل مرعب.. وفي العسارة
بلسا بسكن أقارب أبى، والبنهم للصغير عادل، وهو أصغر منى، وكان يعتبرنى
بته الأعلى، إذ كان من أشد المعجبين بأسلوبى فى اختيار ملابسى، وفي حبس
النقر، والبيارات، وعلاقاى العاطفية وصداقائى مع البنات، ودائما يقتخر بى
أولم أصحابه، ويحكى لهم عنى، وعن مقامرائى، وفيما يستو أن أحث أبناء
العمارة رآنى فى تلك اللحظات البائسة، فأسرع بنشر النبأ، وعرف عادل،
وجامتى مسرعا عند شريف.

واستقبله شريف مرحبا:

- أهلاً يا عادل.. أخبارك إيه؟

- أنا كويس.. هو صلاح عندك؟

- أبوه موجود.. عندى فى الأوضة.. بس ثعبان شوية.

- ممكن أدخل أشوقه؟

- أه طبعاً.. تفضل.

- إنتك يا صلاح.. إنت كويس؟ أنا عادل.

وجذنى عادل فى السرير، شبه دائم، ولا أستطيع أن أفتح عيني.
وبصوبة ففتحتهما، واعتقد لى كنت أتكلم بصعوبة بالغة، وقلت له:

- لربك يا عادل.. إنت عرفت إزاي إلى هنا؟

- أصحابى قالوا لى.. ماتك يا صلاح؟ فيك إيه؟

- لا.. لا مفيش حاجة.. ما أنا كويس أهو.

- شكك تغبان لوى.

- ولا تغبان ولا حاجة يا عابوول.

- طيب مش عايز حاجة؟

- لا شكرا.. وسلم لى على أهلك.. واحد.. واحد.

مشى عادل، أو هكذا تصور، ولكنه خرج من الغرفة وحسن مع شريف، وظل ينكى.. وينكى، وأخيرا سألته:

- صلاح مش طبيعى.. أحبب له دكتور؟ أعمل له إيه يا شريف؟

- ولا حاجة.. ما نبقاش خولف كده.. هو بمن نقلها حشيش.

ظل عادل ينكى، وهو حائر بين أن يذهب إلى أهله وأن يشرح لهم حاله، وبين السكوت وكتمان الخبر.. وأخيرا تماسك وقال:

- شريف، أنا فى بيتنا، ولو فيه أى حاجة ممكن أعملها.. لرحوك تقول بسرعة.

عدت إلى بيتنا فى اليوم التالى، ونشرت نبأ القبض على غانم وأخواته، وبقت أسفى على نهاية دولااب الجعافرة، بقدر معاننى البالفسة للقبض على غانم.. هذا العميل الإسرائيلي.

ومن جديد بدأت مع حسام فى البحث عن مكان وطريق آخر، وذهبت إلى حى الأزهر، وعرفنا أحد الأصحاب على تاجر أقمشة فى الحسبل، يبيع الثوبرة.. لكن المشكلة أننا تعودنا جرعات عالية، وعلى ثوبرة نظيفة، ورخيصة، ولم يعد هذا ممكنا.

أول نوفمبر

لم نعد سيارتى صالحة للركوب.. أنهت عيبتها رحلات الجعافرة والحدوث الكثيرة، وأصبحت الثقلات بالأتوبيس والتاكسى.. ولم أعد أجد خلا للحصول على النفود، ورأيت الدنيا سوداء بلا شعاع ضوء واحد.. تلبلى

طويلة، وفى الصباح لا أدرى ماذا أفعل.. لقد سلكت كل الطرق وفكرت أكسر باب غرفة أمى.. يا إلهى، هل وصل بى الحال إلى هذه الدرجة؟ أيام زمان كنت أفكر قبل الإقدام على أى عمل خطير، وأسأل نفسى:

- لئلا أترى؟ معقول؟ طيب إمتى؟ وأسرقي إيه ومن؟ إزاي ما حدش يكتشف؟ مرة طلق فتنة.. مرة فيديو.. مرة ساعة.. مرة سجادة من المخزن.. ومرة لبوة بوتايج.. أى شيء يمكن بيعه.

وفى يوم أخذت بتكتين من بدل بابا الشوى، وقررت نروح أنا وحسام بيهم فى الحسبل، وفى الشارع قابلقا والدة حسام، وسألتنا:

- رايحين على مين بالذلل دى؟

- رايحين لوتحيها التتضيف.

اختلف الوضع الآن، ولم أعد أفكر: متى أسرق.. وماذا أسرق.. ولو عرفوا.. لو اكتشفوا.. لا بهم..

ولم يكن أحد فى البيت.. فقررت أن أكسر باب غرفة أمى، وبعد أن كسرت الباب، كسرت الدولااب، واكتشفت أنها غيرت أماكن المجوهرات ووضعتها فى شنطة صغيرة ولها مفتاح أيضا، ووقفت أمام الدولااب المكسور، ولقشنة المليئة بالمجوهرات.. وقفت أفكر: أمانى عدة اختيارات: سبائك ذهب، لؤلؤ ذهب، ساعات، كاميرا فى الدولااب.. وبينما أنا فى حيرة.. أفكر فيما أخذه، وجدت بابا يقف أمام باب الغرفة، وسألتنى:

- بتعمل إيه؟

- بصلح الدولااب.. أصلحه مكسور.

طبعاً.. كلام فارغ لا يدخل العقل ولا يصنق، قفل:

- دولااب إيه التى أنت بتصلحه؟ إنت خلاص وصلت للمرحلة دى؟

- مرحلة إيه بس؟

- لستم.. أنا هنا سيب لك البيت، وأروح أفقد عند أمي.. خلاص، اضل قنسي
إنت عايزه.. بيع كل حاجة.. نمر البيت عشان نشتريج.. أنا خايل.

فعلا.. فتح بابا الباب، خرج وفركنى وحذى.. نعم وحذى نفسها.
ولا أعرف ماذا أفعل بنفسى؟ طعنا أنا فقتت عقلى.. لقد خنت.. وجلست على
أقرب كرسي.. أبكى، وأبكى، وأتجول بعينى فى كل ركن فى البيت، وأتجول
أنى فعلا سأبيع كل شىء.. هل أنا فعلا وصلت إلى هذه المرحلة؟

هل يصبح بيتنا مثل البيوت التى دخلتها ولم أحسد فيها إلا السرى،
وفى بعضها لم أحد السرى.. لقد فعلنا هذا فى بيت حسام فى حداثى المعادى..
بعنا كل شىء، حتى أبواب الغرف بعناها.. لم يعد هناك أى شىء فى تلك البيت.
افتحمت غرفة أمى مرة ثانية، وأخذت غولش ذهب، ونزلت بسرعة
وقابلت حسام، وقلت له:

- ياإله بيا على الحسين، نفور ذول ونضرب.

- حبتهم إزاي دول؟

- ولا حاجة.. كسرت دولاب لى.

وهناك فى محلات الحسين، بغا الذهب، واشترينا السورة وقعنا
نضرب.. والمشكلة أن السورة مهما كانت كثيرة لم تعد كافية، والمشكلة الأخرى
أننا نضرب على مدار اليوم، ابتداء من الصباح، إلى آخر الليل دون توقف.
وشمن بيع الغواش انتهى عن آخره بعد أيام قليلة.. لم تعد معنا سيارات، وكنا
نضرب فى التاكسى، ونضطر أن ندفع إلى السائق، لنسمح لنا بالضرب ونحن
على الطريق.

لمى أصلحت باب غرفتها، وعملت له قفل كبير، ولم تعد تخرج من
البيت.. وكل يوم تزورها رولا مرتين، وأحياناً ثلاث وأربع مرات، وأتى أيضاً
لم بعد يخرج من البيت.. ظل حبيساً فى غرفة المكتب، يخرج منها إلى المطبخ
أو إلى الحمام.. ومن الحمام إلى غرفة النوم.

وتوقفت الخلافات أو المشاحنات أو المناقشات الحادة بين الوالد
والابنة.. واعتقد أن كل واحد منهما كان يشعر بالذنب، ويشعر أنه السبب
فيما حدث لى.. وفضل والذى أن ينتقل إلى غرفة نوم مستقلة.. فقد كان يخشى
أن يتحمل مسؤولية ما أفعله فى غرفة نوم لى، وبالذات بعد الموقف الذى رآه
نفسه، وأن كل مايقع تحت يدي أسئلى عليه وأبعده.

فى واقع الأمر.. الوالد رجل طيب، وبعد كل البعد عن أفلام التخريب
والموتوغات والمخدرات.. كانت تفوق كل تصورات.. وأخيراً اجتمعت العائلة
كجها معاً وحضر الاجتماع العائلى: بابا، ماما، رولا وكريم، وكانت هذه أول
مرة يتكلم فيها لى كريم معى فى هذا الموضوع:

-وبعدن يا صلاح.. أخبرتني إيه؟

-أخبرتني خير إن شاء الله.

-خير إزاي مع اللي إنت بتعمله ده؟ إنت عارف يا صلاح.. إنت مالكش غير
هل واحد.. زمالة المدمنين المجهولين؟
-لستم؟!

عاد كريم وكرر الجملة نفسها مرة أخرى..

-اجتماعات "المدمنين المجهولين" و"برامج الانقاس" خطوة؟

-أنا مش فاهم إنت بتقول إيه؟! إنت عارف الحل عندى إيه؟! هما 500 جنيه،
وكل المشاكل تتحل..

انتهت الجلسة مثل غيرها من الجلسات، وأنا رفضت كل الرفض
الذهاب إلى المستشفى، بحجة أن "فلان" دخل المستشفى 7 مرات و"فلان" دخل
3 مرات، و"فلان" خرج من أسبوع، وصرت مرة ثانية.

أمانة المدمنين المجهولين NarcoCity Anonymous World Services, Inc.
الهيئة عن المدمنين المجهولين وقتت على السماح باستخدام المعلومات التي لا تضر بعضها في هذه الرواية فقط.

لم أعرف ماذا كان يدور في ذهن كل واحد من العائلة.. ولكن ما أحسسته أن هناك بأسًا واضحًا واستسلامًا تامًا، في مواجهة لين يموت أسلمهم وبيط.

الشارع

وفي يوم من الأيام.. ضربت كمية قليلة، تجعلني متماسكًا ولكنها لا تكفي.. واستيقظت صباح اليوم التالي، وقد جُنُ جنوني، وجدت أمي نائمة، ولم لحد والدي، فتحت دولابه، وسمعت نداء بائع الروبليبيكا، قلت له:
- اطلع.

طلع الرجل، وبدأت أخوّل له ملابس والدي: أربع بدل، ثلاثة أحذية، واحدًا جديد في علبة، وأكثر من قميص، وأكثر من بلوفر وحاكيت.. وبدأت تفترض على أثمان بيعها: البذلة ثمنها 2000 جنيه، بعثها بمبلغ 50 جنيهًا، لخداه ثمنه 300 جنيه.. بعته بمبلغ 20 جنيهًا، القميص ثمنه أكثر 200 جنيه، بعه بمبلغ 10 جنيهات، وأصبح كل المبلغ 360 جنيهًا.. فقلت له:
- يا رجل حرام عليك، ترى البذلة من ذول جديدة بألفين جنيه، والجزمة وحدها ثمنها 300 جنيه.

- خلاص.. عشان خاطرك 380 جنيه في البيعة كلها.

- ماشي.. باللا بسرعة خلصني.

وبدا الرجل يعد النقود، وفي الدقيقة ذاتها، وجدت بابا واقفًا أمامي، شهد المنظر، وفعل بالفعل:

- إيه ده؟ فيه إيه؟ إنت بتعمل إيه؟ بتعمل إيه؟

- ما عرفتش.. ما عرفتش.. ما عرفتش.

استيقظت أمي، ووجدت الباب مفتوحًا، والرجل لا يزال واقفًا، قال والدي للرجل:

- انزل يا عم.. انزل.. متقش حاجة عندنا للبيع.. انزل.

قالت ماما:

- إيه اللي حصل؟ فيه إيه؟

- شوفي إبتك بيعمل إيه!! بيعبع طومى ليئاع الرؤيا بيكيا!!

بدأ وأندى يجمع ملايمه من أمام الباب، وأنا أفف جنب الباب، لا أترى ماذا أفعل.. نظرت أُمى لى، وبجسم فالت:

- اطلع برء.. أفتح الباب وأخرج ومازجعتى نانى.. إختسا اكتبينا بالخراس
الاسين.. نبتل، مانبتلش.. إختا مش غايزينك.. لنا خلاص إنى مات.. بكره
ها أنشر صورتك فى الجورنال ولتقبل فيك الغراء.. اطلع برء حالا.

- بتنى إيه أطلع برء؟

- يعنى أخرج من هنا، بروح مطرح ما تروح.. البيت ذا مش بيتك.. يا أولك
اطلع برء.

- طيب ها امشى.. بس أذهل أخذ الحاجات بتاعى.

- إنت كمان مانتكش حاجة هنا.. كفاية جدأ اللي إنت أخذته.

فتحت الباب وأخرجت..

يا ساتر.. أول مرة أخذنى فى الشارع.. وفغلا بس عندى مكان أذهب
إليه.

وقفت فى الشارع.. ضياع وملساء كاملة.. وكل ما أعرفه أنى متعب
للغاية، وأريد أن اضرب، ولا أعرف ماذا أفعل، وذهبت إلى أقرب تليفون،
وكلمت مصطفى، وقلت له:

- أُمى طردتني من البيت.. ومش عارف أعمل إيه؟

- إيه؟ إيه اللي حصل؟

- قصة طويلة.. المهم من فضلك، تعال بسرعة، وهات معاك أى فلوس..
أنا مقيش معابا ولا مليم، ومش عارف أروح فين.

- حاضر.. نص ساعة وأكون عندك.. ألقبك أول الشارع.

- مامى.. مانتا خوس.

وجاينى مصطفى، قبل أن تمر نصف ساعة، وبمجرد أن رأتى، سألتنى

لى بأول:

- إنت عامل كده إيه يا صلاح؟

- عامل إزاي يعنى؟!

- شكك اتغير.. ومعين إنت حبيت جامد لوى، إنت كذا هتخفى.

- لا يا مصطفى.. أنا كذا ها اموت.. البؤرة دى هتموتلى.. وخلاص مش

عارف أطلع.. جيت لى فلوس أد إيه؟

- جيت لك 300 جنيه.. والله ههه اللي معابا.. ويمكن أجيب لك بالتيل نانى.

- لا.. لا.. كفاية كده.. وصلى الحسين.. وميىنى هناك.

- حاضر.

وقل أن أزل من سيارته، وبكل قلب طيب قال لى:

- خلى بالك من نفسك يا صلاح.

- ربنا يستر.

وجريت على التاجر لشراء البؤرة، اشترت بمبلغ 200 جنيه،
والشرط شرط "صلية"، لأننى أعرف أنتى لن تضرب مرة أخرى بسهولة..

وبالشرط أخذ منه لولا حتى أنام ساعتين أو ثلاثا.. وظللت أمشى فى شوارع
الحسين.. أجلس على القهوة، وأقوم وأجلس على القهوة الثانية، وفى النهاية
كنت مريم.. قلت لها:

- عايز أشوك يا مريم.

التقينا.. جاءت مريم فى سيارتها، وجلست جنبها، وأول حملة قُنتها:

- أنا عايز فلوس.

انفجرت قاتلة:

- أنا مغيب معيا قلوب.. أنا خلاص قست.. ولا معيا ذهب.. ولا معيا
أى حاجة خلاص.. وما بقش أفتر أتصرف لك أكثر من كده.

إنها أول مرة نكلمنى مريم بهذا الأسلوب.. كانت صدمة قاتلة.. أكمل
قاتلة:

- إنت عمرك ما هتبطل.

- لا.. أنا هابطل.. أنا لازم أبطل.

- دى المرة المليون اللى بلسع فيها الكلمة دى.

- لا.. أنا هابطل، وعازبك نساغينى يا مريم.

- أسألك!! أهمل إيه يحيى؟ ذا أنا عملت كل حاجة فى الدنيا.. كل حاجة تتعمل
وما تتعملش.

- لا.. المرة دى مختلفة.. أنا لازم أبطل.

- بطل لو حذك.

- إنت عارفة إن ماما طردتني من البيت النهارده الصبح؟

- والله؟ عطلانة.. دى كان مفروض تطردك من زمان.

- أنا مش عارف أروح فين؟

- رُوح مطرح ما تروح.. رُوح لأصحابك الضريبة.. رُوح لحسام أو شريف
خلّهم ينفقوك.

- إهدى على يا مريم.

- أهذا عليك؟ أهذا عليك لراي؟ هو إنت كنت هذيت على 14؟ إنت نمرتسى
إنت نمرتسى ونمرت كل اللى حواليك.

بكبت.. بكبت.. بكبت بخرقه.. ولكنها واصلت كلامها قاتلة:

- إنت بتعط على إيه؟ بتعط عشان مش عارف هتروح فين؟

- لا.. باعط على اللى أنا فيه.

- إنت اللى عملت كده فى نفسك.

- عصب على.. والله عصب على.

- بفتح آخر حاجة عندي.. إنت زى الحصان اللى لازم يخضرب بالدر وبموت.
وفجأة لو قفت سيارتها فى جانب من الشارع، وقالت لى:

لؤل.. إنزل.. خلاص.. مش عايزة أشوفك تلى.. إنزل الشارع.. هسى دى
لؤل.

- إرجوك يا مريم.. ما تسبينش.

لؤل.. فضل إنزل.

نزلت من السيارة باكيا.. وقلت الباب.. وانطلقت مريم بعيدا.. ظلمت
لنظرى الاتجاه، الذى سارت فيه سيارتها.. ولا أكلا أصدق ما حدث.. ذهبت
الشيخة اللى لم تقصينى أبدا فى أى يوم من أيام حياتي.. كنت أتوقع هنا من أى
مطلق فى الدنيا، إلا مريم.

ركبت الأتوبيس المتجه إلى الحسين، واشترت بوردرة بسلع 80 جنيهًا،
وبقى معي 14 جنيهًا، واشترت سجاثر قرط.. وظللت لأجول فى شوارع
الحسين حتى الساعة الواحدة ليلا، وليس عندي مكان أذهب إليه..
وأخيرا كلمت حسام، وسألتني:

- إنت فين؟

- فى الحسين.. بأقوك إيه.. أنا عايز مفتاح شقة المعادى.. مش حفصل ألف فى
الشارع كده.

- مش مشكلة.. بس خلى بالك الشقة قاضية.. مقبش فيها أى حاجة.

- ما لنا عارف يا خويا.. ما هي اتقورت على إيدى.. نص ساعة وأكون عندك.
ذهبت إلى حسام، وأعطاني المفتاح، ومشيت.. مشيت، فقد توقف عمل
الأتوبيس، وليس معي النقود اللازمة لركوب التاكسى.. وأصبحت للجنيه قيمة

كبيرة، وعندما أركب الأتوبيس أحاول الهروب من للكسارى.. هكذا أصبح
حائى.. دخلت الشقة الساعة الثالثة فجراً.

لم أجد فى الشقة كرسيًا واحدًا.. وانغرف دون أبواب.. فقط الأرض
مغطاة بالموكيت.. وليس بها كهريساء، فاستخدمت الكبريت لأرى المكان،
واستكشفه، ولم أجد شيئًا.. والغرفة التى كنت أعرفها، وكنا نصرب فيها، هى
الأخرى ليس بها شيء واحد، كبير أو صغير.

جلست على الأرض، وظهرى للحائط.. وجعلت نراعى وسادة،
وفرنت جسمى وتمت على الأرض، والشريط كله يدور أمامى.

من أين جئت؟ المشوار بعيد.. وشعرت بالبرد الشديد، وكان لعل
الوحيد أن النكش، وأنكوز* داخل نفسى، وأقترب بركبتى إلى صتري.. معزوة
بائسة وفائلة لاكتساب الدفء.

إننى خائف جدًا.. لكن ماذا يخيفنى؟!

فلان مات فى هذه الشقة "أوفر دوز".. وللظلام داس.. ثم هل هناك
خشرات يمكن أن تزحف فوقى أثناء نومي؟

فى النهاية، وأهم شيء أننى بين أربعة جدران، وفوق رأسى سقف
شقة، وقد أستطيع النوم.. ولو قليلًا.. قليلًا جدًا.

إنها ليلة من أشنع الليالى التى مررت بها فى حياتى كلها.. خسرت فيها
الكثير.. خسرت أهلى.. خسرت مريم، وفى نهاية اليوم ملقنى على الأرض..
فوق موكيت، ورائحة التراب هى الشيء الوحيد الذى يملأ أنفى.

نمت من شدة التعب والإجهاد.. المشوار طويلاً، واليوم ثقيل
والإحساس بالضيق لم أشعر بقلته مثلاً شعرت به فى تلك الليلة.. نمت لساعة
الرابعة، وصحوت على شعاع النور داخل الغرفة، وكانت الساعة السابعة.

يا ساتر.. ما هذا الحال الذى أمر به؟

كنت عبارة عن تراب.. كلنى تراب.. وقتت بصعوبة، وبدأت أنفص
التراب عن ملابسى.. وعن جسمى، ودخلت الحمام.. الرائحة كريهة، غسّلت
وجهى بالماء.. وللأسف لا توجد مرآة لأرى شكلى.

خرجت من تلك الشقة المهجورة، وقعدت على المقهى، وطلبت "واحدًا"
لبنى، وجلس بجانبى رجل كبير، رجل عجوز حدًا نظر إلى، وقال:
- يا رب! شكلك شابل فموم الدنيا على دماغك.

- واكثر من فموم الدنيا كمال.

- مخرج.. هابت.. والله هانت.

- يارب.. من بقك لباب السماء يا حاج.

- السلام عليكم.

- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

لم أكن أعرف إلى أين أذهب.. ومن يساعدنى؟ من يتقضى مما أنا فيه؟
ذهبت إلى حسام لأعطيه المفتاح، وقُتلت له:

- ها أتوف مكان ثانى النهارده.. الشقة دى ما بتنفّس.. أنا خلاص ها أبطل..
من النهارده ها أبنى أبطل.. مش عارف أعمل إيه يا حسام.. بسن أنا لازم
أبطل.

- طيب هتروح فين؟

- ما أعرفش.. هاتصرف.. ما تنفّس.

كلمة لا أعرف.. كانت الكلمة الوحيدة للإجابة عن كل الأسئلة؛ لأننى فعلاً..

لا أعرف أى شيء..

لا أعرف إلى أين..

لا أعرف كيف أعيش..

لا أعرف أين لأم..

لا أعرف كيف أتوقف..

لا أعرف ماذا يفعل أهلى الآن..

لا أعرف.. لا أعرف.. لا أعرف..

الثلاثاء/ نوفمبر

الساعة 11:00.. الساعة 12:00.. الساعة الواحدة.. الساعة الثانية..
وأنا ماشى.. ماشى.. لا أعرف إلى أين؟ وماذا أفعل؟ وإلى من أجد؟
وما مصيرى؟ من يأخذ بيدي؟ هل أذهب إلى شريف؟ إنه عاد إلى المستشفى..
ميدو؟ لا ولف لا.. لن أجعل علاء يراى هكذا..

يا لهى.. خذ بيدى.. وفى الثانية نفسها، قابلت عادل، وكنت لتساعة
حوالى الرابعة، وكان وحده فى سيارته.. وعنتما راى، ضغط على الفواصل
بقوة، ولوقف سيارته ونزل منها، وأسرت إليه قائلاً:
- لزيك يا عادل؟

- كويس، الحمد لله.. لزيك إنت يا صلاح؟
كنت واتقا للى أبنو مرهقاً، متربناً، وذقنى طويلة، وفى غاية التعب..
منظرى بالتاكيد فى حالة يرثى لها.. ركبت سيارته، وقلت له:
- هات سيجارة.. أمى طرقتنى من البيت امبارح.. عايز شغفكم التلى فى
العجوزة لمدة كام يوم.. الأيام الثلاثة أو الأربعة طول لازم أعتيهم.. أنا عارف
مما أصعب حاجة فى الدنيا، إنما لازم.. وبعتين أرجع تانى البيت عند أهلى
وأنا ميتل..

- حاضر.. حاضر.. ها أروح أجيبك المفتاح، وآجى على طول..
- بين إمتنع يا عادل.. مش عايز حد يعرف.. ولا أى حد..
- حاضر.. متخافش.. مش ها أقول لحد خالص.. حالا راجع لك..

وقفنا فى شارع جانبى.. وبعد دقائق معدودة، رجع عادل ومعه المفتاح.

- بللا بينا، ها ارتبك على هناك على طول..
- مش عارف أقول لك إيه يا عادل.. إنت أنقذتى..
- ما غلوش كله.. إنت أخويا الكبير.. إنت نسيت واللا إيه؟
- لا لا كبير.. ولا حاجة.. أنا بقيت الصغير.. والصغير أوى كمان.

- قا عايزك ترجع تانى.. صلاح بتاع زمان..
- لما كمان عايز أرجع تانى.. بين مش عارف لزاى؟
- الإردة والعزيمة.

- قول أكثر كلمتين كرهتهم فى حياتى.. ما عنيش أى إرادة، ولا أى عزيمة..
لموضوع طلع صعب أوى يا عادل.. أوى.. أوى.

وصلنا إلى المنزل، واكتشفت أن عادل معه شئطة صغيرة فيها ببجامة
وقوات حلقة، أعطاهما لى.. ثم قال:
- لعل إنت.. خد كش ولما ها أنزل أشترى كام حاجة وآجى على طول.. عشر
نقار لو ربع ساعة وأكون هنا.

دخلت لحمام.. وبصيت فى المرآة.. ياه!! إيه ده!! مين ده!! ده مش
صلاح.. ده واحد تانى ما أغرلوش.. هو شبيهى.. بين أكيد مش لانا! أكيد مش
لانا! أخلت كش.. يا نهار أبيض!! تراب وسواد نزل من جسمى.. لم يحدث
لى من قبل، ولم أوه فى حياتى.

عاد عادل ومعه شاي وسكر، وخبز، وحشة رومى، وسجائر،
وعصير، قلت له:

- لا أول مرة أوى البيت ده.. الشقة واسعة وحلوة، وكمان فيها كل حاجة..
- لمطروض أتجوز، وأعيش هنا.. بين ليته شوية.. لانا شغلت التلاجة، وخطبت
الدهيا الجيلة وقعيش وعصير ونقش يا سيدى عبتين سجاير..

- شكراً يا عادل.. جميلك ذه مستحيل أنساه طول العمر.. بس أنا مش عارف إنت مبتأمني إزاي على البيت ذا كله؟
- مع كل اللي حصل.. وكل اللي شفته، وكل اللي سمعته.. أنا ما أفترس لسبك فى الشارع.. وحى لو بعثت كل حاجة فى البيت، مش ها أنتم إني جيتك هنا.
- ما تخافش يا عادل.. أنا مش ها أمد إيدي على أى حاجة.. ومن فضلك على مفتاح الشقة معاك.. أنا مش عايزه.. لو نزلت من البيت ده، معناه إيسى مش ها يرجع، وأنا فعلاً مش عايز أنزل من البيت.
- زى ما بعتجك.. أنا ها أمشى، وأجى لك بكرة.. للألف التليفون مش شغل.. بس فيه تليفزيون وفديو وأفلام كمان، أمى أى حاجة تضيق وقت وخلاص.
- ما تتأخرش على يا عادل.. أنا محتاج لك جنبى اليومين دول.
- مع السلامة يا عادل.

خرج عادل.. وتركنى فى البيت وحدى.. وحذى تماماً.. الليلة الأولى كانت عادية، لازلت للودرة فى جسمى، فلم تكن عندي مشكلة، وأخذت حبة صليبية، ونمت.

الأربعاء / نوفمبر

استيقظت الساعة الحادية عشرة صباحاً.. بدأت يومى بداية صعبة.. أفتح التليفزيون، جربت تشغيل للقبو لدقائق.. عملت كوباً من الشاي.. لم أستطع تناول الإفطار، أيضاً لا أستطيع أن أشرب السجائر.. السجارة بتعيقني جداً، ثقيلة وليس لها طعم، عقارب الساعة تتحرك ببطء غير عادى.. أريد تلووم أن ينهى، وبسر شكل أو آخر..

جامنى عادل الساعة الثانية.. كنت لازلت أستطيع الوقوف على قدمي،
- جلسنا معاً، وسألنى:
- عادل إيه؟ تبهان؟ تحب تشتري دوا معين؟ طيب عايز سجائر أو أكسل أو أى حاجة؟
- لا يا عادل.. مش عايز أى حاجة.. دا أنا شريت أربع سجائر بيس من بارج، مش قادر أشرب سجائر.
- كان عادل يريد أن يساعنى.. ولكن المشكلة أنه ليست هناك طريقة لمساعدة.. لا أحد يملك مثل هذه العصا السحرية، فقلت له:
- إزول إنت يا عادل وشوف ورك إيه.
- يعنى وركيا إيه يعنى.. قل لى إنت بتر أعلبك إيه؟
- ولا حاجة، إزول وأنا أدخل السرير.. يمكن أنام.. وأنت تعال لى بكرة.
- تحب أجى لك بالليل؟

- مكش داعى شجى.. هتيجى تعمل إيه؟ تعال بكرة.
خرج عادل.. تركنى وحدى تماماً، والحقيقة أنسى أردت أن أنفرد بقى.. لا أستطيع الكلام.. وعندى لكتاب لا يمكن تصوره، وبدأ الصداق.. وعندما جاء المساء، شعرت بالأم المنص والإسهال ومسلل العرق ورشح ألف لا يتوقف، وتكسير العظام.. أخذت حبة صليبية، ونمت فوراً حوالى الساعة لثانية عشرة، وفى الفجر، حوالى الساعة الرابعة، استيقظت وأخذت حبة صليبية أخرى، ونمت حتى الساعة الثامنة صباحاً..

الخميس / نوفمبر

استمر تأثير "البرشامة"، فأسرعت لأخذ الشش، ولزاد الشعور بالثعب.. نعم إننى متعب جداً، وبدأت أتجول فى الشقة.. أدخل غرفة.. أخرج منها إلى غرفة أخرى.. أفتح التليفزيون.. أقتل التليفزيون.. مقاومتي تنهار..

الأب

وصلت إلى بيتي في حدود الساعة الثالثة والنصف.. طرقت الباب..

فتح لي والدي.. نظر إلي.. تأملني، وقال لي:

-صلاح!! أدخل.

-ربع ساعة أغير أبني وأخذ شتطتي، وأمشى على طول.

أفقت والدي كثيرا.. لقد كان صديقي في يوم من الأيام.. دخلت

بأنطق بكلمة واحدة.. دخلت مباشرة إلى غرفتي.. واتجه بابا إلى الباب، وقفه

بالمفتاح.. وفورا لمسك سماعة التلفزيون، وأجرى ثلاثة اتصالات سريعة.. ماما..

أريم وزولا.

خرجت من غرفتي، وأنا أفكر ما الذي أخذه لأبيعه.. وأنزل بسرعة.

جئت كل ما عندي من سيديها.. حوالي 100 سي دي.. وفكرت أبيعهم..

لما لمجد حلا آخر.. ووصلت عند الباب وقلت لوالدي:

-أنا عايز أخرج.. عايز أنزل.

-المفتاح في جيبك، ولو عايز تخرج وشو، يبقى لازم تضربني وتأخذ

المفتاح.

وضع والدي يده على جيبه وبه المفتاح.

-أبأنا هات المفتاح.. يا بابا سيبني أنزل.

-مش مقدر يا صلاح.. مامتك واخواتك جايبين نلوقت.

أخذت لف وأدور حول نفسي في المنزل بجنون، وأخيرا جاءت

زولا.. فقل لها لي:

-أنا لي يا زولا بسرعة.

أريد الثؤثرة.. أريد أن أضرب بأى شكل وبأى ثمن.. بي البيت كسل شيء
يُمكّن من الضرب في ثانية.. التلفزيون.. الفيديو.. الفضائيات.. المساجد..
الأكبوبة.. لكنني لم أستطع أن أمُد يدي إلى أى شيء.

ولأول مرة في تاريخ إنساني.. أجد الفرصة كاملة لأمشي
ولا أستطع.. لا.. لا أستطيع أن أفعل هذا نحو عادل.. إني مثل أخيه الكبير
الذي ربّته وأحبّني.. هذا الصغير عادل، كبير، وعندما أثير استضافني في بيته
وهو يعرف جيدا، بل هو واثق من أنني، في مثل هذا الوضع، من الممكن أن
أبيع البيت بكل ما فيه.. ومع هذا "أواني" في بيته.

استولى على التعب.. ففكت السيطرة على نفسي، وحاولت الساعة
الثانية "فرّضت"، ولم أعد أستطيع المقاومة، فسررت مغادرة بيت عادل،
وأن أذهب إلى بيتي، وأقول لهم أنني توقفت عن الضرب منذ يومين، وأنخل
أسرق ما أجده أمامي وأجرى.

لبست ملايمي، وفتحت الباب وخرجت.. وأنا أعلم جيدا أنني لن
أستطيع العودة إلى هذا البيت مرة أخرى.. ولم أخذ منه شيئا.. سوف يعود
عادل.. ولن يجنني.. لكن الحمد لله، لن يجد كذلك شيئا مسروقا.

خرجت إلى الشارع من جديد.. ركبت الأتوبيس وفسى جيسى آخر
50 قرشا.. ونزلت في أقرب محطة للبيت، ومثبت بصعوبة.. رجلاي لا يقبلان
على المشي.. أكياس رمل في كل رجل، والبنطلون يكاد يقع من الضغط
والهزال، وشكلي بالتأكيد صعب جدا.

دخلت زولا وقد ارتسم الرعب على وجهها.. وفصل والدي للسفر بالمفتاح، وعدت إلى غرفتي، وجلست على سريري.. وبعد خضن دقائق حارة كريم، ومن بعده وصلت أمي.. اتيت انهارت على أقرب كرسي، وجلست زولا بجانبها تبكي بصوت عالٍ، وأسند كريم رأسه بين كفيه، وظل والدي يسرح ويحى، ولا يستقر في مكان.. ولا أحد يدرى ما الخطوة التالية.. وبدأ كريم الحديث:

- نحن يا زولا.. بطلنا عياط.

- حاضر يا كريم.

- أنا نعيمان أوى.. عايز أضرب.. مش فاذر.. يموت.

رد الوالد:

- إحنا لازم نروح على المستشفى يا صلاح.. اسمعنى.. أنا عندي رحلة لمدة أسبوعين خارج مصر.. أنا مسافر إسبانيا.. وكنت ناوي أعتكر، بس لو أشت دخلت المستشفى.. هأ اسافر، وأوعذك إني أخرجك من المستشفى لو ما أخرج على طول.. هو أنا عمري وعنتك بحاجة ومأفئش وعدى!

- المستشفى لأ.. لا.

- من فضلك يا صلاح.. إحنا كلنا نموت.

- المستشفى لأ.. أى حل تلتى.

وفي اللحظة نفسها، انحنى والدي على الأرض، وقال لى:

- أبوس رجلك.. نوذيك المستشفى.. أبوس رجلك.

قال كريم:

- قوم يا بابا.. قوم يا بابا.. مش كذا.

ونزلت أنا أيضاً على الأرض، وأصبحنا أنا وأبى وجهًا لوجه.. وكلانا يمشي.. وقلت بابا:

- حاضر يا بابا.. أروح المستشفى.. بين أضرب الأول.. نروح الحسين، وهناك أضرب، وبعدين نروح المستشفى.

- مايفقش يا صلاح.. مايفقش يا حبيبى.

- وإيا مش ممكن أروح من غير ما أضرب.

مد كريم يده لمساعد الوالد على النهوض:

- قوم يا بابا من على الأرض.

وقفاً معاً، ونمت على سريري.. فطيرى على السرير.. ورجلاي على الأرض، وظللت أردد:

- أنا نعيمان أوى.. صداع.. دماغى.. متكسر.

خرج بابا من غرفتي.. ثم عاد ومعه زجاجة ويسكى، وقال لى:

- طيب.. إمشك.. اشرب.

- ما أقدرش.. ما أقدرش يا بابا.. ما أقدرش اشرب.. أنا يأسوت يسا يايسا..

إنت مش فاهم.

- لا.. والله أنا فاهم.

- أنا نعيمان.. يموت.. أنا نعيمان.. خلاص.. إغلبوا فى أى حاجة..

من خُصونى من التلى أنا فيه.. خلصونى منه.

- نروح المستشفى.

- مش هنسيبونى هناك كثير.. صح؟! أسبوعين ثلاثة.. بالكثير لو عشتى يا بابا.. لو عشتى.

- أوعذك.. أوعذك.. يا كريم ساعد أخوك.

أخرجت شريط أبو صليبة من جيبى وأخذت برشامة.. وكريم وزولا ينظران لى.. ولم ينطقا بكلمة واحدة.

إلى سويسرا

قررت العائلة بكل إصرار ذهابي إلى المستشفى، وخرجت معهم من بيتنا لجر قضي، مستندا إلى ذراع والدي اليسرى، وإلى ذراع أخى الكبير اليسرى، ومن ورائنا تسير أمى.. وذهبت أختى رولا إلى بيتها حزينة والدموع تملأ عينيها.

ركبنا سيارة كريم، هو القائد.. جلست أمى إلى جانبه وكأنها تمثال لرعوى، منقوش على ملامحه حزن عميق، وكانت تبكى فى صمت رهيب.. وجلست بجوار والدى فى المقعد الخلفى وتبعا فى أحضانها، واستندت برأسى إلى استن الخلفى للسيارة.

ساد السكون طوال الطريق الطويل.. لا أحد ينطق بكلمة.. نمت خمس دقائق وكأنها خمس ساعات، بتأثير حبوب "أبو صليبة"، النسي ابتلعها قبل نزولنا.. وأخيرا وصلنا إلى المستشفى.. والتى تبعد قليلا عن القاهرة.

هذه المستشفى أعرفها جيدا.. أنا شخصيا أخذت صديقى شريف مع والدته إليها منذ بضعة أشهر.. فى ذلك اليوم تحولت بين ربوعها، وممرات حديقها لتنى يغطيها الزرع الأخضر، وعلى الجانبين الأشجار العملاقة، ورأيت لافتة كتب عليها: إلى "حمام السياحة"، وأخرى كتب عليها: إلى "الملاعب"، وثالثة كتب عليها: إلى "الجيمنازيوم" ولأفقه كبيرة كتب عليها: إلى "قسم الإيمان"، ولأفقه صغيرة: إلى "الكافيتريا".. أحسست يومها أننا دخلنا نادى وليس مستشفى.. وكنت أعرف أن صديقى شريف مازال فى المستشفى، وممعت أن صديقى تامر، من أصدقاء رامي، فى المستشفى أيضا.

دخلنا إلى قسم الاستقبال، وكانت الساعة السادسة، وساعدتني الدقائق الخمس التى تمتها فى الميلازة على التماثل، ورويدا.. رويدا.. بدأت أشعر

ارتدى والذى ملابسه بمرعة، وأعدت أمى حقيبة.. وغسلت رولا وجهها.. واستندت إلى ذراع كريم من ناحية، وذراع والدى من الناحية الثانية. ومائل الوالد:

- هنروح لراى؟ بحرية مين؟

فأجاب كريم:

- معايا يا بابا.

- وإنت يا رولا.. ارجعى بيتك، ولول ما نرُخج بكلمك ونطمنك.

- حاضر يا بابا.

نزلنا نحن الخمسة.. واستندت إلى بابا، وكريم دخل سيارته، وجلس على مقعد القيادة، وأمس بجانبه، وجلست بجوار والدى فى الخلف.. قبلت رولا وركبت سيارتها.. وأخذنى والدى فى أحضانها.. وبدأ الطريق إلى المستشفى.

بأعراض الانسحاب، ولكنه في بداياته.. وجاعنا طبيب نوبتسى، وبعد إلقاء التحية
قلت:

- اتفضل.. تعال أقد هنا.

وعندما وجه نظرائه وحديثه إلى، قلت له:

- ومين قال لك إن أنا؟ المشكلة فى أخويا.. تعال يا كريم.

ابتسم الطبيب بحفظ، وبدأ وأبل من الأسئلة المتتالية:

- الاسم، العنوان، تاريخ الميلاد، التليفون، العمل..

وسجل الطبيب إجاباتى فى الملف، ثم انتقل إلى الأسئلة الأخطر،

وعندئذ خرج والذى من العرفة، فهو لم يكن يريد حضور هذا اللقاء.

- بتأخذ مخدرات إيه يا صلاح؟

- كل حاجة.

- معنى إيه كل حاجة.. فسر لى شوية؟

- مغيش فيك كيف يا مصر.. ولا حتى فى أمريكا ماجرئكوش.

- طبيب إيه المخدر الرئيسى؟

- بوذرة.

- من ل إيه وإنت بتتعاطى؟

- جامدة أوى بتتعاطى دى.

فقلت ماما:

- صلاح.. إختا مش بهزر.

فقال لها الطبيب:

- حضرتك ولا يهيك.. سنبه بهزر براحتك.

فقلت:

- دا تهديد دا وإلا إيه يا دكتور؟ معنى براحتى دلوقت، وبغدين نشوف.

- ماجاوتش.. من أد إيه بتضرب يا صلاح؟! كويس كده؟!

- إيا كده.. من 11 سنة، ومتواصل آخر 5 سنين.

- ومن ل إيه بتتعاطى يومياً؟

- من شهر 5.. مايو التى فات، وأنا بأخذ كل يوم.

- بقى آخر 6 شهور يومياً، وطبعاً كذا مرة فى اليوم، دلوقت بتأكل إيه؟

- زى ما أنت عايز.

- بقى نقول جرام؟

- جرام، جرام ونص، على حسب الظروف.. بس باقولك إيه يا دكتور..

لأمن يومين مخدرات، والتهاذه ثالث يوم.. بس باضرب كام صليبة كده عشان

أبني.. الصليبة برضه بتمسك شوية.

- معاك أى مخدرات؟

- لول، معاليا أبو صليبة.

أخرجت من جيبى شريط "أبو صليبة" به أكثر من قرص، وأخرجت

شرائط "توفاسى"، ووضعتها على المكتب، فقفز الطبيب من مكانه، وكان النار

لستك بملايه، ومد يده وأخذها بسرعة، وأخفاها فى جيبه، فقلت:

- منك يا دكتور؟! دا أنا طلعت الشرايط بمزاحى وإذيتها لك.

- لا مغيش حاجة.. بس المخدرات لازم تتصاير على طول.

- ببنى وينك يا دكتور، أبو صليبة ده عى ما حبيته.. أنا باستعمله كمنوم

إماش أكثر، عشان كده أخذه بالليل بس.. لو أخذه الصبح مصيبة.

- معاك أى مخدرات تانى؟

- بلريت.

- أنت هاتفتش كده، كده.. ومغيش داعى تكذب على بعض من أولها.

- مغيش معاليا حاجة يا دكتور.

- لكمل.. نخلت مستشفيات قبل كده؟

- لا.. دى أول والآخر مرة.

- أين شاء الله.. يعنى ما لحدتش علاج قبل كده؟
 - مرة رُحْتُ لدكتور نفسانى.. ماقيمش منى أى حاجة، ومازُحَسْ لَهُ مرة تانية،
 وساعات كنت أخد تريكان.. يَخلَى كل كام شهر.
 - طريقة التعاطى إيه؟
 - سوست.
 - من أد إيه بتأخذ حقن يا صلاح؟
 - من ست أو سبع سنين.
 - بتشتكى من أى حاجة؟ من أى أمراض؟
 - لا.. الحمد لله.. بس الكبد تغيان شوية.. أنا مش حاسس إني تغيان.. بس
 الدكتور قال لى إن نتيجة التحاليل وخسة.
 - طيب.. إتفضل ألف على الميزان.
 - يا الله!! 53 كيلو.. دا أنا خامس قوى.
 - والطول 174 سم.. وشططك فين؟
 - هى دى.
 - سيبها هنا، وأنا هاتبعها لك كمان شوية.
 - هو أنا رايح أين يا دكتور؟
 - هتأخُل "الديتوكس" كام يوم، تَعْدَى سَ اَعرَاضِ الإلتحاح، وبعدين بتَزَلُ قَـمِ
 الإنسان.
 - أنا خايف أوى من إني أَلْعَبِ النهارده.. هتؤتى منوم؟
 - أه طبعاً.. متخافش.. أنا نوبتِى وسهران النهارده وهاعدنى عليك.
 - والنس يا دكتور متأسانى.. يا أولئك إيه يا دكتور هو شريف هنا؟
 - الحقيقة أنا ما اغرقش.. أنا مش دكتور القسم.. أنا دكتور نوبتِش.. ومثل
 حافظ أسماء الناس الموجودة هنا.. اليومين دول، للقسم ملبان على آخره.. يَلَا

يا صلاح، سَمِّ واطَّلَع مع العامل فريد على "الديتوكس".. وها اِيغْتِ حاجاتك
 كمان شوية.
 - مع السلامة يا ماما.. ادعى لى.. سلام يا كريم.. سلموا لى على زولا.
 خرجت من الغرفة فوجدت والدى جالساً على كرسي وواضعاً يده على
 صدره.. سلمت عليه، فقيلنى وقال:
 - رينا معاك يا صلاح.
 - مع السلامة يا بابا.. لوك ما ترجع من السفر تبجى تخرجلى زى ما وعدتلى.
 مشيت مع فريد إلى "الديتوكس"، وظل الوالد والوالدة وكريم مع
 الطبيب، بالتاكيد.. كانت لديه عشرات الأسئلة الأخرى، التى أراد أن يعرف
 إجاباتها منهم.
 كانت الساعة السابعة.. مشينا مسافة طويلة إلى حد ماء، وصعدنا السلم
 إلى "الديتوكس".. ودخلنا شقة صغيرة خالية ليس بها أحد.. الصلاة
 أو "الريسشن" الصغير به تليفزيون بتوسط المكتبة، وخرجت إلى شرفة صغيرة،
 ولأمسور "الشرفة" شجرة كبيرة تتحلى على الحديقة، ولا تمكثى من رؤية
 لحد الحديقة.
 دخلت إلى الشرفة الصغيرة المعطلة على الحديقة، ثم تحولت في الشقة..
 على اليسار غرفة بها دولاب وفيها سريران، وتليها غرفة أصغر وبها سرير
 ولها وعلى يمينه دولاب، وبها حمام على اليمين.. يا ساتر.. المكان
 قليب.. لو فيما اعتقد كنت أرى كل شيء كثيراً!! إذا هذا هو "الديتوكس".
 مرت الدقائق ببطء رهيب، وبدأت أشعر بتعب شديد.. رشح من أنفى،
 بعض، ويطنى يؤلمنى، صداع عجيب، عرق مستمر، وإحساس قوى بالثبر..
 ومرت ساعات.. حو إلى الساعة التاسعة بدأت الأعراض والآلام تزداد، وزداد
 لتك أكثر وأكثر، فطلبت من فريد أن يأتينى بالطبيب ليعطينى الدواء نظراً
 لحلة لتى أمر بها.

بالطبع.. كان هؤلاء الممرضون قد تعودوا مثل هذا الطلب، لذلك تجدهم يقابلونه ببرود واضح، ويتصرفون بهتوء شديد، وفيما يبدو أن التعليمات لديهم كانت أن يتبعوا هذا الأسلوب، مع التصرف بأدب وضوء تام، وبكل بساطة لئلا يفرد:

- الدكتور زمانه جاي، أصلة دلوقت عنده مرور في المستشفى، وما أغركش أكلمة فين.

أصبحت الساعة العاشرة، وبدأت أدور حول نفسي.. التعب يزداد بقوة، والطبيب لم يحضر.. قلت نفريد:

- طيب، أنا عايز شتطتي.. كل دا بيعملوا بيها إيه؟ أنا بزدل وعالز أحد منها بلوفر ألبسه.

- حاضر، 5 دقائق، ونلاقي حد جاي بالشنطة.

وأخيراً.. بعد نصف ساعة، سمعت طرقات على باب الشقة الصغيرة، وجاء شخص ومعه الشنطة.. دخل إلى الحجرة وأعطاه لي قللاً:

- اتفضل.. والدكتور جاي ورايا على طول.

كأنه سمعني ويعرف أنني طلبت رؤية الطبيب من زميله فريد.. أخذت الشنطة، ووضعت ملابس في الثولاب، ولبست 'بلوفر' لأختني به من البرد..

وبعد نصف ساعة.. في تمام الساعة الحادية عشرة كنت أهار من الألم والتعب والبرد.. نمت في السرير، واختفيت تحت الغطاء.. وطبعاً لم يكن الجو بارداً لي هذه الدرجة، ولكنني كنت فعلاً أرعد من البرد، والألم أيضاً غير طبيعية.

استمرت المعاناة نصف ساعة أخرى.. وبعدها جاء الطبيب، ومعه الممرض، وأعطاني حقبتين، لم أكن أعرف ما هذه الحبوب، ولكنني كنت على أم

الاستعداد لتناول أي دواء يسكن آلامي.

أخذت الدواء، ولم أكن قادراً على التطق بكلمة واحدة، وكان كل ليلى أن أشعر بتحسن.. ولم يحدث.. بعد نصف ساعة فقط.. حوالي الساعة الثانية

عشرة.. شعرت بالألم، كان من الصعب وصفها بالكلمات.. ألام في كل جسمي..

ألم.. ألم.. كل الحبوب التي تناولتها هي السبب، وأنها ساهمت في سحب البوزة من كل جسد نفعة واحدة.. لا.. لا.. الألم غير طبيعي.. وبعد نصف ساعة

لغري، الساعة الثانية عشرة والنصف، بدأت أصرخ.. أصرخ بصوت عال:

- ألم.. ألم.. ألم.. مش قادر.. انشوي أي حاجة.. مش قادر..

ظلت دائماً في السرير، لا أستطيع الحركة، ومرت دقائق كلها بولت، وجاء شخص آخر، ومعه حبتان وحقة، واقترب مني فقللاً:

- اهدأ.. خلاص.. الحقة دي خترحك.

- مش قادر.. أنا نعبان.

أخذت الحقة، والغريب جداً أنني لم أشعر بأي تحسن، كما هو متوقع، ولم أحمل الألم، ولم أكن أدري ماذا أفعل.. وصرخت صراحاً مواصل:

- ألم.. ألم.. هاتولي الدكتور بسرعة.

فعلاً جاء الطبيب بسرعة، وقال لي:

- بلين عليك نعبان إوي؟

- مش قادر يا دكتور.. عايز أي حاجة تاني.. أنا نعبان.. جسمي كله منكشور.. كنت ولقد أربع حبوب، وكمنا حقة من نص ساعة، ما أفسرش أدبك أي حاجة دلوقت.. لازم أسكتي شوية.

- طيب أنا مش قادر.. أعمل إيه؟ والله مش قادر.

- حاضر.. هاتيت لك دوا تاني.

- ألم.. واللبى يا دكتور.. بسرعة يا دكتور.

أخذت حبتين مرة أخرى، ولا أدري ماذا أعطاني الطبيب، ولكن ما أعرفه أنني كنت أألم بلا حدود.. وحوالي الساعة الثانية ارتفع صوتي

صراخ عال:

- مش قادر.. أنا نالموت.

واستمر الرشح من الأنف، وأحسنت أن درجة الحرارة في الغرفة تحت الصفر.. البرد لا يحتمل.. والآلام لا تحتمل.. ومن شدة الصراخ، جاعني الطبيب في الساعة الثالثة للمرة الرابعة، وأعطاني حقنة أخرى، وأمر بإعطائي حبتين.. وبعد نصف ساعة، هدأت قليلاً.. الأعراض كلها موجودة.. رشح الأنف، الإسهال، المغص، ولكن آلام الجسم كله أصبحت أقل، وبالنسبة لي.. كان هذا هو المهم، لأن الآلام كانت غير طبيعية، ولا يمكن احتمالها بأي حال من الأحوال.

أعتقد أنني لمت حوالي ساعتين أو ثلاث على الأكثر.. وصوت متعباً، وأريد الذهاب إلى الحمام، ولا أستطيع القيام من مكاني ومغايرة السرير.. وظللت أقول:

- نَعِيَانْ أُوِي.. عايز أخل الحمام.. مش قادر،

كان صوتي ضعيفاً للغاية، وأصبحت كأني "ميرشم".. ربما بسبب الحبوب التي أخذتها والحقتين.. وربما بسبب أعراض الانسحاب، ولم أكن أشعر بما يحدث حولي ولا أستطيع تمييز أي شيء.. وبعد عناء حقيقي، قمت من السرير متجهاً إلى الحمام.. ارتطم جسمي كله بالحائط، وفي اللحظة نفسها أسرع إليّ من يسكني، ويساعدني على الحركة.. وجاء آخر، وأمسك بذراعي، وشبّ بصعوبة بالغة في "كوريدور" ضيق للوصول إلى الحمام.. مثبت مستنداً إلى أحد الرجلين، وكان الآخر يمسكني بقوة حتى لا أقع، وأخيراً وصلت إلى الحمام، وقلت لهما:

- شكرًا،

واستندت إلى الحوض وبدأت أتفأ.. وعانيت كثيراً بسبب الإسهال، وأخيراً فتحت باب الحمام، ووجدتهما في انتظار خروجي لمساعدتي للوصول إلى سريرى، وأمسك أحدهما بذراعي، واستندت باليد الأخرى على حذر

الكوريدور" الضيق، وأعاد الرجل الثاني ترتيب سريرى، وارتفعت على السرير.. محطماً،

طبعاً لم أتم.. واستمرت الآلام والتعب الشديد، وصراخ مستمر: آه.. نَعِيَانْ.. نَعِيَانْ.. آه..

إنها الساعة الثامنة.. وارتفع صوتي قليلاً بالبكاء:

- يا فريد.. يا فريد..

سمعت صوت شخص آخر يقول:

- أنا حسين مكه.. فريد مشي خلاص.

- يا حسين.. أنا عايز الدكتور.. أنا نَعِيَانْ أُوِي.. خليبهم يؤولي أي ذوا بسرعة، إن الوجع بدأ يرجع تاني.

- الشواجة، بس الدكتور قال إنك لازم تأكل حاجة.. أي حاجة.. الفطار بتاعك و.. أو لول لك، استنى هاجيبه لك هنا.

- لا.. لا.. مش قادر أكل.. مش قادر خالص.

- طيب شرب العصير.. ما أنا ما أقترش أدبك الشوا من غير ماتشرب لغير.. ذى تعليمات الدكتور، وأنا ما أقترش أكسرها.

شربت قليلاً من العصير لأخذ الدواء.. لم أستطع أن أشرب عليه لعصر كلها.. أخذت الدواء، ومع هذا ظلت الأوجاع مستمرة، والأعراض كما هي.. قرش من الأنف، المغص، القيء، الإسهال، كما بدأت أشعر بأن هناك ألاماً جديدة بدأت تظهر.. شعرت بأوجاع في كل المفاصل، وظهري أيضاً، وأشعر بالبرد طوال الوقت.. الصداع رهيب، "وزغلة" في العينين.. أضف إلى ذلك، الأعراض الطبيعية التي أعرفها، وقد تعودتها من القلق والفرح في سريرى.. عيناى تنعمان، والنشأوب طوال الوقت، وأيضاً: لا أنام.

حاولت المشي في الغرفة.. لم أستطع، وعدت إلى السرير مُحطماً، أجد

لحالي.

يا!! يا سائر.. الساعة العاشرة صباحا.. نحن في بذلة اليوم.. ونستأدى كيف سيمر هذا اليوم.. جلست في السرير لا أقوى على الحركة، وقتلت لنفسي:

- دى أوخس ليلة وصباح عدوا على من يوم ما أتولت.

وتكررت ليلة أخرى من الليالي الماتسة.. تلك الليلة التي نمت فيها في بيت حسام على الموكيت، وتوسدت ذراعي، وملأ للشراب ألفى وصنوى.. وتذكرت كيف قضيت النهار أدور في الشوارع.

استجمعت قواي إلى حد ما، وحوالي الساعة الثانية عشرة خرجت من الغرفة الصغيرة لأستكشف المكان، ولأتعرف على الأصوات التي تملأ في الخارج من حين إلى آخر، فوجدت حسين يشاهد التلفزيون، وباترنى قائلا:

- حمد لله على السلامة.. قالوا إلك إمبراج كنت تعبان لوى..

- أنا لله تعبان لعابة ثلوقت.. أنا عايز أأخذ حقنة أو أى دوا بسرعة، أحسن خلاص التوجه رجع تانى.. مش قادر يا حسين.

- فيه ذاك الساعة 12:00، وبعدين الدكتور وليد حالك الصبح بترى وكنت تايه.. بس مرضاش يدخل يصحبك، لما عرف إنك تعبان لوى كدا، وهو قال هـ جايك تانى كمان شوية.

- مين الدكتور وليد؟

- دا مدير قسم الإيمان..

تذكرت الاسم.. اعتقد أنه هو الطبيب الذي قبلته في منزل شريف.. تقرر شحته إلى المستشفى.

- طبيب أظننه وقوله يرجع، عشان أنا تعبان لوى.

- حاضر.. أول ما حد يسيحى ها أقول لهم يُطلبوه على طول.

رجعت إلى غرفتي، وأنا في قمة التعب.. نمت على السرير، وبعد أن وقت شاب على باب الغرفة، وقال لى:

- يا رمزي.. والله إنت صعبت على إمبراج بالليل.. أنا طول عصرى أنخل المستشفى ومعيا بوثرة، إلا المرة دى.. أول مرة أنخل فاضى.. والله لو كان معيا بوثرة، كنت أذيتك.

- بجد معيش معاك؟ لو معاك أذيتى.. من فضلك يا رمزي.

- لا والله.. معيش معيا.

قالها.. 'وشعنتنى' وخرج.. وظللت نائما في السرير إلى أن سمعت الباب يفتح، ويقطع من جديد، وأصوات، وأحاديث لم ألتبها، فحاولت أن أستجمع قواي وأخرج من الغرفة، لأعرف ما يحدث خارجها، ورايت الدكتور وليد معه لمرضى، قادمين لإعطائي الدواء.. سلم على الدكتور قائلا:

- حمد لله على السلامة يا صلاح.. إزيك يا رمزي طولت المرة دى.

- ولا طولت ولا حاجة.. أنا كنت هنا من شهرين.

- فاحسب لهم أكثر من كذا بكثير.. وإنت يا صلاح.. أخبارك إيه؟

- تعبان جدا.

قال رمزي:

- إمبراج، كان بيصرخ ويوتول.. صعب على جدا.

- عريفة.. مكتوب في التقرير إنه أخذ حقنتين وأدوية يهشوا جيل.. تعال يا صلاح نقعد مع بعض شوية.

دخلت مع الدكتور إلى الشرفة.. وفاجأني قائلا:

- لا قلبك في بيت شريف، صح؟

- ذهرك قوية يا دكتور.

- لهم.. أحكى لى.. أخبارك إيه؟

- تعال.. الأدوية بتاعتكم مش عاملة حاجة.

- لا، إنت التور بتاعك اللي باين عليه على شوية.

- قل لي يا دكتور، أنا ها أنزل من هنا إمتى؟ أنا خلاص زحقت.

- يومين بالكثير.. بس إنت لازم تشد حيلك شوية.. لازم تكتل شوية.

- ياللا.. أنا ها أشتي وأشوفك بكرة إن شاء الله.

- الألوية يا دكتور.. زودلى الألوية شوية.

- حاضر.. مايقفش.. ياللا مع العلامة.

- سلام يا دكتور.

- سلام يا رمزي.. أشوفكم بكرة.

المشكلة أن عقارب الساعة لا تتحرك، كل الساعة هنا تختلف عن الساعة في أى مكان آخر، ولازلت أشعر بالآلام والدوار، ولا أستطيع أن أحمل الضجيج العالي في سماعي.. معركة "خداقة" رهيبة في عتلى.

وجاء فريد ونسلم الفترة الجديدة من العمل بدلا من حسين.. مرة للنهار ببطء غير عادي، وجاء الليل بمتاعبه، ومرة أخرى.. شعرت بالتعب، لكن الحمد لله، تعب لا يقارن بالليل الأولى.. الليلة الأولى كانت أصعب ليلة في حياتي.. فقد اكتشفت في هذه الليلة أن أوحش شيء في الضرب هو التنميل، ومرحلة أعراض الانسحاب.

من جانبي.. استمر "الزئ" لمستح لي بتناول أكبر كمية ممكنة من الألوية، فقد كنت أشعر بالرعب من المرور بالأم الليلة الأولى، ولم أكن فاضلا لو مستمدا لنحلمها مرة أخرى.. وتناولت ألوية كثيرة في تلك الليلة.. اعتقد لها وصلت إلى ثمانى حبوب على مدار اليوم كله، لكن دون حقن.. وبالبحاج شديد طلبت حقنة، لكن بلا استجابة، وظللت أحاول وأحاول.. بلا فائدة.. لقد فشلت كل محاولاتي.. قال لي فريد:

- الدكتور قال النهارده مقيش حقن عشائك، لازم تستحمل شوية.

- السحمل إيه بس؟ هو أهلى جابوني هنا عشان نعبوني وإلا إيه؟

- فانت كلها كام يوم.. يومين بالكثير.. وبقي كويس.

- هو شريف هنا يا فريد؟

- شريف.. آه موجود.. ملواليا.

- طيب واللى لما تشرفه، قل له إن أنا هنا، ولو يقدر يعدي عتلى يبقى كويس.

- حاضر.. ها أقول له أول ما أشوفه.

- إنا سمعت إن تامر هنا كمان.. تعرفه؟

- بيلما أرفه.. تامر هنا من شهرين تقريبا.. بس طالع أجازة كمان كام يوم.

تامر من أصدقاء رامي، وعاطف - الله برحمه - وأيضا يعرف حسام بيلما.. قضينا معا أياما وليالي.. وكنت أعز بصداقته.

رجعت إلى غرفتي، ودخلت السرير.. وكلتى تعب والآلام يصعب وصلها.. وبصعوبة نمت ساعتين فقط، من الساعة الرابعة إلى السادسة، وظللت نكد في السرير حتى الساعة الثامنة.. التعب سيطر على كل كياني، من رأسي إلى أصابع قدمي.. التكسير في كل جسمي.. تحركت بصعوبة حتى وصلت إلى الحمام.. الإنهال مستمر، وأنفيا عصاره معدني، صفراء، مرة.. غثم.. ولازلت لا ألتطع تناول الطعام.. ولا شيء في معدتي أسانا، وغذائي هو العصير، وكل ما موزة ويرنقلة.

وجاعتني الألوية الساعة التاسعة صباحا، تناولتها بلهفة على أمل أن تخفف آلامي، كنت أشعر أن الألوية هي المنقذ الوحيد من آلامي.. وعندما سألت عن الدكتور ولده، أجابني فريد:

"بيجي طبعاً، بس لسه فداهه شوية.

ظللت مستلقيا على السرير، متعبا.. لا.. أكثر من هذا.. "خلفسان" فعلاً.. أخذ منتصف النهار، حوالي الساعة الواحدة ظهرا، دخل إلى غرفتي طبيب

أنيق، وحديثي مظهره بأنه رجل مهم في المستشفى، وبدأ الحديث معي بهتوت
قللاً:

- أرى؟ أنا دكتور سمير.. عامل إيه النهارده؟

- والله يا دكتور إسته ثعبان.

- على بكره هتبقى أحسن ثوية.. يا ترى إنت محتاج أى حاجة؟

كان أسلوبه الهادئ الراقى سبباً في أنني لم أطلب منه شيئاً.. فقلت:

- لا.. متشكر يا دكتور.. مش محتاج أى حاجة.

- طيب.. عايز تملأني أى سؤال؟

- أيوه.. عندي سؤال.

- إتفضل.

- أنا بعمل كذا ليه؟

- عشان أنت ممنن.

ولأول مرة في حياتي، أسمع كلمة 'ممنن' موجهة إليّ مباشرة، ولقد

تقبلتها، بل كنت موافقاً عليها.. قلت:

- طيب هو فيه ممنن بيبطل؟

- أيوا.. فيه ممننين بيبطلوا.

- فين؟

- هتقابلهم.. بن إسته مش بلوقت.. أصير.. عن إنك، وقريب هيكول لنا لقاء.

تلقى.

- أوكيه يا دكتور.. مع السلامة.

وتساءلت: من هذا الرجل يا ترى؟ رغم كل التعب الذي أسر به.

أعجبني هذا الطبيب، احترمني خلال حديثه.. أسلوبه هادئ، وبسيط ومميز.

ثم ما هذا الكلام الذي دار بيننا؟ ماذا يقصد بكلامه؟ أسئلة كثيرة دارت بخاطري.

كثيراً من مساحة التفتين اللتين فضاهما معي.. وعطى الفور سألت

صوتاً:

- من الزايل ده؟

- يا الدكتور سمير.. صاحب المستشفى.

- عين عليه راجل محترم.

من اليوم أيضاً بصعوبة بالغة، ولم يأت الدكتور وليد، ولم يسأل..

وتأملت مجموعة أدوية لتخفيف الآلام، ولمساعدتي على النوم الذي لم يكن أكثر

من ثلاث أو أربع ساعات على مدار اليوم الكئيب، واستمرت الشهية للأكل

مقودة.. على الأكثر ملعقة أرز، وملعقة خضار، وقليل من السلطة، والموزتين،

والبرقالة.

ولم يكن للسيجارة طعمها الذي أعرفه، كأنني أشرب سيجاراً وليس

بجارة.. وسيجاراً ثقيلًا، ومن أردأ الأنواع.. بعد السجارة يبدأ السعال، ويستمر

طويلاً.. وبالتالي لم أكن أتجاوز أكثر من سيجارتين أو ثلاث طول اليوم بأكمله.

ميلاد

أيام زمان، كان يوم "...." نوفمبر، هو يوم الاستعداد للاحتفال بعيد ميلادى فى اليوم التالى، "...." نوفمبر يوم من أيام العمر.. يحىء مرة واحدة فى السنة، أستقبله فى الصباح الباكر على قيلة من والدى، وفتره به مبلغ محترم.. وكانت ليلة عيد ميلادى، أقضيها فى عمل اللسمات الأخيرة للحفلة الكبيرة.. وتسبح فى خيالى عشرات الأفكار لأجعل منه يوما مشهودا من أيام صبرى.. مع من أخرج فى الصباح؟ ومع من أتناول وجبة الغداء؟ ومع من أسهر فى المساء؟ ومع من أقضى بقية الليل حتى الفجر؟ ما أهم وأجمل الاختيارات لمطروحة على الأجداد؟ ماذا أفعل، هذا أم ذاك؟! والمخدرات: أشكال وأنواع، وزجاجة الخمر والخطة كثيرة.. ورتين للتلفون يعلو مع شعاع الضوء الأول.. وتصلنى الهدايا مع الساعات الأولى من الصباح.. وروود.. بطاقات.. مفاجات لا أول لها ولا آخر.

تضيف إلى هذا كله استعدادات أهلى، الذين يبذلون جهدا حقيقيا للاحتفال بعيد ميلادى، ولكنهم لا يظفرون بأكثر من نصف ساعة، تلتف فيها حول كعكة تضيئها الشموع، وتردد لركل البيت أصوات أغانيهم بعيد ميلاد "أبو الفصاد"، ويمتحنى كل منهم هديته وقبلة حانية يملأها الحب.. أحضر إلى البيت مسرعا، أخرى هنا وهناك، لأستكمل ارتداء ملابسى، بينما أستلهم لانتهاى - مين يعت الورد دا كله؟

- وهديت مين دى؟

- وهشهر فين بالليل؟

- وهشهر مع مين؟

ليلة تمر بلا أى استعدادات، دون احتفال، ولكن أميائى أن أخرج غذا من هذه الشقة.. أخرج من محسى هذا، فى الصباح الباكر.. كم أشعر بالملل، ورغم أن رمزى معى فى الشقة ذاتها، لكننى لا أراه.. إنه نائم طوال الوقت، ولا أعرف كيف يستطيع أن يواصل النوم ليلاً ونهاراً.. ونهاراً وليلاً بهذه البرحة؟! وفى "ثوية الصبحان"، لا يتكلم إلا قليلا.. يقول جملة أو جملتين، يطفى من جيت.

تناولت الشواء ليلاً، ولم أتم أكثر من ساعتين أو ثلاث، وأيضاً صعبة.. وصحوت الساعة الثامنة صباحاً، طبعاً لم أستقبل السورود، وأرسلت، أو بطاقات التهنية، أو الهدايا.. لا شىء.. لا شىء على الإطلاق.. وكالمعتاد لم أستطع تناول طعام الإفطار كاملاً.. ثم أتناول إلا قطعة جبن رومى صغيرة، وشربت معها الشاي فقط.. كنت متعباً، ومرهقاً، وكأني صعدت سلم عمار من عشرة أدوار دون توقف.. وعندما تناولت الشواء قلت لمرضى:

- إذا عاوز ذككوز ولتد بسرعة.. النهارده عيد ميلادى ومنش عاوز قضيه فى ثنة، ومتخوفس بين أربع حيطان.

الفارق كبير بين ما أنا فيه اليوم، وأيام عيد ميلادى فى كل أعوام صبرى التى مضت.. ليتنى لم لوك أصلاً.. لماذا جئت إلى هذه الحياة؟ فى لحظة منق مع النفس كنت أقول نعم.. لست مسئولاً عن مجيئى للحياة!! ولكنى المسئول عما يحدث لى الآن.. لا.. لست مسئولاً.. لا أعرف من المسئول؟ لا أعرف!! ما هذا الذى يحدث لى؟! إننى لا أطالبهم بإحضار تورتة والاحتفال به، لكن على الأقل أخرج من هنا، وأنزل قسم الإيمان وأقعد مع الناس، وأتوقف شرب وتامر، وأكيد سوف أرى آخرين ممن أعرفهم، ومن الممكن أن يحتفلوا بهذه المناسبة، وإذا لم يحتفلوا.. لا بهم.. ولا فأرق عذدى، بل كل ما يهمنى فقط أن أخرج من هذه الشقة.

فى يوم ميلادى.. لم اكن سعيدا، ومرحاً، ومنتهشاً كعادتى.. فماذا فعلت فى مثل هذا اليوم؟ ماذا يفعل شخص مثلى فى يوم ميلاده؟ ماذا يفعل إذا كان شريداً مثلى؟ إذا كان سجيناً بين أربعة جدران؟ لقد سئلت أُمى إلى سجن، وليس إلى مستشفى.. وأُمتشى فى هذه الزنزانه، أروح وأحس به بلا هدف.. هذا لم ولن يضيئوا لى شموعاً.. بينما كانت أُمى تحرص على أن تشع أضواء الشموع فى كل أرجاء المنزل.

هل يكتفى أن أبكى؟ سؤال مرّ بعتلى وقتلى؟ سؤال مرّ بضميرى.. ولم أعثر له على إجابة.. كم بكيت فى هذا اليوم، وأتذكر أُمى، ولبحث عن وجهها بين هذه الجدران.. فقطهر صورتها غير واضحة ترسمها موعى، وتردو بعداً.. لكن بالتأكيد أُمى سوف تحضر فى هذا اليوم بالذات، ومن المؤكد أنه سوف يأتى معها أبى.. وسأطلب منهما إخراجى من هذه الشقة، وإحضار أشياء كثيرة لى.

وأين أنت يا كريم؟؟ أحمى الكثير.. أين أنت؟؟

رولا.. توأمى.. أكنيت ستفعل المستحيل لزيارتى.. أكنيت.

وحبستى رولا جداً، وفى الوقت نفسه كانت صغيانة على، خصوصاً فى السفين الأخيرة، كانت يتعذب، وعلى طول يتعذب، ومكتئبة.. فى وقت من الأوقات كنت باتمنى أبطل عشان خاطرها من كتر ما كانت صغيانة على.. ولكن معيش حد ببطل عشان حد.. خواطر وأفكار لا تنتهى.

مرّ اليوم ولم يسأل أحد عنى.. لم يسأل عنى الطبيب.. ولم يزرنى شريف رغم سؤالى عنه كثيراً.. ولم يسأل عنى أباء ولا ماما، ليس لحرزنى متبل.. وفى أعماقى بركان من الغضب، وأروح وأجنى فى محبسى، مثل النمر الجريح فى القفص، وأكلت نفسى:

- معقول يعملوا فى كذا؟ ويتعين يعملوا كذا يوم عيد ميلادى؟؟ لكن لا.. الحق يقال، مخنث عمل فى أى حاجة.. أنا التى عملت كذا فى نفسى.. وبأثرى مره

ممكن تيجى تزورنى النهارده؟ هى أكنيت ما كانش تقصد الكلام الذى قالته من كام يوم.. بين تفجرت وقالته بسبب العذاب الذى شالته.. هى فعلاً أتعذبت.. بس بناتى مشككة.. لما أخرج من هنا أقول لها: النهارده أحسن من إمبراج، وبكره أحسن من النهارده، مع كلعتين حلوتين، ويرجع تسالى كل شىء زى الأول، وأحسن.

وأشكر رائدا..

طيب ورائدا، يتعلم إيه دلوقت؟ مايقعش تشنى يوم زى ده.. احتفالنا به بتكاليف عادية.. كل سنة كان الاحتفال أقوى من السنة التى قبلها.. أه.. إحتفالاً بسيطاً بعض، بمن أكنيت هى لبته يتجنى.. أصل الذى بينا كان كبير أوى، لكن أنا فى الآخر كنت أصاغلها معاملة بشعة.. هى السبب، وأنا كرهتها بعد الحركة التى جعلتها.

وهالة، أنا عارف إتيا هتفكرتى، وممكن كمان تكلمتى.. بس حالة قلبها بيت، ومش هيفرق معاها أى حاجة أنا أقولها.. هى شايغة إن زيماسى قالت، وشغول بالبنات، وعمرى ما هاتغير.

واليوم دا بالذات تمنيت لنوفها، واقعد تفككم معامها.. وأشكى لها لوسى.. أشكى لها من إيد، واللا إيد؟ أشكى لها منهنم؟ ولا من نفسى؟؟ طبعاً لازم أطلع الكل غلطان، وأنا المسكين الذى مظلوم فى كل الذى بيحصل.

فلتت شارداً بين خواطرى، وحواراتى مع نفسى، واستمرّ الموتولوج طول النهار، ومر اليوم.. يوم ميلادى ولا أحد سأل عنى، ولم يكلمنى أحد، ولم يظهر الطبيب، أو غيره من الناس، وأخيراً جاعلى الممرض فى الساعة السابعة مساء، وقال لى:

- ولنتك، ووالنتك كانوا هنا، ولنته مائتين، وسابوك المصحف ده.

- طيب مشيوا ليده؟ أنا كنت عايز أشوقهم!

- وهنأ كمان كلوا عايزين يشوفوك، بس الشكور سمير ما وافقش.

- ليته ١٢ ما عرفش ليه؟

- ما عرفش والله.

- يا سلام!! يفتي دكتور سمير يفتح أهلى من إبتهم يشوهونى يوم عيد ميلادى!!
ماشى.. هو ذا النظام يفتى!!

فتحت المصحف، ووجدت رسالتين: رسالة من أمى، وأخرى من
والدى.

كثبت أمى فى رسالتها:

- ابنتى.. وحشتنى.. سنة جديدة، وميلاد جديد.. يادعى لك فى كل لحظة، وكى
خطوة.. غايلاك يذعى الدعاء ده كثير:

"اللهم ادخلنى منخل صدق وأخرجنى منخرج صدق واجعل لى من لندك سلطان
تصير". إنك على كل شىء قدير.. مليون قبلة لولدى حبيبى.

ملحوظة: حاولنا أن نلغاك، ولكننا لم نستطع.. منراك قريباً بلىن الله.

كتب والدى فى رسالته:

- طوال الطريق وأنا أفكر فى لقائى بك.. ماذا أقول لك فى يوم مولدك وأنت
بعيد عنا؟ أرجوك، عد إلينا.. أرجوك.

قرأت الرسالتين أكثر من عشر مرات.. بين السطور صذاب، ليشى
استطيع للتخلص منه.. قرأت آيات الله من المصحف لمدة خمس دقائق.. بالله!!

إنها أول مرة منذ زمن أمسك فيها بالمصحف.. واحتفظت فى داخله بالرسالتين،
ونمت كى أعبر يوم عيد ميلادى الذى قضيته فى محبسى بين الجدران، فى شقة

من غرفتين، فى مستشفى لعلاج الإيمان.. نمت بعد العشاء: سنبوتش جيلة
رومى وعسل وزبادى، وتناولت أوية للنوم والصداع، والعلاج النفسى.. نمت.

ثلاث أو أربع ساعات فقط وبصعوبة.

استيقظت صباحها، ولأزال بركان الغضب تثاراً، بسبب الطبيب الذى

رمى أفتى يوم عيد ميلادى بين أربعة جدران، ولأله وعدنى بدخول قسم
الإيمان بعد ثلاثة أيام من وجودى فى المستشفى، وقد مررت على خمسة أيام

وليس ثلاثة.. كما التلى جداً ألا أرى والدى بالأمس.. نعتيت رؤيتهما، لأنحدث
مهما، وأسأل عن رولا.. كيف تصرف الطبيب معى بهذا الأسلوب؟ لماذا فعل

ذا؟ لقد اهتزت نقتى به، وسوف يرى منى معاملة جافة.. هنا تمر الحقيقة كأنها
ساعة، والساعة كأنها يوم كامل.. وفى حوالى الساعة الواحدة، جاءنى دكتور

ولدى، وعلى شففيه ابتسامة، وقال:

- كل سنة وأنت طيب.. نعتش.. ما عرفش أشووك إبتراح، كان يوم مضبوط
شوية.

- بلووك ليه.. لما نقول حاجة، يبقى تنفذها.. قلت لى 3 أيام فى "السديتوكس"
تسمن ده، وأنا يقالى 5 أيام.. خليك لى كمنك.

- أنا لى كلمتى، بس إنت التى كنت محتاج تقعد هنا أكثر من 3 أيام.

- طيب ما قلش ليه؟ كنت قل لى.

- أبنتى بأقووك أهه.

- لا.. إتأخرت أوى.

دخلت إلى غرفتى، بينما جالس دكتور ولید مع رمزى، وتركه بعد
خمس أصبر.. وبعد قليل، وحوالى الساعة الثالثة جاء الممرض ووضع المفتاح

فى الباب ووقف يتحدث مع زميل آخر، وفجأة دفعته إلى خارج الباب، وأخذت
المفتاح معى، ونادى حسنين راجياً بصوت هادئ:

- يا أسدك صلاح.. افتح من فضلك.. يا أسدك صلاح أنا كده ها أخذ جزاء.. إنت
مريضيكش ياذيقى.

- لا.. مش ها افتح.

قلت الباب بالمفتاح، وتركك المفتاح في القفل حتى لا يستطيع أحد فتح الباب بمفتاح آخر.. رمزي بشاهد الموقف ويتسم ولا يعلق.. كأنه يرى فيلمًا هامبًا ومضحكًا في الوقت نفسه، وحريت إلى "الشرقة".. إننا في السور الأول، ومن المحتمل أن أفتح في القفل من على سورها.. ولكنني تسامعت مع نفسي: - طيب لو نطقت، أروح فين؟! طيب لظ وبعدها رتينا يسهل.

وفي اللحظة نفسها، سمعت صوتنا أعرقه جيدًا.. إنه شريف:

- صلاح.. افتح يا صاصو.

- مين؟

- أنا شريف.. افتح.

- لأ.. مش فاتح.

- افتح ومش هنا اخلى حد يَدْخُل معايا.

- هاشي.

وفعلا دخل شريف بمفرده، ولم يدخل معه أحد.. فقلت له:

- إنت فين يا عم؟! سايكي 5 أيام في الشقة الزفت دي!!

- أنا سمعت إنك تعبت لوى أول كام يوم.

- أنا انتهيت أول وثاني ليلة.

- إنت معاك رمزي كمان.. إزيك يا رمزي؟

- إزيك يا شريف.

- تمام.

- أنت يا صاصو معاك ملك المستشفى.

- يا عم معايا إيه.. أنا مش باشوفه.. دا نيم طول اليوم.. إزاي؟! ما أغرتك!!

- يا قوئك إيه يا صلاح.. لم الثور علشان تنزل من هنا.. دكتور وليد قال لي إنك شديت معاه النهارده.

- طبعًا، هو إسته شافت حاجة.. أنا ناوي أنفخه.. قال لي بالكثير 3 أيام هنا، النهارده بقالي 5 أيام، وفي عيد ميلادي يسبوني رمزي هنا.

- بعش، دي عندي.. افتح الباب وخلي حستين يدخل.. علشان خاطري بإصلاح.

- عشان خاطرك بنس.. بالقوئك إيه.. خلصتي من المصيبة دي.

- خلص.. ياللا افتح ودخله.

- دخل حستين، ومعه فريد.. وقال لي معانيًا:

- كذا براضة يا أستاذ صلاح.

- قال فريد بهدوء:

- ياللا يا أستاذ رمزي علشان تنزل القسم.

- فقلت معترضًا:

- والله؟! بقى كذا؟! بقى هوجة هنا معايا وينزل قبلي؟ شايغ يا شريف!!

- إذا بنس.. رمزي قديم هنا.. وبعدين أنت لسه مخبط مع دكتور وليد، لم الثور ولنا أخرجك من هنا بكره.

- لما مش عايز أتعامل مع الدكتور ذه ثاني.. يتجذ عنى ويسبيني فسي حالي.. لاش ناقصه.. اللي فيه مكينى.

- بالقوئك إيه.. بخرجك من هنا وبعدين نغالبهم.. إسمع.. أنا هأمنى ذلوقت، وبكره متخرج من هنا.

- تعرف لو سبيني أكثر من كده.. هاولعها.

- خلاص يا صاصو.. أنت بس إهدأ، ولما يجي لك دكتور وليد بكره، ماتشش معاه.. ولعلمك، وليد راجل حدع.. وجدع جدًا كمان.

- لما تشوف.. باين عليه هيشوف معايا أيام سودا،

مرّ اليوم الأول من أيام العمر الجديد.. والسيلاد الجديد على رأي
أمي.. مرّ.. وعندي شعور طاع بالكرهية.. كراهة للتكتور ولبيد.. وكراهة
للمستشفى.. وكراهة لنفسى.. كراهة كل شيء.

صحت في موعدي.. الساعة الثامنة، وأخذت النش، وتناولت إقطاراً
بسيطاً لأتجاوز الدواء بعد الأكل.. ولا زال الوقت يمر ببطء، ولم يسأل على أحد
حتى الساعة الحادية عشرة.. وتمعرت بالغليان، لترجة أننى فكرت لى كسر
التليفزيون لو ظلمت في محبسى داخل الشقة.. لو حدث هذا سوف أذاق شرارى
بلا تردد.. ولكن حوالى الساعة الثانية عشرة والنصف وصل دكتور وليد،
وبهدوء قال:

- إزيك النهارده؟ شكك أحسن بكثير من أول يوم وأحسن من إمراح كمان.
- ناوى تسيبنى هنا النهارده كمان؟ على العموم متفرق.
- لا.. كفاية كذا.. هتتزل القيم.. باللا.. يا فريد.. على القيم.. وهذا الشوفك
هناك كمان شوية.

نزلت إلى القسم مع فريد لأول مرة، وضرب الحريم وفتح لما شخص.
عرفت لى اسمه صادق، رئيس العاملين فى قسم الإنسان الذى قال:
- حش لله على السلامة.. عامل دوتة فى "الديتوكس" ليه.. انفضس.
- إبتوا لسه شوفتوا حاجة؟

دخلت، وبظفرة خاطفة، رأيت مجموعة كبيرة، حوالى خمسة عشر
مریضاً، ولم أركز فى محاولة معرفة أحدهم، فقد كنت متعباً بسبب أعراض
الانسحاب، ولازلت فى حالة الغليان بسبب الليالى الخمس التى قضيتها لى
"الديتوكس".. جلست على أقرب كرسي دون أن أسأل عن شريف أو تسام
ممنحت يدي وأخذت إحدى الصحف، على أمل أن أذاق ولو قتيلاً، وأقرأ.. فقرأه
الحراند من هوايتى، وكانت مشكلتى وأنا ضارب قراءة الخبر أربع لو خصل
مرات لأفهمه، وطبعاً كانت الصحيفة تقع من يدي، وأرفعها من على الأرض.

قد؟
- ولا اعرف.. أنا دخلت هنا من خمس دقائق بس.
- يا صاقي.. أوضة صلاح فى؟
- فى الدور التلى فوق.. الأوضة التلى على اليمين، شمال الحمام.. الأوضة التلى
بالفيها تاجر.

- بقوك إيه يا صادق.. شوفله حاجه تحت جنبى.
- ميش ولا سرير فاضى تحت.. لو حد مشى هتقله على طول.
- ماشى.

نظرت حولى ورأيت صديقاً:
- ياد.. دا جلال هنا.

- أفلا.. أفلا.. للمستشفى نورت يا صاصو.. إنت حيت إمتى؟
- بقالى 6 أيام فى "الديتوكس".. سجن.. وإنت هنا من أسى؟
- من شهرين.. بن خلاص ها أخرج قريب.
- ولين تاجر يا شريف؟
- أخرج من يومين، وإنت فى "الديتوكس".. ما بقاقلش.. هيرفع على طول..
تاجر مش بيطلع بره.

قلقت متعجباً للمرة الثانية:

- ليه ده؟ أسامة هنا كمان؟ يا نهار أبيض.. والله زمان يا أسامة.
- وأجشنى جذاً يا صلاح.. أخبرك إيه؟
- لى الوقت.. شوفت كام يوم بهنلة.
- لعل أنا أصعل إيه؟ دا أنا بقالى 8 شهور فى المستشفى.

السقينة

ومن مكاني هذا بدأت أتجول بعيني في المكان.. بعد العمر الطويل،
ساعة كبيرة تجلس بها مجموعات من الشباب.. خمسة هنا، وستة في ركن آخر،
وأربعة هناك، واثنان بلعبان الشطرنج، والمطبخ على الشمال.. ورأيت على
اليمين تلفوناً، وبجانبه غرفة، وقيل لي إنها غرفة الكاتبة.. يا لها من كارثة،
يطحنها جنيبا مباشرة.. وعلى اليمين أيضاً نصل إلى فيلا مغلقة، وعلى
الشمال فرايزة "فنج بونج".

وهناك في صدر العمر الطويل، رأيت لافتة كبيرة، كتب عليها:
"اللهم امنحني السكينة لأقبل الأشياء التي لا أستطيع تغييرها.. والشجاعة لتغيير
الأشياء التي أستطيع تغييرها.. والحكمة لمعرفة الفرق بينهما".
أما جملة!!

لولا: أعاطفتي.. ورفقتي.

ثانياً: قرأتها أكثر من 5 مرات، ولم أفهم منها أي شيء.

وقرات جدول الأسبوع معلقاً على الباب، كان كالتالي:

الثلاثاء: دكتورة نجلاء من الساعة..... إلى الساعة.....

الشارقة: دكتورة إكرام من الساعة..... إلى الساعة.....

وفي أثناء قراءتي للمواعيد، قال لي شريف:

"بالأعلى الغدا.

- لست مش قادر أكل.. بالعافية معلقين ثلاثة.

- تعال بن يا صاصو وإنت نفسك تتفتح.

- شفت أنا زنت 4 كيلو!! بيزعطوني؟

- 8 شهر؟ طيب.. ما تخرج.

- إخواني مش غاوزين بخرجوني.. أخبار رامي إيه؟ بشوفه؟

- كان معنيا من أسبوعين، ورُحنا ضرتنا سواء، ياباه عيان أوى، ما إنت عارف
عنده القلب.. بس أمة وأخوه غاملين عليه كدائشة بنت ".....".

شخصيات كثيرة أعرفها جيداً.. مرات ومرات ضرتنا معاً، وكثيراً
ما التقينا في أماكن وظروف مختلفة.. دولاب في بولاق، إمباب، كوم السمن،
الجعفرية.. ياه!! وعلى رأى المثل.. فعلاً.. للطيور على أشكالها تقع.. من
النادي، من المدرسة، من الزمالة، من المهندسين، من مصر الجديدة.. من كل
مكان!!

أكلت ثلاث ملاعق أرز وبطاطس بصعوبة، الأكل جيد فعلاً، ولكنى
لا أستطيع الأكل.. وأكلت قطعة صغيرة من صدر "الفرخة"، وأعطيت السلي
لصديقي شريف، فكان شخص له رُبْع فرخة، لكنها لا تكفى شريف.. وفكرت
الذهاب إلى غرفتي، فسألت:

- هي شغلتي قين يا صادق؟

- فوق على التمرير بتاعك.. يمين السلم.. شمال الحمام.. ومعاك ليرفى
الأوضة.

وجدت في العرفة سريرين: شغلتي فوق أحدهما، وفتحت النولاب،
وجدت لصفه مليناً بالملايس، وسمعت من يقول لى:

- أهلاً وسهلاً.. أنا أمير.. إزيك؟

- الحمد لله.. وأنا صلاح.

- إبت منين يا صلاح؟

- من الزماتك.. جار شريف.

- ذا أنا سمعت أن الشارع بتاعكم مزعج.

- فعلاً، شارعنا كله ضريبة.. وأنت من فين؟

- من المهندسين.

- فين فى المهندسين؟

- أحمد عرابى.. جنب عمر أفندى.. هو إنت تعرف ضريبة فى المهندسين.

- آه طبعاً.. أنا أغلبية ضريبى كانت فى المهندسين.

- تعرف مين فى المهندسين؟

- بهاء، سامح، ثامر، عادل، إبراهيم..

- إيه ده؟ إيه ده؟ دول بقاولة.. تعرف الناس دى من فين؟

- دى شلتى.. أصلاً بهاء كان معاليا فى الفصل من حضارة.

- يا راجل.. بس دول خربوها.

- يعنى إنت ما خربتتهش يا أمير!! ما كنا خربناها.
- على رالك.. دا أنا خربتتها، وقعنت على ثلثها.
- بلوتك إيه.. باللا تنزل علشان أنا شايز أخذ التوا.
- تبنى عشر دقائق وأحصلك.

افترت البقاء مع الشباب بدلاً من البقاء فى عرفة النوم.. أولاً: أكاد أن
أحق.. وثانياً: لازلت كارهاً لنفسى، وكارهاً للمستشفى.. وثالثاً: ربما تخفف
الصحة مع الناس من حدة هذه المشاعر.. وجدت "شريف" ومعه رمزى،
يطلس مع اثنين من الشباب، شكلهما ومنظرهما لافت للنظر والاهتمام.. جذبت
نقرسى إلى جوارهما، وجلست ألتع لحوار، الذى بداه شخص اسمه طلعت:

- ألفت البويزة وسافرت إسكندرية.. متخيل معاك 20 جرام.. الدنيا تبقي
غملة لراى، وخلصتهم فى أسبوعين.. موت، ومارجعتش على البيت.. رجعت
من إسكندرية على سويسرا.. الدتوكس على طول.

رد جلال قائلاً:

- فكر يا أسامة لما طلعنا العردقة بعد مائيت شطة الفلوس.. أخذت شطة
أبوازى ما هى، وفيها 40 ألف جنيه.. طلعت أنا وأسامة واثنين أصحابنا على
الفرخة. اشترينا 32 جرام من دعيس.. كانت كل البويزة التى معاه.. يا نهار
أسود، تصوروا لو كنا اتسكنا؟! طبعاً إيجار.. هو فيه حذ بمشنى ومعاه
32 جرام؟!

الحديث كله عن المخدرات وأيامها الحلوة من وجهة نظرهم..
ولم يتطرق أحد إلى البهذلة التى عشناها وشفناها.. ولا الناس اللتى تمسكوا
ولا أصحابنا اللتى ماتوا.. لم أتمالك سماع هذا الحديث، فأخذت شريف جانباً
وتحدثت معه:

- بلوتك إيه يا شريف.. أنا عايز أضرب.

- ليه؟

- شعوروني.. فيه اى سكة؟

- أصتبر، فيه سفينة حابة، وداخلة قريب.

- لا يا راجل.. إمتى؟!

- اليومين دول.. بس الجو مغيم شوية.

- لانا ممالك.. يوعى تبيعنى.

- عيب يا أخى.. مأكشش قلت لك.

مر النهار فى الثرثرة حول البوثرة والمخدرات.. وتجمعنا مرة أخرى حوالى الساعة التاسعة، وتأملت وجوه المشاركين فى الجلسة، وكان من بينهم حلمى "مدمن خمر"، وقد سخروا منه كثيرا، لإعلانه أن الخمور أفضل من المخدرات.. كيف يجرؤ.. وصديقه شريف بقوله:

- إحكى لنا عن أكثر بار بتحبه يا حلمى.

- مش بأحب البارات.

- طالما مش بتحب البارات.. بتشرب ليه؟ إنتم عارفين إن صادق مجنى منه قرارة كولومبيا، أصل كلها سبرتو، وطبعاً يا حلمى فى الأرامك بتشرب 5 خضبات.. صح؟

- إنت تفهم إيه فى الخمرة؟

يتدخل جلال قائلا:

- باقولك إيه.. أنت هتقل لنبك واللا إيه؟ كتم غمك كويس وإلا قسما عظيما.

لا يرد حلمى.. فيسأله شريف:

- قل لى يا حلمى، تتفق كام لو جيت لك قرارة بيرة دلوقت؟

- ما أنفكش حاجة.

- إنت قلت لى إيشراح أرفع ألف جنيه فى قرارة بيرة.. غيزت رايت ليه؟

لم يحتمل حلمى سخرية شريف، وتركنا وأخفى.. سألت شريف:

- هى إيه حكايته؟

- دا رخم لوى.. سكرى، كيميكرز*، بركينول على كودافين، اى بلا أرتزق.

- يا لى غمى ما فهمت الناس دول.. ذا كيف ناس عيانة.

- باقولك إيه يا كراكس.. عاوزين نخلص منه.

- سيبولى.. لانا بكرة لثوفه سكة.. وبغنين عيب بيسيك وبسنى وأنت بتكلمه.

- إزة ألب وقلة تربية.. تربية صينليات بصحيح!!

أخذت النواء وذهبت إلى غرفتى، فوجدت أمير نائما، ومستغرقا فى

الأملم.. ومرأ اليوم ببطء شديد، ولكنه من والسلام.

السبع الثماني

بدأت التعرف إلى شخصيات جديدة منهم: ياسر من ليبيا، أمضى فى المستشفى 10 شهور، وداوود رجل كبير، ودخل المستشفى منذ سنة تقريبا، لانا فلان* ابن فلان، فهو فى المستشفى منذ 3 شهور، وبعد خروجه بيومين قتل عاود الضرب، وصمم أهله على إعاقته من جديد.

ومن خلال حواراتهم، فهمت أن كلاً منهم يعرف الآخر جيدا، وأن فلان* لم يضرب لأكثر من شهر واحد، وبمجرد أن اكتشف والده هذه الحقيقة، شتمه فورا على المستشفى، وفهمت أيضا أن رواد المستشفى لهم مصطلحات خاصة كثيرة، منها:

المستشفى: سويسرا.. فلان اتشحن: معناها أن فربقا من المستشفى أحضره دون رغبته.. أما 111: هو رقم غرفة منفردة أو الحبس الانفرادى، فكل من يعمل قضية*، يذهب فورا إلى غرفة 111، ويظل فى محبسه فى تلك الغرفة مدة

* يعلق على منملى الأبويرة.

* اسم حركى للبويرة.

تتناسب مع المشكلة أو الخطأ الذى ارتكبه، فقد يعرضى بها أسبوعاً أو شهراً، ومن الممكن أن تصل المدة إلى ثلاثة شهور..

ومن أهم التعبيرات المعروفة: "السفينة داخلة" بمعنى أن المخدرات فى طريقها إلى قسم الإنمان، وبطبيعة الحال هذه خطيئة كبرى، وتعد أخطر ما يحدث فى المستشفى.. وفى الوقت نفسه أهم شيء بالنسبة للمدمن أن تتجح محاولاته فى إدخال المخدرات، وتبين لى أننا كأصحاب، وتجمعنا كآرثة الإنمان، من المهم أن نتكلم للغة نفسها.. وكان أول سؤال، وجهته إلى شريف فى ذلك الصباح:

- أخبار السفينة إيه؟

- فيه مشكلة فى الميناء، نبراً ما نلتفتش.. إستمع.. جانب من الكلام فى الموضوع ده مع أى حدة، لأننا لو اتسكنا واتعمل لنا تحليل، على 111 فوراً.. أه يا معلم، وما أدراك ما هى 111.. قضيت فيها أيام وليالى.

- هما ليه سموها 111؟

- وإنت جوّه مايتنوفش غير 3 عواميد حديد يا معلم.. تعال يا صاصو نخضر التأمل مع نجلاء.

- مين نجلاء يا شريفو؟

- أخصائية اجتماعية تلوعه أوى، أه لو وقعت تحت يدي.. أهى.. وصلت.

- صباح الخير يا شريف.

- صباحاً لكن بياذن الله.

- إنت صلاح.. صح؟

- صح.

وكان تعليق شريف:

- دا إنت متوصى عليك.. خذالك يا عم.

جاء حلمى وقال:

- أنا عاوزك يا نجلاء بعد الاجتماع.. فيه موضوع منهم وعاوز أنكلم معك.

ضحك شريف قهقراً:

- أنت إحنا ضنطنا وفرصنا عليه إسبارح.. اسمع يا حلمى.. يعطوك فى قرايز.

- عيب يا شريف.. حاضر يا حلمى.. طبعاً أقعد معاك.. وإنت كمان يا صلاح.

لا عاوزة أقعد معاك بعد الاجتماع.. متمكن؟

- طبعاً.. ممكن.

جلسنا أمام باب القسم فى دائرة تضم خوالى 12 شخصاً فقط،

ولم يحضر بقية الزلاء، بعضهم لا يرغب فى حضور الاجتماع، والبعض دائم،

والبعض فى حالة كمل.. وعلى مسافة ليست بعيدة، جلس اثنان من المعرضين:

أحدهما على اليمين، والآخر على اليسار.. عيونهما ثراقتا وكأنها عيون

تستقر.. كل همسة، وكل حركة نصت "الميكروسكوب" تحسباً لمحاولات

لهروب، ولتى تتم فعلاً فى بعض الأحيان.. إنها ليست سهلة، ولكنها ممكنة

لحدوث.

بدا الاجتماع، وطلبت نجلاء أن يتكلم كل منا عن إحساسه بالمستشفى

فى هذا اليوم، ولم أستطع التركيز، فتم أكن أفكر إلا فى السفينة والميناء..

ترقصت الكلام والمشاركة.. وفى نهاية الاجتماع تفرق الجمع، كل واحد فى

طريق.. منهم من ذهب إلى غرفته، أو من يلعب شطرنج أو "سنج بونج"،

لما قار.. فلم أزل غاضباً، ولم بهذا حتى الآن بركان الغضب بسبب حمسى فى

التيوتوكس، ولأن دكتور وتيد لم يلتزم بكلمته، ولم ينفذ وعده.. ونوبت ألا أكلمه،

وعندما وصل نقاديت للنظر إليه، وبدأ هو بتحية المجموعة، وسؤالهم عن

مطبخهم.. من منهم يريد اتصالات تليفونية، ومن منهم يريد حضور الاجتماعات

للسببية.. ولأول مرة اسمع عن هذه الاجتماعات، ولم أفهم المقصود بها،

ولم أركز فى الموضوع لأفهمه، بقدر تركيزى فى أن البعض يمكنه الخروج من

المستشفى الساعة السادسة مساءً، والرجوع إليه الساعة العاشرة.

تصورت أنها رحلة أو نزهة ترفيهية، ويطلق عليها: اجتماعات..
وعندما مد دكتور وليد يده للسلام، كنت في حالة سرحان، فقال:

- لزيك يا صلاح.. لسه برضه زعلان؟

- وإنت مالك زعلان وللا مش زعلان؟

- خلى بالك يا صلاح، إحنا هنعامل مع بعض فترة طويلة، وياريت نسلم
بأسلوب أحسن من كده.

- أنا مش بأتق فيك، فمش ها اعترف أتعامل معك.

- موضوع لك قعدت كثير في "التبوكس" مش قراري نوحدي.

- قلت لي ثلاث أيام.. وسبتني ست أيام؟

- على العموم مايزعشش، وأوعذك لما اتفق معاك على أى حاجة مسرة تانية،
أنفذاها.

تدخل شريف في الحديث قائلا:

- عندى دى يا صاصو.. بص يا دوك، إحنا فعدديها لك المرة دى، سن المرة
الحاية.

- لا يا راجل!! والله!! هاتعمل لى إيه إن شاء الله يا شريف بيه؟

- على 111 ولغاية لما يبان لك صاحب.

ربما كان شريف لشهر واحد في المستشفى، دخلها 17 أو 18 مرة،
وبالإضافة إلى أنه شخصية معروفة للجميع، فهو محبوب جداً، ويعرف كل
تفاصيل المستشفى، وكل العاملين به، وكل غرفة بمحتوياتها.. هو خيرة واسعة،
ومتعاون بكل طاقته، ودمه خفيف، ووجوده بالنسبة لى كان فعلاً مهشاً.. لزل
عنى الملل.

وكان موعدنا الساعة الواحدة مع دكتورة إكرام.. تعارفنا، ووجدنا
سيده طيبة، تتمتع بالخبرة والكفاءة العلمية.. تهتم بالجميع، وتحب عليها،

وهذا يبدو واضحاً من أول وهلة.. وحضرت معها أول اجتماع، ولم يحضر أكثر
من 12 فرداً من نزلاء المستشفى، ومن الاجتماع هائلاً.. ولطيفاً.

وجاء موعد تناول طعام الغداء.. وكنت كالمعتاد لا أستطيع الأكل
بشبهة.. ولكن الحمد لله توقف القىء.. لقد تعودت عملية القىء أثناء الضرب،
وهو يختلف كثيراً عنه بعد التوقف عن الضرب، فهو معذب لأقصى درجة..
وشعرت ببعض الراحة بسبب عدم القىء.

اكتشفت من قائمة أسماء المجموعة التى ستنخرج لى الاجتماع،
أن بعضهم قرر عدم الخروج، واعتزلوا عن الذهاب لى الاجتماع.. ولم أفهم
هذه القصة العجيبة، وأسباب التراجع عن الخروج.. وتركنى شريف مع
المجموعة التى ستبقى فى المستشفى، وذهب لى الاجتماع، وانتظرت مع شاب
سمى اسمه باسم، عاش فى باكستان، وحكى لى عن الوضع هناك.. قائلاً:

- لضرب فى باكستان مختلف.. مفيش الهبل التى عنكم هنا.. هناك مش
بالورقة ولا بالجرام، هناك بالفنجان، ويعنين إنت تجرب الأول: عاجبك تأخذ،
من عاجبك تلاتش.. كذلك بتشتري بلح رمضان، وكمائن هناك لى باكستان
رخيص جداً.. ببلاش.

- طبب أنا عايز أروح باكستان معك يا باسم.. أنت هاتطلع من هنا إمكى؟

- ما اعرفش.. أنا بتطلع على إسكندرية، ومنها أسافر باكستان.

- بتريت لو بظبط موضوع باكستان سوا.

وهكذا كنت أعيش فى عالم آخر، ولا أدري كيف أفكر، ومذاق قول.

عاد شريف فذهبت إليه وقال لى:

- بلوكك إيه.. السفينة داخلة امينا بكرة.

- لا يا راجل.. بجد؟

- عيب يا معلم.. أنا ها أنزل الاجتماع بكرة، وارجع بالشغل.. أنا وإنت
رجل.. بس.

- ماشى يا شريو.

- بس استمع.. مقيش بتنى آدم يغرف، كمان ما بضررتين كبير، وإلا لنكش.

ونعلى لما اتيال بذايموا.

- هي السفينة حمولتها أد إيه؟

- 3 طن بياض السمك.. كل واحد وزفة.. أطمن واجب مايتسبش دا يا صاصوم

- ما أنا طول غمري جتاع معاك يا شريو.. بس هنجيب السموت مين؟

- لا.. مقيش سموت.. اتسى.. دا أنا بعد ما لرجع من الاجتماع، بيقشونى تقش ذاتى.

- أمال هتكمر* الحاجة فين؟

- كله مغمول حسابيه.. بكرة جلال مش هينزل، أنا بس.. جيعمل إنسة عايز

يخرج أجازة.. تقويه بطنى، خليك إنت بعيد بس، وملكش ذنوة.

- قشطة.. أنا نفسى أضرب أوى.

- قفل على الموضوع يا صلاح، وتعال نشوف حلمى، فلاحيه شوية.

- بأقولك، أنا هاتفذ خطة تخلص بيها من حلمى.. بكرة يا معلم أنا ها أتحبواك

على 111.

- بجد.. هتعمل إيه؟

- أصير لكره.

ذهب شريف إبنى حلمى وهو بطنى:

- هات القزارة وأقعد لاعبلى.. يا حلمى.. هات القزارة..

- إيعذ على.

مر اليوم.. ولكن على أمل دخول السفينة فى اليوم التالى.

* حلمى.

يوم جديد.. بعد الإفطار.. تصفحت الجرائد وكنت منتعشاً وسعيداً لأن

السفينة تصل اليوم، وتدخل الميناء.. وعندما وصلت نجلاء، سلمت على

المجموعة، وقالت لى:

- متفرقات تقعد مع بعض إيدارج.. بس لازم تقعد سوا النهارده.

- ياريت.

وكان عدد الحاضرين فى المجموعة مثل الأمس.. بفارق بسيط هو أن أحد

الحاضرين لم يتواجد معنا من قبل، وآخر حضر الاجتماع بالأمس، واعتذر

اليوم.. وبعد نهاية الاجتماع، جلست مع نجلاء فى الحديقة، وكان الجو مشمساً

ولطيفاً.. وكان أول سؤال طرحته على:

- احكى لى.. صاحبكك اسمها إيه؟

- مين أفهم؟

- دنجون؟ احكى لى عنهم كلهم.

- آخر واحدة مريم.. نزلتلى من عربيتها قبل ما ادخل المستشفى بكام يوم..

أصلى جنتتها، وطلمت عليها.

وحكى عن راندا وهالة، ومريم.. وكانت الجلسة مع نجلاء لا تخرج

كثيراً عن قصص الحب، والحكايات العاطفية وعلاقى بأهلى.. وبعد ساعة من

الحديث المتصل، قالت لى:

- إنت لازم تقوم علشان تحضر اجتماع دكتور إكرام، ونقعد سوا بكره..

علشان علوزه أنكلم معاك فى تفاصيل كثيرة.. وعلى فكرة.. وليد وصل..

سلم عليه قبل الاجتماع.

وصل دكتور وليد، وسلمت عليه قائلاً:

- يا دكتور.. إحنا هاتفتح صفحة جديدة مع بعض.

- ياريت يا صلاح.

كان من الواضح أن معنوياتي مرتفعة، وبمهارته وخبرته لاحظ هذه الحقيقة، وسألني:

- إيه أخبار "الجروبوات" والاجتماعات؟ ويتأكل أحسن والآن لسه؟ وإيه أخبار الصداق؟ والرشح والتكسیر؟

- الحمد لله، أحسن .. كنا فين وبقينا فين .. بأ أفولك إيه يا دكتور، أنا عزيزك في موضوع مهم.

- خير يا صلاح.

- أنا مش متعود أفن أو أقبل كلام .. يمش فيه موضوع، أنا مش فاسر لشيء عليه، وتاعتني جداً .. أنا دخلت المستشفى علشان أبطل .. صح؟

- صح.

- من ضمن ساعة كنت في الأرضة اللي جنبى فوق، ولقيت طبق ومعلقة تحت سرير حلمى، بصيت فيهم، شكله كذا ضاحن "صليبة" وتوفاسى، أو أى حاجة .. مش عارف، مش مذاكد.

- إزاي الكلام ده؟

- بالرأحة يا دكتور .. مش عايز حد يعرف إني قلت لك، وإلا يقولوا إني فتن .. وأنت فاهم الباقي .. وتعلمك حلمى دا مش مضبوط من أول يوم وتسلطه ثقيل .. جالى إيمارح وقال لى تدينى الأدوية بتاعتك .. حطها تحت لسانه وطلعها لسانى وأنهايلى .. ما إنت عارف يا دكتور، حلمى دا صيدلية.

- سبب لى الموضوع ده، أنا هاتصرف .. إنت مش عارف إني كسرت فى نظري أد إيه.

- بين من فضلك يا دكتور، أنا مابيش ذعوة بالموضوع دا خالص، مش عايز أقاس هنا بتمك فى ركبتي .. أنا قلت لك علشان أنا قررت إني أبقى فيك، بعد موضوع "الديتوكس".

- إنت لسه فاكتر؟ ما بيقاش فليك إسود كذا .. باللا روح على جُروب دكتورة إكرام، وأنا هاتصرف.

فى خلال خمس دقائق .. انقلب الدنيا رأساً على عقب .. نجحت الخطة بطلب بسيط .. طلعت ريفو من الصيدلية، بحجة الصداق، وطحنت أقل من رُبع قرص أريفو فى طبق بملعقة، بخلاف جبر بسيط من الحائط .. ووضعته تحت سرير حلمى، وكان من الممنوعات المعروفة للجميع تناول الأطعمة فى الغرف .. وبثلاثي ممنوع قطعاً وجود الطبق والمعلقة فى غرفة النوم .. وهكذا كان الطبق والمعلقة والريفو والجبر المطحون تمثيلية كاملة ومحكمة، ولو أن للمرض بُلل لسانه وجرب تنوق هذا الشيء المطحون، فإنه سوف يجد اللعنة مرء .. وصفر الحكم.

جلست فى اجتماع دكتورة إكرام، وبدأ الحديث بشكل عام، وجلس تريف فى مواجهتي، وبالتقرب منه جلس حلمى، وبعد دقائق معنودة جاء صديق رئيس العاملين، واستأذن من دكتورة إكرام فى طلب حلمى، وبسرعة وقف وخرج من دائرة الاجتماع ليستطلع الأمر، وبعد 10 دقائق رأيناه منفعلاً، وهو ينشى بجانب صديق من ناحية، وفريد من ناحية أخرى فى اتجاه غرفة 111 .. ثألنا الموقف وسألنا جميعاً: ماذا حدث؟ ماذا جرى؟ وسأله جلال:

- على فين يا حلمى؟ اناك دى أحسن من غيرها!!

وتوالى التعليقات:

- هو فيه إيه؟

- هو رايح فين؟

- بالتسلامة .. والقلب داعيك.

- لك وخشعة يا حلمي.

- سلم لي على 111.

- يا فتى أنا كُفرتُها" خلاص، والثانية في عتبة السخاير، وبناعتك يا صلاح
جوة مختك.

طلعت إلى غرفتي في ثالثة وبدأت أبحث عن شيء لأشم به، وقطعت
عتبة السخائر، وعملت منها شفاطة ودخلت الحمام، وفتحت الورقة ووضعت
القليل منها على عتبة "مسي ديه" وشديت خطمين، وشيت الورقة، ونزلت إلى
المجموعة فوراً؛ لأنه ليس من المطلوب أبداً الاختفائي لفترة طويلة في ظل هذه
الطروف، وعلى حد قول شريف:

- نص بلوقت، والنص الثاني آخر الليل.. لو اتسكنا، هتبقى ليلة سودا.

ولم يحدث التأثير العالى المطلوب.. لكن للسيجارة طعمًا مختفًا،
كما ان المزاج أيضًا كان في حالة هدوء، وقابلت شريف ومعه رمزي، وشعرت
لهما يتحدان في موضوع مهم، وسمعت شريف يقول:

- نلغذه معانا يا رمزي؟

سألت بانداهش:

- هو إيه ده؟ مش قاهم!! فين يا شريف!!

- الهروب الكبير.

- لا يا راجل.. معقول!!

- إحنا بنرسم الخطة بلوقت.

- مين اللي هيهزب؟

- وطني صونك.

- إحنا الأربعة.. أنا ولنت ورمزي وجلال.. جلال قرر بيع "الكولييه" اللي
لابسه في رقبته.. ثمنه ألفين جنيه على الأقل، ورمزي بقدر يبتز ألفين هو كمان،
وأنا أقول بيتنا وأنصرف، وإنت شوف ممكن تجيب كام.

- مش مشكلة، ممكن أنصرف.

الفتية.

اختفى حلمي، ونظر إلى شريف، فعمزت له، وعلى لمصور فهم ل
الخطبة تمت بنجاح، وبعد انتهاء الاجتماع، استمر التساؤل: ماذا حدث؟ ماذا فعل
حلمي؟! وبشكل أو بآخر.. فهم البعض أنني وراء ما حدث، فارتفعت أسهمي
داخل القسم.

- كراكس بيمنى يا رجالة!!

رجعت إلى القسم، وجلست مع الشباب، ولكنني كنت قلقًا، وغير
مستقر؛ طبعًا لأن السبينة متصل اليوم.. وبعد تناول طعام الغداء، تابعت مبارزة
كرة قدم، ثم وصلت قاتمة بأسماء المجموعة التي ستخرج إلى الاجتماع خارج
المستشفى، وكان شريف من بينهم، وظللت مع جلال في المستشفى، نتأكل في
الموضوع ونحلم، ولم أستطع إخفاء مخاوفي.. فقلت لجلال:

- أنا خايف السبينة تعرق.

- ما بتقفش.. شريف قبطان قديم.

جلست لمدة ثلاث ساعات في انتظار شريف.. وأخيرًا عايت المجموعة
من الاجتماع الخارجي، ودخل علينا شريف بأسماء المنتصر فقال له جلال:

- حمد لله على السلامة يا كابتن.

- بالوقت إنت وهو.. من بعيد.. لبعيد وإلا نكتشف.

- تمام.. طمأنك حق.

- طمأنى بس يا شريف!!

- يخبث يا باشا 3 لنوار.

اختفى شريف لدقائق ثم رجع، وظلت عيني تتابع كل خطواته.. ركزت
معاه، واستطعت اصطفاة بعد عشر دقائق، ومن ورائي جلال، وقال له:

- بأقولك إيه.. فين؟ خفصنى بسرعة.

وأخيرا تكلم رمزي:

- ين علي شرط، احنا نطلع من هنا على إسكندرية، ونرجع من إسكندرية على سويسرا.. ماشي يا صلاح!!

- ماشي.. اتفقنا.. يس تهرب إزاي يا شريف؟

- انا لرتبتها.. منتقلش.

قام رمزي وهو يقول:

- بالقولك إيه، أنا هأ امشي من هنا، قمنا كثير مع بعض والهنس والوشوشة تلفت نظركم، ويركزوا معنا.

جلسنا أنا وشريف نتحدث سويا.. فقال:

- معاك حق.. البودرة حلوة.. ين لو فيه سوست.

- احكي لي القصة دي مشيت إزاي؟

- أنا التفتت مع بشر بمبو من يومين، جهز القلوس، أصل أنا عملتها معاه قبل كده كذا مرة، وهو في المستشفى، وقابلته النهارده في الاجتماع.

- بدر بمبو.. غريبة!! دا نال!! طيب السفينة دخلت إزاي؟ أنا سمعت إنك بتفتش نفثش ذاتي يا شريف.

- يا عم دول كفتة.. لزت الثلاث ورقات بالمؤليتيب في الحزام، وساعة النفثش قلنت الحزام لوحده، والبنطلون لوحده.. طبعاً قشوني وماخوش بأنهم من الحزام، وقعت أغوش وعملت نفسي بزدن، وقلت لهم بسرعة قشوا هدمي وخسوني.. الدنيا برد.

- معلم.

- حلال التأخر.. أنا عارفه.. هيصرب الورقة كلها مرة واحدة، وبتكتف.

- أهو وصل.. إيه يا عم جلال.. إنت فين؟

- كنت مع رمزي، وقال لي على الهروب الكبير.. أنا جاهز يا رجالة.

لم أهتم بالهروب الكبير في تلك اللحظة بقدر اهتمامي بما أريده الآن.

لثنت.

- بقولكم إيه.. البودرة دي حلوة أوي، ين عاوزين العيال دول يناموا علسنا

بشي شوية.

أجاني جلال:

- أصبر يا صاصو.

واقترح شريف قلاباً:

- بشع.. ادخل القلا يا جلال، وانزل الدور اللي تحت، وافصل فيشة الكهرباء

خففتروا إن الكهرباء انتطعت.. والعيال تدخل تمام.

انزل جلال.. ونجحت الخطة.. انقطع تيار الكهرباء.. وبعد نصف

ساعة تقريباً ناموا جميعاً، وصعدنا إلى غرفنا، وكل واحد معه بقية الورقة..

لجونا، وبعدنا التقينا.. سهرنا، وصحكننا، ولأن الظلام دامس، فلم نظهر علينا

إيه علامات مريبة.. في تلك الليلة لم آخذ الدواء، وضعته تحت لساني، وعندما

لار للمرض ظهره، رميته فوراً.. وامتدت السهرة حتى الساعة الخامسة

صباحاً، وكنت علي ثقة أن هذه السهرة سيكتب عنها تقرير.. ولكن يكون في

صالحنا، بكل تأكيد.

نمت في الساعة الخامسة، وصحوت الساعة العاشرة بعد موعدي

لمعتد، وكنت قلقاً من تحليل مفاجيء، فيكتشف أمرى.. وبسرعة غسلت وجهي،

وأبست ملابسى، ونزلت لحضور الاجتماع مع تجلاء، وسمعتها تسأل عنى:

- صلاح فين؟ الساعة 10:00، والجروب موجود والاجتماع لازم بيندى.

- التواني عشر دقائق بر.

- منتقل أكثر من عشر دقائق.. متنوع حذ ينضم للجروب بعد كده.

جريت إلى المطبخ، وطلبت من فوزية مشرفة المطبخ، أن تجهز لى

أى ساكنوتش أكله بعد الاجتماع.. وطلبت من سعدية شأى بخلب.

لقد تعرفت إلى العاملين في المستشفى جميعًا، فهم على قدر كبير من
السماحة والخلق الطيب، وكنت أدعهم بكلمات لطيفة.. وقبل أن تمر الساعات
العشر، نخلت إلى اجتماع جلالة، وجلست في مكاني، وبدأت أأسل وجوه
الموجودين، وبشكل ما كنت أشعر بالارتياح بعض الشيء، فقد اضريت
بالأمس، وفي ذهلي خطة هرب مع ثلاثة من العاقرة.. ثلاث توارث متركة،
وبعد انتهاء الاجتماع جلست مع شريف وجلال ففكر في كيفية تنفيذ الخطة،
وفجأة دخل بدر، وهو من الذين تم علاجهم في المستشفى، وهؤلاء من حقهم
الزيارة، ودخول القسم بشرط عدم التعاطي، وهم يخضعون للتفتيش الدقيق دون
مقدمات أو جدال.. وفجأة تحدث بدر معنا فبا خطيرا:

- سامح مات.

فقال جلال مندهشًا:

- لا يا راحل!!

وقلت متسلا:

- إمتي؟ وإزاي؟

- إمبراح.. لثقه واقع في الحمام.

لقد عرفت سامح عن طريق رامي.. كان معظم المومنين يعرفون
سامح جيدًا، فقد كان في المستشفى نفسه منذ ثلاثة شهور.. وشعر الجميع
بالحزن العميق، وكنا نشعر جميعا بالحزن عند رحيل أحدنا، وكنا في حزن،
ومات واحد من زملائنا في المعركة.. بعد الصدمة ساد الوجوم دقائق، ثم عادت
الأمر إلى ما كانت عليه، وخلصنا ثوب الحزن بكلام شريف إلى بدر:

- إنا بنفكر نهرب، يس مش عارفين إمتي.. جلال قرر بيع "الكوليه"
التي في رقبته.. عليك العربية يا بدر.

- وإيه التي يخليكم نهربوا؟

- عاوزين نضرب.

- يلبي وإيه المشكلة؟ أخذ "الكوليه" وأجيب لكم البودرة، وأقبلت في الاجتماع
وخلص الموضوع، بلاش هروب ومشاكل يا جلال.

- بتسأل!! فكرة جامدة يا بيمو.. ختبرف تبيعه!!

- يا سلام!! دا أنا بعت نص دهب أمي.

- يا "كوليه" قليل ويجب أنه مبلغ محترم.. يجيب كام يا بدر؟

- زي مايجيب.. ونقسم الحاجة عليا إنا الخمسة، وبتل ما تهربوا وتمشكوا

وتزجوا 111 وتبهدلوا.. ولا إيه رأيك يا صاصو؟

- لك حق.. بقعد هنا، ونضرب في هدوء.

اتضححت معالم الخطة.. وبذلت التعليمات من شريف:

- يقول لكم إيه.. تعالوا نحضر اجتماع دكتورة إكرام.. إنا لازم نلتزم اليومين

بور.. وإنت يا بدر خذ "الكوليه" من جلال، وامن على طول علشان تخلق

تبيعه، وهات الشغل في اجتماع بالليل.

ولخذ بدر "الكوليه" من جلال، وترك المستشفى على وعد بقاء شريف

ورمى في اجتماع المساء.. وتوجهنا لحضور اجتماع دكتورة إكرام..

وبعد الانتهاء من الاجتماع قابلت دكتور ولید، وسألني:

- إنت فین يا سيدی؟ جدولك مزحوم حدًا باين عليه!!

- لا والله.. أنا كنت مع دكتورة إكرام، بس أنا عايز منك خدمة.. في الحقيقة
خسنت.

- هیز.. عايز إيه يا ترى؟

- أول حاجة عايز أكلّم أمي.

- موافق.. وتلّي حاجة؟

- أزل الاجتماعات.

- أنا كنت مستنى إيك تطلب الطيب ده.

- أصلي مش فاهم إيه الاجتماعات دي، وعايز أبتدى أفهم.

وفي الحقيقة، لم يكن يعنى فى كثير أو قليل أن الهم ماذا يجرى فى تلك الاجتماعات، ولكن ما بهمنى وبشغلى الخروج مع شريفه، وأن أحاول مساعدته فى دخول السفينة.. الموضوع كبير.. إنها سفينة عملاقة.

- ماغنىش مانع، بن مش للنهارده.. أنا لازم أخذ رأى باقى الدكتور.. ده مش فرارى لوحدى.

- من حقك.. بس أرجوك خلّص لى الموضوع ده بسرعة.

- ربنا يسهّل.. صابق.. عايز نصريح مكلمة لصالح.

وفى تلك اليوم، فوجئنا بالإفراج عن حلمى، بعد نتائج التحاليل الخاصة به، واتضحت براعته.. أما صديقى شريف فقد استعد للذهاب إلى الاجتماع، وأخذ رمزى معه ليعاونه فى تنفيذ خطة دخول السفينة.. بالإضافة إلى ذلك، كان رمزى يحظى باحترام فى المستشفى، وعادة يتم تفتيشه بسرعة، ودون تدقيق كبير.. وبعد خروجهما للاجتماع جاعنى صابق بالتصريح، للاتصال بالأهل تليفونياً.. حدث هذا لأول مرة منذ دخولى المستشفى.. ودار حوار تليفونى له ألف معلى، بينى وبين أمى:

- إزيك يا صلاح؟

- الحمد لله يا ماما.. ولا مكلمة واحدة تسألنى فيها على؟

- أنا رحت لك المستشفى مع باباك يوم عيد ميلادك، وللاسف ماغرفناش نشوفك.. وصلتك المصحف؟

- آه.. وصلنى.. طيب مش بتكلمينى ليه؟

- كتمك إيمارح الضهر، وقالولى إنك مع "الجروب" فى اجتماع، وكنت لسه حالا ما اكلمك.. طمئنى عليك.. أخبارك إيه؟

- مغيث أخبار.. خلاص زهقت، وكنت متخاف مع الدكتور عثمان سألنى فى "الديتوكس" 6 أيام.. هاتيجى إمتى؟

- يوم الجمعة إن شاء الله.. هأ آجى أنا وأخوك وأختك.. محتاج أى حاجة لينهاك معاها؟

- لا.. شكراً، ومش محتاج غير إبنى أمشى من هنا بأسرع وقت.. المستشفى طابت ضائقة، ولما تيجى أحكى لك.. رولا عاملة إيه؟

- كويسة الحمد لله.. يتسلم عليك.. هزيت شوية نيم إنت ما دخلت المستشفى.. هأ جيتا.

- طبعاً، إنتم تهنأوا وأنا أتحرق.. مش مهم.. يالاً يا ماما.. أشوفك يوم الجمعة.

احترقت أعصابى بعد هذه المكالمة.. تخيلت وأحسست إنيهم يعشون عقيم فى هدوء، ونسبوا لصالح.. وهم أكثر راحة من ذى قبل.

جلست مع جلال، وكلانا يشعر بالتقاع انتظاراً لعودة شريف ورمزى من الاجتماع، والوقت يمر ببطء شديد.. وأخيراً، سمعنا أصوات المجموعة عائدة من الاجتماع، ودخل شريف فى المقدمة وبجانبه رمزى، والوجوم واضح على وجهيهما، واقترب شريف من جلال قلاتاً:

- ماجاش..

- إزاي يعنى؟

- للى حصل.. ماجاش..

- يعنى تفكر ما نحقق؟

- متحقق إزاي يعنى؟ ذا بيسنقط.

- نتكلم فى الحديث قاتلاً.

- نستبيلة وللا إيه يا شربو؟

- ولله.. ووارد جداً كمان.. 'هارد لك' يا جلال.

- والله! ذا أنا أموتك.

إذا فشلت الخطة، ومفشل "ضرب"، بالإضافة إلى أنني أشعر بخطر
المكالمة التليفونية مع أمي، وكذلك الشعور بالمثل الشديد من الحياة في هذا
المستشفى.. الوقت لا يمر، وبدأ عدم وصول السفيلة قاتل.

لم يكن حولنا في تلك الساعة من الليل أحد، وبانفعال شديد توجهت إلى
النوحة التي كتبت عليها مواعيد لجلاء، ومواعيد اجتماعات دكتورة إكرام،
والقواعد المطلوب الالتزام بها، وقطعت الورق من على النوحة ورميته على
الأرض، وقلت لشريف:

- أنا لازم أمشي من هنا.. وبسرعة كمان.

- إهدأ بس.. تكره بتر يظهر، وكله يبقى زى الف.

وأكد جلال:

- أكيد.. بكره هيظهر يا صلاح.

- لما نشوف.. إن غذا لناظره قريب.

فقال شريف:

- كويس إن مقيش حد شافت وأنت بتقطع الجداول دي.. كان زمانك تكره
مشحون على 111.

فقلت ثائرًا:

- بقولك إيه.. دي البداية.. أنا نويت أولغها.

ظهر صادق فقال له شريف:

- يا صادق.. نعال يا صادق.

- خير يا أستاذ شريف.

- شفت! حلمي قطع جداول القسم.

- لا يا راجل.. حلمي برضه؟

- أنا بطالب بتحقيق في الموضوع ده.

- منك للدكتور وليد.

تركهم جميعا، وصعدت إلى غرفتي لأنام.. كان يومًا سخيًا، وبدأت
أفكر في الهروب من المستشفى.. ولكن كيف أقل الوقت حتى الصباح؟
وصعوبة بالغة أغمضت عيني لمدة ثلاث ساعات.

استيقظت من النوم، ونزلت بسرعة لأجد حالة من الصخب والغضب
ولهرج ولهرج، والقسم بلا جداول لمواعيد الاجتماعات، أو قواعد اليوم،
ولا أعلن شريف اتهامه:

- حلمي هو السبب.. وأطالب بمعاقبته فورًا.. عليك اللعنة يا حلمي.

تدخل صادق مدافعًا:

- يا شريف.. جالس هزاز مخيف.

- إنا لازم نشكل هيئة محكمة يا جلال.

- رمزي رئيس المحكمة، وصلاح عضو يمين، وأنا عضو شمال، وشريف
مثل الإذاعة.. واحد منكم يتطوع ويرافع عن البني آدم ده.. مين للمحامي؟
أسامة هو المحامي.

قال شريف متقمصًا دور ممثل الإذاعة:

- السادة المستشارين.. لا أريد أن أطيل عليكم.. المتهم حلمي "ستلا" اعترف
بجريمته الحمقاء، وأطلب من عدالتكم أن ترحمه بقرائز البيرة ليكون عبرة لمن
لا يقتر.

فساله رمزي بهدوء:

- ليه عشت كده يا ابني؟

بدأ شريف يغني:

- لا.. يا حلمي لأ.. لا مأكش حق.

تصفيق من الجميع.. تدخل المحامي أسامة مدافعًا عن حلمي:

- المتهم لم يعترف.. المتهم أنكر.. ونحن فين الشهود يا شريف بيه؟

- القسم كله شاهد، وأطالب بتوقييع أقصى العقوبة على حلمي "ستلا".

سألت حلمي:

- غاوتين يعرف ما هي التوقع وراء ارتكابك مثل هذا العمل المشين؟
لتصرف أحق يا حلمي.

دخل دكتور وليد، ولم يعطه شريف الفرصة للحديث، وقال له:

- تعال يا دكتور.. انتفضل.. انت برضه مش غريب، والموقف تحت السيطرة،
وحصلنا على اعتراف حلمي، والحكم بعد المداولة.
- حلمي مش هو اللي عمل كده.

فقال أسامة:

- شاهد نقي.. براءة يا حلمي.. أطلع اوضتك.

بينما قال جلال:

- تعيد القضية ضد مجهول.. رفعت الجلسة.

فقال دكتور وليد غاضباً:

- يا اسمه تهريج.. وما تفكر وش الموضوع هيغدي بالساهل.

فأضاف شريف:

- أنا مش ها قبل إنه يدي.. ذا تهريج يا دوك.

- شريف!! وبينين معاك.

- أنا لو منك يا دكتور تكذب لسببائك.

وأخيراً وجدت فرصة أعيط للدكتور فقلت:

- لا.. نسحب منه الثقة.

- وآش.. اقلعوا هرجوا، بس أنا فعلا مش ها أعديها.

قال شريف ضاحكاً:

- الموضوع دا محتاج وقفة مع النفس.. صح يا صاصو!!

- طبعاً صح.. ومع الضمير كمان.

وعاد شريف يظلي:

- يا يا حلمي لا.. لا.. مالكين حق.

وتدخل نجلاء، ويستمر شريف في مشاجباته:

- نفع يا نجلاء، خذوك العزة انقطع.. حلمي قليل الألب قطعته (مبارح بالليل!!)

- يا له لعملة تالية من الجدول، وفتعلق في خلال 5 دقائق يا دكتور.

- لما تشوف مين هيقطعها!!

شريف بسخرية:

- شهر في 111 يا كلاب.

وبدا اليوم، وبدأت المجموعات في حضور الاجتماعات، وكنت أواظب

على حضور كل الاجتماعات، فهي تساعد على مرور الوقت، بالإضافة إلى أنها

وصة لتعلم خبرات جديدة.. قال دكتور وليد:

- يا صلاح، أنا أخذت لك موافقة لحضور الاجتماعات.. بس عايز أنصحتك

بملحة مهمة، المعنى وزا شريف مش هيفعك.

رد شريف:

- ومن قال لك إنه ماشي وزا!! دا أنا اللي ماشي وزا.

- لغو يا باشا.. العين ماتعلاش على الحاجب.. إنت الكابتز.

- قلنوا إنتم الاثنين متلوا على بعض.. ولنا قعدة يا شريف مع بعض كسان

ثوية.

- إنت تأمر.. بس الساعة كام عشان أطبط جدول أعمالى!!

- ماشي يا حضرة المشيم.. الساعة واحدة بعد جروب نجلاء، وقيل جروب

نكورة إكرام.

- تقاضا.

- صلاح.. موضوع الطبق مش هيعدى..

- ولما مالي يا دوك.

قال شريف ضاحكاً:

- طبق طبقاً.. ضرب في طبق طبقكم.. يقدر....

حضرت اجتماع للاء.. وبصراحة، شغلني طوال الوقت التفكير في الخروج لحضور اجتماعات المساء، وأشوف بدر، ونجيب منه البيوزة.

جلست مع صديقي شريف وسألته عن اجتماعات "العمدتين المجهولين" وعن الخطوات الاثنتي عشرة.. وكان شريف ملماً بجميع المعلومات، لانه ترند على تلك الاجتماعات كثيراً، وببساطة قال لي:

- المسألة يا عم صلاح مش كيمياء، ولا لوجاريمتات.. الاجتماعات دي بيحضروها صربية زنى وزيك.. منعين بيحاولوا يطلوا بعد ما خربوا الدنيا زينا بالطبطط.. يجتمعوا مع بعض على طول.. يشاركوا بتجاريم وخبراتهم بكل صراحة، عشان يفضلوا منطلين.

- ميطلين ايه بالطيط؟

- كلة يا معلم، حشيش، بودرة، برشام، ينجوء، أو أى كيف أو حاجة تشغل دماغ، وطبعاً بما فيها الخمر.

- إنت بدمتك يا شريف مصنقى الكلام ده؟ نلاقيهم بيعملوا اجتماعات يضرخوا فيها.

- لا.. لا يا صلاح.. لما تعرفهم وتشوف تصرفاتهم وأسلوبهم، متعرف ان الموضوع مش كده خالص.

- يا سلام يا شريو لو فيه اجتماعات تنظم لنا موضوع الضرب.. لروح الاجتماع، ونعرف للشغل السمفين، والثوابب الللى شعلة.

- ونشتره أسبوعية بالثوابب الجديدة، والنوابب الللى يتقل يسطبوه من النشرة.. وخريطة للتصديقات المفتوحة جنب كل دولا.

- وأقرب يتاع لمون من فضلك يا شريو.

يا سلام.. تعجبني يا صاصو.. وأهم حاجة يعرقونا نوابب فى الأمان.. بعيدة عن قلق والحكومة.

- إيكالين علينا اتجننا.

- لظاهر كده.. ما إحنا فى مستشفى أمراض نفسية وعقلية.. وخدوا الحكمة من لواء الملحنين.

- إنت عارف يا صلاح إني تمسكت حوالي 5 مرات المشين الللى فاتوا، ولا أبوا عرف بخرجلنى منها، وكل مرة بوجع القلب، كان زماني باغنى لجنول فى العنوكة.

- جامدة لوى الجنول فى العنوكة؟

- يقنى بقى ظموه.

- ما أنا فاهم.. طيب مين الللى منك موضوع الاجتماعات دا يا شريو؟ الحكومة ولا المستشفى؟

- المستشفى ملهاش دعوة، ومش داخل فيها الحكومة.. إحنا الللى بنديرها.. وطبعاً ملهاش فى السياسة، وكل واحد خرف فى دينه.

- ومن بيصرف على التيلة دي؟

- إحنا بنصرف على نفسنا.. وماشيه زى الفل.

- صربية معاهم قلوب؟

- يا ابلى دي ناس ميطلة، ويتشغل.. إنت لازم تحضر عشان تفهم.

- طيب والإتشار خمتوة؟

- دي قصة طويلة، ابتنت فى أمريكا من زمان أوى.. برنامج بسيط.. عبارة عن مجموعة من المبادئ الروحانية.. سهلة جداً، السهل المشتع، والمفروض

إك تسمى عليها كل يوم.. والغريب إك لو سمعت الكلام.. بتفضل منطل.

- إنت عرفت الكلام دا إزاي يا شريف؟

الاجتماع الأول

وجاء موعد الخروج إلى الاجتماع.. أخيراً صوف أخرج من المستشفى.. ولأول مرة لرى "سفنت" الشارع منذ عشرة أيام.. خرجنا وكنا لشخص، وركبنا سيارة "ميكروباس".. ياه!! أول مرة أرى فيها الشارع منذ زمن بعيد.. وإلى أين؟ إلى مصر الجديدة مع شريف وزمري.. وفى الطريق سألت شريف:

- تفكر بدر هينجى؟

- ده لو مجالس، يبقى صحيح ابن ".....".

وكان عندى شعور أنه لن يأتى.

وصلنا إلى مصر الجديدة!! أين نحن؟ دخلنا مدرسة.

وصلنا حوالى الساعة السابعة إلا ربع، ومثيت مع الشباب ودخلنا إلى غرفة رسم، ووجدنا أربعة شبان فى مثل عمري.. ربما أكبر منى بسنتين أو ثلاث على الأكثر.. وفى الغرفة مائدة كبيرة، وحولها الكراسى، وأحد الشباب يوزع الكتب، ويضعها على المائدة، وآخر يفتح ملفاً أمامه، ويقلب صفحاته وبعض الأوراق الأخرى. خرج بعض الشباب من الغرفة، ولا أنرى إلى أين، وغنوا ومعهم أكواب بلاستيك بها "سكافيه"، وسأل أحدهم عن بريد "سكافيه" فقال أحدهم:

- أه يلايت.

فسأله الشاب:

- شكرك إيه؟

- معلقين.

- يا ابنى أنا بطلت حوالى 7 شهور، لما أنت كنت فى أمريكا.. كنت يا حصر الاجتماعات كل يوم.. وبغين أول ما حسيت إلى كويس، بعنت.. فنتكست ورجعت لأصرب تانى.. الكلام دا هتسمعه كثير فى الاجتماعات.. جرب.. أنا شخصياً جربت، بس المشكلة إلى عايش بنماعى التى ممكن تؤدى فى ذاهية.

- الموضوع دا غريب أوى.

- ولا غريب ولا حاجة.. عاوز صبر، والاجتماعات عاوزة استمرارية.. لعلك البرنامج دا منتشر فى العالم كله، وميواش سر.

- نصتق يا شريف، التى عمل البرنامج ضريب عبرى.

- أصلاً التى عملوه مئتمنين الضمرة.. فعدوا مع بعض سنة 1939.. بعد ما بطلوا فترة، وكتبوا خبراتهم، علشان التى عندهم نفس المشكلة يستفيدوا.. وبعد كده البرنامج والإنتاشر خطوة التفتقوا على كل حاجة بنمنا: المخبرات، الجنس، الثقل، حتى الأكل.. فهمت؟

- لعلك أخويا كريم فى يوم من الأيام قال لى: إنت عارف يا صلاح.. إنت مالتش غير حل واحد.. اجتماعات "المتمنين المجهولين" و"رئاسات الإنتاشر" خطوة.. ومفهمش هو بيقول إيه.

- روح وشوف يا صلاح.. كارك داخل السينما.. بس من غير ننكره.. ومفهمش حد هيقول لك إنت جاي ليه؟ لو عجبك الفيلم اقع وشارك، ولو مش عاجبك خذ بعضتك والخرج، وبرضه مفهمش حد هيقول لك إنت ماشى ليه.

- مائى.. أدبنا هنروح.. وبالمرة نطبط السفينة.

- لعلك يا صاصتو.. الجو مكهرب أوى، بس إنت مش حابس.. الفترة التى فتت كذا مركب غتت.. وهما أمنية حياتهم يعرفوا مين والسكة ميتين.

وتصمغ كل ثلاثة من الشباب معاً، وتكلموا سوياً، وكنت الغريب الذي لا يفهم شيئاً مما ينور في المكان، وجاعني شريف الذي يعترف بكل هؤلاء الشباب، وتحدث معهم أحاديث مختلفة سريعة، وأخيراً قال لي:

- تصور.. بدر مجاش يا صاصو!!

- هو ذا المكان يا شريف؟

- أه.. المقروض نقلته هذا.. احتمال يجي، بين بعد شوية.

وفي الساعة السابعة تماماً، فوجئت بأحدهم، واسمه خالد يتكلم:

- أهلاً بكم في الاجتماع المغلق للمتمنين المجهولين¹ بـمدرسة².....، يوم

"....." الموافق³.....، أنا خالد.. متمن.. باطلب منكم دقيقة سنون، يفكر كُنا

فين، وبقينا فين، والمتمنين اللّتي لسه بيعانوا بزء.

ساد الصمت والسكون في القاعة.. فقال خالد:

- فيه شوية تّويّهات، أحب أقولها قبل ما نبدأ الاجتماع.. اجتماعاتنا لا تنور في

صورة مناقشة.. محدش يعلق على كلام حد.. بفرّكز على التشابهات اللّتي بيّنا،

ولا نركز على الاختلافات.. وباريت اللّتي معاه مخدرات يسببها برة الأوضة،

محافظة على جو التعاقى.. وأى حد واخذ مخدرات أهلاً بيده، بس بنطلب منه إيه

ما يشاركش في الاجتماع.. وبنفترج عليه إيه بحضور الاجتماعات وهو مش

تحت تأثير أى مختر.. واللّتي بنشوقه هنا وينسمعه هنا، بنسببه ها..

بالنسبة لى كان كلامه غريباً.. لم أفهم منه شيئاً، وكان كل تركيزى فى

بدر الذى لم يحضر، وهل سيأتى أم لا.. وعندما انتهى خالد من كلامه، طلب

من الجميع القراءة من الكتب اللّتي وضعها أمامنا على المائدة:

- من فضلك يا سليم، بقرا لنا⁴ من هو المتمن؟

قرأ سليم من الكتاب:

من هو المتمن⁵:

معظمنا لا يحتاج للتفكير مرتين فى هذا السؤال، نحن نعلم!

قد تمركزت حياتنا وتفكيرنا بالكامل فى المخدرات بشكل

أو بآخر- الحصول عليها وتعالفها وإيجاء الطرق والوسائل

الحصول على المزيد، لقد عشنا لتعاطى وتعاطينا لكى نعيش،

بنتمنى البساطة، المتمن هو الرجل أو امرأة تسيطر المخدرات

على حياته. نحن أناس فى قبضة مرض مستمر ومتفاقم نياياتنه

دائماً هى نفسها: السجون، المصحبات، الموت...

ولم أفهم شيئاً من هذه الفقرة.. ثم طلبت خالد من توفيق أن يبدأ قراءة

فقرة أخرى، ومن بعده شادى، وفى النهاية طلب من أمجد القراءة.. وبعد قليل

نزل ثلثان من الشباب، وكانت الانضمام الكبيرة هى النحية للشباب الذى يجلس

على رأس المائدة، وفيما يبدو أنه المعلم والرئيس الفعلى لهذا "التعليم"، وهذه

الاجتماعات.. وبعد انتهاء الأربعة من القراءة، طلب من شريف قراءة الخطوات

الـ12⁶.. ثم قرأ خالد الـ12⁷ تقليداً..

تكلم خالد مرة أخرى وقال:

- فيه أى أخير بخص المجموعه؟

- الاجتماعات زالت يوم كمان.. وقدرنا نفّح إدارة المدرسة إننا نأجّر القاعة

يوم كمان، يقضى الاجتماعات السبت والحد، والثنين والأربع والخميس.. وأى

¹ كتب رقم 1، زملة المتمنين المجهولين، من، مازا، كريف وإسناد، فن ليوز، كليفورنيا؛

زملة المتمنين المجهولين، 2004.

² ملحق رقم 1.

³ ملحق رقم 2.

واحد يجتاز 90 اجتماع في 90 يوم ممكن يحضر الثلاث والجمعة في وسط البلد في مجموعة "ممنى الخمر مجهول الهوية".

- شكرًا يا شادي.. التقرير العالي؟

- فيه معانا 140 جنيه، ومحتاجين نشد حيلنا شوية في التقليد السريع.

"يجب على كل مجموعة من زمالة المدينين المجهولين أن تعتمد على نفسها بالكامل وأن ترفض المساهمات الخارجية".

- فيه أي حد يجتاز الاجتماع لأول مرة؟

وانتهت كل الأنظار نحو.. رقت يدى وقت بصوت ضعيف.

- أنا.

فسالنى خالد:

- ممكن نعرفنا بنفسك؟

- صلاح.

- أهلاً بك.. "العضو الجديد، هو أهم شخص في أى اجتماع لأننا نستطيع الحفاظ بما لدينا فقط بتقديمه للأخرين". نقتراح عليك إنك تحضر 90 اجتماعاً في 90 يوماً.. وتأخذ مشرف يساعدك في الخطوات.. الكتاب والكليات موجودة مع السكرتير، ولو عندك أى موالٍ ممكن تسأل مدير الاجتماع أو السكرتير بعد الاجتماع.

ولستمر في حديثه، الذى لم أفهم منه شيئاً، قائلاً:

- فيه حد يجتاز بتاريخ بتبطل؟

ولم يرد أحد.. فاستمر في حديثه قائلاً:

- أنا خالد.. مثنى.. والنهاردة باحتفل بالتبطل لمدة 6 شهور.

صفق له الجميع تصفيقاً حاراً، وصفاقير، وتحيات كثيرة بأشكال مختلفة، وبدأ يتكلم من جديد، فقاطعه قائلاً:

مثنى فيه حد بتبطل 6 شهور؟

نظر إلى كل الموجودين في دهشة، ووضع أمد الذى يجلس أمامى اسمه على شفطيه، بما يعنى أن أسكت ولا أتكلم، ولم يعلق خالد نهائياً، وكأننى لم ألق بكلمة واحدة.

- أنا خالد.. مثنى.. أنا مثنى مصفق إن أنا فعلاً بقالى 6 شهور بتبطل.. ولا كنت أحلم بيهم.. كنت فين والنهاردة أنا فين.....

وظل خالد يحكى عن أيام الضرب، وأيام التعافى.. ولم أفهم لماذا يحكى لنا كل هذا الكلام!! وفى النهاية شكر خالد كل من شادى، ومشرفه توفيق، وسليم، وأحمد.. شكر كل الناس الذين في القاعة، وكان شديد التأثر أثناء حديثه، وبعد أن انتهى من كلمته، صفق له الحاضرون تصفيقاً متوثباً.. فقال:

- شكرًا يا جماعة لأنكم أدبوني فرصة لأشارك..

كانت الاجتماعات لها جدول، وتصور حول مشاركة الخطوات، أو مشاركة التقايد، أو الاستماع إلى متحدث، أو اختيار موضوع..

- النهاردة الأربع وحسب الجدول، اجتماع النهاردة: اختيار موضوع.. فسى أى حد عنده اقتراح؟ نقتراح إيه يا سليم؟

- الأمغة، التفح الذهنى، والنية.

- حد عنده اقتراح ثانى؟

أدهشنى هذا الأسلوب في الحديث، وكأننى استمع إلى لغة غير مألوفة..

ولم يقترح أحد موضوعاً آخر.. فقال خالد:

- بما أن الموضوع اختيارك يا سليم.. ممكن تشاركنا؟!

* كتيب رقم 1، زمالة المدينين المجهولين، مل، ماذا، كيف ولماذا، فان نيوز، أكتوبر 2004.

زمالة المدينين المجهولين، 2004.

- أنا سليم.. ممنون.. الحمد لله أنا هنا، ومبطل الشهاده.. وألف مبروك يا خالد..
فعلًا تستحق الـ 6 شهور ذل.. عقيل عَمرك كله... الثلاث كلمات: الأمانة،
التفتح الذهني، والنية بالنسبة لي فعلًا ملخص البرنامج.. الأمانة دي كانت أبعد
حاجة عني.. كنت حريف كتب..

وحكى سليم عن نفسه، وأنه لم يكن أمينًا في كل تصرفاته، وتكلم
كثيرًا، ولم أفهم نصف كلامه، وبعد أن أنهى كلمته قال:
- شكرًا لأنكم سمعتموني.

فقال خالد:

- توفيق.. نحبنا تشاركنا؟

- أنا توفيق.. ممنون.. الأول أحب أيارك لخالد على 6 شهور تطيل... مبروك،
ألف مبروك وعقيل السنة إن شاء الله.. وعقيل عَمرك كله.
أدهشني كثيرًا أن كلًا منهم يقول: إنه ممنون.. لماذا؟

وبالإضافة إلى ذلك، ليس بينهم أحد يبنو عليه الإيمان لهائلاً.. كل منهم
شككه ألبق، وهادىء، وصحى.. هل هذا فيلم؟ هل هذه تمثيلية؟ هل هؤلاء الناس
يمثلون أدوارًا محددة؟ وخلال حديث توفيق، دخل شخص إلى الغرفة، وجلس
ولم يتكلم، وبعد أن انتهى توفيق من حديثه، قال خالد:

- أمجد.. ممكن تشاركنا؟

- أنا مُمنون، وأسمى أمجد.. وأنا فعلًا من أسعد الناس الشهاده بخد.. كان حلم
ودلوقتر حقيقة.. أنا فاكِر خالد أول ما دخل القاعة هنا كان عامل إزاي..

وظل يتحدث عن خالد، ثم وجّه إليه كلامه فأتى:

- وبالمناسبة دي، أنا أحب أخذيه الميدالية التي أنا أخذتها، وأنا منتظر لمدة
6 شهور.

وقام أمجد، وسلم على خالد، وأعطى له الميدالية.. أخذها خالد
وتأملها، ثم أعطها لمن يجلس بجانبه، وبدأت تنتقل من واحد إلى الآخر، وعانت

مرة أخرى إلى خالد، الذي أعطاني ورقة مكتوب عليها: 'اليوم فقط' ووجّه إليّ
الكلمة قللاً:

- تفضو الجديد.. ممكن تقرأ لنا: 'اليوم فقط'.

وكانت هذه أول مرة أقول فيها: صلاح.. ممنون.. قلتها بتردد وبصعوبة بالغة.

- صلاح.. ممنون.

قرء الجميع:

- ألاما صلاح.

- اليوم فقط.

قل لنفسك:

اليوم فقط سينركز تفكيرى على التعافى، وأن أعيش وأستمتع*
بالحياة دون تعاطى المخدرات.

اليوم فقط ستكون لدى ثقة بعضو فى زمالة المدمنين المجهولين،
عضو يؤمن بى ويود مساعدتى فى التعافى.

اليوم فقط سيكون لدى برنامج ومساحول الالتزام به قدر
استطاعته.

اليوم فقط ومن خلال برنامج زمالة المدمنين المجهولين، سأحاول
أن أجد لنفسى رؤية أفضل لحياتى.

اليوم فقط لن أخاف وستركز أفكارى على زملاي الجدد أولئك
الذين لا يتعاطون المخدرات ووجدوا أسلوبًا جديدًا للحياة، وطالما
نفع هذا السبيل..

رد الجميع فى لحظة:

قلبى لدى ما أختاه.

*كلهم رقم 8، زمالة المدمنين المجهولين، اليوم فقط، فن نيوز، كاليفورنيا:
زمالة المدمنين المجهولين، 2006.

لم أفهم كلمة مما أقرأه؛ فالخوف والرهبة من الموقف سيطرا على
كياي كلة.. وانتهى الاجتماع، وقف الجميع ووضع كل منا يده في يد زميله
الذى جلس بجانبه.. أمسكها بقوة وقالوا معا:

- اللهم امنحنى السكينة لأتقبل الأشياء التى لا أستطيع تغييرها.. والشجاعة
لتغيير الأشياء التى أستطيع تغييرها.. والحكمة لمعرفة الفرق بينهما.
إله الدعاء الذى رأيت وقرأته عشرات المرات، ولم أفهمه.

خرجت من القاعة، ومشيت مع شريف إلى "الميكروباس"، وكلاهما
يتدب حظه بسبب بندر، الذى استولى على "كوليه" جلال وهرب به.. رجعا إلى
المستشفى، ولم أكن مقتنعا بموضوع الاجتماعات، ولم أفهم منها شيئا، وجلست
مع جلال وزمى فكر فى المشكلة، وبندر الذى اختفى تماما، ونحاول أن نجد
حلا.

فى ذلك اليوم، فقتت أعصابى، ودون أن يرانى أحد قطعت مسك
التليفون عن القسم كله، وصعدت إلى العرفة بعد أن تناولت النواء، ونخست إلى
المرير.. كنت فى قمة الغضب من بندر، وكان الله فى عونك يا جلال.

استوقفت فى موعدى حوالى الساعة الثامنة، وبعد أن تناولت الإفطار
أخذت النواء، وجلست أقرأ المسحف، وحضرت الاجتماع مع نجلاء، ولم يكن
يختلف عن اليوم السابق، وبعدها اجتماع دكتوراة إكرام، ثم جلست مع نجلاء،
تحدثت حول العلاقات العاطفية، ومريم، وزناد، وهالة.. وجاينى دكتور وليدة
وسألنى عن الاجتماع المسائى:

- إيه زأبك فى اجتماع إمبراج؟

- مش عارف.. مش فاهم مله أى حاجة.. هو موضوع غريب شوية.

- فختضرت مرة ثانية؟!

- آه.. ليه لأ.. جايز أفهم.

لم يكن هناك أى شيء يعكر الجو، إلا عندما عرفت أن شريف سيذهب
عنا إلى منزله مع مبروك الممرض، لإحضار النقود المطلوبة لدفع حساب
المستشفى.. فقلت له:

- يقولك إيه.. فتعرف تجيب بوثرة معاك؟

- طبعاً.. ما تلقش.. ها أخلص من مبروك، وأراجع بالليل لوخدى.

كان جلال فى شدة الغضب فقال:

- يقولك إيه يا شريف، شوف بندر فين؟ ولو لقيته فهمة إن أنا ها اسجحه أول

ما أخرج من هنا.

- عفى ما هلاقيه.. ذا باع "الكوليه" واشترى وطار.. كان ليك حق باصلاح.

- يا حرامى ونزل قديم.

- على العموم، عندى أمل بيجى اجتماع النهارده.

حضرت الاجتماع فى المساء، وقابلت الشخصيات نفسها، بالإضافة إلى

ناب جديد، وبدأ الاجتماع وكان يديره أمجد.. وفهمت أن هناك شخصا مختلفا

يدير الاجتماع كل يوم، فهو ليس مقصورا على شخصية محددة..

بدأ أمجد الاجتماع بنفس الأسلوب: دقيقة سكوت، التوبيهات، أخبار

المجموعة، المقدمة والقراءات.. وفجأة دخل بندر، وجلس فى جانب من العرفة،

ولم أرفع عينى من عليه، وهكذا ظل شريف يراقبه.. كان من الواضح إنه

ضارب، والجرعة أيضا كبيرة؛ لأنه لم يستطع أن يفتح عينيه إلا قليلا طوال

الافتتاح، وأذهلتنى منظره.. وبدأ أمجد فى المشاركة قائلا:

- أنا لما أشوف حذ ضارب فى الأوضة معانا باستفد جدا.. ويخند ربنا على

النسة التى أنا فيها.

لم أستوعب ما قاله أمجد.. كان حديثه غريبا بالنسبة لى.

وذهبت بتفكيرى بعيدا.. تصورت أن يسر جاء ليعطينا البيوترة،
وانتظرت انتهاء الاجتماع بفارغ الصبر لنأخذها منه.. وبعد انتهاء الاجتماع سلمه
شريف، بينما قلت أنا بعيدا أراقب الموقف، وبعد دقائق عاد شريف وقال:

- تصاب.. قال إيه.. الكوليه ضاع منه!!

- بعلى إيه ضاع منه؟

رجعا من الاجتماع، وكنا فى حالة انهيار! لأن بعد ظهوره المفاجئ
شعرنا بالأمل الكبير فى الحصول على البيوترة، وعندما عرف جلال بما حدث،
أقسم أنه سينتقم منه فى أول فرصة.

استيقظت فى الصباح مستبشرا خيرا؛ فاليوم هو يوم الزيارات..
وسوف تأتى ماما، ومعها كريم ورولا. وبدأت أخطط لهذا اللقاء، وأفكر فيما
أطلبه منهم.. وبعد تناول الإفطار، قرأت الصحف، وجلست مع شريف نتحدث
معا عن خطته فى الخروج، والذهاب إلى أسرته.. كنت أحمده لأنه سيخرج،
وأتق أنه "سيضرب".. خرج شريف مع ميروك صباحا على أن يعود مساء.

تلقيت اتصالا هاتفيا يبلغنى بوصول ماما ورولا، وهما فى انتظارى فى
غرفة الاستقبال.. وعرفت أن أمير زميلى فى الغرفة استقبل أهله، الذين جاءوا
لزيارته.. وشرفت إلى والديه وأخته أميرة.. أحببت هذه العائلة.

يوم الجمعة، تبنى المستشفى مثل النادى.. زيارات كثيرة وهذايا
وتحركت فى كل مكان.

استقبلتلى أمى وأبنا رولا بالتمامة عريضة، فقد كان واضحا لنى فى
حالة صحية أفضل، وزاد وزنى حوالى 4 كيلو.. وهذه الزيادة ساعدت فى
إظهار الفارق بين ما كنت عليه، وشكلى العام فى ذلك اليوم، وأخذتلى لى بن
فراعيها قاتلة:

- وحشتنا لوى.. احكى لنا أخبارك إيه؟

- مفيش.. مستشفى ضايعة.. ولا فيه اهتمام، ولا نظام، والمخدرات جوة فى
النسم، والتكاثره فاشلين.. وأيام ونعدى..
وبكل حنان قالت رولا:

- بين الحمد لله.. شكك كويس، وصحتك انصست.. إنت مشفئش شكك يوم
ما دخلت المستشفى كان عامل لراى!!

- يا أبا قاعد مش بأعمل أى حاجة غير إنى تأكل وخلص.. بأقولك إيه
يا ماما، أنا عايز عريضة جديدة، وعايز أول ما أخرج شوية فلوس، علشان
أشترى لبس جديد.

- عريضة إيه.. وليس إيه؟ إنت مفيش فائدة فيك؟

- مفيش فائدة فى؟ خلاص، بلاش، مش عايز حاجة.. بأقولك إيه، أنا هأدخل
أهم ثلوت، وأتقأ أسمولى على كريم بيته.. طبعاً مش فاضى بيحي يزور أخوه
فى المستشفى.. باى باى يا رولا.

قامت توامى رولا بتهدئة الموقف كعادتها دائما، وقالت:

- لقد بمر يا صلاح.. إحنا ملجأناش نقعد معاك.

- ما أنت شافه يا رولا.. أنا مش عاجب ماما، وكل حاجة لأ.. زهقت من اللل
ده.

كنت فى قمة الغضب.. فسألت:

- بعنى بعد كل ده، برضه مش عاجبك؟! يعنى المفروض أعمل إيه، أسوت
للى علشان تركزوا؟

رنت لى يهدوء:

- صلاح.. إحمد ربنا.. رامى صاخك أنتك من أسبوع.. وتهمة إتجار مش
عاطلى.. والده اتوفى بعد ما عرف بـ 48 ساعة.

لم أردد.. أصبت بحالة من الذهول.. تركتهم من غير سلام ولا كلام.
رلى للهى..

عدت إلى قسم الإيمان وأنا في قمة الحزن.. أين أنت الآن يا رامي؟! وماذا تفعل؟!.. ولك، سيادة اللواء توفى -الله برحمته-.. لقد أحببت هذا الأب من كل قلبي.

إنه خير مؤلم وصنعة رهيبه!!

لما مفاجأة اليوم، إن تامر جاء إلى المستشفى.. حياء للمتابعة مع الذكائرة والاختصاصيين.. المهم كان تامر يعرف تفاصيل القيص على رامي.. جلسنا معاً، وحكى لي ما حدث في هذا اليوم المشؤوم! فقد تم القيص على رامي ومعه 12 جرماً.. قلب والد رامي -سيادة اللواء- لم يستطع تحمل هذه الصدمة.. مع أن هذا الرجل خاض حروب 56، 67، 73، وعاد بطلاً.. لكن هذه الحرب كانت أكثر شراسة، ولم يستطع أن ينجو منها..

استعدنا ذكرياتنا التي مررنا بها، ونضحك على بعض الأحداث، ونكاد

نبكي على بعضها الآخر، ووجهت إليه سؤالاً صريحاً:

- بالولك إيه يا تامر.. يتضرب؟ مانتقوش إنك ما يتضربش؟!

- بالضرب.. بنس على خفيف.

- أنا عايز بودرة.

- هاريت يا صاصو.

- طيب اسمع، أنا رايح اجتماع بكرة.. هات لي تذكرة هناك.

- هتكتشف يا معلم.

- يا عم ما بتقتش.. علشان خاطري يا تامر.

- ماشي.. بنس اسمع لو اتسكت وقلت لي أنا.. عمري ما هاعرفك تاني.

- عيب يا أخي.. هو أنا عيل صغير.

- خلاص.. بكرة أحبيب لك تذكرة.. بنس مقيش بنى لأم يعرف.

- ناموت فيك.. طول عمرك راجل.. تعرف لو مجنش.. هانجيلي سكة قنية.

- إيه؟ هو إنت فاكترتي بدر؟! نصلب عليكم وخلع بأكوليه!

قلت!! ما مقيش لندل من كذا في الدنيا.

أركني تامر وأنا أجلس على قمة عرش السعادة؛ لأنني أتق في وعده، وله رجل، وسيف ذو عدد، وسوف يأتي في الغد بالبودرة... ومرة اليوم.. لم يبق كثيراً خير القيص على رامي، وألمني نبأ وفاة والده، ولم يغضني غير لي، لتي لا يعجبها أي شيء.

استيقظت في الصباح، وحدث الدنيا مقlosure رأيت على عقيب.. ماذا حدث؟ وازلت مسرعاً من غرفتي.. قابلي جلال.. سألته:

- فيه إيه؟ حصل إيه؟

- شريف خربها إمبراح.

- إيه اللي حصل؟

- كان مبروك معاه في الزمالة، وهما راجعين على هنا حاول شريف يخلع.. مبروك الأهل صرخ وقال للناس إنه هزبان من مستشفى نفسية.

- لا يا راجل.. وبغين؟

- طبعا شريف قال للناس إن مبروك حرامي.. وفي ثانية جناب شريف اتلوا.. ومبروك أخذ عقلة موت.. من ثواني كان هنا، وبوشه مشنقط.. الذكائرة قالوا له: روح بينكم وخذ اجازة لسووع.

- ما هو اللي عبي، فيه حد ينفق قدام القطر!! وبغين؟

- شريف رجع بالليل بعد ما ضرب، وذكور سمير شحنة على 111.

- لا يا راجل.. هو مين اللي كان معاه القلوس؟

- القلوس كانت مع مبروك العيب، والمفروض لما شريف حاول يقلت منه، بيته ويمشي.. بس هو عمل سبع الترمية، وانتفخ.. وإنت فاهم شريف، خلا لزمك كلها تضربه.. وفي الآخر خد منه القلوس كمان.. وراح ضرب ورجع الساعة 3:00 الصبح خربان.

- وليه اللي هيحصل دلوقت؟

- ولا حاجة.. إنسى شريف.. من أقل من شهرين في 111.

- يا نهار أبيض؟ بخذ؟

- طبعاً.. أصطك لو شفت مبروك، تعرف أنها كانت فعلاً علقه موت.

- وشريف؟

- إن شاء.. إن شاء.

كنت في منتهى الحزن على شريف.. كل الخطط تهرمت.

بعد هذا الحوار.. لم أفكر إلا في اللقاء مع تاجر خلال اجتماع المساء.. وهناك وجنته.. وعندما رأيته، غمز لي بعينه، وفهمت إنه أخضر لي المطلوب، وكان المهم كيف أخذ الورقة دون أن يلحظ أحد.. وكان المعروف لدى الجميع أن إعطاء المخدرات لأحد في القاعة، هو الشيء الوحيد الذي يتسبب في منعه من حضور الاجتماعات لهائياً.. لماذا؟

أولاً: للحفاظ على أجواء التعافي.. ثانياً: وصول هذا النبا لإدارة المدرسة، بشكل أو بآخر، يعني إلغاء الاجتماعات فوراً، والطرده من المدرسة.. وبالتالي يصبح وضع هذه المجموعة في خطر.. وفهمت أن هذه الاجتماعات بالنسبة لهم مسألة حياة أو موت.

اتجهنا معاً إلى الحمام، وفي لمح البصر أخذت منه الورقة، وعدت سريعاً إلى القاعة.. وقتلت نفسي:

- تمام يا صاصو.. مية مية.

بعد حضورى ثلاثة اجتماعات، ازداد التقارب بينى وبين المجموعة كلها.. وأكثرهم من الشباب المرح، الشوش، والودود، والحقيقة بعد مسامحة لكلهم الصانقة والنابعة من القلب، بدأت أعجب بهم وبصبراحتهم، وشرنت قليلاً، وفاجئني أمجد بقوله:

- صلاح.. ممكن تشاركنا؟

ولا أخفى أبني ذعرت، ولكننى تماسكت وقلت:

- صلاح.. مثمن.. أنا في المستشفى من حوالى أسبوعين، زهقت وميتت..

ومن عارف أنا قاعد هناك بأضل إيه؟! ولا أنا عارف أنا قاعد هنا بأعمل إيه..

لا عيز أبطل بس متنهالى إني مش خا عارف أبطل من كتر ما حلوت وقشلت..

ومن قاتر اتخيل إني ممكن أبطل.. البوترة دمرت حياتي.. ولا عارف أعيش

بيها، ولا عارف أعيش من غيرها، وبعدين أنا يا حبس المفدرات لوى.. أول

ما دخلت الأوضة هنا، ماكنش فاهم حاجة، ولا مصتق أى حاجة، والإحساس

لنى جوراً دلوقت إن أنا لازم أسمع وأبطل أنكلم.. أنا طول عشرين يانكلمها،

وطول عمرى فاهم إني فاهم، وصايع.. نس الحقيقة أنا طلعت ضايع.

كنت أمبأ في كل كلمة قلتها، وأحسست من اشتابات من فى القاعة

لهم بصقوننى، ويقومون جيداً ما قلته.. وبعد أن انتهيت من مشاركتي، بدأت

أنتبع إلى مشاركات الآخرين.. قال سليم:

- ياه كلام صلاح فكرنى بنفسى أول ما دخلت الأوضة، وأنا باسمعة حامس إن

ده الكلام للى أنا قلته أول ما حضرتت الاجتماعات.. يا نهار أبيض على كمية

الخطبة التى كانت جوراً.. ياه على قنة الثقة فى كل الناس، وفى كل حاجة

جوراً.. أنا برضه كنت فاكتر نفسى أكثر واحد صايع فى الدنيا.. أصتبع من كل

الناس، والحقيقة إن أنا طلعت أخيب واحد فى الدنيا.. كان لازم أشيل القطن من

بنتى، وأسكت.. كان لازم أذى نفسى الفرصة واسمع، ويمدنين ليه حربة

الاختيار.. لو ما عجنيش التتيطيل.. المتخدرات موجودة.. وممكن أرجع أضرب

لى أى وقت.

صدقت كل كلمة قالها سليم.. وفهمت كل كلمة قالها.. كلامه كله كان

سهلاً.. واضحاً ومريحاً.. وفى نهاية الاجتماع جاعنى سليمة، أمجد، شادى،

وفيق.. الأربعة سلموا على، وكل منهم قال لى كلمتين:

سليم : شكراً على مشاركتك.. وعلى أمانتك.

شادي : واطلب على حضور الاجتماعات.

أمجد : إحدنا محتاجين ناس بتطل معنا.

توفيق : أنت عارف إيه يقولوا إن أنا وأنت شبه بعض.

الكلام كان بسيطاً وجميلاً، وشعرت أنه ملئء بالمشاعر الطيبة والمحبة، كما أحسست أيضاً باهتمام كبير من هؤلاء الشباب، وتمنيت أكون أكثر صراحة، وأقول لهم بكل صدق، ما همست به لنفسى:

- مش عارف إنتم متسوطلين منى على إيه؟! دا أنا فى جيبى بونذرة وراجع بيها على المستشفى عششان أضرب.

طبعاً لم أستطع أن أقول أى شيء.. لم أكن شجاعاً بالقدر الكافى لى يجعلنى صريحاً وصادقاً لأقول ما أفعس به نفسى.. كما أننى كنت لريد ضرب البونذرة التى فى جيبى، وركبت "الميكروباص"، وطوّال الطريق إلى المستشفى ظلمت أفكر فى هؤلاء الشباب، وفى كلامهم، وأقوالهم الصريحة والجميلة، وفى ضحكاتهم القلبية، وأدهشنى حقاً لهم سعادة.. وفى حالة انسجام مع بعضهم البعض، ومع أنفسهم أيضاً.. كيف يحدث هذا دون مخدرات؟ كيف يصحكون؟

وصلت إلى المستشفى، وكنت قد ألتصقت الورقة خلف الساعة.. لصقتها دون أن يلحظ أحد، ودخلت المستشفى وطبعاً تم التفتيش بدقة، ولكن كل من المستحيل أن يخطر ببال أحد أن فى ظهر الساعة ورقة بونذرة.

صعدت إلى الحمام، وفتحت الورقة، وضربت بصقتها.. وتم أستمتع، أو بمعنى أدق لم أشعر "بالكيف"، فنزلت لأجلس مع المجموعة، ووجدتهم يتكلمون فى الضرب، وقصة شريف، ومن يريد الاتصال بأبيه، ومن يريد الخروج فى أجازة، بينما أنا فى عالم آخر.

بعد ساعة واحدة، صعدت إلى غرفتى وضربت بقية الورقة، وهذه المرة لم أنزل إلى المجموعة.. هذه المرة جلست وحدى فى الغرفة على السرير.

ولا أفكر إلا فى الكلمات التى قالتها لى: سليم، وأمجد، وتوفيق، وشادي.. ودار لى أعمالى حديث طويل، وأسئلة كثيرة.. سألت نفسى:

- يا ترى يا صلاح إنت فعلاً عايز تبطل؟

- حتى لو عايز أبطل.. ما أنا مش عارف أبطل!! وإزى أبطل؟

- طيب الناس دول قالوا لى كذا ليه؟

- ومن هم فعلاً مبتطلين؟

- بول أكيد ما عملوش اللتى أنا عملتة.. ضربوا شوية أيام أو شهرين كدا وخلاص!!

- لا.. ده كلام خالص مرعب.. وأمجد كمان واضح.. هنا كمان خروها.

دخل أمير إلى الغرفة، وكنت فى صراع نفسى صعب.. "اضارب" وغير مستمتع بالمرّة.. أجلس على السرير وضربت القلب سريعة، والنهجان غير عادى، كالتى جريت لمدة ساعة.. أنا فى غاية التعب، ولا أعرف لهذا تعب سبباً.. وسألتى أمير:

- إنت فين يا عم؟ الكل بيسأل عنك.

- موجود.. بس زفكان شوية.

- ليه؟ ليه إيه؟

- مقفش.. مش عايز أضرب تانى يا أمير.

- ومن سمك.. وأنا كمان مش عايز أضرب.

- اجتماع النهارده كان حلواوى.

- كل الاجتماعات حلوة.. بس مين اللى يركز؟

- لا كنت مركز لوى يا أمير.

- حسيت بكده.. كلامك كان طالع من جو.. من قلبك.

- أنا لوى أبطل يا أمير.

- بلربت.. وأنا كمان ناوى أبطل.. بس مش ها أفكر أبطل الحشيش.

- مَيَنْعَشُ.. قَالُوا كُلُّ أَنْوَاعِ الْمُخْذِرَاتِ.

- إِلَّا الْحَشْبَشُ.. دَهْ مَشْ مُخْذَرٌ.. دَهْ شَيْكُولَاتَه.. لِكْشِيرِ الْحَيَاةِ.

- أَنْتَ حَرٌّ.. مَعَشُشُ يَا أَمِيرُ سِبْتِي أَنْتُمْ، وَإِزَلْ إِبْتِ لَقَدْ مَعَاكُمْ.

تَرَكَى أَمِيرٌ، لَكِنِّي لَمْ أُنَمْ.. لَمْ أَسْتَطِعْ، وَظَلَمْتُ مُسْتَقْبَلًا فِي السَّرِيرِ..

أَنَا ضَارِبٌ وَرَقَةً كَامِلَةً لَكِنِّي مُتَعَبٌ، وَلَمْ أَشْعُرْ أَنَّنِي 'مُبْتَكَفٌ'، وَكَأَنَّنِي مُخْذَرٌ،

لَكِن فِي حَالَةٍ وَعَى.. وَجَاءَ أَمِيرٌ بَعْدَ سَاعَةٍ لِيَجِدَنِي، كَمَا كُنْتُ، جَالِسًا فِي

السَّرِيرِ، وَطَبِخًا هَذَا الْوَضْعَ جَعَلَهُ يَسْأَلُنِي:

- إِيهْ يَا عَمُّ؟ فِيهِ إِيهْ؟ أَنْتَ مَشْ طَبِيعِي يَا صَاصُو.

- مَفِيشُ يَا أَمِيرُ.. مَخْشُوقٌ شَوِيَّةٌ.. هُوَ فِيهِ خَذَ تَحْتَ؟

- لَا.. مَفِيشُ.. الْكُلُّ دَخَلَ بِنَامٍ.

- طَبِيبُ أَنَا هَا أَنْزِلْ لَقَدْ تَحْتَ شَوِيَّةٌ.. نَامَ إِبْتِ.. نَصْنُ سَاعَةً وَأَطْلَعُ.

نَزَلْتُ، وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا، الْكُلُّ دَخَلَ لِبِنَامٍ، وَأَنَا لَمْ أُنَمْ.. أَشْعُرُ أَنَّنِي مَخْشُوقٌ،

وَأَحْتَاجُ إِلَى أَنْ أَشْمَ هَوَاءَ يَنْعَشُنِي.

جَلَسْتُ وَحْدِي، شَرَبْتُ سِجَارَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَسَأَلْتُ نَفْسِي:

- تَفْكَرُ يَا صِلَاحُ مِمَّ كُنَ النَّهَارُ آخِرُ يَوْمٍ تَعْزِيبُ فِيهِ فِي حَيَاتِكَ كُلِّهَا؟

تَفْكَرُ؟

- يَا تَرَى إِبْتِ عَالِيزُ تَبْطَلُ؟ النَّيَّةُ مَوْجُودَةٌ؟

- طَبِيبُ نَبْعُ نَدَى لِنَفْسِكَ الْفُرْصَةُ وَنَسْمَعُ؟

- بِنِ فِينِ الْأَمَانَةِ؟

وَدَارَتْ بِدَاخِلِي الْأَلْفُ الْأَسْئَلَةُ الَّتِي لَمْ أَجِدْ لَهَا أَىْ إِجَابَةٍ.

اسْتَقْبَلْتُ مُتَكَرِّرًا رَغْمَ أَنَّنِي نَمْتُ السَّاعَةَ الرَّابِعَةَ، وَقَابَلْتُ تَجَلَاءَ،

وَسَأَلْتُنِي:

- إِيْزِيْكَ يَا صِلَاحُ؟ أَخْبَارُكَ إِيهْ؟

- مَشْ عَارِفُ يَا تَجَلَاءَ.. مَشْ عَارِفُ!!

..فِيهِ؟ فِيهِ إِيهْ؟

..مَفِيشُ حَاجَةٌ.. زَهْقَانُ شَوِيَّةٌ.

..طَبِيبُ تَعَالُ عِلْشَانُ 'الْجُرُوبُ'.. الْإِحْتِمَاعُ هَيِّئْتُنِي.

جَلَسْتُ مَعَ الْمَجْمُوعَةِ، وَلَمْ أَشَارِكْ بِأَىْ حَدِيثٍ أَوْ أَىْ كَلِمَةٍ، وَقُلْتُ:

..أَيْفَ.. إِعْتَوْنِي أَنَا النَّهَارُ، مَشْ عَالِيزُ أَتَكَلِّمُ.

بَعْدَ انْتِهَاءِ الْاجْتِمَاعِ نَادَانِي تَكْتُورُ وَلِيدُ، وَسَأَلَنِي:

- تَجَلَاءُ قَالَتْ لِي إِنَّكَ زَهْقَانُ.. فِيهِ حَاجَةٌ؟

- لَا.. مَفِيشُ.. بِنِ أَنَا نَعَيْتُ مِنْ قِصَّةِ الضَّرْبِ دَى.

- أَخْبَارُ الْاجْتِمَاعَاتِ إِيهْ؟

..كُونِي.

- مَشْرُوحُ النَّهَارِ؟

- أَيْ طَبِيبًا عَالِيزُ أَرْوَحُ.

- وَإِيهِ أَخْبَارُ 'الْجُرُوبَاتِ' مَعَ تَجَلَاءَ وَالدُّكْتُورَةِ إِكْرَامُ؟

..كُونِي.. بِنِ زَهَقْتُ مِنْهَا.

..بِلِنْسَانِيَّةٍ.. بَكَّرَهُ دَكْتُورَةٌ عَالِيَةٌ هَتْرَجَعُ نَدَى.

..بِنِ دَكْتُورَةٌ عَالِيَةٌ؟ وَهَتْرَجَعُ مِنْ فِينِ؟

..إِبْتِ مَا تَعْرِفُهَا.. عَالِيَةٌ دَكْتُورَةٌ كَالَّتِي تَشْتَغَلُ هَذَا.. بِنِ سَافَرْتُ أَمْرِيكَ

نَهْلُ مَاجَسْتِيرُ وَلِئِمَّةُ رَاجِعَةٌ مِنْ كَامِ يَوْمٍ.. أَنَا عَارِفُ إِنَّكَ هَاتَسْتَرِيحُ لَهَا.

..طَوَّءُ؟

..أَيْ طَوَّءُ.. هُوَ إِبْتِ مَفِيشُ قَائِدَةٌ فِيكَ؟ أَيْ هَا أَمَشِي، وَلِشَوْفِكَ بَكَّرَهُ.. عَالِيزُ

طَوَّءُ؟

..شُكْرًا يَا دَكْتُورُ.

وبعد أن تناولت وجبه العشاء، جلست في الهواء، وفي هدوء.. وتكلمت
لا أعرف ماذا يحيرني بهذا الشكل؟ ماذا حدث لي؟ جاء جنك، وجلس بجوارى،
ثم قال:

- إنني متغير شوية، ومن ساعة صاخبك ما راح 111، وإنني مش في الأمور.
- القسم مألوس طعم من غير.. مفيش أخبار عنه.
- النساء.

جاء موعد التحرك للذهاب إلى الاجتماع.

وكنيت أول من استعد، وطلت وألقا في انتظار الميكرو باصر.. وصلنا
إلى قاعة الاجتماعات، هم نفس الناس، شباب يصحكون.. ينظرون ويعينون
ترتيب الغرفة، ويتحدثون معاً، في ود وهدوء.. سلمت عليهم، وبدأ الاجتماع.
وكانت جميع الاجتماعات ذات أسلوب واحد في البداية والنهاية إلى أن عدا
المشاركات، وبدأها خالد قائلاً:

- من ساعة ما قلت خالك ممن، ونص المشكلة اتحلّت.. أخيراً اعترفت إن أنا
ممن.. يعني لو مش أنا الممن.. يبقى مين الممن؟! أنا كان لازم أعترف إن
أنا عاجز فدايم المخدرات، يا إيشا أفنى مجنون!! هو أنا اللي عملته كان شوية!!
الموضوع في البداية كان لطيف، بنف سيجارين، وينشرب كاسين.. نخرج
وتسافر.. كله ماشي زى القل.. للغاية ما فزل على الوحش.. هاجمني وبدأ يكتر
في.. الأول كنت باكاير.. إيه المشكلة؟ ما أنا لو عايز أبطل.. فتنطّل.. بس
الحقيقة لما جيت أبطل.. ما عرفتس أبطل.. عملت كل حاجة ممكن تتعمل
عشان أبطل.. احبست في البيت.. سافرت.. تحلت المستنقى.. وبرضه مفيش
فائدة.. كام مرة قلت هي دي آخر مرة أخذ فيها مخدرات.. كام مرة؟ وكام
مرة مسكت مخططة أبويا وسرفت اللي جواها.. وكام مرة سرفت من شحنة
ودولاب أمي؟ وكام مرة نصبت على لصحابي؟ أنا ماقومتش يعني إيه صلاح

فدايم المخدرات غير لما جيت هنا، ولقيت ناس بنحكي نفس الكلام، بتحكي كل
للي أنا عملته بالطبط.. ومش مكشوفين.

ظل خاك بينكم، وأنا أسمع.. كأنه يتحدث عني.. كأنه يقول كل ما حدث
لي.. والسؤال: كيف عرف هذا الكلام؟ بالتأكيد مر به وعاشه.. هذا الرجل
لا يفتل.. هذا الرجل يعرف ويفهم جيداً ما معنى المخدرات.. إنه بالتأكيد
مخرب مخرب.. أريت أن اتكلم ونشارك، لكني خفت.. شعرت أنني أخطأت
خطأ كبيراً بالأمر.. أنا كسرت شادي، وتقاليدي هذه المجموعة.. هذه الاجتماعات
تفرض منها التوقف عن التعاطي، والناس لا تجتمع في هذا المكان لتتضرر
معا المخدرات، ولتتبادل المخدرات.. وفجأة سألني شادي:

- صلاح.. تحب تشارككنا؟

- صلاح.. ممن.. هو خالك كان بينكم عن نفسه، وللا بينكم عني.. لو أنا
عايز أحكي اللي حصل لي، يبقى هو ذا اللي أنا هاقوله.. أنا عايز أتكلم
بصراحة، بس أنا خايف.. مش قادر أتكلم.. شكراً.

وبعد انتهاء الاجتماع، جاؤا للتخية والسلام، وكان منهم يقول لي
كلمتين.. ربما للتشجيع، لكنها كلمات صادقة.. هكذا أحسست.. قال أحمد:

- أنا كمل كنت خايف أول ما دخلت الأوضة.. ذا طبعي.

بينما قال توفيق:

- أنا متوسط أوى من مشاركتك، وكل مشاركتك.. فعلاً بلحب أستمعك.

لما خالد قال:

- بشي أنا هاجيب من بره؟ كلنا بنحري في ملاب واحد يا ممن.

وأخيراً قال شادي:

- لو غي ماتجيش بكرة يا صلاح.

- ليه؟ فيه إيه بكرة؟

- لما تيجي ها تعرف.

رسالة الفجر

لم أقم طوال الليل.. لم تغفل عيني ثانية واحدة.. مرت الساعة الثانية، الثالثة، والأربع، ولا أنام.. بل وقفت أمام الشبابك، أراجع كل ما حدث في حياتي.. مرّ في عقلي شريط الضرب كله منذ بدايته.. وتذكرت الاجتماعات المسائية، ومشاركات الشباب، وما قاله أجدد، وسليم، وشادي، بذلك، وتوفيق، ومرة واحدة وحدثني لكم نفسي وأقول:

- يارب.. يارب.. يارب ساعدني.

أول مرة أقولها.. لأول مرة أقولها من قلبي.. أول مرة أعنيها بصنق.. أول مرة أحاول جاداً أن أضع كل نقى في ربنا.. تخيلت طوال عسري أن الله يخلي.. فقط يعاقبني.. ومرة ثانية قلت:

- يارب.. ساعدني يارب.

ومرة ثالثة قلت:

- يارب.. ساعدني يارب.

وإذا بي أسمع الأذان:

- الله أكبر.. الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمداً رسول الله.

إته: أذان الفجر..

ياه!! أول مرة أسمع أذان الفجر بهذا الجمال.. أول مرة أركز في كل كلمة نقال.. خيل إلي أنه ليس بأذان الفجر.. وتخيلت أن الله "سبحانه وتعالى" ورث علي: أنا موجود.

الأذان يؤذن.. ودموعي تنزل من عيني أشهراً.. شلالات دموع يكاء مستهزئاً.

ظل كلام كل منهم يدوي في أذني، ويسيطر على تفكيري.. أجدد بضمنني.. توفيق سعيد بمشاركتي.. يا سلام!! هل أنا أجدد الحديث فعلاً؟ أما خالد فهو جريء أو بنقة أكثر "صانع".. ونسخة أخرى من بهاء.. أين أنت يا بهاء؟ أين أنت يا رامي؟ وما ترى ماذا يحدث غذا يا شادي؟ ما هذا التشويق لحضور اجتماع الغد؟

عدت إلى المستشفى، يغمرني إحساس بالهنوء للنفس أو فنقل الراحة أو ربما السكينة.. مع هذا، كل فوق صدري حجراً.. فموضوع المخدرات التي أخذتها من تاجر في غرفة الاجتماعات كان يسيطر على تفكيري ويعينني.. رجعت من الاجتماع، وجاء موعد تناول الدواء بعد العشاء، فأعلنت بوضوح:

- مش عايز أدوية يا صديق.

- يعني إيه؟

- يعني مش عايز.. خلتني صاحي النهارده يا صديق.

- بس إحنا لازم نبلغ الدكتور.

- بلغة.. وبكره أنا هاقول له مش عايز أدوية ثاني.

حقيقة الأمر.. أن هذه الأدوية تضايقتني، نعم هي تساعدني على النوم، ولكنها أحياناً تجعلني أكثر توترًا وتجعل أعصابي مشدودة.. فكرة تناول الكثير من المهدئات تشعرنني بأنتي مجنون رسمي.

انتهى الأذان، وسمعت إقامة الصلاة.

ومن غير شعور، دخلت الحمام، توضأت، وصليت ركعتين.. ودخلت
السرير، بشخصيتين.. أولاهما: شخص هادئ.. وثانيتهما.. أنه في الوقت نفسه
بدخلني شخص آخر في أعماقه بركان يكاد أن ينجر.

ما هذا الذي يحدث بداخلي؟ لمست أنرى، ولم أفهم شيئاً مما يحدث
لنى فى تلك اللحظات.. نعت الساعة (6:00)، وصحوت الساعة (6:50)، عيناى
لم تغمضاً أكثر من 50 دقيقة فقط.

الإسبوع الثالث

نزلت من الغرفة، ووقفت لقرأ الجداول، وكأبلى أقرأ هذا الجدول لأول

مرة:

دكتورة عالية الساعة (10:00) إلى الساعة (11:30).

دكتورة إكرام الساعة (12:30) إلى الساعة (2:00).

جلست أمام الألفاظ المكتوب عليها: "اللهم امنحنى السكينة لأتفعل الأشياء
التي لا أستطيع تغييرها.. والشجاعة لتغيير الأشياء التي أستطيع تغييرها..
والحكمة لمعرفة الفرق بينهما". ولم أشعر بالضيق أو "التفرقة" منها، كما كنت
أشعر من قبل، بالعكس.. فقرأت الدعاء حوالي 10 مرات فى محاولة للفهم.. إنه
الدعاء الذى يقولونه فى نهاية الاجتماعات المسائية.. أنا أريد أن أفهم سره..
لا.. بل أنا أريد أن أفهم أشياء كثيرة.. أريد أن أفهم أى شيء وكل شيء.

بعد أن تناولت الإفطار، شربت الشاي، وقرأت الصحف.. الساعة
تقرب من العاشرة.. اجتماع دكتورة عالية، فهي تنتظر فى الحديقة.. خرجت
إلى الحديقة مع المجموعة التي تنوى حضور الاجتماع، ونجولنا فى المكان،
ولم أعرف سر إحساسى بأن كل شيء هنا أراه لأول مرة.. جلست دكتورة عالية

فى الحديقة، وقد اختفى وجهها بين صفحات الكتاب الذى تقرأه.. جلسنا جميعاً،
ورفقت وجهها، وبدأت تأمل ماذا يفعل كل منا.

ياها!! يا الله.. إنها جميلة جداً.. وجهها ملائكي.. وأيضاً من الواضح
لها راقية.. أنيقة، وكأنها خارجة من "الكينالوج".. إنها عائدة لتوها من أمريكا،
والتي كنت علمت "توينج"، لا أول له ولا آخر، "وكمترت" الدنيا.. حقها.. وجاء
كلنى فى نصف الدائرة، فى مواجهتها مباشرة.. ثم بدأت فى الحديث:

- صباح الخير.. أنا عالية.

- صباح النور.

- النهارده أول يوم لنى هنا.. بعد غياب سنة كاملة.. المكان واجتنى.. وإنتم
هنا وحشوتنى أوى.. أنا راجعة وجوايا حاجات كتيرة أوى نفسى أنفذها
بكم.. فمن فضلكم عاؤز أكم تساعدوني.

وطلعت عالية من كل منا أن يقول ما يفكر فيه، ويخطر فى باله، وبدأ

سيرة

- بقاى هنا أكثر من شهرين، وزهقت خلاص.. عايز أمتنى من هنا.

- لا أسامه.. ونفسى أضرب يا عالية.

- شكرا يا أسامه على صراحتك.

وجاء النور على.. وكنت قد ركزت معها، وشعرت لنى أعرافها، فهي

نتيجة قلبه بزميلة الطفولة أيام المدرسة، وكانت معى فى الفصل نفسه، فسألنيها:

- علك أخت؟

ردت بيقنة:

- إنت علك أ.ح.

- إنت أخت ليلي؟

- إنت أختو كريم.

- ممكن تعرفنى بنفسك؟

- لذا صلاح.. مَبْطَلُ النهارِده، وبِقَالِي فِي الْمَسْتَشْفَى أُسْبُوعَيْنِ.

- مِمَكْن لَكُم مَعَاك بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ؟

- طَبْعًا مِمَكْن.

إِذَا، أَنَا أَعْرِفُ أَحْتَاهَا لَيْسَ هَذَا فَقَطْ، بَلْ هِيَ أَيْضًا عَرَفَتْ أَخِي.. وَدَارَ فِي ذَهْنِي سُؤَالٌ سَرِيعٌ:

- مَشْ عَارِفُ الْبَسِيطِ وَاللَّاحِظِ؟! نَلُوقَتْ هِيَ هَتْرُوحْ نَقُولُ لِأَخْنَحَا إِنِّهَا قَابِلَتْ صِلَاحَ اللَّيْلِ كَانَ مَعَهَا فِي الْفَصْلِ، وَيَتَعَالَجُ فِي الْمَسْتَشْفَى.

الرَّوْقُ مِنْ سَرِيعًا، وَالْحَقِيقَةُ، كُلُّ الْاجْتِمَاعِ هَذِهِ الْمَرَّةَ مُخْتَلَفًا.. لَقَدْ تَكَلَّمْنَا فِي أَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةٍ وَمَوْضُوعَاتٍ مُشَوَّفَةٍ، وَبِاسْلُوبٍ هَادِئٍ مَرِيحٍ وَرَاقٍ، وَالْفَارَقُ كَبِيرٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْاجْتِمَاعَاتِ الْآخَرَى.. وَالْآنَ فَقَطْ، لَهْمَتْ لِمَاذَا قُلْتُ لِي دَكْتُورُ وَلِيدِ إِبْنَتِي سَوْفَ أَشْعُرُ بِالرَّاحَةِ خِلَالِ اجْتِمَاعَاتِهَا.. انْتَهَى الْاجْتِمَاعُ، وَكُنْتُ فِي مَتْنَهِي السَّعَادَةِ لِأَنِّي سَأَتَكَلَّمُ مَعَهَا.. لَا أَتَرَى بَذَقَةً لِمَاذَا كُنْتُ أَشْعُرُ بِهَذِهِ السَّعَادَةِ.

وَبَعْدَ انْتِصَافِ الْمَجْمُوعَةِ مَشِينَا فِي الْخَنِيْقَةِ، وَجَلَسْنَا فِي جَانِبِ مَنَاءِ.

يَا إِلَهِي.. مَا هَذَا الْهَيْءُ الَّذِي يَمِيزُ وَجْهَهَا؟! وَقَالَتْ:

- أَوَّلُ حَاجَةٍ.. أَنَا أَحِبُّ لِمَنَّا أَنَّ مَغِيشَ حَدِّ هِيَ عَرَفَتْ إِبْنِي قَابِلَتْكَ هُنَا.. مَشْ إِبْنُ بَتَقُولُوا فِي الْاجْتِمَاعَاتِ: اللَّيْلِ نَشُوفُهُ هُنَا، وَيَقْدُلُ هُنَا، يَفْضَلُ هُنَا؟

أَعَجِبْنِي كَلَامُهَا.. شَعُرْتُ بِالْأَمَانِ لِهَذَا الْمَذْخَلِ.. قُلْتُ:

- فَعَلًا.. بَتَقُولُ كَذِبًا فِي الْاجْتِمَاعَاتِ.

- أَحْبَبْتُ لَيْلِي.. كَانَتْ مَعَايَا فِي الْفَصْلِ، 6 أَوْ 7 سَنِينَ.. لِسُوءِ حَمِيلَةٍ زَيْ مَا هِيَ؟ كَانَتْ أَجْمَلُ بَنَاتِ الْمُنْرَسَةِ.

- لَيْلِي لِسُوءِ حَلْوَةٍ.. تَجَوَّزَتْ، وَبَعْدَهَا بَنَاتُ كِمَانِ.

- إِبْنَتِي شَبِيهَا.. نَسْخَةٌ ثَانِيَّةٌ.. وَتَعْرِفِي كَرِيمَ مَتْنِي؟

- كَرِيمُ وَنَادِرُ أَخَوَيَا يَشْتَغَلُونَ مَعَ بَعْضِ.

- يَا هَذَا الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ.

- إِبْنَتِي كِمَانُ تَشْبَهُ أَخَوَك.. بَسْ إِبْنَتِي شَكَّكَ أَتَقْنِي.

- لِمَا مِنْ أَوْلَاهَا كَذَا هَتَّظَلَمْنِي؟!

- لِنَهَارِهِ.. أَوَّلُ يَوْمٍ لِي فِي الْمَسْتَشْفَى بَعْدَ غِيَابِ سَنَةٍ كَامِلَةٍ.. وَفِيهِ حَاجَاتُ كَثِيرَةٍ لَأَزِمِ أَصْلَافِهَا، بَسْ بَكَرَهُ فَضَنِّي نَفْسَكَ، عَابِزِينَ نَقْعُدُ مَعَ بَعْضِ وَقْتُ أَطْوَلِ.

- مَا لَشَوْفِ الْحَذُولِ بَتَاعِي أَخْبَارُهُ لِي.. وَمَا تَقْنِي.. هَاتِّصْرَفْ.

- طَيِّبُ كَوَيْسٍ.. هَاتِّشَوْفَكَ يُكْرَهُ بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ.

- كَلَّ نَفْسِي أَقُولُ لَكَ سَتَمِيلِي عَلَى لَيْلِي.. بَسْ لِلْأَسَفِ مَشْ هَيَنْفَعُ.

- إِبْنَتِي هَاتِّشَوْفَهَا وَتَسَلِّمْ عَلَيْهَا بِنَفْسِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.. عَاوَزَاكَ يُخْصِرُ كُلُّ الْاجْتِمَاعَاتِ.. وَتُشَارِكُ.. لَتَفْقُنَا؟!

- لَتَفْقُنَا.

يَا إِلَهِ، كَانَتِي أَعْرِفُهَا مِنْذُ 10 مَتْنِينَ.

لَقَدْ كَسَرْتُ حَوَاجِزَ الدُّنْيَا كُلَّهَا.. كَمِ اسْتَرَحْتُ لَهَا، وَشَعُرْتُ لَنِي فَعَلًا أَرِيدُ تَتَحَدَّثُ مَعَهَا، وَاسْتَمِعْتُ لَهَا، وَتَلَقَّاهَا مَعَهَا، وَأَسْأَلُهَا، وَأُحْكِي لَهَا.. وَتَقَّتْ فِيهَا نَفَقَةُ عَمَاءٍ مِنْذُ التَّلَقُّقِ الْأَوَّلِيِّ.

اعتراف

عدت إلى القسم، وإلى حد ما أعصابي أكثر هدوءًا.. ثم حضرت اجتماع لكتورة إكرام في موعده بدقة، وبعد تناول طعام الغداء، بدأت إلى والنور حول نفسي.. إن عقارب الساعة تتحرك ببطء شديد حذاء، أيتها الساعة تحركي.. إلى في شوق لحضور اجتماع مساء اليوم.

في ذلك اليوم واجهت موقفًا غريبًا، لا أحد يريد من المستشفى حضور الاجتماع، أنا الوحيد الذي تحمس لحضوره.. وذهبت إلى هناك وحدي، وفي المرات السابقة كانت المجموعة لا تقل عن ثلاثة أو أربعة، وتصل أحيانًا إلى خمسة.

دخلت إلى مقر الاجتماع ولاحظت أن عدد الناس في القاعة أكثر من المرات السابقة، وأنتى أرى بعضهم لأول مرة.. وقد أدار خالك هذا الاجتماع.. وقد كان هناك جو من السعادة ولم أعرف له سببًا.. وبدأ الاجتماع بالمقمة والتوبيكات والقراءة، إلى أن طلب مني خالك قراءة: لماذا نحن هنا؟

وبدأت القراءة:

قبل المجيء إلى زمالة المنمنمين المجهولين لم يكن باستطاعتنا أن ندير حياتنا. ولم يكن باستطاعتنا أن نستمع بالحياة مثلما يفعل الآخرون. كنا بحاجة إلى شيء مختلف واعتقدنا بأننا قد وجدناه في المخدرات. وضعنا تعاطيها فوق مصلحة عائلاتنا، وزوجاتنا، وأزواجنا وأطفالنا. كنا مضطرين للحصول على المخدرات بأي

* كتيب رقم 1، زمالة المنمنمين المجهولين، (سنة 2004)، كيف ولماذا، فان بيور، كاليفورنيا.

من. تسببنا في أذى عظيم لكثير من الناس، ولكن أدينا أنفسنا أكثر من أي شخص آخر. ومن خلال عدم قدرتنا على تقبل مسؤولياتنا الشخصية، كنا في الواقع نخلق المشكلات لأنفسنا. وبدأ أننا غير قادرين على مواجهة الحياة بشروطها.

أركز معظمنا أننا بإنساننا كنا نتنحدر ببطء، ولكن الإدمان عدو ماكر للحياة لدرجة أننا فقنا القوة على فعل أي شيء حياله. انتهى الأمر بالكثير منا إلى السجن، أو طلب المساعدة من خلال الطب، والدين والعلاج النفسي. ولكن أي من هذه الطرق لم تكن كافية لمساعدتنا. كان مرضنا دائمًا يطفو على السطح مرة أخرى، أو يستمر في التآكل حتى اليأس، فطلبنا المساعدة من بعضنا البعض في زمالة المنمنمين المجهولين.

بعد المجيء إلى زمالة المنمنمين المجهولين، أدرنا بأننا لناس مرضى. إننا نعاني من مرض ليس له علاج معروف، ولكن مع ذلك يمكن محاصرته عند نقطة ما، وعندئذ يكون التعافي ممكنًا.

الجديد أنني بدأت أركز في الاجتماع.. وفي كل ما يقل.. إلى أن جاء موعد الاحتفالات بمناسبة التطيل، فقال خالك:

- إننا التهارده بلخفيل بشادي.. سنة تبيل" يا شادي.. ممكن تشاركنا..

ارتفع تصفيق كل الموجودين.. تحيات وتهليلات من الجميع.. وفي تلك اللحظة فقط، عرفت لماذا كل شادي حريصًا على حضورى هذا الاجتماع، لاحتفل معه بسنة "تبيل".

- أنا شادي.. مثنى.. ياه.. سنة عنت 11 الحمد لله.. مش ممكن كنت أتخول أن دا بخصر لبدأ.. أنا كنت راجل متواضع، نفسى أبطل شوية، مش سنة..

أنا مثل عارف أنكم.. حاسب لى مَبْتَخِبُط.. من الصُّبح بَئزى كَلَمْنى خاك،
توفيق، حاتم و.. و.. مَفِيش حد ما كَلَمْنِيش، مَفِيش حد نسي.. مَفِيش حد
كَلَم.. شُكرا على مكالمتكم.. اللى حصل معايا، زى اللى حصل مع كل الناس،
جيت الاجتماعات تُجَال أوى.. ونفسى أبط، وفى رأى ان 50% من المشكلة
اتحلّت، لما اعترفت إن أنا عندى مشكلة، واثبتت لنفسى الفرصة، واثبتت للناس
الفرصة إننا نساعدنى.. فى البداية، طلبوا منى حاجات بسيطة، وعمرى ما كنت
أتحب إن الحاجات التسطه دى، كانت تخلينى أبط.. قاتلوا لى دا برنامج بسيط
لناس معتدة.. وخُذ لك مشرف، اقرأ فى الكتاب كل يوم، وأول ما تَصْغى من
النوم، كُتِب فى التليفون واحد أو اثنين على الأقل، ويَكُونوا منطّلين بَقَاتِم أكثر من
6 شهور.. تخضر 90 اجتماع فى 90 يوم.. أنا حضرت أكثر من 330 اجتماع
فى السنة دى.. كلمات: الامانة، التفخح للأهلى، النية.. الكلام كان بيخُصنى أول
ما دخلت الأوضة، والسبب.. إنى أنا راجل عُمُرَى ما كنت أمين، وكنت مَعْرِفُف
غير للكذب، وما اعرفُفنى يعنى إيه تفتح ذهنى من أسأله.. والنية موجودة، بس
يا ترى أنا صادق فيها ولا لا؟ اللى يشوفنى التهادده ويسمعنى ولا ياتكلم،
يقول إنى دخلت الأوضة دى ركب حصان أبيض، بس الحقيقة أنا دخلت
خُصان، ومُنْهَى.. والناس ساعدنى، ووقفت جَنَينى.. أنا مثل عايز أكون
عليكم، بس أنا فعلاً التهادده، مُمكن أكون مُساعد إنسان فى الدنيا.. أشكركم نالى،
واعتذر لو كنت طَوَلت عليكم.

كان التصفيق مدوياً، وكان كل فرد فى الغرفة سعيداً فعلاً.. لم أكن لَيد
أن ينتهى شادى من حديثه.. كان كلامه جميلاً.. بسيطاً، ومؤثراً.. واستكمل خاك
إدارة الاجتماع، وقال:

- شكرا يا شادى على مشاركتك.. أنا فكر لما دخلت الأوضة هنا، كل شادى
مِنْطَل من 6 شهور، وكان نفسى أبقي زِيَه، والتهادده هو مِنْش بَقَاله سنة،
وأنا برضه نفسى أبقي زِيَه.. مبروك يا شادى..

ممكن تشاركنا يا أمجد؟

- من مَبْرُوك لشادى بن، مَبْرُوك علينا كُتْنا.. شادى من أَكْثَر الناس اللى
نُفِست مِنْها، ومن فارقة أبداً مِن مِنْطَل قبل مين.. كُتْنا بِتُساعد بَعْض، وفى
الوَلِّ والأخر هُنْطْنا واحد.. إننا نفضل كلنا منطّلين.

عاد الحديث إلى خاك:

«من فضلك يا توفيق، سَلِّم شادى الميدالية بِتاعُته.

الكل يصفق.. الكل سعيد.. الكل مبسم.. الكل بحب.

وأنا أشعر للى صغير جداً وسط هؤلاء الشباب.. وفجأة قال خاك:

«ملاح.. ممكن تشاركنا.

وبصوبة بدأت الحديث:

- مَبْرُوك يا شادى.. ألف مَبْرُوك.. أنا مثل قادر لتحيل إنى أكون زِيَه.. من
إبراح وأنا مثل عارف أنكم، فيه حجر واقف على قلبى.. أنا فى الاجتماعات
معت إن اللى بيتقال هنا.. بيُفضل هنا.. وأنا شايل هم كبير وتعتت.. ومنش
خلف ولازم أنكم.. أنا من يومين جيت الأوضة هنا، وأخذت من واحد
منفرد، ولما رجعت المستشفى ضُربت هناك.. أنا أسف.. هُنا غُطْطان..
لأش عايز أضرب ثانى.. من عايز أضرب تالى.. هُنا مَحْوِش إن أنا عسلت
كده؟ هُنا مَحْوِش؟ من فضلكم ساعدونى.. أنا خلاص تَين.. تَين.

وبدأت أبكى، أبكى.. وأضرب بيدي على المائدة، قائلاً:

- أنا عايز أبقي زِيَك.. عايز أضحك.. عايز أخط راسى على المِخْدَة أمام..
عز أرفع راسى وأنا ماشى.. من عايز أى حاجة تالیه.. عايز أبط.. عايز
أجل.

ولم استكمل كلامى من شدة البكاء.

وجاينى أمجد، وأعطانى ميدالية، كتب عليها 90 x 90، وصفق لى
فى الناس بالحرارة نفسها التى صفقوا بها لصاحب الاحتفالية شادى..

ووجه لى خالد الكلام:

- شكرًا على مشاركتك يا صلاح.. بلشرك على أمانتك.. وأطنتك لى
اللى بيتقال هنا بيفضل هنا.. وننهي الاجتماع بدعاء السكينة.

وبعد انتهاء الاجتماع.. سلم الكل على شادى، وعلى أيضا.. وذلك بعد
ميلادنا معًا، بينما اهتم خالد، وسليم وتوفيق بإحضار التورتة لإطفا، شمة
شادى.. وفى تلك اللحظة جاعنى شاب ألبق، ولأول مرة أراه، وقال لى:

- أنا حاتم.. إزيك يا صلاح؟

- الحمد لله.

- ممكن أكون المشرف بتاعك وأساعدك؟

- بجد؟! ياريت.

- أول سؤال عندي: دماغك ونكك ووصيتك فين؟

- يعنى إيه؟!

- يعنى إنت فين دلوقت؟

- فى المستشفى.

- مخطوط.. كان ممكن نبقى فى مكان أوحش من كده بكثير.. مئى ترئج
دماغك شوية.. أنا بترح عليك إك تسمع الكلام، وشوف فتروح فى المرة
دى.. امسك كتاب "المنمنمين المجهولين"، واقرأ المقدمة.. المقدمة مهمة.. وكتب
لك إمزة تليفونى على أول ورقة.. تكلمنى كل يوم الساعة 5:00 من المستشفى..
أنا هنا أكتبكم كتور ولید الصبح، وأبلغه إن أنا المشرف بتاعك.. باللا.. ها أشوفك
بكره.. ومما تنساش، أول ما تصحى من النوم، بتزل من على السرير، وتزل
على ركبتك، وتدعى رينا:

يارب ساعدنى أفضل ميطل مخدرات النهارده..

دعاء بسيط وسهل.. ونفع معنا.

بعد هذا الحوار مع حاتم، جاعنى كل الناس.. سلموا على بحرارة،

والصبر وقيلات، وكاننى وسط أصدقاء أعرهم من سنين.. يا سلام!!

باعتلف معى كل هؤلاء؟ وكل منهم قال لى كلمتين ونودتين:

: بعلمك، أنا كنت زيك كده.. كنت محتاج آخر ضرباية علشان أقوء..

وفرقت معانا.. يظهر إنت كمان كنت محتاجها.

: أفضل معانا.. زى ما إنت محتاجنا.. إحنا كمان محتاجينك.

: مش بأقوك لى بأحب مشاركتك.

: عيد ميلادنا سوا أنا وأنت.. إحنا الاثنين ميطلين النهارده.

: بأقوك إيه.. عورك شئت لعيبة بتجرى ورا للكرة بعد ما الحكم

مستقر؟! الماش خلص يا باشا.

ولم لكن تصور أبدا، أن يكون هذا هو رد فعل هؤلاء الناس.. لقد تخيلت
عجبة هائلة من الجميع.. توقعت أن يهاجملى أحدهم.. تصورت أنهم لن
يقبلونى.. وتصورت أنهم قد يطردوننى من الغرفة، لكن ما حدث هو العكس
تماما.. أعقد هذا هو التفتح الذهنى.

عاد لى حاتم مرة أخرى وقال:

- ليه خصوصية فى كل حاجة بتكلم فيها، بس فيه أوقات ممكن أحكى
عشرى.. علشان يساعدنى فى توجيهك.. إذا إنت وافقت.

- بلش مشكلة خالص يا حاتم.

بهزنى هذا الموقف.. وعدت إلى المستشفى أسعد إنسان فى الدنيا..

رعا أسعد من شادى شخصيًا..

أمسكت الكتاب فى يدى، وكاننى امسك كنزًا.. دخلت إلى الغرفة

سرعًا.. ففتحت الكتاب وبدأت القراءة كما قال حاتم.. قرأت المقدمة.. وبعد

المقدمة.. ورفضت للمرة الثانية أن أتناول الدواء فى تلك الليلة.. طبعًا لم يكن

هذا سهلاً بل متعباً، لأننى لا أنام.. على الأكثر ساعة واحدة طوال اليوم.. لأم الساعة 6:00.. وأصبحو الساعة 7:00.

طلبت تصريحاً بمكالمة تليفونية.. أردت أن أتكلم حاتم كما انفسا.. وأردت أن أتكلم أمى.. ولينتى أستطيع الاتصال بأختى رولا.. نكتسى فى المستشفى، وقد عاد زوجها من مقر للشركة فى البحر الأحمر، وقد سرد على عامل التليفون "السويتش"، ولا يجوز أن يعرف فجأة أننى فى مستشفى، وبهذا الأسلوب.

بعد أن تناولت الإفطار، جلست مع المجموعة، ولأول مرة أتكلم عن التَّعَبِ، وعندما تكلم أحدهم عن الضرب، تركت الجلسة قائلاً:

- مين يلعب بيلج بونج معايا.. أمير؟

- ياللا يا باشا.. أنا معاك.

كنت فى حالة معنوية مذهشة، مشيت فى المستشفى أضحك.. وتعلبت أن يمر الوقت سريعاً.. لأحضر اجتماع دكتوراة عالية، ورايتها قادمة، وأسرع إليها قائلاً:

- صباح الخير يا عالية.

- صباح الخير يا صلاح.. شكك مبسوط النهارده.

- مبسوط أوى.. حامس إنى أكونت من جديد.

بدأ الاجتماع فى موعده بنقطة.. وكنت إيجابياً.. وبعد الاجتماع جلست مع الدكتوراة عالية فى ركن من أركان الحديقة.. جلسة فيها إحساس كبير بالحرية، وبدأت الحوار قائلة:

- ياللا.. تحب تبتدى من فين.. أو من إمى؟

- تبتدى من إيمارح يا عالية.

- موافقة.. تبتدى من إيمارح.

- أنا أخذت مشرف إيمارح.. هو نفسه الذى اختارنى.

ديت؟ هابل.. مين؟

- حاتم.. بالقولك إيه يا عالية.. فيه حاجة مش ها استريح غير لو قلتهاك.. بس على بالك، أنا مش ناوى أقولها لأى حد فى المستشفى غيرك.

- دى ثقة كبيرة.

- أنا يوم السبت التى فات دخلت مخبرات فى المستشفى.

- وينين؟

- كنت، ومقش حد عرف.. وحكى الحكاية دى فى اجتماع إيمارح.

- هابل.. دى أحسن حاجة إنت عملتها يا صلاح.

- على الدن تقبكت الموضوع عكس ما كنت متخيل.

- لأهم بصوا على الموضوع بطريقة إيجابية.

- كنت قلقان إن الخبر يشرّب فى المستشفى، بس الحمد لله مآ خصلش..

- لأش للقلان منك، وكأنك مش من دكاترة المستشفى.

- أنا من دكاترة المستشفى، بس مايقفش منى.. كده أنت مبطل من كام يوم؟

- أنا تلقى يوم.. أنا مبطل من أول يوم إنت رجعت فيه المستشفى.

تحدثنا معاً.. ساعة وربما أكثر.. وكان أجمل حديث صريح فى الدنيا..

يا.. شعرتى إحسان بالازتياح لا مثيل له.. وتلقى فيها بلا حدود.. والغريب فى

أثر لقى لم أشعر بالخل أثناء حديثى معها بما فعلت فى الماضى.. كأننى

أتكلم مع نفسى.. والأجمل والأروع أننى مهما حكيت لها من مصائب قمت بها،

لم تقل لى أبداً:

- إنت لراى صلت كده؟! أو كذا غلط.. أو حتى: كذا عيب.

لم أكن أخشى على صورتى أمامها.. طوال عمرى كنت أهتم كثيراً

بالشكل، وبالمظهر، ودائماً أسأل نفسى:

- يا ترى هو أو هى أو هم، ماذا قالوا عني؟! أنا مع عالية، فهذه القضية

لظهورية لم تكن واردة على الإطلاق.. تفككت منى كل شىء.. وتقلتسى كما

أنا، إنها قدر الفكاكة، وتقيم النكتة بسرعة.. تضحك وتلاعب، واحترمت الخط الأحمر الذي بيني وبينها.. لم أفكر، ولم أحاول أن أتخطأه أبداً.

كانت تقضى معي ساعتين، وتسر كأنها دقائق، وكان يضايقي كثيراً أنها ستغادر المستشفى، أو ستجلس مع مريض آخر.. كنت أتناول في هذا الموضوع، وكان عالية هي دكتورة صلاح فقط.. تكلمت معها في كل شيء بكل صديق وصراحة.. تحدثنا في كل التفاصيل.. شرحنا كل المواقف، كانت تقيم جيداً ما أقوله.. صارتها واستطاعت استيعاب إلي أي مدى أحببت المخبرات.. لم تقل أبداً ما المفروض أن أفعله، ولكنها كانت تصل بي إلى هذا الشيء، الذي يجب أن أفعله.. جعلتني أصل إليه بنفسى ودون ضغط، أو تأنيب، أو كبرياء.. التهنوء هو سمة الحديث.. ومهما تؤثرت أو ثارت أعصابى، كانت تعرف وتستطيع تهدئتنى، لأعود وأسير من جديد على نفس نغمة الحديث الهادىء، الذى يصل بي إلى الحل، وبذلكها الرابع تقول:

- من غاويين نعيش في المشكلة.. باللا تفكر في الحل.

كنت كل يوم أتعلم منها أشياء جديدة.. كل يوم نرسم خطة لتسير عليها.. والحقيقة أننى كنت أساعدها في تنفيذها، فقد كنت وأخا بها، ومؤمناً بكل ما تطلبه منى، مؤمناً بأننا نقيم مصلحتى جيداً، ونعرف كيف نأخذ بيدي.

بعد جلسة المصارحة والاستشفاء تناولت طعام الغداء.. وجلست مع المجموعة بعض الوقت.. وقبل الذهاب إلى الاجتماع المسائى، طلبت مكالمتين تليفونيتين.. طلبت حاتم الساعة الخامسة كما اتفقنا، ولكن حاتم لا يرد.. ورد التسجيل للتليفونى "الآن نخرج ماشين"، وطلبت أمى، والحمد لله.. وبحثنا:

- إزيك يا ماما؟ وحشتينى.

- الحمد لله.. إنت كمان وحشتينى أوى.

- إزاي كريم ورؤولا؟

- كويسين، وبسملوا عليك.. أخوك كان معانياً حالاً على التليفون، وقال لى إنه عايز ييجى يشوفك يوم الجمعة.

- أهلاً وسهلاً.. تسرّفونى.. أمى ماتر عيش منى.. أنا عارف يوم الجمعة لللى كانت كنت بايخ ومتعجب.. معلش استخيلينى يا أمى.

- ولا نيمك.

- لا ولا عايز عربية جديدة، ولا عايز لبس جديد.. كل حاجة لازم تيجى في وقتها، ولوقت مش وقتها.

- كلامك جديد ولغتك غريبة شوية النهارده.. هو فيه إيه؟

- لما تيجى أحكى لك.. بنى يا ماما أنا عايز منك حاجة.. ممكن؟

- عايز إيه؟ خير؟

- أول حاجة الساعة السوداء.. فأكراها؟

- آه.. طبعاً فأكراها.. حاضر.

- عايز تزينج سوت وكام تى شيرت.. ممكن؟

- حاضر.. وإيه كمان؟

- لا.. خلاص.. ولا حاجة تاللى.. هو بابا راجع إمتى من السفر؟ كلك؟

- راجع يوم الاثنين الجاى.

- كويس.. إنت مش بتكلمينى إليه يا أمى؟

- بأخاف بتخاف مع نعض، كفاية أترج على صورك واندى لك.

- بنى مش كفاية بالنسبة لى.. كلمينى يا أمى، وقولى لرولا تكلمنى هي كمان.. أنا نفسى أسمع صوتها.

- حاضر.

لها أول مكالمة هائلة بينى وبين أمى منذ سنوات.. شعرت أن موليّاتها مرتفعة، أو ربما معنوياتى أنا شخصياً مرتفعة، فشعرت أنها هى الأخرى فى حالة معنوية ممتازة.

وكان النيا الجديد بالنسبة لى، حول اجتماع باللغة الإنجليزية "مستشفى
الخمر مجهولي الهوية" يعقد فى مركز تعليمى فى وسط البلد، مساء اليوم..
وقررت حضور الاجتماع، وكانت المرة الأولى التى أدخل فيها هذا المكان،
وكان معظم الحاضرين من الأجانب، وكان عندهم لا يقا، عن عشرة، وقد حضر
معهم توفيق، وأمجد.

يا سلام.. شعرت بالاطمئنان عندما رأيتهما، وعندما دخلت استقبلتني
ابتسامة مريحة من توفيق.. وتحية وسلام باليد من أمجد.. لكننى مع هذا،
لم أجرو على الكلام والمشاركة، رغم أنهم يتكلمون بالحماس نفسه والمشاعر
الجميلة نفسها، ورحبوا بوجودي لأثنى أحضر معهم فى هذه القاعة الرائعة لأول
مرة.

وخرجت من هذا الاجتماع سعيدا، والمفاجأة الأكبر بالنسبة لى أن تلقت رسالة:
إذ قال لى أمجد:

- يا صلاح، لك عذرى رسالة.

- رسالة لى أنا؟ من مين؟

- حاتم، يقولك اقرأ المقدمة 3 مرات، وتكلمه بكرة الساعة 5:00، وبغشوفك
فى اجتماع بكرة بالليل.

- أنا كلفته النهارده، بمن ما كانش موجود، سبت له رسالة على "الأسرج
ماشين".

- هو قال لى.. كان عارف إني جاى الاجتماع وخا لأبقيته.. وبغدين إنت عارف
إني أنا جيتك؟

- جدي لزاى يعنى؟

- ما أنا المشرف بتاع حاتم.

- فهمت يا جدي.. وتماام يا الفندم.

- ها اسوفك بكرة؟

- يا شاء الله.. سلام يا جتو.

كَمْ كنت سعيدا.. حاتم مهتم بى.. وأيضا أمجد مهتم.. إذا الطيبعى أن
اسم أنا أيضا.. لذا كنت لا أتحرك إلا وفى يدي الكتاب، وأنا فى طريقى إلى
الاجتماع. وفى راي عذ الامودة فى حاربى إلى المستشفى.

رجعت إلى المستشفى، وتقبلت التفتيش بكل ارتياح.. وكنت أساعدتهم
الانتهاء من هذه المهمة بسرعة. وكما شكرت الله سبحانه وتعالى فى الصباح،
بكرته أيضا فى آخر الليل.. وكنت أيضا عند موقفى بالنسبة للأدوية..
لا.. للأدوية.. لا.. للمنومات.. كنت لا أنام أكثر من ساعة.. الآن استطيع أن
ألم لمدة ساعتين، من الساعة 5:00 إلى الساعة 7:00، وكانت هذه المدة بالنسبة
لى كافية للوقوف على فئعى بثبات كل اليوم.

أوفر دوز

استيقظت من النوم مبكراً كالعادة.. الساعة السابعة، وجلست في انتظار طعام الإفطار، بعد أن تحولت إلى وحش كاسر يأكل بشهية.. ومن عادتني بعد الإفطار والشاي، لن أبدأ في قراءة الصحف، مع التركيز على صفحة الحوادث، وكان الخبر الصائم:

'وفاة مدمم بجرعة هيروين'

بعد قراءة الخبر، أحسست إحساناً غامضاً، لا أدرى سببه، أن هذا الشخص، ربما أو غائباً، أعرفه عن قرب.

بدأت دور شطرنج مع صائق.. إنه 'حريف' وفي غاية النكاح والمهارة، وأنا أيضاً لاعب شطرنج ممتاز.. أكسب دوراً، ويكسب هو دوراً، والمناقشة بيننا دائماً ساخنة، وكنا على وشك حسم الدور لصالح أحدهما، عندما وصل الدكتور وليد متجهماً، وقال:

- صباح الخير يا صلاح.. تعال.. أنا عايز أقول لك حاجة.

- صباح النور يا ذوك.. خير.. فيه إيه؟

- بتر.. تعيش إنت.

- إيه.. بتر!!! لزاى؟؟ إمتى؟؟

- أنا عرفت إمبراح.. والنهارده الخبر منشور في الجرائد.

- لا إله إلا الله.. والله كان قلبي حاسس وأنا بقرا الخبر إن اللي مات ده أنا أعرفه.

- إنت عارف ليه أنا باقولك أول واحد؟

- ليه؟

- أول ما عرفت، إنت جيت على بالي.. خُصيت إن دى رسالة من ربنا لك إنت بقاتت.. أنا حاسس إنك بذيت تستوعب اللي بيحصل حولك.. مش أنا بس.. كلها في القسم.. كل الذكائرة حاسين بكده.. الرسالة واضحة وصريحة.. واضحة يا صلاح؟

- واضحة يا دكتور.

- ثمارعت ضربات قلبي.. وظل ينبض بقوة.. وبقر كراهيتي لما فعله بتر لإنه بفكر ما كان حزني عليه.. وليس لحزني حنود.. استمعت إلى كلام الدكتور وليد باهتمام، ولكنني كنت في حالة ذهول، واستمر الدكتور في حديثه:

- ويدين، فيه واحد صاحبك شرف إمبراح.

- من؟؟

- تلمز.

- بهذا؟! دا مطوئش بزء.. وإيه أخبار شريف يا ذوك؟

- مشكلة.. الدكتور سمير أصغر تعليمات إن مقيش حد يستكلم في موضوع شريف دا خالص، وإنه مش هيخرج من 111 إلا بتعليمات مباشرة منه.. متزوك كن قيموت فيها.. دا جالء ارتجاج في المخ، وأديك شايك إنه أخذ أحازة من يومتها.. شريف زودتها، ويتحمل النتائج.. ياللا.. أنا عندى اجتماع، وأشوقك مكان شوية.

- تركتني دكتور وليد وذهب إلى اجتماعه، وعدت إلى قراءة الخبر مرة أخرى، وأنا أعلم هذه المرة، عن يكتنون ويتحنون.. ياه!! مستحيل.. ما هذا اللي يحدث؟ هل هذه هي نهاية بتر؟ مجرد خبر في صفحة الحوادث!! يا نهار أيضاً!! نشرت الخبر بين المجموعة وأصابهم الذهول، وكان تعليق أسامة:

- دا ثاني واحد في أهل من لسوعين.

وصلت دكتورة عالية، ولاخضت سحابة الحزن التي كانت تخيم على الجميع، وبدأ الاجتماع في الحديقة، وكان الموضوع وفاة بدر، وكل منا يتكلم عن إحساسه ومشاعره تجاه هذا الموقف المؤلم، قال أسامه:

- لعنكم يا دكتورة عالية.. كذا أحسن له.. استريح.

- ما كان ممكن يبطل.. ويستريح أكثر.

رد جلال:

- غمره ما كان خيطل يا عالية.

- يعني غاوز تقول لو الواحد مابطلش يموت أحسن.

- آء.. طبعاً.

- يبقى إحنا كذا متفنين إننا لازم نبطل عثمان بقدر نعيش.

- على فكرة، دالمته ناصب على.. اسألني صلاح!!

نظر إلى الجميع، ولكن أثر الصمت، فلم أزد.. فسألت عالية جلال:

- طيب إنت مسامحه واللا لا!!

- هتفرق في إيه؟

- جايز لما إنت تسامحه ربنا يغفر له.

- لو أنا سَامِحْتَه، غيري مش هيسامحه.

- إحنا بدعي له إن ربنا يسامحه ويغفر له.

- أنا شخصياً مسامحه، وكفاية عليه بقية الناس التي نصب عليهم.

- ممكن أطلب منكم دقيقة تكون ترحمنا عنه.

انتهى الاجتماع، وفي أعماقي زحام من المشاعر.. ما بين أشياء جميلة.. تشابكت مع أشياء مزعجة.. موضوع بدر يضغط على تفكيري.. وفي الوقت نفسه، في تلك المرحلة يجب أن أفكر في نفسي، وفي أحوالي فقط.. فجلأت إلى الدكتورة عالية، وقلت لها:

- غاوز لنكلم معاك شوية.. يا ترى عندك وقت؟

- آء طبعاً.. تعال نخرج من هنا.. يا صائق.. صلاح معاليا في الحنية، وأنا ما اراجع معاك كمان شوية.

- حاضر يا دكتورة.

- لا زعلاية حدًا.

- عثمان بدر؟

- بدر كل بييجي هنا في المستشفى من زمان، وقعدت معاك كثير، وكلمني آخر مرة من 3 أيام، وقال لي إنه عايز يرجع المستشفى تاني.. بس خايف أحسن بقدر كثير.. قلت له تعال، وبعد كذا كل حاجة لها حل.. وقال لي ه آجي الأسبوع لجاى.. ماتحشش.. يا آء.. ربنا يصير أهلك.. أسفة يا صلاح.. أنا عارفة إنسي لجنة أوى النهارده.. بس عصب عني.

وكانت هذه أول مرة تشاركني في إحساسها بموضوع ما.. فسألتها:

- عايزة تعرفي رأيي؟

- آء.. طبعاً.

- هو التي اختار.

- قصك إيه؟

- بعنى يا عالية.. أى واحد عرف برنامج "المدمتين المجهولتين" والانتاسر خطوة.. وراح الاجتماعات، بعنى عرف سكة التبطيل، ورجع طرب تاني.. يبقى دا اختيار.. فيه ناس مبطله، والناس دي مش أحسن منا.

- لك حق يا صلاح.

- أنا رحت إيمارح اجتماع رائع.. حضرت، وكان نفسي أشارك، بس ما كانش عندي المرأة الكافية.. وعلى فكرة نسيت أقول لك إني كلمت ماما إيمارح، وكنت أحتلى مكالمه من 10 منين فاتوا.

- بعد؟! إيه التي حصل؟ احكي لي.

استمعت إلى كل كلمة باهتمام حقيقي، وهي في غاية السعادة لهذا التطور، وفي تلك اللحظة ناداني عم مرسى عامل التليفون:

- يا أستاذ صلاح.. شيفون.. أخت حضرتك.

- عن إنك يا عالية! أكلم رولا.. وحشيتي أوى.

- وأنا كمان أروح بيتي.. عندي ألف حاجة لازم أعملها.. وأشوفك بكرة.

- أكيد.. هو أنا ها أروح فين؟ عايز أقولك حاجة.. والأ أقولك، خفيها بكرة.

- أوكيه.. باللا.. باي باي.

وعلى التليفون، دار الحوار التالي:

- أهلاً يا رولا.. وحشيتي أوى.

- وإنت كمان يا صلاح، وحشيتي جداً.. طشتي عليك.

- أنا تمام.. كله كويس.

- احكي لي شوية.. ماما بتقول إنك متغير.. فيه إيه؟

- متبيللي.. إلى لقيت وراجع تاني يا رولا.

- مش فاهمة يا صلاح.. أنا عاوزة أفهم.

- مش فينفع أشرح لك في التليفون.. لما أشوفك يا رولا.

- طيب.. ها أجيك يوم السبت عشان السواقي يكون موجود.. بنفع؟

- أه طبعاً بنفع.. هسأ أهم حاجة بعد الساعة (12:00).

- أوكيه.. بعد الساعة (12:00).

عدت إلى القسم، التوجوم على كل الوجوه.. كان من الطبيعي أن يترك رحيل بدر تأثيره على الجميع، ولا مهرب من الحسب في الموضوع.

وتعليقات مختلفة:

- هو فيه إيه؟ هو كل أسبوع حد يموت والد إيه؟

- يا ترى اللور على مين؟

وجاء موعد تناول طعام الغداء.. وأصبحت أكل شهية مفتوحة، وزاد لي زيادة واضحة.. وعندما عدت إلى غرفتي، فتحت الكتاب لأقرأ المقدمة.

بارتها مرة، ومرتين، ثم قفزت من مكاني ممسكاً بالكتاب، ودارت في رأسي طيرت الأمثلة:

- أنا ها تجنن وأعرف إيه فائدة المقدمة دي؟! ثم.. قرائتها مرة.. وقرأتها مرتين.. لكن حاتم قل 3 مرات.. طيب إيه؟ هو فيها إيه؟! لا.. أنا مش تساوى للعقل.. أقرأ يا صلاح وإنت ساكت.

أخذت حماماً، ثم أعددت نفسي جيداً للذهاب إلى الاجتماع، فقرأت، وظهرت.. وعندما وصلت وجدت نفس المجموعة.. وبالنسبة لي، كل أهم شيء أن أجد المشرف.. فعلاً وجنته.. حاتم شخصياً، سوف يدير الاجتماع، وبداهة بوله:

- أنا حاتم.. منمن.. يبدأ الاجتماع بنقطة صمت، نفكر كفا فين، وبقينا فسين.. ولكن لقي لسه بتعلمي برة.

واقترح أمجد أن يكون موضوع اجتماع اليوم: "الامتثال".

سأل حاتم:

- إيه أي اقتراحات تانية؟

لم يقترح أحد موضوعاً آخر، فقال حاتم:

- مفيش.. طيب بما أن دا اختياريك يا أمجد، يبقى إنت أول واحد هتشاركنا.

- أمجد.. منمن.. النهارده كان يوم ثقيل على قلبي.. صحبت من التوم على خرافة بدر.. يا مائز، اليوم إتخرب من أوله، ليست ونزلت على خالد لأنني مكنتش قلدر أقعد لوحدى.. لسه من كام يوم كان قاعد معانا على كرسي هنا، يظلمنا وضارب وعمل يفكر.. يومها تخيلت نفسي مكانه، والحمد لله إن أنا مكنتش مكانه.. أنا حاسين بامتثالنا ما يتوصفت لربنا.. امتثال إن أنا عايش

من ميت.. الطيبى إني أكون ميت أنا كمان.. من فاطر أنكلم.. شكرًا لكم
سمعتونى..

بعدها.. بدأ سليم قائلًا:

- سليم مدام الحمد لله أن هذا وعينك الله.. كل كلمة قلها أجد كنت
على لسانى.. جازل ماكنش هاعرف أقولها.. بس كنت حابس بيها، وعارها..
وفاهمها كويس.. أوى.. الخبر ثقيل مع إنه متوقع.

ثم شارك خالد:

- خالد.. مدام.. لو أجد ما كلش جالى، كنت أنا رحت له.. ما كانش فملاً
بنفع أقعد لوحدى النهارده، ولا دقيقة واحدة.. وبعدين فى البيت جئتولى.. ماكنش
فيه إيه؟ إنت مش على بغضك ليه؟ كان نفسى أقول لهم استكنوا وسيبوني لى
حالى.. ولما جالى أجد ألفتنى من نوتتهم، ونزلنا وإحنا مش عارفين خُروج
فين.. كان يوم غريب، بس عذى وخلص، ودى أهم حاجة، ويكره لما يجى،
يشوف خبئيل فيه ليه.. أنا النهارده جيت قبل الاجتماع ساعة.. من كتر ما أنا
مش عارف أصعل ليه وأروح فين.. هو موضوع اجتماع النهارده ليه؟

واتطلعت الضحكات.. فعاد خالد إلى الحديث قائلًا:

- أبوو.. الامتنان.. أى شخص فى الدنيا ممتن.. من خبئى ممتن أكثر منى..
دا أنا ناوى أخير اسمى، واسنى نفسى ممتن..

انطلقت الضحكات من القلب، وأعجب وأجمل شيء أنه وسط كل
ما يمتن، رغم هذا الحزن العسوق، السادق، كانت هناك ميمكات، ومن القلب..
وأخيرا شارك:

- صلاح.. مدام.. أنا خايف لوى.. خايف أرجع أضرب دالى.. أنا مش عايز
أرجع أضرب تانى.. خايف ومش عارف أصعل ليه فى خوفى ده.. موت بخر
كان صدمة بالنسبة لى.. مع إنه على رأى سليم كان متوقع.. الموت قرأنا
لوى.. أقرب مما كنت أتصور.. أنا خايف وعاوزكم تماغنوني.. شكرًا.

وجاء نور حاتم ليشارك:

- حاتم.. مدام.. اجتماع النهارده عن الامتنان.. ودا نابع من خزننا بسبب
موت بخر.. التلى حصل ده فى رأى هو العلاج والحل.. لو مقيش حد ييموت
بسبب المخدرات ما كانش خبئيل.. أنا أول الناس الذى داهه ووش هزأنا.. أنا
بالجانب المخدرات.. بس مش ها أقدر عليها..

سكت حاتم لمدة ثوان ثم قال:

- وبعدين جامدة لوى يا خالد موضوع تسمى نفسك ممتن..
(ضحكات مرة أخرى).

انتهى الاجتماع، بعد أن شارك كل منا بما عنده، وما يريد قوله..
وطعنا عند سور المدرسة، وانتظرت حاتم لتتحدث معنا، وجاءنى مبسمًا
بسكى:

- أخبارك ليه يا صلاح؟

- تمام.. فريت المقدمة.. نقدر نقول حفظتها ويمكن اسمعها.. اسمعها لك؟

- من لازم.. مهيش مهمة لوى.

- يا سلام!! أمان خلتى أفراها 3 أيام ورا بغض ليه؟ لا.. وكل يوم أفراها
ذمرت كمان.

- عثمان تتعود تسمع الكلام من غير ما تافش.. وإنت تجحت.. التلى بعده، تقرا:
من هو الممنون؟ تقراء الصبح أول ما تقوم من النوم.. وبعدين تقرا الخطوة
الأولى.. كل يوم تقرا الخطوة الأولى.. مهسة جدًا.. الخطوة الأولى من السجود
للى يتنور العربية.. ولازم تشارك لو خالتك الفرصة فى أى اجتماع تحضره..
سبقتك ما شاركتش فى اجتماع إمبراج.. ليه؟ لازم تبقى ليجابى.

- ما عرفتش.

- مهيش حاجة اسمها ما عرفتش.. فيه فرصة، يبقى لازم تشارك يا صلاح.

- حاضر.

- اتلى بعده 3 كلمات.. والمُلخص المفيد: الأمانة.. التفتح الذهني.. النية.. أنا
عازرك تلم معلومات كويثية عن الثلاث كلمات دول، وتعلم كويس لوى السلات
كلمات دول متعلم إيه.. إنت عندك مذكرة كتير اليومين الجايين،
- عايز لسالك حاجة يا حاتم.

- لسا،

- أنا عايز أخرج من المستشفى الأسبوع الجاي.. إيه رأيك؟

- خليك في النهارده.. خذ عارف الأسبوع الجاي فيه إيه؟ باللا علشان ترجع
المستشفى، وأتوفاك بكره.. تتكلم الساعة 5:00، ولو مرتدش احكي أخبارك على
"الإنترنت ماشين".. اتقنا؟

- اتقنا.

رجعنا إلى المستشفى، وكنت سعيدا إذ أصبح أخيرا لدى الجديد الذي
أصله غير قراءة مقدمة الكتاب.

استيقظت من النوم الساعة (7:30)، أخيرا أستطيع أن أتم ثلاث ساعات في
اليوم.. هذا هو أقصى ما وصلت إليه.

بدأت بالإفطار، ثم قراءة الصحف، ولعبت دور شطرنج مع صديق..
كنت أحب هذا الوقت الذي أقضيه كل صباح مع صديق، وكان يكسب السلور
مضى أحيانا.. ويشعر بسعادة هائلة، والمكسب والخسارة متبادلة، والمناقشة على
أشدها.. وفي موعد الاجتماع مع الدكتورة عالية، جلست في مكاني كالمعتاد،
وبدأت هي بحديثها الهادئ معنا.. وبعد الاجتماع مشينا وتجولنا في الحديقة،
وبدأت قائلا:

- شكك أحسن من إمبارح بكثير يا عالية.

- إمبارح كان صعب.. بس الحمد لله عني.. قبل ما أمشي إمبارح، قلت لي إنك
عايز تقول لي حاجة.. وبعدين قلت خلتها لئلا يكره.. كنت عايز تقول إيه
يا صلاح؟

- ياه.. لسه فكرة؟

- طبعا لسه فكرة.

- أنا عايز أخرج من المستشفى يا عالية.

- إيه؟ تخرج؟! تخرج تروح فين يا صلاح؟

- وكانت هذه أول مرة لواجه رد فعل بهذا القلق من الدكتورة عالية..

بأنه كان صدمة بالنسبة لها وسألتني:

- إيه بسرعة كذا يا صلاح؟

- مش بسرعة ولا حاجة.. أنا ماقتش إني عايز أخرج النهارده.. أنا بافكر

أخرج الأسبوع الجاي.

- أنت عايز تخرج علشان تعمل إيه؟!

- وأفضل قاعد هنا أصلا إيه؟!

- مش كل ما أسألك سؤال ترد عليا بسؤال.

ابتسمت وأكملت حديثها قائلا:

- إنت مش شايف إنك مستعجل، خصوصا إنك لسه واخذ مخدرات من كام يوم؟

- أنا أخذت أه يس ما انبسطش.. وبعد أنا فهمت ليه يقولوا إن الواحد بعد

ما يبروح الاجتماعات مش بيعرف ياخذ مخدرات ويتكيف.

- موضوع خروجك محتاج تفكير يا صلاح.. اتكلمت مع حاتم؟

- سألته.. وما أدنيش رد.. وفي الآخر قال لي: خذ رأي الدكتورة.

- طبيب ورأي الدكتور وتبدل إيه؟

- لا.. مش ناوي أخد رأيه أصلا.. مش باعرف أقعد معاه غير وأنا ضارب.

- وطي صوتك.. هو دا كلام؟! خلتنا ننكلم في الموضوع دا يوم السبت، وبأخذ

وقت في التفكير والمناقشة.

- لا.. تلوقت.. أصل ماما جاية بكره وعايز أمهد لها.

- صلاح.. لنا محتاجة أفكر في الموضوع دا شوية.. إنت فاجئتني.. نتكلم في الموضوع دا يوم السبت.

عدت إلى القسم.. ولعبت بتيج بونج.. وضحكت مع المحوسدين كلهم.

أعلنت أنني لو بيت الخروج الأسبوع القادم.. بمعنى أننى سأخرج يوم الخميس.. وبدأت التعليقات والسخرية.. بقول جلال:

- خميس إيه يا أبو خميس؟! فهمة يا أسامة.

- ألهى خميس في ألهى لسبوع.. فى ألهى شهر فى ألهى سنة؟

- طيب يا حلو منك له بكره تشوفوا.

- دا أنا بقالى أكثر من شهرين.. وبيقولوا لى لسته شوية.. وإنت يا أسامة من إمتى؟

- أنا هنا من 8 شهور.. وماشى فى التاسع.

- ربنا يقوئك بالسلامة.

وفجأة قل أمير:

- أمّا أنا.. أخيراً ها أخرج يوم الاثنين.. أنا يوم السبت يبقى لى هنا 3 شهور.

عانت دكتورة عالية.. كانت عودتها سريعة ومفاجئة لنا جميعاً.. نادى

وسألتنى:

- إنت عايز تخرج ليه يا صلاح؟

- وما أخرجش ليه؟

هدوء وتفكير.. وجاء ردى دبلوماسياً وبقوة:

- الموضوع دا عايز وقت.. حاليًا نتكلم يوم السبت.. وعشان أطمئك.. أنا مش ناوى أخرج إلا إذا إنت شوتنا عن كل الناس.. فقلت لى إلك موافقة على الخروج.. تمام يا عالية؟

- إنت تعبت لى أعصابى.. نتكلم يوم السبت.

وبعد أن خرجت دكتورة عالية من المستشفى، جاعنى دكتور وليد داخل القسم.. وسألتنى:

- إريك يا صلاح؟

- تلم يا دوك.

- إيه موضوع خروجك ده؟ بتر مات من يومين، وإنت تقول عايز تخرج بعد ثلاث أسابيع بن فى المستشفى؟

- إذا بن يا دوك.. زوق أعصابك.. تشرب إيه؟ يا فوزية: واحد لمون من لك دكتور وليد.

- والله؟

- بلاش لمون.. نجيب لك الثوا بتاعى.

- مزج براحتك يا صلاح.. اسمع.. مش متخرج من هنا ولا قبل شهر كمان.

- ليه بن شاه الله.. لأ.. هاخرج.. ذا مش بمزاجك.. ودى مش طريقة تفاهم..

تأنت تعرف حاجة عنى عشان تقول أخرج أو ما أخرجش.

- أنا أعرف عنك كل حاجة.. وأسلوك مش عاجبنى يا صلاح.. نتكلم الأسبوع لعاى.

- لسن.. برضه.

حوارات حساسة

أثار أعصابي أسلوب دكتور وليد.. لم يعجبني رد فعله عندما علم بانني فكرت في الخروج من المستشفى.. أسرعت إلى غرفتي، وعدت من جديد إلى قراءة الخطوة الأولى.. وشعرت بالهدوء والسكينة بعد الانتهاء من قراءتها، ثم بدأت أبتعد للذهاب إلى الاجتماع المسائي مع أمير ومجموعة من الشبل، وعندما دخلت للقاعة، تبين لي أن شادي سوف يدير الاجتماع، وسلمت على كل الموجودين، وتبادلنا معهم كلمات سريعة، وكان حاتم من بين المجموعة الحاضرة، ولم يسعنا الوقت للحديث معاً، فقد وجه شادي إلى الكلام قائلاً:

- صلاح.. ممكن تشاركنا؟

- صلاح.. منمن.. أنا مختوق جداً من المستشفى، ومن الدكتور وليد.. خلاص زهقت ومش عايز أقعد في المستشفى أكثر من كده.. أنا دخلت من 20 يوم، وفيه ناس في المستشفى من شهر، ولما كلمت المشرف بتاعى، قال لي خذك في النهارده، إحنا فين والأسبوع الحادى قين!! أنا حاولت.. بس مش عارف أهدأ، أنا ماقلتش لى عايز أخرج النهارده، بس أنا عايز أخرج بسرعة.. لما جلس إني مبطل لأشى جوء المستشفى.. عايز أرجع بيتي، وأجى الاضغاث هنا، واحضر زى.. زيك.. أنا فعلاً مش عايز أضرب تالى، وعايز أبقى ريك بس أرجع وأقول: أنا خايف إن دماغى تكون بتلعب بي، أو القرد التلى جواي بيلايعنى.. إيه التلى بيحصل لى؟! أنا مش فاهم نفسى.. أنا مش فاهم حاجة.. أنا زهقان لوى.. وده كان يوم وخش جداً.. جداً..

وشارك بعدها حاتم:

- حاتم.. منمن.. النهارده كان يوم جميل لوى.. صبحيت من النوم.. كلمت بنبرى وطلبت أخذ أجازة، يوم من نفسى، طلغ جدع ووافق.. كلمت المشرف بتاعى، ولحسن حظي كان فاضى وأتفقنا فروح النادى ونشعدا سوا.. مااعتناش حلقة جديدة أو غريبة، بس كانت خروجة جميلة، وأنا استمعت بها لوى.. كان فيه حاجات كتيرة محتاج أنكلم فيها، وكانت نايمة جوايا.. صبحيت وطلعت كلها أول ما قمنا سوا، وارتحت بعدها جداً.. حاجة غريبة لوى إن الواحد لما ساعات يشيل جواه حاجات ملهاش أى لازمة.

عندما أتى حاتم على اليوم الممتع الذى قضاءه مع المشرف، شعرت بالتعب، لسبب مهم: آخر جملة قلتها لى أشعر بالتضيق، وإننى مررت بيوم عصبى، وهو بدأ كلمته بأنه سعيد، وروى عن يومه الجميل.. ياه!! ما هذا؟ بعد الاجتماع، ذهبت لأتحدث مع حاتم:

- ريك يا حاتم؟

- لما كويس.. لطمن.. المهم إنت..

- مش عارف.. مبتخبط شوية.

- واضح.. اسمع يا صلاح.. أنا أخذت رأى الناس في موضوع خروجك من مستشفى.. لكل رأيته إنتك سمع كلام الدكتور واستقى شوية.

- مااعتنيش مانع يا حاتم..

- إنت عنك مشكلة، مش سهلة.. إنت يا صلاح مش عارف تعيش يوم بيوم.. ظلمنا في النهارده.. وأنت مضايك كده، عندى لك سؤال: إيه رأيك في النهارده؟

- يوم برحم وبايخ.

- بالعكس.. بالنسبة لك يوم ناجح 100%، أنت ناسى أنك النهارده مبطل!! هي لأ أهم حاجة في الدنيا.. أى حاجة ثانية مش مهم.. أخبار الكتاب إيه؟

- كويس.. قريب من هو الممن، وبعدين الخطوة الأولى.

- من يوم السبت هنتدى بكتف في الخطوة الأولى.. صحيح، إنت ما كنتيش النهارده ليه؟
 - إنت ما كنتيش موجود.. مش كنت في النادي؟
 - والله؟ طيب اسمعنى كويس.. بقرا المقدمة للنهارده 3 مرات.. مش بكره.. النهارده.
 - لا.. لا.. لا.. مش ممكن.. حرام عليك.
 - ذا الاقتراح يا صلاح.. مش عايز.. بلاش.
 - ماشى.. وأنا هاسمع للكلام.
 - تعجبينى وإنت بستمع للكلام.. بكرة تكلمنى مرتين.. تمام؟ مرة الصبح، ومرة الساعة 5:00. وبالألّا بيضا عشان الناس عاوزة تمشى.. سلام.
 بعد كل حديث مع حاتم، أشعر بالراحة وبشملنى الهدوء.. ولا أعرف كيف يحدث هذا.. ولا أعرف لماذا؟ الشيء المضحك فى هذا الموضوع أن حاتم أصغر منى فى السن بحوالى أربع سنوات، ولكنى لم أتعامل معه أبداً على هذا الأساس.. بالعكس تعاملت معه على أساس أنه الأكبر منى.. أكبر بحوالى 10 شهور فقط.
 عدت إلى المستشفى، وأسهرت إلى عرفتسى، أردت تنفيذ الواجب المطلوب منى.. وفورا.. وقرأت المقدمة مرة، ثم قرأتها للمرة الثانية والثالثة.. وانتهيت منها.. إنما يا ساتر.. تكرر قراءتها بهذا الشكل شىء ممل.. والمنشأ لنى أسمع الكلام ولنفذ بدقة.
 قضيت بعض الوقت مع أمير، وتحدثنا عن البرنامج وخطواته، وعن تمكينى بكل ما جاء فيه، وكان عند أمير تحفظ واحد، بذاه قائلاً:
 - أنا معاك.. إلا الحشيش.. يا عم مفيش مانع من سيجارين.
 - يس الكتاب يقول مفيش حشيش، ولا خمرة، ولا أى حاجة خالص.. قلنا واضحة وصريحة.

- عموماً أنا مقتنع بالكتاب كله، إلا الجزئية دى.. عندى تحفظ عليها.
 - بقولك ليه، أنا ما غندبش تحفظ على أى حاجة.
 دخلت إلى السرير، وحاولت أن أنام.. وأخيراً نمت حوالى الساعة الرابعة.. ولمت ثلاث ساعات.. وشكرت ربنا أن اليوم مر بسلام.. قتلاً لنفسى:
 - الحمد لله يارب.. اليوم غنى وأنا لله مبطل.
 وكلمنى ساعة بيج بن، استيقظت فى موعدى الساعة السابعة بالنقطة الثانية، ونزلت على ركبتى ودعوت الله عز وجل:
 - يارب ساعلى أفضل منطل مخدرات النهارده!

الأسبوع الرابع

ليست، ونزلت لتناول الإفطار، ثم قرأت الصحف، ولعبت كالمعتاد دور الشطرنج، وعدة ألوار بنج بونج.
 اليوم إجازة كثورة عالية الأسبوعية، وهذا كافٍ لجعل اليوم نقياً على النفس.. إن مجرد وجودها فى المستشفى، يشعرنى بالاطمئنان والراحة.
 طلبت الاتصال تليفونياً، فلم يكن "حاتم" موجوداً، ورد على جهاز تسجيل "الأسرنج ماشين" شىء يدعو إلى العال.. تضمنت أن أجده وأكلمه، لكن لم اللحظة نفسها نادانى قريب:
 - يا أستاذ صلاح.. عندك زيارة.
 خرجت إلى الحديقة، ومضى أحد الممرضين، كحراسة، فطبقاً لنظام المستشفى، بسبب محاولات الهرب الكثيرة.. ووجدت ماما ومعها كريم.
 - إزيك يا ماما؟ إزيك يا كريم؟
 - أعشش لوى يا صلاح.
 - وخضرتك كمان يا ماما.
 - أخبارك ليه يا مغفلنا؟

- كلّه تمام يا كريم.

- تخيّنت شوية.

- طبعاً.. ما أنا طول اليوم بأكل.. رولا إزينا يا ماما؟ عاملة إيه؟

- الحمد لله.. قالت لى إنها جاية تشوفك بكرة.

- كويس.. وحشتنى أوى.

- كل حاجة إنت طلبتها فى الشنطة.. وانتفضر الساعة كمان.

- مرسية يا ماما.. أنا عرفت معنى إيه زمانة العنمين المحبولين يا كريم.

- هایل.. بتحضّر اجتماعات؟

- طبعاً يا كريم.. وعندى مشرف كمان.

- أنا مش فاهمة حاجة يا صلاح!!

- دى اجتماعات نقاعة ناس مبطلّة يا ماما.. مدمنين برضه.. بس مبطلّين من

سنة وستين وأكثر كمان..

- فتملاً مبطلّين؟

- آه طبعاً يا ماما.

- ها اشرحك فى الطريق وإحنا مروحين.. أنا عرفت عنهم من أيلم ما حكيت

لى على المشكلة دى.. كنت بالدور على حل.. موجودين فى إنجلترا وبلاك ثلية

كثير كمان.. وحضرت اجتماع مفتوح علشان أفهم.

- يا فاهم إنت.. يا بتاع الحلول.. بأقولك يا ماما.. أنا خلاص زفقت.. وعائد

أخرج من هنا.

- تخرج تروح فين يا صلاح؟

رد كريم بسخرية:

- إيتربنا المفاجآت.

- اسمع يا كريم.. أنا مش عايز تزيادة.. أنا قعدت هنا فى المستشفى متألمة

لازمة.. عايز أراجع البيت يا ماما؟

مترورى أنكلم مع دكتور سمير فى الموضوع ده.. ورأى الدكتور وليد إيه؟

لا فكنت معاه من يومين، وماجأتش سيرة إنك تخرج خالص.

- لى يا ماما.. إحنا اتفقنا إنى أخرج أول ما بابا يرتجع من السفر.. هو أستم

مراجعتوا فى كلامكم واللا إيه؟ والاتفاق كان قدامك يا كريم.

- فعلاً.. بس إهدأ، وخليّا نفاهم بيوت.. مفيش مشكلة إنك تخرج.. بس نكس

العين، فتخرج على أى أساس.. أكيد المستشفى لها نظام، وخليّا نفاهم معاهم

أول.. وتعدّين، هو إحنا عايزينك تفضل محبوس هنا فى المستشفى؟ أكيد..

يا لصبر علشان الأمور مانتعقش.

وأضافت أسمى:

- وبغطين باباك ليه مارجعتش.. هو غيرجع يوم الاثنين.

- هو أنا قلت عايز أخرج النهارده؟ أنا بأقول لك اليومين للجايين.

فرد كريم:

- أصبر، لما بابا بيحي، وتعدّين نفاهم.

- حاضر.. أنا أصلاً ما عتديش اختيار.. عارف مين الدكتور بشارعنى هنا

يا كريم؟

- مين؟

- عافية.. لغت لاند.. اللى معاك فى الشغل.

- بطل.. يا نهار أبيض!! هى رجعت من أمريكا؟

- أرجعت، من أسبوع واحد بس.. أختها ليلى كانت معايا فى الفصل.

- فعلاً.. عالية كانت معانا فى المدرسة، بس كانت أصغر منى بكام سنة.. دى

نصبة جميلة.

- من أحسن واحدة فى المستشفى كلها.. نفسى تشوفها يا ماما.

- أكيد.. ودكتور وليد كمان كويس أوى.. ودكتور سمير، مؤهش.. إنت قايضة؟

- قابلته مرة واحدة، تاتى يوم دخلت المستشفى، وانكلمنا سواء، وبعد كذا شفته كام مرة، وسمعت عليه من بعد ليعبد.. أنا خاطب منهم يحدثوا لى ميعاد معاه اليومين الجايين.

كانت جلسة جميلة، اختلفنا فى رأى، ولكن لأول مرة منذ زمن طويل، اجلس مع أحد أفراد عائلتى نناقش مشكلة ما بهدوء، وكانت المناقشة أيضًا ايجابية.. وغادرا المستشفى بعد أن اتفقا على دراسة موضوع الخروج من كل جوانبه.

وعدت إلى القسم، وطلبت الاتصال مرة أخرى، على أمل أن أحد حاتم، ويرد على بلفمه، ولحظة فتح باب القسم، ودخل أمجد، وسليم، وشادى، وحاتم.. جاؤا معًا لعمل الاجتماع فى المستشفى.. بالها من مفاجأة!! إنها أجمل مفاجأة فى الدنيا.

منذ الصباح كنت أشعر بالضيق لعدم وجود اجتماعات بسوم الجمعة، إلا اجتماع الساعة العاشرة صباحًا فى وسط البلد.. بالنسبة لى، كان من الصعب الذهاب إليه وحضوره، فقد كنت أنتظر زيارة أمى، وأخى.. بعد أقل من دقيقة، نادانى صديق مرة أخرى:

- يا صلاح.. نعال.. تليفون عثمانك.

- مين يا صديق؟

- حضرتك للى طالب مكالمة للمشرف بقاعك.

- ماشى.. ليو.. يا حاتم.

وقف حاتم أمامى بينما أنا أنرك له رسالة على "الإنترنت ماشين"، وقتلت له فى رسالتى المسجلة إلى أحمد إسمان فى الدنيا النهارده.. عثمان إسمان هيقولوا الاجتماع عندنا فى المستشفى.. وعلى فكرة أنا كلمتك المسيح وسيت لك رسالة.. ودى المكالمة رقم 2.. كذا خالصين.

تقرر عقد الاجتماع فى الحديقة.. وحضره معظم شباب القسم، كنا أكثر من 20 فردًا فى هذا الاجتماع، ولأول مرة يعقد الاجتماع المسائى فى الهواء الطلق، وعملنا التسكافيه كالمعتاد فى كل الاجتماعات، وبدأ أمجد قائلًا:

- أهلا بكم فى الاجتماع للخلق غير المتوقع فى مستشفى "....." النهارده لجمعة لملوق "....." وأطلب منكم دقيقة سكون، نفكر كنا فىن، وبقينا فىن، والمنين اللى لسه بيعانوا بزء.

بدأ أمجد الاجتماع بالأسلوب نفسه: دقيقة سكون، التوبيهات، أخبار لاجتماع، المقدمة والقراءات.. واقتزحت أن يكون موضوع الاجتماع هو الخطوة الأولى:

اعرفنا أننا بلا قوة أمام إيماننا، وأن حياتنا أصبحت غير قابلة للإدارة.

اهتممت جدا بالمشاركات، فكان مطلوبًا منى قراءة ومشاركة وكتابة لخطوة الأولى.. وبدأ حاتم بالمشاركة:

- بصراحة، أنا خشيت أن الاجتماع ده ماينفعش يبقى أى حاجة تانية غير الخطوة الأولى.. أنا هنا قاعد على الكرسي ده، بسبب الخطوة الأولى.. أنا مش ناوى نكلم عن عجزى قدام المخدرات، بس أنا أحب النهارده أشارك وأنكلم عن سوء الشهوة، وإن حياتى كانت مستحيلة.. يعنى إيه أفوء وأبقى مش عارف أنا فىن!! يعنى إيه أصل حاجات، وأعرفها تانى يوم!! ويعنى إيه لطرء من شغل!! يعنى إيه أصحابى يشوفولى ومايستلموش على!! أنا النهارده فهمت إنى عاجز قدام الإنسان، بس مش عاجز كنى أم.. بقيت باعرف أحد قرار.. وبتق فى اللى داليله، مشرفى وأصحابى.. بللق فيكم..

كان حاتم دائمًا يشارك بيوميته، وكانت هذه أول مرة أسمع فيها حاتم يتحدث فيها عن نفسه وتجربته وفكره وأحاسيسه.. وكان واضحًا أنه مر بظروف شديدة.. وتجارب لا تقل عن تجاربى.

ثم بدأ شادي حديثه:

- أنا مبسوط جداً لأننا جينا هنا للبهادة.. كل مرة أجي هنا المستشفى، ألقى بش مصنقي نفسي: أنا جاي زيارة مش إقامة!! أنا دخلت المستشفى كثير أوي.. مش عارف كام مرة.. أنا وصل بي الحال إني بتأجي لوحدى.. يعني أصحى من النوم، أجهز شططى وأجى.. كل ده كان بسبب عجزى قدام المخدرات وقدم إدمانى.

ويستمر شادي فى مشاركته الهائلة الجميلة..

ثم تكلم أجد:

- أنا متغاف خريج المستشفى دى.. واللى ما أكنش من رزها يبقى عمره ما هيتبطل.. رز وبطاطس.. غريب أوي موضوع البطاطس ده!! هم ماعندو مش فى المستشفى دى غير البطاطس والألأيه؟ طبعاً، أنتم عارفين أنا جيت المستشفى إزاي؟ جيت راكب حصان ليش، والسمنين وقفين على الجانبين رافعين الحشيش والبرشام، وكل أنواع المخدرات.. وبجيونى.. فى الحقيقة وكل فخر أنا جيت متحون.. فتحت عيني لقيت صادق، ومبروك وفريد ودكتور وليد.. ويومها قالى دكتور وليد: هنتزل بيدوء والآ... كلمة والآ دى كنت عارفها كويس: كان معناها حقنة 2 سنتى فى العضل، مش فى الوريد، أخذتها مرتين قبل كده.. وقلت للتغيير نمشيها بيدوء المرة دى.. وظل أجد يحكى تجربته، وضحكنا من قلوبنا.. فعلاً نعمة خفيف.. مالوش حل!

وبدأت مشاركته.

- أنا مش ها أقدر أوصف لكم أنا مبسوط باجتماع البهادة إزاي؟ أنا فعلاً كنت محتاجه.. النهارده يوم نجاح 200%، أمى وأخويا زارونى النهارده، ولأول مرة تختلف بس ماتخافتش.. أنا نفسى أخرج من المستشفى.. جالس إن كده كفاية.. وعازز أطلع، وأبطل وأنا بزه المستشفى.. أنا مش جالس إن دماغى بتلاعى..

بش، أنا فعلاً عازز أطلع وأوظب على حضور الاجتماعات، وانتقل لقصات، وأبطل فعلاً.

كل شعورى بعد نهاية هذا الاجتماع، أثنى شهدت لزوع الاجتماعات فى حصرتها فى حياتى كلها.. الاحتمال الأول للسبب فى هذا الإحساس، أثنى لى توقعه.. والاحتمال التالى لئلى كنت أحتاجه فعلاً، فالاستماع إلى شركلك الآخرين مفيد ومريح نفسياً.. سلمت عليهم بحرارة، وقيل مغادرة المستشفى، سللى حاتم:

- لوات المقدمة يا صلاح؟

- لوات المقدمة 3 مرات.

- وصلت لى عليك كده؟

- علته وزيدة يا حاتم.

- بلى كلمتى؟

- لمتها كلمت الأنسراج ماشين؟

- بلى كلمتى مرتين؟

- أوى نعم.

- نتجلى وإن بتسمع الكلام.. ملتساش الملخص المفيد: الأمانة، التفتح لطفى، التبة.. ها أشوفك بكرة.. على فكرة أنا ابتديت أطمئنك يا صلاح.

- بيدو مطمئن لى؟

- أنا مطمئن أنا سلمت لك.. أنا قلت ابتديت أطمئن لك، وده فى حد ذاته إنجاز.

- الخاخمة يا حاتم.

علاقة كل عضو بمشرفه علاقة خاصة مبنية على الثقة.. وأعتقد من لفاء أن يحاول المدمن خداع مشرفه.. فالمشرف لديه هدف واحد وهو مساعدة بقدر ما يستطيع.. المشرف ما هو إلا عضو مر بالتجارب نفسها فغاده لن يستمر طويلاً.

بعد نهاية هذا اليوم الجميل، صنعت إلى غرفتي.. نمت الساعة الثالثة والنصف، وكالمعتاد استيقظت الساعة السابعة..

مدهش!! زلت ساعات نومي نصف ساعة كاملة.. رائع.. لم يكن هذا سهلاً ومناخاً من قبل.

بدأت يومي بالدعاء، ثم القراءة، وأعددت ورقة وقلماء، وجلست في هدوء أفكر في الكلمات الثلاث: الأملية، التفتح الذهني، النية، أفكر وأرسم.. أرسم وأفكر.

مرت ساعة، وأخرجت ملائسي الجديدة من الحقيبة التي أحضرتها لي أمي، وبعد حلالة النفن، والذش الممتاز، لبست أجمل ما عندي، ووضعت الساعة الجميلة أيضاً حول معصمي، وأصبحت على أتم الاستعداد لحضور الاجتماعات.

جاءت الدكتوراة عالية في موعدها، وكانت الائتلافية وكيفية الوفاية منها موضوع الاجتماع، وكيف يخرج البعض من المستشفى، ويظل معاق لفترة.. ثم يبتكس، ويعود إلى المستشفى مرة أخرى، أو لا يعود!! لقد تقرر، وتمت الموافقة على خروج أمير في أجازة، وأحسست أن اختيار هذا الموضوع بالذات مناسب جداً لتوقيت خروج أمير للأجازة.

وبعد انتهاء الاجتماع، قررت دكتوراة عالية الجنوس مع أمير لبعض الوقت، وبعدها نستكمل حوارنا الذي بدأناه يوم الخميس.. وعندما جلسنا، بعد الانتهاء من شقائنا مع أمير، قالت لي عالية:

- أنا مش مستريحة لخروج أمير.. مش بالضرورة إن كل واحد عايز يخرج يكون جاهز للخروج.. بس هو مصمم على الخروج.

- بيلي وبينك يا عالية 3 شهور كثير.

- كبير، بس يعتمد على الشخص نفسه، هو عمل إيه في الثلاث شهور.. فقلنا في صلاح.. يا ترى فكرت كويس إنت عايز تعمل إيه؟

- فكرت.. وعابز أخرج من المستشفى في أسرع وقت.
- إيه أسرع وقت؟ أنا ما عتديش مانع إنت تخرج.. بس مش عاجبني قصة أسرع وقت دي يا صلاح!!

- خلاص.. إذا فهمت.. ووجودي هنا في المستشفى أكثر من كده ماثون.
- زينة.. دا لسه تصنيع وقت.

- طيب ليه ما تستعجلش حمالة.. ومش تصنيع وقت.
- طباً هنا حمالة.. بس وبغدين يا عالية؟

- قول لك بصراحة.. أنا مقتنعة لأنني شايفاك مش بتصنع وقت، وباستمرار غرا وتحاول تفهم.. بس خايفة.. بنرى أوى.

- هو أنا قلت أخرج النهارده؟! فعلاً لسنة شوية.. وعلى فكرة دكتور وتيد رخص جا، واستقرني كمان.

- أنا سمعت اللي حصل بينكم في اجتماع الذكائرة النهارده الصبح.. هو محتاج لك تكسب بقتة شوية.. صتقني هو قلقان عليك.. ولازم بقى عارف إن دكتور بيا دكتور كويس.

- بس هو دائماً يستقرني يا عالية.

- إنت كمان ردودك مش سيئة يا صلاح.. أنا عارفك.

كان الوقت يمر سريعاً مع دكتوراة عالية.. وكنت أتمنى أن أتحسن بها طويلاً في كل ما يخطر بالبال، وانفتحت معي أن تستكمل حديثنا في اليوم التالي.. وبعد أن تناولت طعام الغداء، جاعني صديق بأسلوبه الجميل قاتلاً:

- زينة لك يا أستاذ.. اتفضل معيا.

- كيد رولا.. ياه!! كنت ناسي إنها جاية.

قلبت رولا بالأحضان والقبلات.. وقالت بمجرد أن رأيته:

- ليه ده؟! يا نهار أبيض؟! شكك كويس أوى.

- أنا وزلت نفسي إمبراح.. تصوّري 59 كيلو!! أنا وزلي زاد 6 كيلو، تخيلي!!

- عملوا فرق كبير .. احكى لى اخبارك .. ماما وكريم حكولى حاجات واخبار
جلوة.

مرت عالية من اماننا .. فقلت مقدا لها اخنى رولا:

- عالية .. اعرفت ياخنى التوأم رولا .. بترعل جدا لما اتول إنها أكبر منى بربع
ساعة .. رولا، الدكتور عالية .. الدكتور بتاعى .. اجمل دكتورة فى العالم.

- ازيتك يا رولا؟

- ازيتك يا دكتورة عالية .. صلاح عامل معاكم ايه؟

- كويس .. كويس اوى .. صلاح مدينا امل.

- أول مرة، من عشرين سنة اسمع حد مش بيتكلى منك.

- أى خدمة .. أخوك عامل شغل جامد.

- عن إنكم .. وفرصة سعيدة.

بعد أن تركتنا الدكتورة عالية، قلت لرولا:

- دى الدكتورة عالية .. شغنى جلوة ازاي؟ لمشكلة إنها مشجورة، وأكبر منى
بتلات أو أربع سنين .. الثانية محلولة، بس الأولانية متهاش حل.

- بن يا صلاح .. عيب كده.

- احكى لى .. الدنيا بره أخبارها ايه .. أنا سميت الشارع والشار.

- مفيش .. كل حاجة زى ما هي .. بابا كويس .. كلمنى إيشالرح، وحاسى يوم
الأتنين.

- أنا عايزه بجيلي هذا يوم التلات.

- صغب شوية .. هيوصل الأتنين متأخر .. سبته برتاح يومين، وبجيك الأربع لو
الخميس.

- أنا عايز أخرج من هذا يوم الخميس.

- ماما رأيها إنك تستنى شوية .. إنت مستعجل ليه؟

- يا لوتك ايه يا رولا .. كفاية كده .. خلاص زفقت، وبعين الوضع مختلف ..
سكنى.

- والله يا صلاح أنا حاسة بكده .. يارب.

سعدت بصحبة رولا والحديث معها حوالى ساعة، وعندما رجعت إلى
تم وجدت ثامر أمامى .. وجهها لوجه .. وكانت يده مشوّهة .. "وارمة" بشكل
مفيد .. وقلت له:

- يا ابن الإيه! وخشيتك يا ثامر .. والله زمل.

- ريك يا صاصو؟ أخبارك ايه؟

- الحمد لله .. مال يذك؟

- لكت، ضريت سوسته غلط، وإيدى باظت .. دا كذا أحسن من الأول بكثير.

- دا أحسن لراي؟ دا شكلها مزعج .. رحت لندكتور؟

- لى ونكى لندكتور وقال نقطعها .. وبعدين رحن لندكتور ثانى وعسل لى
عليه.

- إبنى الكلام ده؟

- من لسبوع .. وطلعت من العملية على الديوكس.

- الحمد لله يا أخى .. جت سليمة.

- بقولوا لى إنك ماشى اجتماعات، وعامل شغل زى الغل.

- بن عندي خبر هيزعلك.

- ايه ايه؟

- نفس.

- متها؟

- لوارت.

- ايه؟ لراي؟ لا .. لا .. لا !!

- قوما فى طريق مصر إسكندرية الصحراوي.

- مثل ممكن؟ عرفت منين؟

- من حسام.. يقول كانت مع واحد في السباح، ولما أفوزت زماها في الطريق.

- يا نانسى.. إيه الخير ألوحش ده.. ثالث حد يموت في أقل من تلات أسابيع؟

- إنت كنت خبيب القلب.

- قلب إيه يا عم تامر؟ خلاص.. القلب مات.. لا إله إلا الله.

- محمد رسول الله.

كان مفاجأة غير سارة بالمره.. حزنت جدًا لهذا الخبر.

فرحت تامر لاستعد للذهاب إلى الاجتماع، ووصلت إلى العترة مقر الاجتماع، وكنت في حالة اكتئاب عندما دخلت القاعة، وتوافد اللين واحدًا وراء الآخر.. وعندما بدأ الاجتماع، لم أكن أستطيع التركيز في بدايته.. ورويدا رويدا بدأت أنصت.. وشاركت بكلمات معدودة:

- الحمد لله إن أنا هنا، ومبطل النهارده.. عرفت النهارده إن واحدة صاحبتى ماتت.. أفوزت.. الموضوع قلب غم.. هو قيه إيه؟ كل كام يوم حث أعرفه بيموت.. أنا عايز ألحق بقية أصحابي.. عايز ألحق حسام وبهاء.. راسى دخل السجن.. أنا تبعت من اللي بيحصل ده.. دى حزب.. والواحد مش ممكن يطلع منها سليم غير لو استحب بكرامته.. وفي أسرع وقت.. أنا عايز أسحب.. أنا لازم أنسحب.. أنا كل يوم باخاف أكثر من اليوم اللي قبله.

بعد انتهاء الاجتماع تجمعوا حولي.. حبًا، وتعايلاً.. وربما تشجيعاً، ثم خرج حاتم، وأنا معه، وقفنا خارج القاعة وسألنى:

- كلمتى النهارده؟

- النهارده لسه ماخلصش.

- إنت ميعادك الساعة 5:00.

- معش.. أصل أختى رولا زارتنى فى المستشفى، بعد كده جريت بسرعة على اقدم علشان ألبس واستعد للاجتماع.

- لمقمة يا صلاح.

- أرجوك.. بلاش المقمة يا حاتم.

- المقمة مزئين.. ويكره مكالمين.. واحدة فى الميعاد، والثانية الساعة (10:00)، بدما ترجع من الاجتماع.

- حاضر.

- لو المستشفى وافقت على خروجك، أخرج.. أنا ماغديش مائع.

- بعد يا حاتم؟

- بعد.. بس لازم تبقى فاهم حاجة مهمة أوى.. الموضوع مافييوش هزار، لى يتنوت بره.

ظلمت أفكر فى نانسى طول الطريق إلى المستشفى.. ياه.. لى إنها كنت تعرف الاجتماعات، هل كل من الممكن أن تنجو وتبطل؟ يعنى أنا مش شوقها تانى! فإفكر شرم.. فإفكر.. وفأفكر.. ظلمت للخواطر تنقل إلى رأسى إلى لى انتهى اليوم.

الله يرحمك يا نانسى..

ونمت فى ميعادى الساعة 3:30 لاسيقظ الساعة السابعة كالمعتاد.

استيقظت، وصورة نانسى تطاردنى.. أنا فعلاً حزين.. يا ساتر يارب..

مسئلة نانسى.. غابة مأساوية، ملقا فى الحريق الصحراوي؟!

عملت الواجب.. دعوت الله سبحانه.. شكرته.. وبعد القراءة فى الكتاب ذلك من عرفنى لتناول الإهطار، وقراءة الصحف.. باترى.. هل كتب أحد لمسطفين عن نانسى فى صفحة الحوادث؟ يا ترى هل مات شخص آخر

دم أعرف؟

ذهبت لحضور اجتماع الدكتور عالية.. ودار حول الأمانة، وتكلم البعض عن الأمانة من وجهات النظر المختلفة.. كل منهم شارك كيفما يراه.. ولم أتفاعل معهم، كنت أشعر بالإحباط، ليس بسبب قلة النوم، ولكن موضوع الناس قد ترك أثره وبصمته، ولا ألسي أننا عشنا أياماً حلوة، وأعرف جيداً أنها كانت تحبني فعلاً.. في حياتي لم أطلب منها شيئاً واعترضت، أو رفضت.. بالعكس.. أحلامي كانت أواخر.. انتهى الاجتماع بمشاركة صعيقة مني.. فسلكتي دكتوراه عالية:

- مالك النهار ده؟ فيه إيه؟

- فاكدة نالسي.. اللي حكيت لك عنها.

- أي واحدة؟ فكرني بيه.

- اللي كنت باضرب معاها في مصر الجديدة.

- إيوه.. افكرتها.. مألها؟

- أوفر تون.

- يا نهار أبيض!! عرفت لراي؟

- تامر قال لي إمبراج.

- إيه اللي بيحصل ده؟ ناس كتيرة اليومين دول عمالة تموت.

- نفس الجملة اللي قلتها إمبراج.

- وده بخاينا نتمسك أكثر باللي إحنا فيه.. واللي وصلنا له يا صلاح.

- أكيد طبعا.. اتهم.. أخبارك إيه يا عالية؟

- الحمد لله كويسة.. بس إنت مش عاجبني النهار ده.

- متعش.. شوية وأبقى كويس.. نسيت أقول لك إن حاتم وافق إني أخرج من المستشفى.. بعد موافقتكم طبعا.

- إنت لسه ناوي تخرج؟

- أمال علوزاني أعمل إيه.. أفضل قاعد كده؟ أنا خلاص زحقت.

- بكرة بعد الاجتماع علوزين نغعد مع بعض مدة طويلة شوية.. فيه حاجة
بملها سوا.
- ما نعمل إيه؟
- بكرة نقول لك.. إنت مش عملت في كده من كام يوم؟
- يطى بترتيبها لي؟
- لا لانا.. أصل أنا لازم أمسي دلوقت، وإنت كمان عندك ميعاد مع دكتورة
بكرام.
- اتفقا.. أشوفك بكرة.
وفي طريقى إلى مقابلة دكتورة إكرام، التقيت بدكتور وليد:
- إريك يا نوك؟
- إريك يا صلاح.. الاجتماعات أخبارها إيه؟
- شام.
- إتكتبت خطوات؟
- آه طبعا.. أنا بأكذب دلوقت في الخطوة الأولى.
- ربنا معك.. ولو عايز أي حاجة، قل لي.
- شكراً يا دكتور.
أعجبني كثيراً الأسلوب الذي تحدثت به.. أسلوب هادئ ولغة جديدة
مطلقة، وقابلت دكتورة إكرام.. وبادرت بقولها:
- البقية في حياتك.. أنا عرفت من تامر أن نالسي اللي مانت كانت صاحبك.
- جيلك الباقية.. شكراً يا دكتورة إكرام.
- استمع.. أنا مش علوزك تخرج دلوقت.. أنا قلقانة عليك.. امشي شوية.
- حضرتك معاهم وللأ معاي؟
- أنا معك طبعا، وعلشان كذا علوزك نغعد هنا شوية كمان.. أنا مش طالبة
كثير.. أسبوع واحد كمان.

- صدقي يا دكتورة، والله مش هنفرق.. بالعكس أنا خلاص مش فاسر لعمري
واسمع كلام سبلي أكثر من كده.. مين عايز يصرب.. ومين عايز يهزب.. ومين
هيجيب مخدرات.. ومين.. ومين.. ومين..

- على العموم إحنا متقاتلين بيك، وأربنا كنا فيك إنك بتحاول، بس دأ ملامش
إن إحنا براضه قناتين عليك أوى يا صلاح، إنت ماعكشش شهر فى المستشفى!!
- أنا عارف يا دكتورة إكرام، وبخين هو أنا هأ أروح فين؟ خلاقين كن يسوم
هنا برضه،

- طبعا، أكيد.. ما إنت مش هاتحب نلقا عليك.
- أكيد لأ.

وبعد تناول طعام الغداء، ذهبت إلى غرفتي، وجلست اقرأ فى الكتاب،
وأمسكت الورقة والنقمة وكنت مفهومة عن الخطوة الأولى.. كتبت 5 صفحات..
وكان واضحاً لى عجزى أمام إنعائى.. وحياتى وما حنت فيها من هلاك ونمار.
وفى الموعد بنقمة وصلت إلى الاجتماع، وبعد التحية والسلام.. عملت
تسكافية، وتمليت مجيء حاتم.. ولكنه لم يحضر، وجاءت مجموعة كبيرة نوعاً
ما، ومن بينهم وجوه جديدة لم ألتق بها من قبل، وفهمت من الجلسة أن أحدهم
توقف عن التعاطى منذ مدة طويلة، وقد سافر خارج البلاد، وبعد عنيته أحضر
معه صديقه الذى يحضر الاجتماعات لأول مرة.. ودار الاجتماع حول لقراءة
قصة وتجربة شخصية والتعليق عليها، وعنوان القصة: "حياة مستحيلة".
فعلاً.. الحياة كانت مستحيلة..

وشاركت فى هذا الاجتماع بحديث عن التشابه الذى بينى وبين الرجل
صاحب القصة، وهذه التجربة الشخصية.. وذكرنى الاهتمام بهذا العضو الجديد
بالاهتمام الذى استقبلت به فى اليوم الأول الذى دخلت فيه هذه القاعة.. وطلب
منه شادى، كما طلب منى أن يقرأ: لليوم فقط.

كان من الواضح شعوره بالخوف وإحساسه بالقلق.. لقد مرت
بتجربة نفسها، وأعرف هذه المشاعر جيداً.. وبعد الاجتماع ذهبت إليه لأعرف
عليه، كما حدث معى من قبل.

وفى هذا اليوم حرصت أن أعرف رأى توفيق على خروجى من
المستشفى.. فسلته:

- إيه رأيك يا توفيق.. أخرج من المستشفى دلوقت؟

- دا قرار مش سهل.. إيه رأى دكتورة عائلية؟

- مفيش حد بيقول: لأ.. بس برضه مفيش حد بيقول: أه.

- المشكلة إن دى أول مرة تدخل فيها المستشفى، وكمال من ثلاث أسابيع بن!!

- لأ.. من 24 يوم.

- طيب حقا على يا سيدى.. يعنى مش شهر حتى.. وبصراحة مش عارف
لولاك إيه.. قرار صعب.. أنا أصلاً ماعكشش مستشفى، أنا بطلت من البيت،
لكن شادى دخل المستشفى أكثر من 12 مرة.. الموضوع يا صلاح مسألوش
بقبل.. كل واحد وليه ظروفه.. وعشان كده القرار فيه صعب.

اليوم، تمنيت وجود حاتم فى الاجتماع، كم أحب الحوار معه، كما أنه
يعرف على الآن كل التفاصيل، وإضافة إلى هذا فأبلى أشعر بأنه يفهمنى جيداً.

عند عودتى إلى المستشفى، أبلغنى عامل التليفون أن أمى اتصلت بى،
للأسف لم أكن موجوداً.. وللأسف أيضاً لم يكن معى تصريح بمحادثة تليفونية
أعمل بها، إله نظام المستشفى.. شىء غبيظ.. وفكره، أمل بمحاولة.. من
بترى؟! ربما أتجح.

- عايز أعمل مكالمة للبيت يا صديق.. ممكن؟

- ماعكشش تصريح ليه؟

- هو أنا بالقولك أنا خارج إجازة!! اطلب لى البيت وخليك جدد.

- ياريت يتقع.. ماينعش يا باشا.. إنت لك مكاتمة واحدة للمشرف، أكثر من كذا لازم تصريح.

- ماشى يا صادق.. بكره الصبح هنلاقى سلك التليفون مقطوع، ومفيش حد فى القسم كله هينكلم.

- ما أنا عارف أنك إنت الللى قطعته قبل كده، بالتظيط زى الطلق الللى تحت سرير حلمى، هو إنت فإكر إن فيه حاجة تستحقنى على فى القسم دا كله!!

- والله رجولة يا صادق.. نعل لى أخذك دور شطرنج قبل ماتنا.. أنا عارف إنت مفيش حاجة بتصلح مزاجك غير لما يتغلب دور على آخر الليل.

- نعل.. بس كده.. والشاى على يا صلاح.

- إنت أبو التواجب كله.

لعبت دور شطرنج، وطلعت إلى غرفتى ورجعت أمير بجهز حقيته:

- خلاص يا أمير.. خارج بكره إن شاء الله؟

- كفاره.. يا ساتر يارب.. أنا لا يمكن أرجع هنا تانى.

- آمال لو ضريت هتروح فين يا حبيبى.

- ها أروح الجنة.. والله ما فى حاجة هتوخصنى فى المستشفى فى غيرك يا صلاح.

- والله.. وإنت كمان يا أمير.. أنا وأنت قضينا مع بعض 3 أسابيع فى نفس الأوضة.. والله كانت أيام حلوة.

- لا يا حبيبى.. أنا قضيت على السرير ده 3 شهور.. بس أحتلى أيسام، كانت آخر أيام.. الأيام الللى عرفتك فيها يا صلاح.

- يا قولك إيه.. واطب على الاجتماعات يا أمير.. ماتكسلش وماتستهيلش.

- معنى أنت الللى هتواظب يا صلاح؟ والله ما فى حد فاهمك فى المستشفى دى غيرى أنا.. عرفت بتيمهم كلهم.

- بجد هتوخصنى يا أمير.

- يا قولك إيه.. بلش تقلبها دراما.. الحكاية مش ناقصة.. كلها كام يوم وتخرج وتخصنى، وتتقابل فى الاجتماعات.

- لكيد.. لازم تروح الاجتماعات.

- آه.. بس لو بخلونا نشرب حشيش!!

- يا ابنى ماينعش.. مفيش فائدة فى دماغك!! طوبة!!

فى تلك الليلة نمت الساعة 3:00، واستيقظت الساعة 7:00 ما هذا جمال؟ لقد نمت 4 ساعات كاملة.. معنى هذا أن هناك أملاً كبيراً فى العودة إلى النوم 6 ساعات فى اليوم.. وبعد اللش، حرصت على ارتداء ملابس أنيقة، ردت كتابة بعض الصفحات، نزلت لتناول الإفطار، وقراءة الصحف، ولعبت نور شطرنج مع صادق، وأقبلت علينا بجلاء.. لقد وصلت قبل موعدها.. وبدأت حرارها المرح مع أمير:

- صباح الخير،

- صباح العسل بالطحينة.

- وإيه لزمتها الطحينة دى؟

- إنت غمرك ما أكلت عسل أبيض بالطحينة؟

- إيه الكلام ده؟! إنت بتضحك على؟!!

- طيب جزئى وانسى لى.. خلال ربع ساعة تبقى ولعة.. ضحكك وقالت:

- أنا جاية بنزى مخصوص عشان أسلم عليك يا أمير.

فداعتها قاتلا:

- يا سيدى.. يا سيدى.. قولنى كده وفهمينا الموضوع.. ماشى يا عم أمير.

- ليه.. لجلاء دى حبيبى.. عندك مانع؟! وبغين الللى بيته من قزاز ما بتدقش قلبك بالطوب واللا إيه يا عم الأنصاح.. صح يا لجلاء؟

- لسكت يا أمير؟ من ساعة ما عالية ظهريت، وهو مش بيعتركي ولا ييسرني عني.. شخصيته اتغيرت 180 درجة.

- إيه الظلم ده، حرام عليك؟

- هتجيبنا قريب يا أمير؟

- آجى أعمل إيه بس؟! الواحد ما يضيق يخرج من هنا، تقولى له ييجى تاني؟

وبحرارة سلم علينا أمير.. واحدا، واحدا.. وقلت له:

- ها اكلمك، أول ما أخرج من المستشفى.

- وأنا مستنى بيقونك.. ياللا.. سلام.

تركنى أمير فى غرفتي، واطلق خارج المستشفى.. جاءت كثرة عالية وسألتني:

- فين أوضتك؟ أفضل الكلام فى مكان مقول.

وفى غرفتي، دار حديثنا وأستلثنا عن والدى، وأمى، وكريم، وروفا، وأيضاً عن صديقتي، مريم، ورائدا، وهالة.. كانت جلسة مختلفة، واعتقد أنها كانت من أهم جلسات العلاج.. بدأت فى التحدث معى عن المرض قائلة:

- الإدمان يا صلاح مرض زى أى مرض تانى.. ونعاطى المخدرات هو أحد أعراض مرض الإدمان.

- أنا طول عمري فاكّر إن أغنى ماريونيش كويس، وهو ده السبب.

- مش منظوط الكلام ده، الإدمان مرض، ولا له صلة بسوء التربية، ولا نقص الأخلاق، بنليل أصحابك فى البرنامج، شوقت بيتصرفوا إزاي بع ما يطلخوا.. ناخذ شادى مثلاً: مفيش أى حد ممكن يتخيل إنه كان بياخد مخدرات.. مؤذنب، هادى، وصوته ما بيطلعش.. لعلمك شادى كان بيجي المستشفى لوحده، بفعد شوية ويخرج بضرب، ويرجع تانى، وبرضه لوحده.. لغاية لما راح الاجتماعات ودلوقت الحمد لله مبطل بقالة سنة.

- أنا يحبه خدا.. شادى محترم.

ثم طلبت منى عالية أن أأخذها عن علاقتى بأهلى فقالت:

- لو كان باباك موجود هنا دلوقت كان هيبقى واقف قين؟ وعينه عليك وللا لا؟

وتكرر السؤال بالنسبة لكل فرد من أفراد عائلتي والناس المهمين فى حياتي..

وبعد ذلك طلبت منى أن أأف فى مكان كل واحد من أهلى، وأتكلم بلباقة عنهم وعن لسانهم ثم قالت:

- لو كانوا موجودين هنا، كانوا هيقولوا إيه لصلاح؟

فى الحقيقة هذه الجلسة كانت مختلفة، ولم يكن وقعها على سهلا، لأننى لأول مرة وضعت نفسى مكانهم، وأحسست بما يمكن أن يشعروا به فى 15 الوقت.

لم أستطع التنفس، وإن كنت لم أكن أرغب فى التنفس، فقلت لها:

- كفاية.. نفك لحد كذا يا عالية.

- لا.. نكمل.. مهم لوى نكمل، إنت بقى عايز تقول لهم إيه النهارده؟

سكت لثوان ثم قلت:

- مفيش وعود.. بس أنا هاعمل التلى على النهارده، عشان أفضل مبطل؟

- كويس لوى.

ثم انتقلت إلى موضوع الخروج من المستشفى، وصارحتنى برأيها:

- قصة خروجك بتزى عاملة مشكلة، لأن الآراء اختلفت، وأنا اقترأحى إنك تخرج بتن على أساس إنها أجازة.. يعنى تروح البيت يوم الخميس، وترجع الجمعة الصبح، وتقضى اليوم كله فى المستشفى، وتنام هذا الجمعة والسبت، ناعم الحد تنام فى البيت، وترجع الاثنين وتقضى فى المستشفى يومين: الاثنين والثلاث.

- إيه يا عالية؟ أنا اتلخنت، يعنى الملخص عايزانى أخرج أجازة.. مش خروج لهنى.. صح؟

- خروج تدريجي.. وكل مرة ترجع من الأجازة يفعل لك تحليل.

- موافق.. وإيه كمان يا عالية؟

- تحضر كل يوم اجتماع.

- أكيد.

- لعلك، أنا أكثر واحدة متحمسة لخروجك، وأكثر واحدة خيفة من خروجك..

إنت مدينى أمل كبير أوى.. وأنا فعلا خيفة.

- أنا مش هأنترك خطوة من غير ما تكونى عارفة أنا فين وباعمل إيه؟ كل خطوة بالاتفاق.

- اتفقنا.. أنا سمعت أنك هتقابل دكتور سمير بكرة؟

- إيه ده.. هو مقبش حاجة يستخفى فى المستشفى دى؟

- لأ طبعا.

- دكتور وليد قال لى إنه بكرة هيتلغنى بالميعاد.

خرجت د. عالية من المستشفى حوالى الساعة الثالثة، وبعد أن تناولت

وجبة الغداء، ذهبت إلى دكتور وليد لآخذ منه التصريح للاتصال بأى.. ثم

صعدت إلى غرفتى للقراءة وفقا للاتفاق مع حاتم.. ولم أجد أمير فى الغرفة،

وأصبحت وحدى فى غرفتى.. إبنى سافقت أمير.. قضينا معا 3 أسابيع فى نفس

الغرفة.. وبصراحة، كانت صحبته لطيفة، ولم يكن مزعجا على الإطلاق، على

العكس تماما.. كان طيبنا وودودا.

وفى الموعد المحدد الساعة الخامسة.. كلمت حاتم، وردّ هو شخصيا:

- ألو.

- أهلا وسهلا.

- أكلّم "الأسرنج ماشين" لو سمحت؟

واتفقنا على اللقاء المسائى.. وبعد الحوار مع حاتم، كلمت أمى، لأزف

إليها نبأ اللقاء مع دكتور سمير فى اليوم التالى، وتقبلت الخبر بهدوء.. عندما

أوضحت لها أنه سيناقشنى فى موضوع خروجى من المستشفى.. لم تتفعل أمى، ولم تعترض، وكان تعليقها:

- أيا تقى فى دكتور سمير كبيرة.. وربنا يعمل اللى فيه الخير.

كانت أجمل مفاجآت الاجتماع حضور أمير، وأسعدتني رؤيته، لتصورى

لأن يحضرها أبدا، ولكنه التزم بتنفيذ وعده.. إنه موقف رجولى وإيجابى

يحب لصالحه.. واكتملت سعادتى عندما نفذ حاتم أيضا وعده وجاء قبيل

الاجتماع.. حاتم.. كان بالنسبة لى طوق النجاة ومتلى الأعلى، ولم يشغلنى كثيرا

إله أصغر منى سنا، فكل تصرفاته تؤكد أنه كبير.. وهو بكل صراحة نجم

سائق، ولست وحدى الذى يعجبه أسلوبه فى المشاركة، وفى إدارة الاجتماع،

إيتالى كنت أركز فى كل كلمة يقوله.. بدأ حاتم حديثه قائلا:

- إيه اللى بيحصل ده؟ هوا إحنا اللى مدمنين وعيانيين، واللّا الناس هى اللى

مجاينين!!! بصراحة أنا مش فاهم حاجة!! الناس فى الشارع بيتصرف بطريقة

غريبة جدا، وأنا جاي شفت إثنين رجالة فى الطريق بيتخانقوا، واحد كسر على

اللّى.. إزاي.. وإزاي؟ أصلا الاتنين غطّانين، واحد ماشى على الشمال وعازر

يخش يمين.. والتانى ماشى على اليمين، وعازر يخش شمال.. وأنا جاي من ورا

بنترج على ميرك.. نزلوا من العربيات.. قلت بس حرب.. نزلت أنا كمان

بشيت لنتين رجالة، واحد على الأقل 60 سنة، والتانى 65 سنة، ووقفت فى

لصن أحاول أهدى بينهم، وقلت لهم: مقبش يا أفندي.. حصل خير يا أفندي..

حوالى رُبّع ساعة فى محاولات قاشلة.. هو فيه إيه؟ هى الناس مَالها؟ وبعدين،

الاتنين مَابِيَهُمْ نفس.. واحد منهم لو زعق شوية زيادة، كان ممكن يجيله

شكّة قلبية.. الناس فى الشارع لازم يبقى عندهم برنامج يتعلموا فيه إزاي

يعزّموا بعض، ويشغلوا خطوات، ويحضروا 500 اجتماع فى 500 يوم.. والله

لاأعجب هتجننى..

القرار

استيقظت الساعة السابعة كالمعتاد، وبعد حلاقة النحن والنش، أعددت بنس لمواجهه اليوم بملابس أنيقة.. عدت أهتم من جنيد بالملابس الأنيقة، ولطهر اللاتق.. ياه!! ما هذا الذى كنت فيه قبل دخولى المستشفى!! مررت بإلم لم أكن استبدل فيها "التريننج" بغيره لمدة أسبوع!! ياه!!

قمت بواجبى.. الدعاء، والقراءة، ثم نزلت لتناول الإفطار، وقراءة لصحف.. وأثناء لعب دور الشطرنج مع صادق، وصل دكتور وليد وقال لى: - ميعادك يا صلاح الساعة 1:30 مع دكتور سمير، ومعيا الساعة واحدة. لقا؟

«للقا.. شكرًا يا دوك».

وصلت دكتورة عالية، وبعد انتهاء الاجتماع قلت لها عن موعدى مع دكتور سمير.. وجلسنا معًا، وتحشنا.. كانت دائمًا السبب الرئيسى فى إحساسى بالأطمئنان..

- ما تخافش.. كله هبقى كويس.. وإن شاء الله أشوفك بعد ما تقبله..

- على فكرة، دكتور وليد لأول مرة يقول لى إنه عايز يقعد معيا قبل مقابلة دكتور سمير.. ما حستش قبل كده.

- فيل.. اسمع له.. وليد دكتور كويس.

- بللا.. عندك أجازة منى يا عالية لمدة ساعتين.

- أول ما تخلص مع دكتور سمير، بلغ صادق، وأنا ها اسيب له خبر بمكانى.

ذهبت إلى صادق:

- من فضلك يا صادق وصلنى عند دكتور وليد.. ميعادنا الساعة واحدة.

استمر حاتم فى الاعتراض على تصرفات وسلوك البشر فى الشارع.. وبعد ذلك شاركت بإحساسى:

- الحمد لله، أنا ميترنج اليومين دول.. أيامى ناجحة طالما أنا مش بتأخذ مخدرات.. احتمال كبير أخرج من المستشفى يوم الخميس ويكرر.. إن شاء الله عندى ميعاد مع دكتور سمير.. أنا قلقان شوية، وبصراحة مش عارف سر ققى، وبينور فى نماغى 100 سؤال.. يا ترى هو هيقول لى إيه؟ وبأ ترى هو ممكن يسألنى فى إيه؟ وأنا مقروض أجابوب إزاي؟! أول مرة شفته فى "الثيوكس" كنت ضايح.. المرة دى الموقف مختلف.. بجد زهقت من التفكير، قلت اطلع للى جوليا فى الاجتماع عشان استريح.

بعد انتهاء الاجتماع، وقفت مع حاتم كالمعتاد، وكترلشنا فى مواضيع مختلفة، وفى آخر كلامه قال لى عبارة مهمة: - "إنت مش محتاج إك تثبت أى حاجة لأى حد".

قالها ببساطة شديدة.. بينما كنت ألف ولور حول نفسى، وكان مستحيل الوصول إلى هذه المنولة الموجزة المفيدة.. ياه.. كم كنت فى حاجة إلى سماعها. عدت إلى المستشفى فى حالة هدوء نفسى، وبعد أن تناولت وجبة العشاء لعبت "كوتشينة" مع الشباب، ودور شطرنج مع صادق، ثم صعدت إلى غرفتى.. قرأت فى الكتاب بتركيز حتى الساعة الثالثة.. إنها أول ليلة أنام فيها فى الغرفة وحدى، بعد خروج أمير من المستشفى.

- يعني هو كلمتي عثمان خاطر مين؟ الطبيعي إنه يفهم الوضع الأول، وبعدين
لا كنت داوي أحول لك المكالمه، بس إنت كنت في اجتماع مع عاليه.

- في بيتها يا ذوك.. أنا وإنت واحد.

- هلا بيذا عثمان ما تتأخرش على الدكتور سمير.

- مشينا معاً.. وصلنا مكتب الدكتور سمير، ودخلنا السكرتارية، وأبلغهم

بكون وليد بموعدي، ثم وجه إليّ الكلام:

- 5 دقائق لغاية الدكتور سمير ما يخلص مع ضيفه، وبعد المقابلة نرجع

باصلاح على القسم، أظن إنت مش محتاج حد يعرفك الطريق؟

- لا.. مش محتاج.. أنا عارف طريقي كويس.. شكرًا يا ذوك.

خرج الدكتور وليد من غرفة السكرتارية بعد أن منحني ابتسامة

عريضة.. كلها أشياء جديدة بالنسبة لي، وانفطرت خمس دقائق فقط، وخرج

دكتور سمير مع ضيفه، وحياء بحرارة عند باب الغرفة، ومد يده إليّ بالسلام

فلا:

- إقتض.. أنا اتأخرت عليك؟

- لا.. ولا يهمك يا دكتور.. أنا لسة جاي.

- الأفضل هنا.. تشرب إيه؟ أنا ها اشرب شاي.

- ولأنا كمان.

- بترك إيه باصلاح؟

- كويلاه ولا فحجان؟

- فحجان.

- التين من فضلك.

- شاي، واحد عثمان، والثاني مختلفين سكر.. وألصق التليفونات.

وللمرة الأولى أدخل غرفة دكتور وليد.. تجولت بعيني في أرجائها..
بها سرير، ومكتب، وأمامه كرسي ومنضدة، وفي ركن فيها الميزان.. وبينما
دكتور وليد يقرأ في الملف الذي أمامه، وقفت على الميزان، وأدخلني ما وصلت
إليه، فقلت:

- إيه ده؟ 61 كيلو! أول مرة في حياتي أحبيب الرقم ده!! الطاهر هذا البندى
أعمل رجيم.

- يعني وزنتك زاد 8 كيلو.

- استمر دكتور وليد يقرأ ويقلب صفحات الملف.. فقلت:

- إيه الجدول دي كلها؟ أنا اسمي مكتوب على كل ورقة.. الملف دا بتاعى..

مليان ورق كذا ليه؟ ممكن الشوف الملف، وأقرأ معاك؟

- لا.. طبعاً.. مش ممكن.

- ليه؟ هو مش الملف دا بتاعى؟

- لا.. مش بتاعى.. ده بتاع المستشفى.. النهارده لك 26 يوم.. اللي شافته أول

يوم، وبشوفك للنهارده مايعرفتش.

- البركة في رز سويسرا.

- البركة في ربنا.

- لك حق يا ذوك.

- محتاجين نعد مع مامتك وباباك، وإخوانك، جلسة ننظم فيها الأمور شوية..

لازم كل المواضيع تبقى واضحة لكل عثمان ما يحصلش مشاكل.

- ما بتقتش يا دكتور.. أنا داوي لريحهم على أنا ما أقدر.

- أنا متوقع كذا برضته.. باباك وصل إيمبارج بالليل.

- لا.. دا حضرتك مركز لوى، ومذبح كمان!!

- أكيد.. وتكلمت معاه النهارده الصبح.

- بعني كلمك وما كلمتيش؟

وقلت لنفسى: ياه! اهتمام عالى.. أوى.. واحترام.. حاجة جميلة..
وبهتوه رالع، بدأ كلامه معى:
- شكك احسن بكثير من أول مرة شكك فيها،
- اكيد طبعا.. أنا جيت المستشفى تخبان أوى..
- قضيت أيامك إزاي يا صلاح؟
- قضيت أيام حنوة، وأيام وحشة.. وذا طبيعى، المستشفى حنوة، مريحة،
واسعة، بس يعنى محتاجة شوية شغل فى الإداريات.. التنظيم الإدارى متعيب..
مثلا علشان الواحد يعمل تليفون مشكلة.. الملابس تتأخر فى التنضيف.. السدان
غير وكثير، وبالذات فى غرفة الأكل، وعلشان الواحد يقايل الدكتور فصه
ورواية..
- طبعا، إنت فاهم إيك مش فى فندق خمس نجوم.. صح؟
- أكيد.. بس أنا فى مونتيرا..
ايضم الدكتور سمير..
- إتفضل الشاى..
- شكرا يا دكتور..
- كلمنى عن العلاج.. هو ذا اللى بهمنى.. عملت إيه؟
- عملت كل اللى لقال لى.. حضرتت كل الجروبات والاجتماعات.. مقيش يوم
اعتذرت عن اجتماع.. وشاركت كثير.. وكل يوم أقرأ فى الكتاب، وتقريبا
خلفت الخطوة الأولى، بس الشرف مش عايز بدقتها معايا غير لما أخدج
من المستشفى..
- مين المفترق بتاعك يا صلاح؟
- حاتم.. وحضرت اجتماعات وحلقات دكتوراة عالية، ودكتوراة إكرام، ونجلاء،
وبصراحة، دكتوراة عالية أكثر واحدة عرفت أتفاهم معاها، هائلة ومريحلى، ولا
تاوى أوأطلب على حضور اجتماعاتها حتى بغد ما أخرج من المستشفى..

بكت الدكتور سمير لثوان ثم قال:
- صلاح.. واضح إيك ذكى أوى.. وذا سلاح ذو حدين.. يا إما إنت فعلا ذكى
أوى، واستوحيبت الموضوع بسرعة مش طبيعية، يا إما إنت ذكى أوى، وعرفت
شكك على المستشفى كلما فى وقت قلب.. وذا اللى خديان ويتضح فى الفترة
الجلية.. لو رجعت تاخذ مخدرات ثانية، وبكنت محظوظ ولا اتسكت أو
ملوئش، هنرجع هنا ثانية، بس المرة الحاية حشرفنا شهر.. انفضا؟
- انفضا..
- إنت طبعا عارف إن أنا أقدر أشرب بيرة مثلا، أشرب زى ما أنا عايز، لأن
لا ماغشيش مشكلة مع الشرب، لكن إنت ما ينفعش تشرب أى حاجة.. لأنك
عندك مشكلة..
- للأسف الشديد أنا فهمت الكلام دا كويس.. وعارف كمان إني هاعيش بقية
عمرى مريض..
- فيه مضمين يشوف إن مرضها بدأ قبل تعاملتى المخدرات.. لما نشغل
الحلوات هنعرف تحكم بنفسك..
- أعقد كده برضه..
- تمام.. هنخرج أجازه يوم الخميس حسب الجدول اللى هيتنظم مع دكتور ولید،
ولما مغتومالى إن دكتوراة عالية هى اللى قدمت الجدول ده.. وبفضل إيك تنسى
عليه زى ما هو مفرح بالطب..
- ما تقلقش يا دكتور.. أنا مش داوى أوأصل..
- أحب دايما أشوفك زائر مش مقيم.. فيه ناس كثير محتاج مساعذك
لو عرفت نفع على رجلك..
- إن شاء الله هنلاقي دايما هنا.. اطمئن يا دكتور.. شكرا وأنتان..
- إتفضل.. ربنا بوفتك.. مع السلامة..

وقام هذا الدكتور العظيم من على مكتبه، ووصل معي إلى السبيل،
وسألني:
- فيه حدّ معاك بزء؟ حدّ يوصلك؟
- لا يا دكتور .. أنا عارف طريق كويس ..
وخرجت من مكتبه وأنا في قمة السعادة .. كل ما أستطيع قوله في تلك
اللحظة، أنني التقيت مع إنسان يمتلك في قلبه حباً عميقاً للناس .. يتحدث بهيؤ
وبساطة وتون استعلاء .. كانت جلسة أنيقة .. بالتأكيد سأذكرها كثيراً ..
وهكذا أثبت عملياً أنها مستشفى هدفها العلاج، والأمر يتوقف على حالة
المريض.

سببت إلى القسم، وكنت 'طالير' .. 'طالير' من الفرحة، وأعلنت أنني:
- أي خميس؟ في أي أسبوع؟ في أي شهر؟ في أي سنة؟ الخميس الحادي
يا حلّوين،

قال جلال وهو في شدة التعجب:
- يا ابن الإيه؟! حتى الدكتور سمير نيمته؟
- نيمته، وخطيته بعد ما حكيت له حكاية الشاطر صاصو .. يا صادق هس
الدكتورة عالية فين؟
- كلمتها .. جاية حالا.

وصلت الدكتورة عالية، وسألتنى:
- هيه .. عملت إيه مع دكتور سمير؟
- الراجل دا بفهم.
- أه طبعاً .. أُمَلْ إنت فاكّر إيه؟ قلت تَه إيه؟
- اتفقنا أمشي على خطة الدكتورة عالية.
- بس المهم إنك تلتزم يا صلاح.

- إنت فاكّة إني مش ها التّزم؟!
- لا .. أنا عارفة كويس إنك ها تلتزم .. وبكره لنا قعدة سوا .. طويّلة شوية،
عشان يشوف البرنامج ها يتشّى إزاي؟
- حلو ..
- بللا .. أنا هاروح بلوقت، وأشوفك بكرة إن شاء الله.
- دكتورة عالية.
- أنتم.
- مشكور لوى .. أنا عارف أد إيه إنت وقت جنبى عشان أخرج من هنا.
- يا خوفى.
- يوووو .. ماتخفيش .. بحدّ ماتخفيش ..
- صلاح، الموضوع دا ما فيبوش ضمانات، وعشان كده ربنا يستر ..
- هُشْتَر إن شاء الله.

بعد أن خرجت الدكتورة عالية من المستشفى، جمعتني مع الشباب جلسة
ضاحكة، ودور شطرنج مع صادق حتى جاء موعد وجبة الغداء .. وبعدما
سأرتة جامنى صادق:
- تليفون يا سيدى.
- مين؟ غريبة لوى حد يكلمنى في الوقت ده؟! مين يا صادق؟
- ردّ وانت تعرف.
- مش عاوز أقول إى مين؟! ماشى يا صادق .. إنت أصلك شالاب .. منى بعد
ما انقلب في آخر دور.

- لوى .. بابا .. لزيك؟ حمد لله على السلامة.
- لزيك يا صلاح؟ عامل إيه؟ طمّنى عليك ..
- ألا كويس الحمد لله .. اتبسّطت في الرحلة؟

- كانت رحلة هائلة.. الحاجة الوحيدة التي كانت قلقني هو أنت.. أنا مش
ها استريح غير لما أطمئن عليك.
- إطمئن.. أنا كويس الحمد لله.
- دكتور ولید بلغني إنهم وافقوا إنك تخرج أجازة يوم الخميس.
- أخيراً وافقوا.. أنا كنت عند دكتور سمير، وهو اللي بلغني بخبر الموافقة..
قل لي يا بابا.. هتجيلي إمتي؟
- أنا مش عايز آجي المستشفى دي تاني.. كفاية وصلتلك، وحييت أزورك مرة
مع مامتك وما عرفناش نشوفك.. مامتك، وخذ من إخوانك يرجعوك.
- زى ما يعجبك يا بابا.
- ها اكلمك يوم الخميس الصبح بثرى، تكون عرفت حساب المستشفى.. إحنا
دفعنا مبلغ مقدم، وشوف الباقي كام، وابتعت لك الفلوس مع مامتك.
- حاضر يا بابا.
- خلى بالك من نفسك، وأشوفك يوم الخميس إن شاء الله.
- إن شاء الله.. وسلم لي على ماما وكريم ورولا.
- حاضر.. مع السلامة.
- لم أشعر في حياتي، كم اشتقت إلى والدي إلا بعد أن سمعت صوته..
كان واضحاً من صوته أنه لازال يشعر بالقلق.. طبعي.. أردت الاتصال بحاتم،
فقلت لصادق:
- عايز أكلم المشرف بتاعى يا صادق.
- تليفوناتك كتيرة الأيام دي.. نعدبها المرة دي علشان دا المشرف.
- هو أنا بأكلم حد غير؟ طبعاً إنت شايل منى علشان دور الشطرنج اللي
فات.. هو كان دورك، وأنا أدبنيك أعلى درجات الأمل.. وفي ثانية مقصين،
دايل كيك.. ومات الملك.
- بطل لمامضة.. تليفونك.. اتفضل رد.
- ألترنج ماثين طبعاً.. ألو يا حاتم.. أنا عايز أبلغك إني ها أخرج يوم
الخميس من المستشفى.. يعنى بعد بكره.
- فاجأني صوت حاتم:
- أيوه يا سيدى.. هتخرج يوم الخميس.
- إيه ده؟ إنت فى البيت!!!
- أيوه فى البيت.. بس ما بردش على كل التليفونات.. إمتع يا صلاح أنا مش
ها أفكر أروح اجتماع وسط البلد، بس بكره إن شاء الله ها أجيلك اجتماع مصر
الجديدة علشان الدنيا لازم بتتظم.
- أكيد طبعاً.
- لاء.. إنت مش فاهم، الخروج من المستشفى له قواعد ومافيهاش فصال.
- أنا عُمري ما فاصلت.
- تعجبنى وإنت بتسمع الكلام.
- بعد الانتهاء من الحديث التليفوني مع حاتم، أسرعت للاستعداد لحضور
اجتماع اليوم فى وسط البلد "لمدمنى الخمر مجهولى الهوية"، الذى يحضره
مجموعة من الأجانب، والمشاركات معهم ممتعة، ولم يحضر من الشباب
المصريين غير أمجد فقط.
- وقد شاركت فى هذا الاجتماع، وأعلنت لهم نبأ الموافقة على خروجي
من المستشفى، ولذا أشعر بسعادة حقيقية، وأنى أنسى حضور الاجتماعات
والمشاركة، وتنفيذ كل ما يقال لى لأظل مُعافى.
- وبعد الاجتماع جاعنى أمجد، وله احترامه الكبير عندي، فهو مشرف
حاتم، بمعنى أنه مشرف على مشرفي الذى يعرف عنى كل التفاصيل.. كلمنى
وفى صوته نبرة فرحة، وحزم فى الوقت نفسه، وقال لى:
- حاتم قال لى إنك خارج بعد بكره أجازة.
- إن شاء الله يا أمجد.

- إنت جاهز يا صلاح؟

- قصّتك إيه؟

- الخروج من المستشفى عمره ما كان مبرّدة.. 99% من اللى بيخرجوا من المستشفى بيضربوا نائى.. منهم اللى بيتحبس، ومنهم اللى بيمرض أو يموت، أنت لسه مافترش الكتاب كويس.. والّا إيه؟ أوك فقرة؟ من هو النمل؟ إحنا وقمنا فى برايز مرض مستمر.. ومتقالم.. ونهايته لا تتغير.. السجون، المرض، الموت، لرفع يا صلاح واقرا من هو المدمن؟ ما برنامج الممنين المجولين؟ لماذا نحن هدا؟ وماذا يمكننى أن أفعل؟

- إيه دا يا لمجد؟ أنت خوفتني!!

- غريبة!! هو إنت ماكنتش خايف والّا إيه؟ اخر حاجة ها أقولها لك عشان أنت لازم تمشى وترجع للمستشفى.. أنا جيت النهارده لما عرفت إنك خارج بعد بكرة.. ها أقولك حاجة واحدة قائلها لى المشرف بتاعى يوم ما كنت خارج من المستشفى: إنت عمرك ما كنت مسئول عن مرضك.. بس النهارده إنت المسئول عن شفاك.

فكر فى الجملة دى كويس، وها أشوفك فى اجتماع بكرة إن شاء الله. قالها أمجد ومشى.. وبدأت رأسى تلف وتكور.. وطوال الطريق يسبح فى ذهني: ماذا حدث؟ ماذا جرى لى؟ ما سر مخاوفي؟ لماذا أنا خائف إلى هذه الدرجة؟!

صعدت فوراً إلى غرفتى فى المستشفى.. أنا وحدى.. وبدأت أفرا على مهل، كل ما سبق لى قراءته.. قرأت كل كلمة من جديد، واستغرق هذا ثلاث ساعات كاملة، من الساعة العاشرة حتى الساعة الواحدة.. أعرب شىء لنتى كنت فى كل مرة أفرا، اكتشف شيئاً جديداً ومقبوحاً مختلفاً.

جلست فى السرير أفكر، إلى أن لمت الساعة الثانية والنصف، واستيقظت الساعة الساعة.. الآن، أستطيع أن أنام أربع ساعات ونصف، ودون ملوم.. شىء جميل حقاً.

بدأت يومى مثل كل يوم.. بالداء وقراءة الصحف، بعد تناول وجبة الإفطار، ثم دور الشطرنج مع صانيق، إلى أن وصلت دكتورة عالية، وقالت لى: - تعال يا صلاح.. أنا غاؤزالك.. لازم فرقب هنعمل إيه.

- عارفة يا دكتورة، إنت محبستائى إنى خارج من المستشفى، ومن راجع نتي!! أوعذك، أنا كل يوم ها آجى المستشفى.

- يعنى إنت مش عايز ترجع يوم السبت وتنام هنا؟

- زى ما بعجبك.. بس ها أقول لك رأيى.. بصى يا عالية، الأسبوع لجاى كله، لى الساعة 9:00 الصبح، وأمشى الساعة 4:00، واقعد فى بيتى شوية، وبعدين أروح الاجتماع فى عصر الجديدة.. إيه رأيك فى الفكرة دى؟

- نتكلم فيها مع دكتور وليد.

- لو كيه.

ذهبنا إلى مكتب دكتور وليد:

- إزوك يا دكتور وليد.

- أهلا يا عالية.. صلاح.. أخيلك إيه؟

- تمام يا ذوك.

- الجنول انتظّم؟

- عايزين تآخذ رأيك فى موضوع مهم.. صلاح خارج فى أجازة يوم الخميس إن شاء الله، وفترجع يوم السبت وينام هنا فى المستشفى.. أو كل يوم الصبح ييجى هنا فى المستشفى، ويمشى آخر اليوم.. الساعة 4:00 مثلاً؟ إيه رأيك يا دكتور؟

- هو مش سبق الاتفاق أنه يخرج أجازة، ويرجع.. إيه اللي غير الاتفاق يا صلاح؟

- إحنا بنتشاقش.. لو دا اللي إنتم عاوزينه، ورايكم إنه أحسن بالنسبة لى، أنا موافق.. لكن بصراحة أنا عايز أروح الاجتماعات من البيت، يعنى دا إحساس طبيعى.. وحاتم المشرف يتاعى قال لى إني مش هسا ابتدى أعيد 90 اجتماع x 90 يوم إلا لما أخرج من المستشفى.. وبعدين أنا كل يوم هأجى هنا.. وكم إن اعملوا لى تحاليل زى ما أنتم عاوزين.. أنا ذى فداك يا دكتور.

- إنت مفيش فائدة فيك.. مايففحش نتكلم جد أبدا!! إنت إيه رايك يا عليه؟

- مااعتديش مانع، على شرط إنه فعلاً بيحى الأسبوع الجاى كل يوم، ويقضى اليوم بالكامل هنا.

- خلاص.. وأنا كمان موافق.. أنا بتق فى صلاح.

ويابسة قلت:

- وبقرأ الفاتحة.. بسم الله الرحمن الرحيم..

مشيت مع عالية داخل المستشفى نتحدث:

- إنت مش ممكن.. بتعمل وتنفذ اللي إنت عايزه.. أنا ماشفش زيك فل كده.

- أنا عايز أحكى لك أمجد قال لى إيه إمبراح بعد الاجتماع.. بعد فقلت من كلامه أوى.

- واضح إن أصحابك فى الاجتماعات مهتمين بيك..

- جدا يا عالية.. جدعان ورجالة.

- هما ما تصرفوش معاك كده إلا لما حسوا إنك جاد فى تبطلبك.

وفجأة وصل فريد، ليقول لى:

- يا أستاذ صلاح.. أخو حضرتك منتظرك فى الاستقبال.

- كريم!! عجيبة!! دى مفاجأة غريبة.. إيه اللي جايه؟

- إنت رُوخ ليه.. ولأنا هأمشى، وبكره إن شاء الله إحكيلى عن سبب الزيارة والمفاجأة دى.. أنت هاتمنى إمتى بكره يا صلاح؟

- مش قبل ما إنت تمشى.

- "وطيران" على الاستقبال.

- أهلاً.. أهلاً.. يا مفاجاتك؟

- إريك يا صلاح!! أخبارك إيه؟

- أنا تمام.. خارج بكره إن شاء الله.. وعشمان كذا مستغرب زيارتك النهارده!!

- قلت لطمئن عليك.. وأعرف إنت خارج بكره ليه؟ أخويا الصغير ولازم لطمئن.

- يا أخى أنا زهقت من أخويا الصغير دى.. مش كنت تطلع إنت الصغير؟

- بكل أسف، هى مشيت كده.. إنت الصغير.. خلينا فى المهم.. أنا عايز لطمئن عليك.. ماما ورولا حكولى كثير أوى.. وكلامهم مطمئن.. بس بالنسبة لى، هأبقى مطمئن أكثر لو سمعت منك.

- قل لى.. عايز تعرف إيه يا كريم؟

- عايز أعرف إيه اللي بيدور فى دماغك؟

- أنا نفسى مش عارف، بس اللي أنا عارفه حاجة واحدة بس.. إن أنا مبطل النهارده، ويومى ناجح 100% عشمان أنا مبطل.

- فيحضر الاجتماعات لما تخرج؟

- طبعاً.. إيه يا كريم!! إنت فاكِر إيه؟ أنا فعلاً عايز أبطل.

- وأنا فعلاً نفسى تبطل.. أنا مااعتديش ولا مشكلة واحدة فى حياتى إلا موضوعك.

- يعنى لو مشكلتى دى اتحلّت؟

- تكلم يا صلاح أنا هأبقى أسعد إنسان فى الدنيا.

وبعد أن تحدث خالد عن النية، طلب مني أن أشارك..

- أنا مدمن.. واسمى صلاح.. ابتديت اليومين ذل أول أحسن إذ إله أنا نفسي لبطل..
بده خفف حياتي.. ومن كثر ما أنا عندي رغبة في إني أفضل بفضل، لازم
أعرف دلوقت أد إيه أنا خايف.. لا أنا مش خايف.. أنا مرعوب.. فعدت أزن
أقول: عايز أخرج من المستشفى، كفاية كده، زهقت.. دلوقت أنا خايف أخرج
من المستشفى.. أخرج أعمل إيه؟ أنا مستريح جوة المستشفى ومطمئن.. طيب
أزج في كلامي وما أخرجش؟! والألأ أخرج أواجه الدنيا؟ أنا فعلى من جوة..
وخايف جدًا.. جدًا.. أنا عايز الناس كلها تساعطني.. أنا عايز الناس اللي
بطلت من زمان تقول لي أعمل إيه.. معنى أنا مش فاهم مستعجل على الخروج
بإليه؟ يا نهار أسود لو ضربت.. موصية سودة!! خلاص ها أموت.. ربنا بتت
لي أكثر من رسالة.. ربنا لاآني الفرصة.. وقعني وتطككم.. لو ضربت، يبقى
لا ضيقت الفرصة، ورفقت للعمة برجسي.. لا.. لا.. أنا أفضل في
المستشفى.. أنا عايز ومش عايز أخرج.. لا.. أنا مش عايز.. أنا عايز أفضل
بطل.. بس أنا خايف أخرج.. أنا متخبط.. أنا مرعوب.. أعمل إيه؟ مش
أعرف!! شكرًا.

بعد ذلك، قام أحمد ليشارك:

- أنا أحمد.. مدمن.. طول عمري ما بحبش أعقب على كلام حد.. ولا حد يعقب
على كلامي، بس الحقيقة مش قادر.. مشاركة صلاح خسيث بيها كلها.. أنا
عشت كل اللي سمعته منه.. عيشته هو.. هو.. ميلاريو مكر.. الخوف والرعب
والتردد اللي أنا سمعته من صلاح هو فعلا النية في الامتناع.. طلب المساعدة
والأمانة مع النفس أساس الرغبة في الامتناع.

واستمر أحمد في تفسير ما يتور بداخلي بهدوء.. كان فنانا في شرح
الألميس، وغمرني الشعور بالطمأنينة بعد مشاركته.. هدأت فعلا بعد أن
استعنت إلى كل كلمة قالها وجعلني أشعر بالنفسي أسير على الطريق الصحيح.

وقف كريم، وأخذني بالأحضال.. أحضال بهذه القوة لم تحدث من قبل.. ولأول
مرة منذ جئت إلى الحياة تبادل الأحضال بهذا الشكل.. حضن شقيقين يستغران
في قلبيهما كل مشاعر الحب الحقيقي.

- دلوقت لازم أمشي.. عندي اجتماع في الشركة بعد ساعة.

- ربنا معاك.

- بكرة إن شاء الله ماما، وأنتك هيجوا لك وترجع معاهم على البيت.. كنت
أحب أجي معاهم، لكن بكرة عندي سفيرة 48 ساعة.

- تروح وتجي بالسلامة.

مرحت طويلا، ووقفت تحت شجرة أفكر في هذه المعالجة الطويلة..

فتلأ لنفسي:

- ياه!! كريم، بسبب شغلته وبيجي لي مخصوص عشان يطمئن عني!! غريبة!!
لم أتوقع منه هذا الموقف!! غووما.. طوال عمره تصرفاته غير متوقعة.

أعندت نفسي، وسلحتها ببعض القراءات في الكتاب، وذهبت إلى
الاجتماع، وكان بديره خالد، وكنا 12 فردا فقط لاغير، خمسة منهم من
المستشفى، واختاروا موضوعا جميلا بعنوان: "النية في الامتناع" والرغبة في
الامتناع وأجبت أن أستمع إلى المشاركات بكل تركيز.. بدأ خالد قائلا:

- كلمة الرغبة أول مرة سمعتها في الأوضة دي، تصورت أن لها علاقة
بالجنس.. فنت قنطة.. بس طلعت موضوع ثاني خالص.. كنت طول عسري
أتحيل إن عندي النية في إني لبطل، بس عمري ما بطلت، لكن واقع الأمر أنا
ماكنتش عايز أبطل بحق وحقيقي، يعني مش عايز أضرب، بس أروح أقد مع
نفس بتضرب، وأقول أنا مش ها أجد.. يا سلام!! دا إيه الجمال ده؟ يعني عسر
الواحد راح للخالق، وقعت على الكرسي وما حلقش.. مش ممكن!! ودماع
تقنعني، قال إيه، أنا رايح أضيق شوية وقت، مش أكثر، وطبعًا أرجع مش بس
خالق، دا أنا بارجع خالق، وزيزو كمان.. وتندى المأساة من أول وحديد..

اليوم الأخير.. والأول

عدت إلى المستشفى، وبدأت أتجول في القسم، كل ركن يذكرني بشيء ما.. كل كرسي لى معه قصة.. الجداول.. دعاء السكينة.. أدوار الشطرنج.. البنج بونج.. غرفة الطعام.. الفباب.. المطبخ.. التلفون.. إنها آخر ليلة لى هنا.. آخر ليلة، والأحداث تمثلت كالعلم.

صعدت إلى غرفتى بعد دور الشطرنج مع صادق، وكتبت فى الخطوة الأولى، ونمت الساعة الثانية أثناء الكتابة.. وصحوت الساعة الخامسة والنصف، وكتبت رسالة إلى كل فرد من أفراد العائلة.. أمى.. أبى.. أختى.. وبعد كتابة الرسائل الأربع، نزلت لتناول الإفطار، وقراءة الصحف.. قلت لصديق:

- يا صادق، عايز أروح الإدارة أشوف حساب المستشفى.

- باللاً يا فريد.. اطلع مع صلاح.

- خليك يا فريد.. يعنى أنا ها اهرب؟ أنا خارج النهارده.

- اطلع معاه يا فريد.

- عليك دماغ.. هو إنت بتتغلب فى شطرنج من شوية!!

- ما إنت لسه مغلوب إمبراح بالليل.

- الثور دا من عندى.. هدية خروجى.. وبا قولك إيه.. لنا دور النهارده..

النهائى.

ماشى.

ذهبت مع فريد إلى الإدارة المالية فى المستشفى، وعرفت الحساب المطلوب عن 28 يوماً، واتصلت بواندى وقلت له المبلغ المتبقى، فقال لى:

- مامتك وأختك هيكونوا عندك الساعة ثلاثة.

انتهى الاجتماع وجلست أتحدث مع حاتم:

- قل لى يا صلاح، هتخرج بكره إمتى؟

- حوالى الساعة 4:00.

- كويس.. طبعاً تحضر اجتماع بالليل، ومن بكره تعد 90 اجتماع.. الاجتماع يبدأ الساعة 7:00، تكون موجود قبل ما يبدأ برُبْع ساعة، يعنى الساعة 6:45 لو وصلت فى أى اجتماع بعد دقيقة الستون: تعد من أول وجديد، وأنت فاهم طبعاً أنا مش باهرج.. عايزك تخلص الخطوة الأولى.. وبكره تشتترى نوتة جديدة تكتب فيها، وبعدين تقرأ كل اللى كتبتهم يوم الجمعة، ونشاركها سوا يوم السبت.. وبكره الصبح أول حاجة تكتب 4 جوابات.. واحد لئاباك، واحد لئامتك، واحد لأختك، وجواب لأخوك.. صفحة واحدة بس لكل واحد، مش أكثر.. تكتبهم وتخليهم معاك.. وأنا ها أقول لك بكره هتعمل بيهم إيه.. ومهم أوى إنك ما تاخذش أكثر من فلوس التاكسى، وعلبة السجائر.. يعنى فى اليوم مش أكثر من عشرة جنيه.. الفلوس الكثيرة بتلعب فى الدماغ.. وأهم حاجة كمان، ما تتحركش مع ناس مبطلّة أقل من 6 شهور، وما تكلمش نهائياً أى حد بياخذ مُحَنَرَات، ولا حتى تسلم عليه، واللى يزعل، يخبط دماغه فى أى حيط تنعجبه..

واضح؟

- واضح يا حاتم.

- بكره تجيب "بلوك نوت" جديد معاك، عايز واحد كبير، علشان يكفى شغل 12 خطوة.

- أى أوامر ثانية؟

- دى مش أوامر.. كل دى اقتراحات يا باشا.. وأنت صاحب القرار فى الأول والأخر.

- وأنا موافق على كل اقتراحاتك.

- تعجبنى وإنت بتسمع الكلام.

- وأنا مستقيم.

وبعد اجتماع دكتورة عالية سألتني:

- احكي لي.. كريم كان هنا فيه إمبارح؟

- بطلن.. عزيز يقرأ بماغى.

- وعرف يقرأ حاجة؟

- طبعاً لأ.. هو أنا عارف أقرأها، لما هو يعرف!

- مش ذا كريم اللى إنت كان رأيك إنه مش ببجلك؟

- يا عالية مايفعش إنه يقول لى افتح محل أى حاجة وأعد فيه.. هو فاكركى

إيه؟ فى يوم من الأيام ها أنجح وأثبت له إيه غلط فى حقى.

- صدقنى، اليوم ذه هيبقى هو أسعد واحد فى الدنيا.

- أنا عارف.. كريم جذع أوى.. وبعدين أنا جنته.

- كويس إنتك عارف.. ها، حاض ١٢ ركبت شطنتك؟

- لا.. لسه.

- طيب ياتلا بسرعة.. علشان إحنا لسه ما نكتمناش فى الجدول.

- تانى يا عالية؟ لتيلى الجدول وأنا ها لنفذه بالغبطة.. عزيز أعترف لك بحاجة.

- فيه إيه يا صلاح؟

- أنا خايف يا عتبة.. خايف أوى كمان.

- كويس إنتك خايف.. كنت ها أقتل جداً لو مكنتش خايف.

- ها اجنن شطنتى، وأرجع لك.

- ما تتأخرش.

- حاضر.

دخلت إلى القسم، ودائيت صادق:

- سخن كذا يا صادق.. لغاية لما ارتب الشنطة، وانزلك تلعب النبالى.

- مستنيك.

جمعت كل ممتلكاتى وملابسى كلها تحمل رقم ١7، وفيما بعد أصبحت

أقابل بهذا الرقم.. حملت حقبتى ووجدت صادق فى انتظارى، رفض تماماً

اللعب مع أحد، حتى أعود إليه، فقال له جلال:

- هو أنتم هتلبوا على كاس العالم فى الشطرنج؟

رد لسامه:

- على كاس المستشفى العالمى.

لعبت مع صادق أجمل دور شطرنج منذ لعبنا معاً لأول مرة.. ركزت

جيداً فى الثور أكثر من أى مرة لعبت فيها معه، والطريف الثقاف أكثر من

ثمانية شباب حولنا لمدايعة اللعب، ولا أحد ينكلم أو يعلق.. وبدأت أشعر بالثور

وقلت لصديق:

- هتعمل إيه فى الحركة دى؟

- ولا حاجة، بسيطة.

- طيب وفى دى؟

- عادى.

- ودى يا صادق؟

- ها أقول لك متروك.

وقف صادق، وسلم على بقوة، وأخذنى بيّن ذراعيه.. وكان الحضر

جميلاً، وهمس فى أذنى: مش عزيز أشوفك فى القسم دا تانى.. سلّم واللاً لأ.

- هشوفنى.. زيارة بس.

- ياللاً يا فريد.. افتح له الباب.. مش علوزينه هنا تانى.. ياتلا.. أمشى مع

السلامة.. وشنطك ها أبعتها لك بره.

سلمت على كل الناس، وكأنتى مهاجر.. سلمت على أصدقائى

العممين.. على المرضى.. على الحكيمات.. الطهاة.. كل الناس.. وفتح لى

فريد، وخرجت من الباب وحدى..

توجهت إلى مكتب دكتورة إكرام، لأشكرها:

- يا دكتورة.. إزاي حضرتك؟

- أهلاً يا صلاح.. أنتفضل.

- أنا مش ها أعطيك.. أنا جاي أسلم عليك.

- خلاص، هتعمشي دلوقت؟

- كمان شوية.. لما أهلي يوصلوا.. بس أنا قلت آجي أشكرك.. أنا فعلاً استغن من حضرتك كثير لوى.

- أنا عملت اللي عني، ومن غير إنت ما تساعني ما كنتش أعرف أعسل أي حاجة.. بس إنت هتيجي كل يوم.. صح؟

- آه طبعاً.. أنا هنا الأسبوع للجاي كله.

- كويس.. علشان بفضل ممرضين عليك.

وتوجهت إلى نجلاء في مكتبها، وبإستئذان حلوة قالت لي:

- كنت هازعل لوى لو كنت مشيت من غير ما تسلم علي.

- أنا أقدر براضته.. ذا إنت الخير والبركة والتع كله.

- هتوخشني، وهيوخشني كلامك الطريف.

- وأنا ها أروح فين؟ بكره هتلاقيني هنا.

- خلي بالك من نفسك.

- شكراً يا نجلاء.

وبعد التحيات والسلامات، حل موعد الجلسة المهمة مع دكتورة عالية:

- ليه خايف يا صلاح؟

- لأ.. أنا مش خايف.. أنا مزعوب.

- ما تخوفنيش معاك.

- يعني إنت علوزاني أفضل خايف بوحدتي؟

- على فكرة، دكتور ولید كلمني، وقال لي إيه علوزك.

- عايز إيه بس.. ما نسييني في حالي.

- روح قبلته.. ثم إنت وهو خلاص لتفاهموا.

- بين أنا نفسي أفضل قاعد معاك.

- لا لازم لروح بيتي.. ما إنت عارف مواعيدي.. أشوفك على خير إن شاء الله.

- شكراً يا عالية.. إنت أنقذيني.

- ربنا هو اللي أنقذك.. وأنا ساعدتك بس.

- شكراً يا عالية.. عسري ما ها أنسي اللي عملتيه معيا.

ملمنا.. وسارت بعيد في اتجاه بوابة الخروج العملاقة.. إنها إنسانة

رائعة.. ومن يومها أطلقت عليها "إنجل".

وذهبت لرؤية دكتور ولید.. وهناك كانت المفاجأة:

- إيه ده؟ أهلاً.. أهلاً.. ماما هنا؟ وزولا كمان؟

- أهلاً يا حبيبتي.. وصننا، وخلصنا الحسابات، وشكرنا دكتور ولید عني كل

للي عمله معاك، ده دين صفت تسديده.

فقال لي دكتور ولید:

- خلي بالك من نفسك.. وتحضر الاجتماعات يا صلاح.

- حاضر يا دكتور.

- وبالنسبة للمستشفى يا صلاح؟

- لازم آجي أمضي حضور هنا كل يوم.

- تسلم.. ومش ها أوصيك على مامتك وبابك.

قالت رولا بإستئذان:

- وأنا كمان يا دكتور.. من فضلك توصيه على نوامه.

وجدت والدي في انتظارى على باب البيت.. قلت:

- حمد لله على السلامة يا بابا.

- الله يسلمك.. شكك مولود.. هُمّا عسلوك إيه؟

- تعذر نقول رُعطوني.. شُعتُ أنا النهارده 61 كيلو.. احكيلنى.. اتبسّطت فى

رحلتك؟ عملت مُغزل كويّس، واتُفقت على مشاريع جديدة؟

- البلاد جميلة.. والناس هناك بيتشغل، مش يتعب.. الطرف ده لك يا صلاح؟

- فيه إيه الطرف دا يا بابا؟

- جواب.. يوميات وخواطر وانت فى المستشفى.

أخذت جوابى من والدى، ودخلت غرفتى.. تغيرت تماما.. كل الصور

اللى تغطى كل الجدران، لم تعد موجودة، رفعتها لى، وتم إعادة دهان الحائط،

وتغير مكان السرير.. وذارت عندي فى أرجاء الغرفة وشعرت أن كل شىء

يستقبلنى بحفاوة.. وبدت لى وكأنها غرفة جديدة، وعندما فتحت النولاب،

اكتشفت أنه قد أعيد ترتيب كل شىء بداخله.. بنظام وشكله جميل، تبعتنى أمى

كأنها لا تريد أن أغيب لحظة عن عيبتها، وبرقة قالت:

- حبيبى.. بعد تنضيف أوضتك، ورمى كل حاجة مالباش لازمة، ذهنا

العيطان.

- تقيتوا مخدرات 11؟

- لأ.. مفيش غير ورق بفرة.

- يعنى إطمئن.. مفيش أى حاجة فى الأوضة؟ مش ها اضحك عليك، لّا كُنت

قتان من الموضوع ده.. خايف ايدى تقع فى حاجة كدا واللا كدا.

- متخافش.. أنا بتقى راجعت كل "مستشيمر" فى الأوضة والنولاب..

وباللا بينا عشان نتعدى، وتستعد عشان ننزل سوا.

- أنا أكلت فى المستشفى.. ودلوقت أخذ الدش والبس.. ننزل الساعة 6:00

كويّس؟

ابتسم دكتور وقبده فقلت له:

- دا حضرتك اللى توصيهم على يا دكتور.

- يا ترى سلّمت على دكتور سمير؟

- لا.. ها اسلم عليه بكرة.. أصل أنا عايز اسلم عليه ضيف، مش بيم.

- خلى بالك من نفسك يا صلاح.. مش عاوزين أى مُخاطرات.

- ما تَقَلّش يا دكتور.

- أشوفك على خير.. مع السلامة.

- شكراً.

أخذت شططى، وأخرجنا من المستشفى إلى السيارة.. وفى صوت واحد

حنون.. قالت كل من أمى، ورولا:

- يااااه!! حمد لله على السلامة يا صلاح.

إلى حد ما استغربت الموقف وأنا عائد مع أمى وأختى إلى البيت..

كنت هاندأ، لا لتكلم إلا ردأ على سؤال؛ فاتخوف، والقلق والرهبة.. متاع

امتزجت كلها، بعد خروجى من بوابة المستشفى.. خائف، وكنتى مولود صغير،

نخبو فى الطريق.. مولود من أول وجديد.

حنشى قلبى أن أمى عندها تحفظ، لم تعلن عنه بخصوص خروجى

السرير من المستشفى.. ومع هذا، قَبِتها تكلمنى بهسوء فى محاولة لإخفاء

مخاوفها، بينما كانت فرحة رولا بخروجى واضحة.. وسألتنى أمى:

- عندك برنامج ليومك النهارده؟

- عندى اجتماع الساعة 7:00 فى مصر الجديدة.

- أنا أوصلك، ولستاك عند المدرسة، وفرّج سوا.

- بس أنا مش عايز أتعيك يا ماما.

- كذا أكون مطمئنة عليك أكثر.

- ما عنديش أى مانع.

- كويس جدًا.

استقيت على سريرى.. وبدأت أتأمل كل ركن وزاوية فى الغرفتين
كأننى أراها أول مرة، إننى عاشق لكل شيء فى غرفتى.. كل شيء له تذكير
معنى، بعض التذكيرات محبة وبعثت على الفرح.. نظرت إلى السندباد، وبسات
الشرفة، أبعما يطل على بيت حسام، يا ترى هل هو موجود؟ أين هو الآن، وماذا
يفعل؟

يالطيف لن أفتح الشباك، ولن أخرج إلى "البلكونة".. إنها اقتراحات
المشرف التى لنفذاها ككلمات.. الحقيقة أن حاتم كان نقيفاً إلى أقصى درجة،
تذكرت كلمته ورنينها فى أذنى، وفى قلبى ورأسى:
- خليك جوة بيتك.. وما تخلص أى خطوة تتخطيك من جواك.

وكان من اقتراحاته الواضحة والحاسمة أيضاً:

- معنى مثلاً ما تأخذش التليفون فى أوضحك.. عندك مكالمة، أعملها من وسط
البيت.. افكر كويس، وما تتسأش إن إحنا نلوقت ما عنناش أى حاجة تحسبها
تحركت ببطء داخل غرفتى، وفنحت دولا بى لإخراج ملابسى.. هنا
كان مكان الفجاء، وفأفكر مكان اللبوس، يا ترى هل توجد أشياء مخفية بين
الفصل كما تعودت أن أفعل؟ لا.. الحمد لله، لمى فعلاً راحت كل شيء بدقة.
جلسمت وبدأت أقرأ خطاب الوالد:

يوميات بيت غاب عنه أبوه

اليوم الأول

يحاول العائنون من المستشفى أن يسكوا نومهم.. الحزن يدا
قلب السيارة وركبها الثلاثة، فى رحلة الذهاب كنا أربعة والأول نحل ثلاثة..
وصلنا إلى البيت الذى كان يغشاها سكن القبور.. فوق موقف البوتجاز كان هناك
إباء، والنار من تحته مشتعلة.. احترق الإباء بما فيه، وكان يمكن أن يتسبب فى

كارثة، فقد سبقناه قبل الخروج.. ربنا ستر.. لم نستطع أن ننوق شيئاً من الطعام
فكنا فى حالة من السوء، لا يعلمها إلا الله.

يوم الصباح

فى الصباح فتحت غرفة الأبنى للغالب وتطلعت إلى حوائطها، ثم دخلت
وجلست إلى الفراش الخالى، وانخرطت فى اليكاه.. ثم أكن أنرى أن الحياة
تختر لى كل هذا الكم من الحزن والأسى.. كان بهجة البيت ونواثره.. لماذا فعل
بنفسه، وبنا هذا؟ أين كان عقله؟ أين كانت إرادته؟ وذروة العاسة أنه يريد أن
يلصق بنا التهمة، وأن يحملنا مسؤولية خطأ ارتكبه.. وأنا بالذات لأننى أحببته
كثيراً ونلتته.. هل بوجه إلى أنا التوم لأنى أحببت أبى؟

لمسيت

أريد أن أكتب رسالة إلى كل ابن "غاب عقله" ولم يدمر نفسه فحسب،
بل وأسرته ومجتمعه ووطنه.. وحين يكون هذا العقل ذكياً رائعا، ويفقده صاحبه،
سوف يحاسبه الله حساباً عسيراً.. الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "ذكاء
المرء محسوب عليه.. كيف يفرط إنسان فى ذكائه بهذه البساطة؟ إنه كنز رائع،
كيف يتخلى عنه ليعيش فى اليوم؟ ماذا عندما يقيق ليجد أن كل ما حوله
رما ينتظره هو النار؟ إننا لم نشعر فى حياتنا فى هذا البيت بمن هذا الفراغ،
والعقل لا يستطيع أن يفكر بشكل بناء.. عندما كان يسافر لم تكن الأمور هكذا..
أرى هل يسئ بنا الظن، فينصور أننا تخلصنا منه، لتبرئة النفس؟

الأحد

أصبح صباح شغلى الشاغل.. أفتح عيني عليه فى الصباح وأعطيها
عليه ليلاً.. وبصحبى طول الطريق.. وأذكر كيف كانت العمارة كلها تتسبب

الأربعاء

ترددت طويلا في قبول هذه الرحلة.. ترى كيف يكون الأمر وأنا بعيد؟
سأذهب إلى إسبانيا بعض الوقت.. فليكن الله معي.. ومعك.. أعرف أنه تمنى
ولن تخذلني، وستكون رجلا ذا إرادة حديدية بإذن الله، وتقهر المرض مهما
صانفك من عذاب.. دعواتي لك وإلى أن أعود، لكي أجد تقدما يفرحني.

الخميس

بذلت إعداد أوراق السفر وعقلي يسأل: هل حقاً فقدتك للأبد؟ لأن يكون
بإستطاعتي استعادتك؟! هل سأستعيد ابني، ذلك الإنسان القوي الطموح، صاحب
الإرادة، والذي يصمم على الشيء، ويلج إلى أن يحققه.. هل أنتقى بالفضائل
والهزيمة في نهاية العمر؟! أظنك لن ترضى لي بذلك، ولن ترضاه لنفسك.
سنضع أدينا معا، ونمضي معا في طريق يغمره النور.
ليقتل أقتل على التضحية، ولو بحياتي، من أجل أن تخرج من محنتك.. أخرج،
وأخرجني معك.. أرجوك..

إنك في تحدٍ مستمر.

كيف السبيل لكي تصبح وتظل قويا؟

استدعي إرادتك وقوتك.. مازالت الفرصة أمامك.

لا تظن أنني إذا تدهور بك الحال، ووصل بك إلى الأرضة، أنني سأمد
يدي إليك.. لن أعطف عليك، ولن أتعاطف معك، بل سأتركك للموت.. إبحر أن
تستغل لحظات أظهرت فيها عطفاً عليك وتنهى لتضعفك، إذ إنني بحمد الله قوي
في مواجهة عواطفى، وإنى قادر على سحقها وسحق قلبى، قبل أن أخطو خطوة
واحدة تجاه قبول وضع خاطيء لا أرضاه لك، ولا ترضيه لنفسك.. وإذا كنت
قد كافحت معك لكي أحملك إلى المستشفى، فذلك لأن أملا يدفعني إلى ذلك،
لما في حالة فقدان الأمل قبك، سأعتريك قد انتهيت.....

إليه، لا لأصحابها.. يقول أطفال الحي: عمارة صلاح.. وبيتنا أصبح بيت
صلاح، وأمه أصبحت أم صلاح.. أخو صلاح.. وثام صلاح.. أين هو صلاح
الآن؟! السلم يسأل عنه، والباب، والشارع، والبيت.. نريد وجهه الصبح الدائم
ومشيئه المتألقة للشطة وسيارته الأنيقة.. نريده بشدة.. وبالذات اليوم.. يوم
ميلاده.. عيده.. كان يجب أن يمثل الثابت بصلاح وأصدقاء صلاح.. لم يكن
صلاح هنا.. ولا الأصدقاء.. ولا نحن.. لا أحد.. الدموع فلى عيوننا.. فلى
مطبخنا الذي كان يجب أن يحتشد بالنورة، وفي الصلاة التي امتلأت يوما
بباقات الزهور.. وغرفته: إنها خالية.. ليس بها حياة دونه.. لماذا حرمها اليوم
من وجوده؟ لماذا أشاع كل هذا الحزن في المكان بغيبته؟! أين الشموع؟!
والحلوى؟ والأغاني؟ وعبارات: كل سنة وأنت طيب؟

لا.. هو ليس بطيب لأنه فعل ما فعله بالجميع، وفي مقدمتهم نفسه..
لا نريده أن يقسو عليها، لكننا نريده أن يستردها: متألقة.. لن يهنا لنا طعام أو
شراب إلا بعد ذلك: سالما معافى.. الثابت يكي.. عد إلينا شامخا مرفوع الرأس،
كما كنت قبل سنوات.

الآثنين

تحمل المسؤولية في رجولة وشجاعة.. واعترف بمرضك.

الثلاثاء

بنا رغبة في أن نراك.. لقد بدأت رحلة العلاج من مرض استمر
لسنوات، ويحتاج إلى وقت، لكنني معك وبجانبك، سالما المولى عز وجل أن يمد
في عمري لكي أمضي عن الحياة بعد أن أطمئن عليك.

أنت لن تعادى المستشفى إلا سليماً معافى، بئذ الله.

لن تعود إليها مرة أخرى إن شاء الله!

أريدك نظيفاً: عقلاً ودماً وجسماً.. أريدك طاهراً نفساً وقللاً.

يوم السفر

في مطلع الليل، صحت على كابوس رأيتك فيه على أسوأ حال..

وعندما صحت مع العجر نسيت الكثير منه، كما تمنيت.. لقد صمدت في

معارك كثيرة في حياتي، ولست أريد أن لنهار إزاء هذه المعركة.

خدعتني طويلاً.. لا، وألف.. لا.. سأحاول بينك وبين أن تمتد يدك إلي

شيء ليس لك.. ولن أخاف الناس يومئذ، لأنني أريد أن أحافظ على الباقيين، إذا

كنت مُصرّاً على أن تسيء إلى الجميع.

لا تتسرع أبداً في طلب الخروج من المستشفى، ثم تعاود سيرتك

الأولى، ولقولها لك بوضوح: لن أمكنك من ذلك.. مهما حدث، لن يصل إلي يدك

مليم واحد من مالي الحلال لتصرفه على الحرام.

كثيراً ما أسأل نفسي: لمن تكتب هذا؟ هل أكتب هذه الكلمات لتترسأ

نفسى؟ لأساعدك؟ لأهرب من المأساة إلى الورق؟ هل هناك أمل؟!

يارب.. يارب.. يارب..

ذهبت إلى والدي في غرفة مكتبه.. حضنته وقبلت يديه.. كانت أول

مرة أفعلها في حياتي.. نظرت إلي، وقال:

- إنك أكثر واحد حبيته في حياتي.

دخلت إلى الحمام، القفل كمرته أُمي حتى لا أقفل الباب من الداخل،

ومن الواضح أنها فضلت ألا تعيد تركيبه، وبقي الحال على ما هو عليه.. وبعد

للش رجعت إلى غرفتي، وجاعتي رولا بالشيكولاته وابتمامة كبيرة مثل اتساع
السماء، وقالت لي:

- نَوَّرت البيت.. قل لي.. مبسوط؟

- مبسوط.. بن خليف.. أنا عايز أرجع المستشفى ثانية.. هناك كنت مطمئن.

- ليه بن؟ إحنا مش عاوزينك تبعد عنا ثانية أبداً.. من ستين وإست بعيد..

وما صَنَكنا إنك رجعت.

خرجت مع رولا من غرفتي إلى 'الريسبشن'، ونظرات سريعة تأملت

البيت، وسيطر على في هذه الشقائق إحساس غريب، كأنني في غربة، وأن هذا

البيت ليس بيئي، وأنني لا أتحرك فيه بحريتي.. ومع دقائق الساعة السادسة،

قلت:

- ياللا بينا يا ماما ننزل، مش عايز اتأخر على الاجتماع.

- أنا جاهزة.

رعب

خرجت مع أمي.. كانت هي تقود السيارة، وأنا اجلس بجانبها، وكنتني طفل صغير يخرج مع والدته.. كل شيء يوحى لي بأنه ميلاد جديد، وأنني أجد ولادتي وحياتي.

اتجهنا إلى مصر الجديدة، ودخلت الاجتماع في الموعد بدقة، لم ربما قبل الموعد بخمس دقائق، ووجدت خالد يعيد ترتيب القاعة، ويعنونه شادي، ودخلت لمساعدتهما، وضعت الكرسي في أماكنها، وأخرجت كتب 'الممنين المجهولين' ووضعتها على المائدة، وبدأ الاجتماع والمشاركات.. تحدثت قائلاً:

- أنا خرجت النهارده من المستشفى.. وخايف جداً.. كنت يا حارب علشان أخرج من المستشفى، ونلوقت، وبمنتهى الأمانة أنا عايز أرزع المستشفى تاني.. الفلق اللي جوليا رهيب.. دا أنا خايف أعمل أي حاجة في البيت، خايف أتحرك.. الأوضة بتاعتي مرعبة.. كل حاجة فيها بتغترني بالضرب، رغم أن أمي غيرت معالمها.. بس برضه مقيش فائدة.. أنا مش عارف أعمل إيه!! الحمد لله إني راجع المستشفى بكرة.. أنا جالس إن جوليا بركان خوف، وعنى وشك الانفجار.. لسي وصلتي، ومستقبلي بره في العربية لغاية ما يخلص الاجتماع.. إحساس وخش أوي إنها متذبذبة كده.. وإحساس أوحش إن أمي جت معايا علشان تحرسني.. طفل صغير خارج مع مأمته.. دا وأنا عمري 15 سنة كنت عايش مع أصحابي بره البيت.. ما علينا.. مع كل التخبط اللي بتحصل جوليا، أنا يومي ناجح 100%، وعلى رأي المشرف بتاعى أهم حاجة إني مبطل، وأنا الحمد لله مبطل.

بعد الاجتماع، أبدى كل الناس إعجابهم بالصائق بمشاركتي، وقال كل منهم كلمتين لغرس الاطمئنان في قلبي وعقلي، وصارحتني سليم بجملة قوية:

- أنا كنت متخيل إنك بتمش علينا، وماكنتش متخيل إنك حاي اجتماع النهارده، ومش هألفتر أوصف لك سعادتي بيبك أد إيه.. خذ تليفوني، وهات نمرك.. لازم تكلمني بكرة الصبح بنزى، نتركيش سوا.

أسرعت إلى السيارة لإحضار الكشكول الجديد، الذي طلبه حاتم.. ولكنه قال لي:

- بلاش النهارده.. أنا عايز أتعرف على مامتك وأسلم عليها.

وقابل أمي، وقال لها:

- أنا حاتم.. أنا مشرف صلاح.

- إزيك يا حاتم؟ الحقيقة أنا مش عارفة أولك إيه، وأشكرك إزاي؟

- أنا ما علمتش حاجة.. هي فترة صعبة، وكلنا عنقنا أمل كبير إنها نعدى.

- يارب يا حاتم.

- أقترح على حضرتك، من بكرة صلاح ياخذ 10 جنيه في اليوم.. مواصلات، وعطية سجاير، ولو مش كفاية.. مش مشكلة أبدا.. يرجع ماني.

- يعني أسبيته بتحرك لوحده؟

- طبعاً.. حضرتك عملت اللي عليك وزيادة.. وهو لازم بتحرك لوحده.

- أوكيه.. اللي إنت تقوله، أنا ها اعمله.

- باللا يا صلاح.. مع السلامة علشان ما تشعبش مامتك أكثر من كده.

- لا.. أنا مش تغبانة خالص.

- كلمتي يا صلاح أول ما ترجع البيت، ومن النهارده لنا مكالمين فسي اليوم، مش مكالمة واحدة.. واحدة الصبح نصيح فيها على، والثانية بالليل نقفل بها اليوم.. اتفقنا؟

- اتفقنا.. سلام يا حاتم.

- مع السلامة يا طنط.

- أنا مش عارفة أقولك إيه.. وشكرًا مش كفاية لهذا.

- أنا اللي بأخضله دا هو نفس اللي إتعمل معانيه، وهو نفسه اللي صلاح هيعمل
قدام شوية.

- إن شاء الله.

وفى الطريق إلى البيت، حكيت لأمي عن أياي في المستشفى، وعن
الاجتماعات، وكعادتها استمعت إلى باهتمام، وكأنها تحفر كل كلمة في ذاكرتها،
وأحسست أنها تحدث نفسها قاتلة: وداعًا للحرب، والغد خير من اليوم.. وكل منا
دخل غرفته، وفتحت رسالة أوى، وقرأتها للمرة الثانية.. رسالة قوية وخطيرة..
حكى وشرح أشياء كثيرة لم تخطف لى على بال من قبل، ولثانى مرة أركز فى
التوجه الآخر للموضوع، ولوجهة النظر الأخرى.. هو مهندس لا يشغله إلا البناء
والعمار والعمران، وأنا لم يشغلنى إلا الهدم والدمار.. تأثرت بكلماته، وبكيت
كثيرا، بسببها.. وأخذت أفكر:

- إيه اللي أنا عملته ده؟؟ أنا صحيح بهذلت الدنيا.. واستغلّيت حبه أبشع
استغلال.. لما اكلم حاتم، ضرورى لقول له على جواب بابا.. وأسأله أصل إيه
فى الجوابات اللي أنا كتبتها لأهلى، وطنته، والحمد لله على تليفونى، وقال:
- ولا حاجة.. الجوابات دى مش لأهلك.. والإعتذار يحصل وييجى بس مش
دلوقت.. الجوابات دى لك إنت عشان كل شوية تفراها، وتفتكر إنت كنت عايز
تقول لهم إيه من جوّه المستشفى، ولما تطلع برّه، هتعالهم إزاي.. أصل إحصا
بلىسى.. ولازم حاجة تفكرنا.

- أصل إيه يا حاتم فى الخوف اللي جوايا؟

- ولا حاجة.. شعور طبيعى.. كلنا بنخاف.. بكرة ترجع المستشفى، وتقضى
اليوم كله هناك.. وبعد بكرة نتقابل فى اجتماع مصر الجديدة.. هانت معاك
الكشكول، ولنا قعدة مع بعض طويلة شوية، نشوف كنا فين، وإحنا فين دلوقت،

ونعمل جندول اليوم، وجندول لكل يوم.. يالّا أراجع واسك الكتاب، واقرا الخطوة
الأولى بتركيز، واقرا كل المتي كتبتها.. وبكرة بعمل كده تانى.. ويوم السبت بعد
الاجتماع نراجع الخطوة الأولى مع بعض.. إقرا الجوابات قبل ما تمام.

بعد الحديث التليفونى مع حاتم.. نغزت كل ما طينه منى بدوه، وحسواتى
الساعة 11 تناولت وجبة المشاء مع لى، وسعدت كثيرا باتصال كريم من خارج
مصر لتهنئنى بالخروج من المستشفى، والعودة إلى البيت، وعدت لاستكمال
قراءة الجوابات.. قرأت ما كتبتها!!

فى تلك الليلة لم أتم جيدا.. الأرق غير عادى.. وأخيرا نمت.. لم أقم
قبل الساعة الثالثة والنصف، وصحوت الساعة 6:30، ولم أجد من أحاوره
إلا نفسى:

- إيه يا صلاح تصحى بنرى كده؟ وصاحى مقنجل كلك نمت 10 ساعات!!!
بدأت يومى، مثل كل يوم بالدعاء.. قرأت فى الكتاب، وبعد الدش
ارتيت ملابسى، وتناولت إيطارى، وصباح الخير لوالدى والذتى.. والساعة
تشير إلى السابعة والنصف، وأصبحت على أتم الاستعداد للذهاب إلى المستشفى،
ولأول مرة سوف أخرج وحدى.. وحدى تماما.. قالت لى والذتى:
- وأدى 10 جنيه.. تتركب لتوبس من الزمالك للتحريز، ومن هناك نأخذ
المترو، ونرجع بالمترو، وتن غلبة السجائر.
- تمام.

- ممكن نكلّمنى أول ما نوصل المستشفى؟

- حاضر يا ماما.

- ونكلّمنى قبل ما تمضى من المستشفى؟

- حاضر يا ماما.

وعندما وصلت إلى المستشفى، وقفت أمامها، وخطوت إلى بابها،
لخلت.. وكأننى أدخل إلى أحمل مكان فى الدنيا.. هو المكان نفسه الذى تمنيت

الخروج منه بسرعة.. وشعرت وأنا أمشي خطواتي الأولى فيه بكامل إرادتي..
إنني أسعد إنسان في الدنيا بعودتي إليه سليماً، معافاً، دخلت الاستقبال..
وكالمعتاد، لابد من التفتيش.. قابلني صادق قائلاً:

- أهلاً.. أهلاً وسهلاً.. معاك إيه؟

- معاً شطرنج.

- بعثي مفيش مختبرات؟

- مفيش مختبرات.

- اتفضل.

لم يكن التفتيش بدقة، ولكن مجرد أداء واجب.. وأكمل صادق حديثه

معى قائلاً:

- الدكتور وليد قال مش هتعمل تحاليل النهارده.. بس هتعمل يكره.

- يا سلام.. خوفتي.

- ماتشاش ميعاد الصلاة.. النهارده الجمعة، نصلى سوا.

- حاضر.

تحركت في المستشفى كما أريد.. وبكل حرية.. كنت في قمة السعادة،

عندما دخلت القسم، وسلمت على الشباب، وجلست معهم بعض الوقت، وجهراً

إلى الدعوة لحضور اجتماع الساعة الرابعة.

كان اللقاء مع الدكتور وليد لطيفاً، وتحدثت مع دكتورة إكرام عن

الاجتماعات، وعن مشاركتي المستمرة، ثم قابلت نجلاء، وامتدحت أناقتها

وجمالتها.. وكلمات المديح والإطراء تسعدنا، ونتمايل في خجل تمثيلي واضح،

ومن حين إلى آخر كنت أجمالها بكلمات لطيفة، إذ كيف أنسى جهودها في

مساعدتي.

وكنت أهوى مشابعة الممرضات.. ولقد كان الأدب والخلق الكريم
يميزهن جميعاً، ويعملن جميعاً بهمة، ونزعة.. وبكل التصبر مع الجميع عند إعطاء
الأدوية، ومتابعة تعليمات الدكتور والإدارة.

ولم يفتني التوجه إلى مكتب الدكتور سمير، وفي غرفة السكرتارية
انتظرت حوالي 20 دقيقة، ومن الطبيعي أن يحدث هذا، لأنه لم يسبق تحديد
موعد لمقابلته، واستقبلني بحفاوته الرفيعة والراقية:

- إزيك يا صلاح.. هذا.. أخبارك إيه؟

- إمبراح كان أول يوم في البيت، والحمد لله عدتي كويس.

- ممتاز.. والاجتماعات؟

- حضرت اجتماع إمبراح في مصر الجديدة، والنهارده فيه اجتماع هنا كسان
شوية، ذاوي أحضره.. ذاوي أواظب.. مانعنيش أى اختيار ذاني.

- طبعاً منعذكش.. لو عايز تفضل ميطل.

- لفا جيت أشكرك، واسمح لى أعدى عليك كل فترة.. وأوعذك مش ها اعطذك.

- لفا مكتبي على طول مفتوح.. وأحب أشوفك دايماً، علشان أطمن عليك.

- شكراً يا دكتور.. وعن إنذك.

- مع السلامة.. خلى بالك من نفسك.

إنه يعبر عن نفسه بأقل الكلمات، وكان في عقله جهازاً آلياً منظماً،
وكل كلمة محسوبة ولها معناها وفي التصميم.. إنه عالم، ورجل محترم، والجانب
الإنساني لديه يظني على كل الجوانب، بما فيها جانب المكسب المادي من مثل
هذا المشروع، وهو أساساً صاحب ضمير يقط، ويبدو هذا واضحاً في كل
قراراته.

في الموعد، وصل الشباب، وأحسنست استقبالهم كأنهم ضيوفي شخصياً،
وفي جلسة صداقة حميمة، جلسنا نضحك وننتحدث بجدية، حتى بدأ الاجتماع
الذي أداره خالد، وكان "اتقاع" موضوع الاجتماع.

وبدا خالد:

- القاع موضوع جميل.. تشاركنا يا شادي؟

- بصراحة أنا عايز أسمع..

- أمدد؟

- أنا مدمن.. واسمى أسجد.. دا فعلاً موضوع مهم، أنا واحد من الناس اللي معرقتش القاع غير متأخر أوى.. بطلت، وغذيت 90 اجتماع، وكنت لسه مش عارف، ولا فاهم.. ومن مشاركات الناس، تخيلت إن القاع لازم يكون إما السجن أو المستشفى، أو المرض، أو الموت.. فبعت بعد فترة إن القاع بالنسبة لي كان الخوف، والقلق، والرعب، والسواد اللي كنت عايش فيه..

وتكلم سليم في الموضوع لنفسه، وقال:

- سليم.. مدمن.. الحمد لله إن أنا مبطل وموجود وسطكم النهارده.. أنا قاع بتاعى كان واضح وصريح.. ككتوش.. اتمسكت وقضيت أشبع أربع أيام في حياتي.. في الأيام دي ضربوني في القسم ضرب على كيف كيف يا باشا.. لما اتمسكت كان لازم أكون عاقل واسكت.. العصية إني عشت في دور الصايغ، واتخلفت مع الضابط.. طبعاً نزلوا في ضرب وفيين يوجعك.. متبيلى إن القسم كله غشنى تسلبته.. كان فاضل الضابط ينعث الناس التلى حاية تعمل مخضّر ضياع بطاقة أو رخصة قيادة، واحد ورا التاني يمشوا علياً ويضربوني قلمين.. وصرخت بأعلى صوتي: فيه إيه يا جدها؟!! هو كاله ضرب، مفيش شئمة.. وبعدين هو مفيش حد يحيرى في القسم واللا إيه؟ كان ضابط مفترى.. نسيت أقول لكم إني اتمسكت في الماكس، في إسكندرية.. معنى في بك تكية خالص، وأهلى عرفوا بعد يومين.. يومين كارثة.. ببيلة بنت "....." وكان هو ده القاع، وكان السبب إني أراجع نفسي.. وفعلاً ابتكيت أفكر إني لازم أبطل.. وجيت الاجتماعات وسمعت الكلام ونفذته..

ثم شاركت قتلا:

- قبل ما أتكم عن القاع، عايز أتكم دقيقة عن السعادة اللي أنا فيها، وأنا قاعد في الاجتماع هنا في المستشفى.. أنا فعلاً كنت مفتقد الأمان والأطمئنان والهنوء.. لما رجعت البيت، طارقتي هواجس الشئيا، وشعرت بالراحة لما وصلت المستشفى.. بصراحة، أنا مش عايز أبعد عن المستشفى.. هنا مكاني المتبوط... الكرسي اللي أنا قاعد عليه بتاعى أنا.. واستحققه.. أنا ناوى أجى هنا كل يوم الصبح، وأقضى اليوم كله في المستشفى، وبلايل أروح الاجتماع في بصر الحذينة.. أما موضوع القاع، أنا بصراحة لسه مش عارف القاع بتاعى إيه.. بس أعتقد إنه المستشفى.. أو أقدر أقول مينيتيا المستشفى.. واحد مقفول عليه أوضة وصالة لمدة 6 أيام، وبعد كده يروح مكان تلتى، ويكون نعت لمراقبة طول الوقت.. وكل حاجة بحساب، دا حتى مكاتمة التليفون بحساب، التبس يدخل ويقتش، وأخذة بعد التفتيش.. والناس بتعاملني كأني واحد مجنون.. في دى أول مرة أدخل فيها مستشفى.. بس مش معنى كده إني لازم أدخل عشر مرات! علشان أفهم التلى أنا فهمته.. بصراحة، أنا ناوى استغل ذكائى في إنسى أبطل..

بعد الاجتماع وصلنى سليم إلى البيت، وعند الباب قال لي:

- قولك بصراحة، أنا تخيلت إنك هتخرج من المستشفى ومش هاتشوفك تانى..

- بجد يا سليم؟

- شوف يا صاحبي.. الكتاب بيقول ما ينفعش نحكم على بعض.. وإنت قررت تلتى موجود معنا، ودا عكس ما تخيلنا، ولوقت كنا متسوتين منك، وحاسين إنك فعلاً أمين في كل مشاركاتك.. خليك معنا.

إن وقع مثل هذا الكلام المشجع برفع من حالتي المعنوية، وشكرت سليم الذي تحمل عناء توصيلنى إلى بيتى.. وفورا رفعت السماعة وكلمت حاتم

وحيث له تفاصيل أحداث هذا اليوم الناجح، ومدى شعورى بالسعادة لأنسى مبطّل، واتفقنا على اللقاء فى اجتماع اليوم التالى.

لم تكتمل روعة هذا اليوم بسبب عدم لقاء الدكتوراة عالية، فيوم الجمعة أجازتها الأسبوعية.. وفيما عدا هذا، حقا كنت سعيدا، وأعطيت لأمى ما تبقى معى من مصروفى اليومى، ودخلت إلى غرفتى للقراءة قبل النوم.

بصراحة، فى تلك الليلة، وبعد قضاء هذا اليوم الجميل فى المستشفى وزيارتها لأول مرة بعد خروجى عمليا منها استطعت النوم بلا معاناة، واستيقظت مبكرا، وأخذت 10 جنيهات من أمى، وتوجهت إلى المستشفى من جديد. هناك قضيت يوما آخر جميلاً.. وكان لى لقاء مفيد مع الدكتوراة عالية.. بكل الصبر استمعت إلى مخاوفى، وحالة الرعب التى مررت بها، وصارحتها بأن مخاوفى لازالت مستمرة، وحدثتها عن غرفتى التى تغيرت ملامحها، وعن الشباك الذى خشيت أن أفتحه، وأيضاً عن "البلكونة" التى لم أقترّب منها خلال إجازة نهاية الأسبوع.

فى هذا اليوم حضرت اجتماع دكتوراة إكرام، لقد استفدت كثيراً من حضور اجتماعاتها.. ثم تحولت فى أرجاء المستشفى بحرية تامة.. حقا ما أروع الإحساس بالحرية، واليوم أستطيع أن أعلن أنني إنسان حر.

عندما عدت إلى بيتى كانت معى خمسة جنيهات، فطلبت من أمى منحة إضافية:

- يا ماما.. أنا مقيش معايا غير 5 جنيه وعايز 10 جنيه كمان..

- لا.. 5 جنيه بس.. إنت اشتريت سجائر النهارده الصبح.

- إزاي يا ماما 10 جنيه تكفى؟! التاكسى لمصر الجديدة 6 جنيه، والرجوع 6 جنيه، 10 جنيه مش كفاية.

- حاتم قال 10 جنيه، يبقى 10 جنيه.. أنا بانفذ كلام حاتم.

- طيب يا ماما.. وأنا موافق..

خرجت إلى الاجتماع، ودفعت 6 جنيهات للتاكسى، ووصلت فى الموعد، واستمعت بسماع المشاركات، وبقينا بدأت هذه الاجتماعات تؤثر إيجابيا، وتحرك الأفكار فى رأسى بدرجة تصل إلى حد الانسجام والتكيف مع كل شيء جديد، فإنها تصيف إلى، وتعلمنى الجديد الذى لم أكن أعرفه عن النفس، أو عن إدماى.. من خبرة هذه المجموعة التى تجتمع فى القاعة تعلمت كثيرا، بل واكتشفت أجمل شيء فى الدنيا.. إنه ما من أحد لديه مشكلة، وشارك بها الآخرين إلا وتعاونوا فى مساعدته، وربما مر بعضهم بظروف مماثلة، أو واجه مشكلة مشابهة، واستطاع التغلب عليها.. فإنه على الفور وبلا تردد يحكى تجربته، وكيف تجاوز المشكلة، ويقدم له الحل بين يديه، وبكل بساطة.. وبطبيعة الحال، عندما يفكر الإنسان وحده، لن يصل إلى النتيجة أو الحل السليم، مثلما يفكر معه 6 أو 7 أشخاص، وهم جميعا يحبونه بصنق، ومن غير سبب.. حب لله فى الله.

وبعد الاجتماع كالمعتاد جمعتنى جلسة مع حاتم، بدأتها بقولى:

- موضوع الـ 10 جنيه دا مش ها ينفع يا حاتم.. أنا مقيش معايا فلوس علشان أرجع بيتا!!

- إيه؟ فى جيبك كام؟

- 4 جنيه بس.. تصوّر!!

- مخلولة.. خذ أتوبيس لغاية التحرير.. ومن التحرير خذ أتوبيس تانى للزمالك.

- أتوبيس يا حاتم؟

- إيه؟! ماركبتش أتوبيسات قبل كده واللا إيه؟

- طبعا ركب.

- خلىنا فى المهم.. الخطوة الأولى.. وزىنى كتبت إيه؟

قرأنا معا ما كتبتة، وما مر فى حياتى أثناء التعاطى.. ملخص فى

5 صفحات..

وانتظرت تعليقه باهتمام:

طبيب خليفهم 1915

لم يرد وكأنني لم أتكلم، وأكمل كلامه قائلاً:

• نهاية ماتم تنفيذه في آخر اليوم.

• الدعاء والشكر لربنا قبل النوم.

لو عملت المکتوب ده زى ما هو، هتفضل مبطل.. ماتقاصبلش..
وماتكتش.. وما تطنش.. المرض بتاعنا مكار، وخبيث، وقوى.. وعمرک
ما جعزف هو جاتک مدين.. فما ينفش بتدى له أى فرصة يلاعبك.

تقدمت في البرنامج وبدأت قراءة الخطوة الثانية:

توصلنا إلى الإيمان بأنه قوة أعظم من أنفسنا باستطاعتها أن تعيدنا إلى
الصواب.

بعد الجلسة مع حاتم، عرفت من الشباب أنهم مدعون إلى بيت سليم
عشان يلعبوا كوتشينة.. وفهمت من الحديث أنها سيرة كل ليلة بعد الاجتماع..
وعندما وجه لى سليم الدعوة بالذهاب معهم، شعرت بأننى أسعد إنسان فى
النيا.. أنا أصلاً أحب الكوتشينة جداً، لكن الأهم أنهم مجموعة أصدقاء
محترمون، وتمنيت أن يقبلونى صديقاً لهم، وكان فيما يبدو أن لديهم الرغبة
لها، وأن المشاعر متبادلة، ولكن المشكلة أننى لم أقل لأمى..

لكن حاتم جاء بالحل.. وقال:

• أول ما نوصل بيت سليم، كلم مامتك فى التليفون.. لو وافقت خير،
ولو رفضت تأخذ بعضك وأحلى أتوبيس يا معلم.

ومن بيت سليم كلمت أمى، وقلت لها إننى عند سليم، وأعطيتها رقم
شيفونه.. ومعى فلان، وفلان، وفلان، وهى خلال تلك الفترة عرفتهم بالاسم:
واحد.. واحد.. وكانت تطمن عندما تسمع اسم حاتم، وعندما عرفت بوجوده
طلبت منى أن تكلمه للسلام عليه، وكلمته فعلاً، وإن كانت فى الواقع لا تريد فقط
السلام عليه، ولكنها تريد أن تتأكد من صديق كلامى.

• إحنا كده متفقين يا صلاح.

• متفقين على إيه؟

• إنك مؤمن.. وما بتقدرش تضرب.. فميش هاتضرب النهارده.. وعاجز قدام
الإيمان ومش عاجز كبنى آدم.. دى أول حاجة.. وتانى حاجة إن حياتك
انمرت.. وإحنا لازم نينتها من الأول وجديد.. تمام.. اللى بعده.. من بكرة تقرا
الخطوة الثانية، وتكلم الناس تشاركهم فيها.. كل واحد يشاركك بخبرته فى
الخطوة الثانية.. ورأى البلوك نوت.. إيه ده؟ إحنا ماکتبتاش الأساسيات!!
الناحية الثانية من البلوك نوت يكتب فيها الأساسيات:

• الدعاء الصبح أول حاجة.

• القراءة فى الكتاب.

• التأمل.

• تكلم 3 من المجموعة كل يوم، تشاركهم وتتعلم منهم.

• 90 اجتماعاً فى 90 يوماً.. 5 دقائق تأخير، هتعد من الأول وجديد.

• الكتابة كل يوم على الأقل نص ساعة.. كل يوم نتفق هتكتب إيه اليوم اللى
بعده.

• قراءة الجرايد.. على الأقل جريدتين.

• مشاهدة أحداث 24 ساعة.

• تمشى حوالى 20 دقيقة فى اليوم.

• تتفرج على الشوارع وتشوف الإعلانات، وتدينى رأيك فيها.

• مكالمتين كل يوم للمشرف.

• فميش خروج مع حد مش مبطل أقل من 6 شهور.

• ماتسلمش على ناس بتضرب، ولا كأنك شايفهم.

• عشرة جنيهات.

وجاء الاجتماع الذى احتفل فيه بشهر كامل 'تَبْطِيل'.. فقال شادى:

- فيه حد بيتَحْبِيلْ بأى مناسبة النهارده؟

رفعت يدي.. قلت:

- شهر..

تصفيق بحرارة.. وشاركت قائلاً:

- صلاح.. مدمن.. الحمد لله إني هنا.. ومبطل النهارده.. اتعلمت وفهمت معنى

الجملة دى من سليم.. دايما بيتدى بيها مشاركاته.. يااااه!! أنا مش مصدق..

بشهر كامل وأنا فعلاً مبطل!! مش بس مبطل، دا أنا مبطل وميسوط.. مش

ممكن!! دا فعلاً حلم.. حلم بالنسبة لى أغرب من الخيال كمان..

أول حاجة، قبل أى حاجة، أنا مش عارف أشكر الناس الللى ساعدتني

إزاي؟ مهنيا قلت مش ها اعرف أوصف أنا مدين لهم بإيه.. وقفوا معايا..

ساعدوني.. شرحوا لى.. صبروا على.. وصلوني.. أكلوني.. شربوني..

شكروني.. علموني.. فهموني.. أنقذوني..

مش عارف أقول إيه للمشرف بتاعى؟! أشكره إزاي؟! شاركته بكل

للى بينط فى دماغى فشال على دوشة غريبة.. طبعاً الدنيا فى البيت أهذا

100 ألف مرة.. الحريقة إستنطر عليها، والنار أطقت.. فيه آثار دخان، ودا

شئ طبيعى، لأن الحريقة كانت بصراحة جامدة.. العشرة جنبه هاتجنتنى.. بس

مبش مشكلة عارف أتعايش مع الموقف.. حالة أهلى أحسن بكثير.. أمى مش

مصدق نفسها.. أختى رجعت تضحك تانى.. وأخويا فرحان بس خايف.. أما بابا

نور راجل كوميدى، وفى دنيا تانية، وشايف إنى الحمد لله خفيت وبقيت كويس،

وقال لى:

- ما خلاص يا صلاح.. كفاية اجتماعات، ومما تضيعش وقتك أكثر من كده.

قضيت ليلة من أجمل الليالى فى عمرى كله.. ليلة صافية، كلها

ضحك، ومرح، ولعب كوتشينة، وفى موعد العشاء، طلبوا العشاء، واعتذرت

بأننى سأتناول العشاء فى البيت، وحقيقة الأمر أنه ليس معى من النقود ما يكفى

لمشاركتهم فى طلب العشاء.. فكيف أجزؤ؟! لكنهم لم ييخلوا.. عملوا حسابى،

فالوضع بالنسبة لهم واضح ومفهوم.. وتقديراً للموقف، تصرفوا ببساطة مذهلة،

وبشكل طبيعى، وكانهم لم يفعلوا شيئاً غير عادى.. الذى يحدث لى هو ما حدث

لهم من قبل.

تناولت معهم العشاء.. أكلت وضحكت ولعبت بولة "استميشن".. ولأول

مرة منذ زمن بعيد أعيش يوماً جميلاً وطبيعياً وسط مجموعة من الأصحاب..

وأى أصحاب، إنهم مثلى تماماً، خاضوا التجارب نفسها، وأشعلوا الدنيا نيراناً،

ومن قلبى انطلقت ضحكاتى التى استمرت على مدار الليلة، ودون تعاطى

مخدرات.. لقد تعودت طوال الـ 12 سنة الماضية، لعب الكوتشينة وأنا

"مستطول" وفى هذه الليلة، لعبت وأنا يَظ تماماً لكل شئ.. ليس هذا فقط،

وكسبت جولات، وجولات.. ومن بين تعليقاتهم الحلوة المشجعة:

- دا إنت حريف!!

- مش نقول من بتدري!! أهلا بيك عندنا.

- كنا على طول بندور على رابع.. كذا اتحلت.. أصل كل مرة نتجمع، يُبقى

واحد منا مشغول، ونقف على ثلاثة.

قال خالد:

- ياقولكم إيه.. بكره عندى.. وإنت يا صلاح لازم تيجى.. وقول لمامتك من قبل

ما تيجى الاجتماع، وأنيها تليفونى، علشان نتكلم فى أى وقت.. إنيها الأمان

يا معلم.

مرت الأيام.

رحت ألى:

- لا.. لا.. لا.. بلاش اجتماعات إزاي؟ بأقول لك إيه.. خليك إنت فى شغلك، ومشاركك، وسيب لنا إجتا الموضوع ده.
- حاضر.. بس لعاية إمتى!!

استمرت مشاركتى، وكل المجموعة تستمع باهتمام، وأكملت حديثى قائلاً:
- ألى أنا حاسه ونفسى أعمله بعد شهر بتبطل، إنى أمسك بإقطة وأمشى فى الشوارع.. وأقول: يا مدمنين إحنا طفلنا مريض ومش محرمين.. يا ضرييه فيه تبطل.. والله فيه.. وممكن.. وده سهل كمان.. وطالما أنا بطلت، يبقى أى حد عايز يبطل.. خايف.. أصحابى ألى باضرب معاهم ما يعرفوش أى حاجة عن الاجتماعات فى الأوضة الجميلة دى، ولا عن برنامج الـ 12 خطوة.. نفسى أروح لهم وأفهمهم.. جالس إن دا واجب على.. بس المشكلة إنى لازم أسمع الكلام.. وسمعت من كل ألى سقوفى وبطلوا قبلى الحصة دى: ماتكثير دعوة بأى واحد بيضرب، وأحسن رسالة تتلقا وتوصلها له، إنك تبعد عنه وتفضل مبطل، ومش قبل 6 شهور تشوف أى واحد منهم، ولما تروح لواحد من أصحابك ما ينفعش كمان تكون لوحده، لازم تاخذ معاك واحد من المجموعة، ومبطل أكثر من 6 شهور.. ياتمنى.. ونفسى تمر الشهور، وأبقى 6 شهور مبطل عشان أعمل كده، نفسى أصحابى كلهم يبطلوا، بهاء، وحسان، وشريف دول أكثر ناس نفسى يبطلوا.. أصحابى لازم يعرفوا إنى عايش أسعد أيام فى حياتى، ونفسى هم كمان يعيشوها.. أنا بأخذ ربنا وأشكره لأن القرد ابن الس.. للى كان بيتعطل فى دماغى ماحاليش، وما عندهش فكرة ضرب، وفعلاً مثل عايز أضرب.. أنا بصراحة عايش أيام جميلة، فوق دماغى سحابة رايقة، يا رب تفضل على طول.. مش عارف أشكركم كلكم إزاي!! شكرا.

ودوى التصفيق، وانطلقت صفارات التشجيع، وتهليل من كل الأركان، وكان منتخب مصر أحرز هدفاً فى كأس العالم..

ذهبت إلى المستشفى فى اليوم الأول من الشهر الثانى، وزرت كل فرد فى المستشفى، ومررت أيضاً على الدكتور سمير فى مكتبه، واستقبلنى بحفاوته الراحية، ورحب دكتور وليد بزيارتى، وكذلك نكتورة إكرام، ونجله، ولن أنسى فى حياتى فرحة نكتورة عالية بمرور هذا الشهر على خير.. حقاً كانت سعيدة.

وفى المستشفى التقيت مع أمير، زميلى العزيز فى غرفة النوم، فقد كان لديه موعد مع نكتورة إكرام للمدبة.. وكان معه والدته وأخته أميرة.. أحببت هذه العائلة، بعد أن قابلتهم فى قاعة اجتماعات مصر الجديدة.. اصطحبوه إلى هناك أكثر من مرة، لأن أمير يرفض ركوب التاكسى للمجىء لحضور الاجتماعات، وكلما التقينا كنت أناقشه فى موضوع إصراره على الحشيش قائلاً:
- يا حبيبى، الكتاب يقول إن ماينفعش أى مخدرات، يعنى مقبش حشيش.
- أرجوك.. ما تقولش إن الحشيش مخدرات.

- الكتاب يقول إن صحيح فيه فرق بين مخدر والتقى، بس الإدمان واحد.
- ما تبقاش ضيق يا صاصو.. قوتها.. وتعلمك أنا بأشرب بيرة كمان.
- يا ابنى الخمرة مخدر.. يا عم أمير إنت حر.. أنا ماشى بدماع مشرفى.
- المشرف بتاعى كرهنى مش عارف يعمل معيا إيه.
- هو مين المشرف بتاعك؟
- ميلهم.

- ذا أجمل شخصية فى الدنيا.. والله خسارة فيك.
وكان هذا الحوار الدائم بينى وبين أمير، وعندما يحدثنى تليفونياً كنت أكرر له كلامى هذا وبإصرار، وكانت أخته أميرة تحدثنى من حين إلى آخر، نعى وتصارحنى، وتشكو منه:

- إمبارح يا صلاح.. صاحبك أمير رجع الساعة 2:00 وكان شارب، وبابا تخلق معاه، ورد عليه بمنتهى النجاسة، وقال له: أنا بطلت بسودة، وبكسفت معاك.. عايز منى إيه؟

مسكينة أميرة في هذه القصة، وكانت تذكرني بعلاقتي بأختي رولا.

وفي اليوم التالي، وصلت بعد الاجتماع بخمس دقائق لمسيبين: ركبت تاكسي، كان يسير ببطء شديد، والثاني زحام الطريق بسبب موكب الرئيس.. ونزلت من التاكسي في أول الشارع، وجريت حتى أصل إلى الاجتماع في موعدي، وأحضر من البداية، لكن للأسف دخلت وقد بدأ.. كان حاتم من الحاضرين، سلمت بنظرة، ردها بإشمامة لها معنى، هزة رأس.. بعد الاجتماع قلت لنفسي خير وسيلة للدفاع هي الهجوم.. بدأت الحديث مع حاتم قائلاً:

- الطريق كان واقف.. يظهر موكب الرئيس كان مبعثي.

- لا.. ملوش حق، هو ما يعرفني أن حضرتك عندك اجتماع الساعة 7:00 والآن إيه؟

- الظاهر مفيش حد بلغة.

- يا ضريف.. هتجد بكره من الأول 90 اجتماع.

- لا.. لا.. حرام.. مش ممكن يا حاتم.

- تعجبنى وإنت بتسمع الكلام.

ولمعا بدأت العد من أول وجديد 90 x 90.. كان حاتم يرى أن موضوع الحضور في الموعد بدقة، هو موضوع التزام، وانضباط.. وكان هذا درساً من الدروس المهمة.. إنسان غير ملتزم تماماً، لابد أن يتعلم ما معنى الالتزام..

بعد الاجتماع قل لي حاتم:

- وبكره نجيب الكشكول معاك.. عايز أشوف إنت مائسى إزاي، ونشارك الخطوة الثانية.

- بجد؟ بكره الخطوة الثانية؟

- وبكره أول اجتماع في الـ 90 يا معلم.. وياللا بينا علشان نطئ على أمجد.. السهرة عنده النهارده.

ما أجمل هذه السهرات.

استفدت كثيراً من مشاركة الآخرين.. خبرة أمجد وشادي وخالد ورفيق.. ثم كتبت ما ليمته عن الخطوة الثانية وعلاقتي "بقوة أعظم مني"، وأنها ذرة أن تعينني إلى صوابي، وشاركت مع حاتم الخطوة الثانية، ومائلتي:

- يا ترى فيه قوة أعظم منك ميخياك ميظل يا صلاح؟

- أه طبعاً.. ربنا.. الاجتماعات.. المشاركات.. المشرف.. الناس اللي لى برنامج.. الكتاب..

- فهمت إيه من الخطوة الثانية؟

- فهمت القاع بتاعى.

- إزاي يا صلاح؟ اشرح لي.

- القاع بتاعى مش المستشفي بس.. لا.. القاع بتاعى هو غم الصواب.. هو لجلون اللي أنا كنت فيه، ماكناش ينفع يستمر.. هو ده القاع بتاعى.

- فهمت إيه كمان؟

- إن ربنا وقف جنبى.. ولازم أشكره.. بس مش عارف أشكره إزاي؟

- أشكره بالطريقة اللي تعجبك.. المهم نشكره.. اللي بعده.. الخطوة الثالثة يا معلم.

- إيه ده؟ بس كده؟ هي دي الخطوة الثانية؟

- أيوه هي دي.. مش كيمياء.. نقرأ كل يوم الخطوة الثالثة.. ونشارك الناس بالمواقف اللي بتحصل في حياتنا ونطبقها على الخطوة الثالثة.. نفس اللي عملته في الخطوات الأولى والثانية.

- تعلم يا أهنم.

نبأ أليم

سارت الأمور بسلاسة، نحضر الاجتماعات، ومعها نلعب كوتشينة عند بلهم أو عند أمجد، وأحياناً يأخذنى أحد الأصحاب فى سيارته إلى بيتى، وأحياناً أحدهم يعطينى جنيهين ليكمل المبلغ الذى معى وأمكن من دفع التاكسى، وأحياناً يعطينى أحدهم سبجارة أو اثنتين فى آخر السهرة..

لم يعكر صفو السعادة والهدوء إلا محادثة تليفونية ذات صباح من أحد الأصحاب الممننين، المسجلين فى القائمة السوداء، والمفروض ألا لقاهم أو تعامل معهم فى هذه الفترة للحساسية، قال:

- صلاح.. إزيك؟ أنا يحيى.

- إزيك يا يحيى؟

- بالقولك إيه يا معلم.. فيه بيسه سم.. مش عايز؟

- لا يا يحيى.. أنا ميطل.

- كويس.. طيب نو غيرت رأيك كلمنى؟

- لا.. مش عايز.

- أنت ميطل إزاي؟

- لو عايز تبطل.. اتبيلك نمرة تليفون حد ممكن يساعدك.. أنا مش ها أقتر.

- لا.. لا شكرًا.. لما أعوز ها أكلّمك.. طيب باللا سلام.

وضعت السماعة.. وكانت الساعة 11:20 صباحًا.. فوراً تصيب جسمى كله عرفاً.. خفت، وزلزلنى الرعب.. لقد قاتلوا لى فى مثل هذه المواقف اتصل بالمشرف فوراً، أو أحد الذين يحضرون الاجتماعات فى فترة تعافى، لا تقل عن 6 شهور.

مررت الأسابيع الثلاثة الأولى من الشهر الثانى، وحرصت على الوصول فى الموعد، بل قبيل الموعد بربع ساعة، وأساعد فى تنظيم القاعة.. وتوزيع الكتب على المائدة.. طبعاً.. لقد وعيت النرس جيداً.. الموضوع جد، ولا يحتمل الهزار.. تأخير دقيقة قد يكلفنى إعادة 90 اجتماعاً من الأول.

كلمت حاتم، ولم أجد في البيت، ولم أجد في المكتب.. ثم كلمت خالد،
والحمد لله، وجدته في المنزل:
- إزيك يا خالد؟
- تمام.. إنت عامل إيه يا صلاح؟
- زفت.. كلني دلوقت واحد صاحبي ضريب.
- وبعدين؟
- قفّلت معاه، وكلمت حاتم.. مش موجود ولا في البيت ولا في المكتب،
كلمتك.. أنا خايف أوى.. ومش عارف المكالمه معاه مشيت إزاي.. كلني مش
أنا اللي بينكلم.. كان واحد تاني.. قال لي فيه بيسه سيم، ماسألوش ملين
ولا بكلم.. بس قلت له أنا مبطل.. أنا خايف أوى يا خالد.. مش عارف أعصل
إيه؟ أنا بانرّض وعرقان.
- إهدأ بس.. واستمعني كويس.. الساعة كام دلوقت؟
- الساعة 11:30.
- كويس.. أنا مش عاجزك تبطل يوم.. أنا عاجزك تبطل ساعة واحدة يغنى
لغاية الساعة كام؟
- لغاية السعة 12:30.
- تقدر تبطل في بينك ساعة واحدة بس، والساعة دي تفضل مبطلها؟
- أقدر يا خالد.
- أول حاجة هتعملها دلوقت تقرأ في الكتاب.. تقرأ من المدمن؟ وماذا يمكنسى
أن أفعل؟ يغنى لمدة 10 دقائق مش أكثر.
- طيب وبعدين؟
- دولاب الجزم، ننخل عليه وتنصف كل الجزم.
- جزم إيه بس؟
- إسمع الكلام.

- حاضر.
- وميتساش تاكل شيكولاته، عندكم شيكولاته في البيت؟
- أه عيننا.
- جلو.. عمل التلات حاجات دول لمدة ساعة، تاكل شيكولاته وتقرأ في
الكتاب، وتغدين تنصف الجزم، وكمال ساعة تلاقي بالكلمك.. وما تخرجش من
عندك.
- حاضر.. والله ما ها اتحرك.
أكلت الشيكولاته، ونست أنرى لماذا اكلتها بسرعة.. وأعجبنى طعمها،
وكأنني لم أذق طعم الشيكولاته منذ سنوات.
فتحت الكتاب وقرأت كما قال خالد.. قرأت لمدة 10 دقائق، ثم بدأت
في تنظيف الأحذية، وبعد تنظيف زوجين أو ثلاثة من الأحذية، شعرت أنني أكثر
هدوءاً، وانشغلت تماماً في عملية تنظيفها، ونسيت ما حدث لي منذ نصف ساعة
أو أكثر قليلاً، والساعة 12:10، بمعنى قيل أن تمر ساعة على حديثي التليفوني
مع خالد.. سمعت كلاكسات سيارة.. وكأنني لم أسمع.. الجين سيد الأخلاق..
جلست في مكاني.
وبعد دقيقتين بالضبط سمعت جرس وطرقات على الباب.. ولم أصدق
عيني.. معقول!! خالد!!
- طبعاً خالد.. إنت ليشه لابس البجامة؟
- هو أنت قلت لي إنك جاي؟
- بالأسرع.. البس وتعال معيا.
تُسرع.. أخذت دش لعلني أفيق من الدحول من موقف خالد الرجولي..
ما هذه "الجداعة"؟ إلى هذا الحد يشعر بالمسؤولية؟ أبست، واستعدت للخروج،
وقلت له تعبيراً عن امتناني لشهامته ونيل أخلاقه:
- مش عارف أشكر إزاي يا خالد.

- على إيه.. أنا كنت فى البيت وطروفي سمحت لى إبنى اعدى عليك.

- الحمد لله إنك كنت فاضى.

- بصراحة يا صلاح.. أنا شايف إنك بتحاول وتعمل اللى عليك، فحسيت إسى لازم أساعدك.

- شكرا يا خالد.

- يا عم خلاص.. كفاية شكر.. إيه رأيك فى بولة على الصبح؟ بعد ما قفلت معايا كلمت شادى وسليم، وقلت لهم على الفيلم اللى حصل لك، وإن أنا ها أعدى عليك، آخذك ونزّل عليهم على طول.

- بولة اصطلاحه* يا معلم.

- صلاح.. إحنا محتاجين نغير اللغة القديمة، فاهم قصدى؟

- فاهم يا خالد.. بس تصدق، موضوع تنضيف الجزم عمل شغل جامد جدًا.. والألأ الشبولاته.

- إنت فاكّر أنا كنت باقولك أى كلام وخلاص؟! فعلا الواحد فى المواقف الصعبة بيحتاج سكر، وموضوع الجزم يضحك.. الواحد بيسرح فيها.. وبسبى شوية.. المرة الجاية توضع الدولاب.. الميم تخرج من تفكيرك.

- لعلمك أنا دخلت على جزم بابا.. تصدق من كام شهر كنت هابيعهم لبشاع الروبابكيا.

ذهبتا إلى سليم ومر اليوم بنجاح 100%، وحكيتا فى الاجتماع عن الموقف الصعب الذى واجهته.. وشاركت قائلا:

- أهم حاجة طلعت منها من موقف النهارده، إن أنا مش لوحدى.. وناسى حاجة: إنى ماضى ريتش.. وثالث حاجة: إن كله بيعدّى لو سمعت الكلام..

وزى الكتاب ما يقول: "الطريقة الوحيدة التى تحول دون العودة إلى الإدمان التشط هى ألا تتعاطى تلك الجرعة الأولى من المخدر".

احتفلت بمرور شهرين، وعشت خلال تلك الأيام تحت أجمل سماء فى الدنيا.. سماء التّطليل، والهدوء والسكينة..

وفى صباح يوم من الأيام جاعنى اتصال تليفونى.. فهزنى، وزلزلنى..

كان من أميرة أخت أمير، زميلى العزيز فى غرفة النوم بالمستشفى.. هزنى صوته الباكى من الأعماق، قالت:

- أمير يا صلاح.. أمير.. مات.

- بتقولى إيه يا أميرة؟! يعنى إيه؟ إزاي؟

- لقوه فى العربية فى شارع صلاح سالم، وجنبه حُفّة.

- لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.

بكيت بحرقة.. صورته لم تغب عن عيني لحظة منذ سمعت النيا الأليم.

ذهبت إلى الاجتماع، وعرفوا جميعًا هذا النيا، وتقبلت العزاء فى

صديقى أمير.. شريك الأيام التى أمضيناها معًا فى غرفة واحدة.. هو أمير حقًا،

وله نصيب كبير من اسمه، والكل يعرف كم كنت أحبه.. واستمعت إلى مشاركة سليم:

- بعد إنكم دقيقة سكون على روح أمير..

أكمل حديثه قائلا:

- الموقف صعب.. كلنا بنحبه، وأنا كنت مشرف أمير، وقريب منه جدًا.. وفعلًا

كنت خايف إن اليوم ده بيحى، بس الطبيعى إنه كان لازم ييجى.. أمير كان عنده

تحفظ على البرنامج فى موضوع الحشيش والبيرة، وطبعًا رجوعه تاتى لكل حاجة.

* كُتب رقم 22، زمالة المنتمين المجولين، مرصفاً فى زمالة المنتمين المجولين، فن نيوز،

كاليفورنيا؛ زمالة المنتمين المجولين، 2005.

* كلمة تُطلق على تعاطى مخدرات فى الصباح.

الشك

بدأ موضوع العلاقات العاطفية يشغلني، وكنت أسمع ردًا واضحًا: المفروض عدم الدخول في أي علاقة جديدة، قيل أن تمر سنة كاملة على التَّبْطِيل.. لكن لا أحد منا اقتنع بهذا الحظر، والأغلبية كانت في لهفة للتربط بعلاقة عاطفية، وبسرعة.. بل إن موضوع الجنس يصبح الملاذ الوحيد، إذ إن الكوب التي كانت مليئة بالمخدرات، فجأة أصبحت فارغة تمامًا، ولابد من ملء هذا الفراغ بشيء ما.. وبالنسبة لي شخصيًا فقد ملأت الفراغ بالقراءة، والكتابة، والاجتماعات، والمشاركات الحية في كل اجتماع، ولعب الكوتشينة مع الأصحاب.. ومع هذا ظل هناك بعض الفراغ.

وبعد أن احتفلت بمرور شهرين على التَّبْطِيل، رفعت سماعة التلفزيون، وكلمت مريم، وقلت لها إنني 'بطلت' منذ شهرين، ولكن الرد كان غير متوقع بالمرّة بالنسبة لي:

- وإيه يعني.. ما أنت بطلت أكثر من شهرين قبل كده.

- أنا أتغيرت يا مريم.. ومبطل.

- إنت مش ممكن تفضل مبطل، وأنا عارفة إنك هترجع تأخذ تاني.. الموضوع موضوع وقت.. مش أكثر.. ومن لفضلك ما تتصلش مرة ثانية.

لقد شعرت بحزن عميق، يا خسارة.. تمنيت أن تفهم وتقدر الموقف هذه المرة.. ولكنها للأسف لم تفهم.. ولم تقدر.. وقررت أن أحترم نفسي، وأحترم رغبتها، ولا اتصل بها مرة أخرى، ولا أخرج نفسي أكثر من هذا. تكلمت مع حاتم، فطلب مني أن أُرْجِي الحديث، وأنا قريباً سوف نناقشه معاً.

وشاركك بصعوبة:

- أنا وأمير عشنا مع بعض 3 أسابيع في نفس الأوضة.. كان طيب أوي، وراجل، وكان دائماً يقول لي أنا مش بأذى حد، أنا بأذى نفسي بر.. لا مش صحيح يا أمير.. إنت أنتينا كلنا.

طبعاً بعد سماع هذا الخبر الحزين، كنت في حاجة حقيقية إلى رؤية الدكتورة عالية.. وذهبت إلى المستشفى في اليوم التالي، والسؤال الذي ظل يلح في ذهني: هو ليه أمير مافهمش؟

وبعد مناقشة الحدث مع دكتورة عالية، اقتنعت أن ما حدث له كان اختياره، وأن التحفظات التي وضعها أمير بالتنمية لبرنامج، كانت هي السبب الأول والأخير لوفاته.

وشرحت لي دكتورة عالية أن البعض منا يحتاج إلى متابعة من أخصائيين ودكاترة؛ لأن ما مررنا به كان صعباً ومؤلماً، وأن أمير لم يلتزم بذلك..

ولم يغب وجه أمير عن غيبي أياماً.. أثر رحيله على قلبي تأثيراً ثقيلاً، وظل هذا الإحساس معي لفترة طويلة.. دون شك.. فإن تلك الأيام التي قضيناها معاً في المستشفى لها ذكرياتها التي لن تمر، بل تظل في خاطري، ولن أنسى أمير طوال عمري كله.

الله يرحمك يا أمير.

بعد مرور ثلاثة شهور تقريباً من التبطيل والسعادة بالنجاح الذي وصلت إليه.. لن أنسى أن أحكى عن التجربة التي واجهتها بعد حوالي 40 يوماً من التعافي.. ذات يوم، وفي أحد الاجتماعات، كان خالد هو السكرتير، والمعتاد أنه يطلب من شخص ما إدارة الاجتماع، وفجأة ودون سابق إنذار قال:

- يا صلاح.. ممكن تدير الاجتماع؟

- أفنتم؟! أنا لدير الاجتماع؟! لا.. لا.. لا..

- ولية لا.. أنا السكرتير، وبارشحك لإدارة الاجتماع.. كل حاجة مكتوبة، وإنت حضرت أكثر من 30 اجتماع، والتهارده إنت الحمد لله مبطل، فمن حقى إبنى أختارك لإدارة الاجتماع.

- أخاف يا خالد.

- تخاف من إيه؟ وحتى لو غلطت.. إيه يعنى.. باللا.. فاضل 5 دقائق.. ضبط نفسك واستعد.

وقفت، ودرت حول نفسي، وقلت لنفسى:

- يالها من مسئولية!! أنا أقعد على كرسي الرئاسة، وفي الاجتماع عملاقة فى القاعة: أمجد، شادى، سليم، توفيق، خالد، حاتم!!

الحقيقة، الانتماسة الكبيرة التى كانت على الشفاه، ساعدتنى.. وهذأت قليلا، لكن العرق لازال يتصبب..

وهذأت أكثر، وأكثر مع أول مشاركة من أمجد.. أراد بنبله أن يشجعنى بمشاركته.

مرّ الاجتماع على خير، وكان رائعاً، وأحلى ما فيه أن كل فرد شكرنى بصنق بعد انتهاء الاجتماع لحسن إدارتى.. منتهى الخلق والكرم منهم جميعاً.. وتقبلت كل هذا شاكراً بتواضع حقيقى.

أود أن أحكى عن موقفين مهمين، واجهتهما فى تلك الفترة الحليمة من حياتى.. أول موقف كان مع أمى: مرت الأيام وذات يوم عنت إلى البيت بعد

يوم طويل قضيته فى الخارج.. كنت مجهداً، فقد خرجت فى الصباح الباكر، وذهبت إلى المستشفى، وبقيت هناك حتى جاء موعد اجتماع المساء فى مصر الجديدة، ورجعت البيت حوالى الساعة 11:00 ليلاً.. حقاً كنت متعباً بعد هذا اليوم الطويل، ووجدت أمى فى انتظارى، وسلمت عليها، وفاجأتنى بقولها:

- إيه ده؟ إنت واخذ مخنّرات؟ أنا عازقك كويس.. أنت شككك مش مطبوط.

أمام هذا الاتهام، وقفت مذهولاً.. ماذا أفعل الآن؟ وبهدوء قلت لها:

- لا طبعاً.. أنا مش واخذ مخنّرات.. مخنّرات إيه؟

- لأ.. واخذ.. ولازم أعمل لك تحليل دلوقت.

- ماشى.. أنا موافق ولو طلعت مش واخذ هتغملى إيه يا ماما؟

- هى المصيبة إنك فتطلع واخذ.. وباللأ على المغفل حالا.

- حاضر.. وأنا جاهز يا ماما.

- اليس وننزل حالا.

فى مثل هذه المواقف العصيبة، نصحونى بالاتصال بالمعشرف فوراً، وأحكى له الموقف، وأسأله رأييه.. وكيف أتصرف:

- الو يا حاتم.. شفت التلى حصل؟!

- خير.. فيه إيه؟

- أمى شكت فى التهارده!! قال إيه أنا ضارب.. شفت؟! يعنى ميعطس ومش دافع.. يعنى أروح أضرب وأبهدل الدنيا علشان تستريح؟!

- بالراحة يا صلاح.. عايز أسألك سؤال.. العشر سنين التلى فأتوا كنت بتعمل إيه؟

- ياضرب.

- كويس أوى.. يبقى مستغرب إيه؟ ما هو الطبيعى فعلاً إنك تكون ضارب دلوقت.. وأنتك مش ضارب هو ده التلى مش طبيعى.. أنا لو منك أتصرف

بطريقة ثانية خالص.. أروح حالا لأمى وأقول لها باللأ بينا على التحليل..

لو طلع إيجابى، ما بقدرش نتكلم ولا كلمة واحدة.. ولو طلع سئى، تمام، موقفنا سليم، وبندى نبني طوبة زيادة فى الثقة اللّى بينك وبينها.. الثقة انتهت يا صلاح، ومحتاجين نبنيها من أول وجديد.

- لك حق.. أنا ها أعمل كده فعلا.. سلام.

- باللا بينا يا أمى.. أنا جاهز.

- مفيش تحبيل خلاص.. أنت مش واخذ حاجة.. أنت كويس.. المشكلة فى أنا.. عينيّا هى اللّى مش مخطوطة.. شفتك مجهود وتعبان.. ومش قادرة أصدق إنك فعلا ممكن تكون مبطل.. ماتر عتش، غصّب على والله.. أنا لى غدرى.

عزّزت أمى، وقبّلتها.. فأخذتلى فى أحضانها.. ولفنا على الخروج معا والقيام بجولة فى الهواء، ونزلنا، وأكلنا "إيس كريم" وعدنا وهى فى قمة السعادة.. وبمجرد عودتى، كلمت حاتم، وحكىّ له ما حدث، شعر بالارتياح، وقال:

- شفت الموضوع بسيط إزاي؟!!

بعد شك أمى وما حدث جاءت الفرصة أن أحدى لعالية عما حدث، فأن أعلم جيدا أن لها تفسيراً لكل شيء يحدث حولى، فقالت لى:

- المرض يا صلاح بيمتد جوه البيت، والكل بيصاب، بس بطرق مختلفة.. العلق والخوف والتوتر وعدم الثقة والاكئاب واليأس.. كلها أشكال مختلفة من المرض.. علشان كده مهم أوى إن الأهالى كمان حذّ بساعدهم.. اللّى بيعتدوا به مش سهل.

- نساعدهم إزاي؟

- هما كمان عندهم برنامج من 12 خطوة.

فى نفس الأسبوع، فاجأتلى أمى بخبر جميل، بعد اتفلقاها مع والدى على إصلاح سيارتى اللّى كانت محجوزة فى الجراج.. اتفلقا على القيام بجولة لشرء

قطع الغيار لإصلاح السيارة بأحسن صورة، وكانت هذه أول هدية منهما بعد التنطيل.

أكثر ما أسعدنى فى هذا الخبر، أنه لأول مرة تتحقق لى أمنية من الأمنيات دون إلحاح أو "زن" مستمر.. هذه المرة، كان احتياجى للسيارة واضحاً، وقد تعبت فعلا من ركوب التاكسيات والإتوبيسات، وكلاهما اتفق على تنقيذ قرارهما بسخاء حقيقى، وفى أسرع وقت ممكن.. كان من المهم أن يأتى هذا القرار منهما، ودون طلب منى.

والجديد أيضاً بعد 3 شهور تنطيل، كان من حقى أن أتولى المسؤولية، وأصبح سكرتيراً للاجتماعات.. والسكرتير من مهامه استلام الكتب والكتيبات وتنظيم القاعة، وشراء متطلباتها كلها مثل: الشاي والنسكافيه، والأكواب، واللين، وأسلم الميزانية فى يدى.. وهذا فى حد ذاته نقطة تؤكد الثقة القوية من المجموعة اللّتى تلتقى فى تلك القاعة، ولم يعترض أحد.. حصلت على الثقة بالإجماع، وبصراحة كانت هذه فرصة لأن ينال خالد حقه فى الراحة، فقد أمضى 4 شهور سكرتيراً من غير أى مساعدة، وكنت ودياً أساعده.. وبعد أن شكرنا خالد على مجهوده لمدة 4 شهور، توليت المسؤولية كلها.. والحمد لله منذ الاجتماع الأول، ودون مجاملة أعلنوا أننى تحمّلت المسؤولية، فى سهولة ويسر ونفعتها على أكمل وجه.

استطيع أن أقول، ويكل التصق، إن الثلاثة شهور اللّتى مرت، منذ عرفت طريقى إلى هذه لقاعة، وهذه الاجتماعات، كانوا من أجمل الأيام اللّتى مضت من عمرى، وعلمت جيدا لماذا يطلقون على هذه الفترة: حياة السحابة الوردية أو "البمبى"، ولا شيء يهم فى عالمى ودنياى، إلا لأننى "مبطل" وأحضر الاجتماعات، وأشارك الأصدقاء.. فنحاور، ونضحك ونسهر معاً، ونلعب كوتشينة، وأعود إلى بيتى وغرفتى هادئاً مطمئناً.. حقاً.. الدنيا وردية وجميلة.

مرت الأيام.. وكان الموقف الثاني مع حاتم، يوم جاعني بعد الاجتماع،

وقال لي:

- تعال يا صلاح.. عاوزين نتكلم شوية مع بعض.

- خير يا حاتم.

- إنت مبطل من أد إيه؟

- 3 شهور و11 يوم.

- تعجبني وإنت بتعد بالأيام.. عندك مسمى في؟؟

- لا.. ماعدنيش.

- وناوي تشغل إزاي وإنت ما غنكش مسمى في؟؟ أنا عارف إنك الأيسام دي عايش أجمل أيام، بس لازم نفهم إن الحياة مش هاتستمر كده.. السحابة بتمشي.. أوغنى تفكر إن الحياة بتبطل، واجتماعات، ومشاركات، وكوتشينة.. لا.. الفترة الجاية الأولويات هتتغير وتتطلب بشكل مختلف.. نسبة حضور الاجتماعات هتقل شوية.. الشغل والمستقبل أهم حاجة.. لو إنت فاكّر إن أنا ناوي لأساعتك في التبتطيل بس، تبقى غلطان.. أنا مهمتي كمان أحطك على الطريق المظبوط علشان نبتدي بنبي لك مستقبل، ونتجح في حياتك، ويبقى لك لازمة في الدنيا.

- إيه المطلوب مني؟ أنت تخطط، وأنا أنفذ.

- أول حاجة هتجيبني البيت يوم السبت الجاي، نكتب الـ مسمى في: سواء ومن النهارده عليك بالجزاير، وبالذات أهرام الجمعة.. بينشر إعلانات شغل كتيرة، نقص كل إعلانات الشغل، نقرأها ونراجعها كويس، ونشوف إيه المناسب منها، وبعد ما نخلص الـ مسمى في" نبعثه، وربنا يسهل إن شاء الله.

- اتفقنا.

فعلأ عملنا السيرة الذاتية، وراجعت الصحف، وعملت ملفاً من إعلانات الوظائف، وأرسلنا الـ مسمى في" لشركات كتيرة، ومنها شركة علاقة تعمل في

* سيرة ذاتية.

مجال الكمبيوتر، وسمعتها ممتازة.. وحددت الشركة احتياجاتها في الإعلان: مطلوب خبير في المبيعات والتسويق.

كان هذا الإعلان بالذات مناسباً لقدراتي وخبرتي في البيع والتسويق.. إنها فعلاً الوظيفة التي أحب أن أشغلها وقتلت لنفسى: ذا أنا بيباع نمرة واحد.. ذا أنا بيعت كل حاجة وصلت إليها يدي.

قمت بعملية استطلاع ودراسة عن هذه الشركة، واكتشفت أن أصحابها عائلة كبيرة، وأولادهم من جيلي، وكانوا زملائي في المدرسة نفسها، منهم أكبر مني، ومنهم أصغر مني.. وكنا نشارك معاً في الفرق الرياضية في المدرسة، وفي النادي.. إذا لو تمكنت من تحديد موعد للمقابلة، فقد كنتى بأحد هؤلاء الزملاء.. زملاء المدرسة.. لكن من؟ است أدري.

لم أتردد، واتصلت بأرقام الشركة التي وردت في الإعلان، وكانت المفاجأة أن مدير المبيعات هو فيصل، صديق من النادي، وعائلياً، تربط والسده ووالدته صداقة قديمة وقوية مع والدي ووالثتى.. طبعاً هذه المعلومات تبعث على الاطمئنان، وفي أغلب الظن هذه الوظيفة من نصيبي..

وبسرعة مذهلة حددوا لي موعداً للمقابلة يوم السبت الساعة الحادية عشرة، وسألتني السكرتيرة:

- يا ترى الميعاد مناسب؟

- مناسب جداً.

وفي اليوم التالي، يوم الخميس صباحاً، فاجأني والدي بأن أحد الفنايق العالمية، قد اتصلوا بليفونيا وحددوا لي موعداً للقاء يوم السبت الساعة العاشرة.. وتركت السكرتيرة رقم التليفون لإبلاغهم بالموافقة أو تغيير الموعد.

أدهشني الموقف.. فإنا لم أبعث مسمى في" لهذا الفندق، ولا أعرف أحداً هناك.. وموعد العاشرة صباحاً لا يتناسب مع موعد شركة الكهرباء.. ولم يكن هناك مقر من تأجيل الموعد.

اتصلت بالمكرثرة، وصارحتها بالموقف:

- أنا باعتر عن الميعاد الساعة 10:00، مُمكن يتأجل إلى الساعة 1:00؟

- دقيقة واحدة وأرد عليك.

وعادت بالرد:

- "أوكيه".

- الساعة 1:00 بالخطبط، هُكون موجود.

وجاء يوم السبت.. استيقظت منتعشا، دعوت، وقرأت، ولبست ملابس رسمية.. وكلمت حاتم، فقال لي:

- توصل يا صلاح قبل الميعاد بربع ساعة، وتتكلم بمنتهى الصنّق والأمانة، وتسبب الباقي على ربنا.

بعد أن سمعت الوصايا العشر من حاتم توجهت إلى الشركة، ووصلت الساعة 10:30، وسألت على صديقي فيصل، واستقبلني في مكتبه بخفاوة، وحكىنا ذكرياتنا في النادي والفرق والرحلات، وشرح لي أيضا طبيعة العمل في الشركة، وطمأنني بأنني الشخص المناسب للتوظيفة المطلوبة.. وشعرت بالراحة لكلامه، واستبشرت خيرا، وفي تمام الساعة 11:00 قابلت هاني ابن صاحب الشركة.

تذكرني فورا عندما رأيته، رغم أنه أكبر مني بسنتين دراسيتين، ولكنني كنت من أشهر تلاميذ المدرسة بسبب مغامراتي اللاتهابية، والتي كانت مثار الحديث للزملاء في كل الصفوف، بل وحكى لي إحدى السوادس التي لا ينساها.. كان حديث الذكريات هائلا، ودودا ولطيفا، وسألتني عن دراستي، ورحلاتي للخارج، وعن عملي في الماضي ثم قال:

- بمنتهى الصراحة يا صلاح، أنا باندور على ناس عندها أي خبرة في مجال الكهرباء.. ولت متأكدش أي خبرة خالص، بس إحنا في خطتنا نهجز جيل

جديد، ونعمل دورات تدريبية، ساعتها نقدر نكلمك تبجي تحضر الدورات علشان نتعلم، وفي الحالة دي نقدر تشتغل معنا.

- مقيش مشكلة خالص.. بس إمتي الثورات دي؟

- علشان أكون صريح معاك، مش قريب، بس ذا موضوع في خطة الشركة، ولوعذك إنك تكون أول الناس المرشحين لحضور الدورات دي.

- متشكر، وأنا في انتظار ميعاد الدورات.

مررت على مكتب صديقي فيصل، وحكى لي ملخص اللقاء، مما أدهشه كثيرا، وطلب مني أن أصبر بعض الوقت، ووعد أن يراجع الموقف مع هاني، ويتصل بي ويصارحني بكل شيء.

خرجت من الشركة أسفا وحزينا، وأكلم نفسي قائلا:

- زميلي.. زميل المدرسة يعمل معايا كده؟ إزاي وليه؟ يا خسارة!! فعلا دي آخر حاجة كنت أتخيلها.. بس هو ده الموقف، ولازم أتقبله.

كانت الساعة 11:45، وموعدي في الفندق الساعة 1:00، وصلت هناك الساعة 12:20 إذا الوقت أمامي، ويسمح بأن أكلم حاتم لأحكي له نتيجة المقابلة، وكل ما حدث.

وجدت ثيلفونا في أحد المحال، وكلمت حاتم، ورد علي، وأدهشني رد فعله الغريب.. فعلا لم أكن أتوقعه:

- كويس أوي إنك ما تقبلش في الشغلانة دي.. أكيد ربنا شايل لك حاجة أحسن. وضعت السباعة وأنا في حالة غيظ حقيقي منهما.. من حاتم ومن هاني.

ودخلت إلى مقر الفندق الفاخر، قبيل الموعد بربع ساعة، وسألت على المكرثرة، وأبلغتها بوصولي..

وفي تمام الساعة الواحدة قابلت المدير العام.. وعند باب مكتبه استقبلني بأدب رفيع المستوى، وعلى المكتب لوحة عليها اسمه.. 'مختار'... الذي قال:

- مساء الخير.. إتفضل.

- مساء الخير.

- طبعاً أول سؤال بيدور في ذهنك، إتنا وصلنا لك إزاي؟

- أنا فعلاً مستغرب، أصل أنا الحقيقة ما أعرفش حد هنا، ولا عسري خدمت على وظيفة هنا.

- أنا أقول لك.. الموضوع بسيط.. أنا عندي صديق حميم، اسمه زهير، وهو المدير العام لشركة '.....' وسألته عن شباب خريجين لإدارة المبيعات والتسويق، فقال لي إنه عمل إعلان، وعنده كم هائل من 'المسي فتيات'، وزرته في مكتبه، واطلعت على مجموعة كبيرة، واخترت منها 11 'مسي في'، وإنت واحد منهم.

- أنا فعلاً قدمت عندهم.. ثلثت الموضوع مفهوم.. الأول كان بالنسبة لي غامض.

- أنا قابلت 10 وأنت آخر واحد.. وقرار التعيين هناخذ النهارده.. بالتوفيق.. وبدأ مختار في الأسئلة.. ولمدة ساعة كاملة في مختلف الموضوعات..

إلى أن قال:

- وآخر سؤال عندي: عايز مرتب أد إيه؟

وكان ردي مريعاً وواضحاً:

- أنا ما يهتمش المرتب.. أنا يهتمي المستقبل.

يتسم مختار لبشامة جميلة وقال:

- هو دا الرد اللي كنت منتظره من كل اللي عملت معاهم مقابلات قبك.. فيه ناس، جاز في تقديرى أكفاً منك لأنهم اشتغلوا في فنادق قبل كده، بس مفيش

واحد منهم إذا اللي الرد والإجابة اللي كنت عايز أسمعها.. تقدر تشتغل من إيتي يا صلاح؟

- من النهارده أنا جاهز.

- لا.. أول الشهر يوم الأربع الجاي.. تعال استلم.. ولو تحب من يوم الاثنين تيجي تاخذ فكرة عن طبيعة الشغل.. أهلاً بيك.

- أكيد ها آجي يوم الاثنين.

- لتفتا.. ومن يوم الاثنين نتكلم في كل التفاصيل.. طبيعة الشغل، المواعيد، المرتب.. والمستقبل.

- شكراً يا فتيم.

خرجت من التفتق، وأنا لا أضيق نفسي.. ما هذا الذي حدث؟! هل هذا حلم ياربي؟! حلم والألم؟! أعمل في فندق عالمي؟! فتق له فروع في كل دول العالم؟! والمستقبل كبير إن شاء الله.

عدت إلى بيتي، وأنا طائر من السعادة، وألحق في سبع مساء.. حكيت لبابا وماما وأسرعت إلى التلفون وكلمت حاتم، وحكيت له كل كلمة بالتفصيل، وسألته:

- هو إنت كنت عارف، ولأنا كان قلبك حاسس إنسي هأأخذ الشغلانة دي والأأ إيه بالطبط؟

- اسمع يا صلاح، عايزك تقرأ الخطوة الثالثة كويس.. اللي حصل ده هو الخطوة الثالثة.. وإيه كمان.. بطريقة عملية.. عايزك تكتب صفحة عن مفهومك عن الخطوة الثالثة بعد الموقف ده.. وختقراها بالليل.. ومن بكره يا باشا تبتدى الخطوة الرابعة.. تقرأ وتشارك الناس أصحاب الخبرة.

- حاضر.

- مبروك الشغل يا صلاح.. وحى على الجهاد.

- الله يبارك قبك.

الصدمة

بدأت العمل في الفندق العالمي، وأحببت عملي وأتقنته في أيام معذوبة.. وتوطدت علاقتي بزملائي في العمل.. أحببت هذا المكان.. وأصبح لدى عملاء يتقنون بي ويقدرّون مجهودي.. ورشّطي مديري لحضور دورة تدريبية في أوروبا.. فاجأني مختار بقراره وكانت مفاجأة مذهشة، إذ إنني أصمّل في هذا الفندق منذ فترة قصيرة.. أسرعت حاملًا هذا النبأ إلى حاتم، فقال:

- أول حاجة نتأكد أن البلد دي فيها اجتماعات، غير كده أقترح عليك إنك تعتذر، - أعتذر؟؟

- طبعًا تعتذر.. إنت عايز تأخذ "الريمك" في حياتك؟

- أكيد لأ.

- أسأل شادي عن البلاد اللي فيها اجتماعات، هو معاه جدول اجتماعات في 60 بلد.

وقد كن، ذهبت إلى شادي وسألته، وبالفعل كان هناك اجتماع في هذه الدولة.

وبعد ذلك أبلغني مديري بالموافقة على سفرى في آخر العام، أى بعد احتفالي بمرور عام على التعاقد، وقد أسعد حاتم هذا التوقيت، وقال لى:

- كويس.. خيلنا مع بعض أول سنة.

- ماشى، مغيش مشكلة.

- نرجع للمهم.. أخبار الخطوة الرابعة إيه؟

- تمام. قراتها كذا مرة.

قرأت الخطوة الثالثة:

"اتخذنا قرارًا بتوكيل إرانتا وحياتنا لعناية الله على قدر فهمنا".

حقًا.. إن الله يختار الأفضل لنا.

كنت في حالة من السعادة لا تصفها الكلمات.. أخيرًا سوف أتسلم العمل الجديد.. وأعمل في فندق عالمي.

- طيب ممكن نبتدى نكتب؟

وبدأت كتابة الخطوة الرابعة:

"فمنا بعمل جرد أخلاقي متفحص وبلا خوف عن أنفسنا"

وقد شرح لى حاتم أنها من أهم الخطوات والوقوف عندها خطر..

تحدثت مع أمجد الذى شرح لى الخطوة بمنتهى البساطة قائلا:

- نرجع ونكتب كل الذى حصل فى الماضى.. فى نقط.. عاوزين نعرف عيوبنا:

النم، الخوف، الإنكار، الشعور بالذنب و.... و.... الكتاب يقول إيه، نقرأ سوا:

"نحن نكتب عن الأشياء التى تزعجنا هنا والأآن.. لدينا ميل نحو التفكير السلبي،

لذا فوضعها على الورق يعطينا فرصة النظر إلى ما يحدث بطريقة أكثر

إيجابية.. يجب أن تنتهى من الماضى، لا أن نتثبت به.. نريد أن نواجه

ماضيينا.. نراه على حقيقته ونطلقه كي نتمكن من معاشة اليوم."

ثم أضاف أمجد:

- ده تضيف البيت من جوّه يا صلاح..

لم تكن خطوة سهلة، فقد مرت على أحاسيس مختلفة وصعبة، تعرفت

على هذه الأحاسيس لأول مرة.. ولكن فى الوقت نفسه كانت خطوة ممتعة فقد

تعرفت على نفسى.

استمرت الحياة جميلة.. العمل.. الاجتماعات.. برنامج الخطوات

الإتاشير، وقد أصبحت عندى الفرصة لأدعو أصدقائى الجدد "بولات" الكوتشينة

فى منزلى.. نفس السهرات الجميلة التى كنا نقضيها عند خالد وشادى وأمجد

وحاتم..

تمر الأيام، وكل شىء جميل إلى أن استقبلت مكالمة من ميدو:

= صلاح.

- أهلاً.. الحاج ميدو؟

- صلاح.. صلاح.

جاء الصوت ضعيفاً، وسمعت بكاء.. فسأته:

- مالك يا ميدو؟ فيه إيه؟

- بهاء يا صلاح.. بهاء.

- ماله.. لا.. لا.. لا.. لا يا ميدو.

- أه يا صلاح.. أه.

- يعنى إيه أه.. يعنى إيه.. انكلم يا ميدو.

- مات.. بهاء مات.. خلاص استريح.

- لا.. لا.. لا.. لا يا ميدو.

وفجأة سمعت صوت حسين على الجانب الآخر:

- أيوه يا صلاح؟! أنا حسين.

- إيه دا يا حسين؟ إزاي يا حسين؟

- هيكون إزاي؟ اسمع.. إحنا نازلين دلوقت على بيته.. تعالى هناك.

- طيب يا حسين.. حاضر.

وبسرعة صاروخية، انطلق شريط الذكريات، ودارت فى ذهنى وفاتح

الأحداث التى جمعتنى مع بهاء، ورلى، وأحمد، وحسين.. شريط من أيام

المدرسة، والتزويغ، والسجائر، والحشيش، والسفر.. وكل حاجة فاكرها..

وفى لحظة فز بهاء إلى ذهنى وفكرى وقلبي وعقلي.. بونو.. بكيت

بأعلى صوت.. كم تمتيت فى هذه اللحظة أن أراه وأتكلم معه.

كلمت حاتم وحكىته له الواقعة الأليمة:

- أنا نازل أروح لبهاء.

- هتروح ليه؟

- مش عارف.

- جو مش صحى بالمره.. شوف الغراء بكرة فين.. وخلاص.

- كنت عايز أروح له يا حاتم.. بِنَ مَاتَحْتَش.. كان نفسى أروح له.. عشرة عشر يا حاتم.

- البقية فى حباتك.. شد حيك يا صلاح.

صدمة، وليست مثل كل الصدمات.. أى نعم، هذا هو المتوقع دائماً، لكن الواحد منا لا يشعر بقسوة الحدث إلا بعد حدوثه أمام عينيه.. ودائماً يأتى فجأة.. يأتيا من صدمة.

الله يرحمك يا بهاء.. كنت فعلاً حبيبى أوى.. أوى..

الله يرحمك يا بهاء.

وبعد أكثر من شهر انتهيت من كتابة الخطوة الرابعة، وأتصلت بحاتم وأبلغته أننى على أتم استعداد لمشاركة الخطوة الخامسة: "اعترفنا لله ولأنفسنا ونشخص آخر بالطبيعة الحقيقية لأخطائنا".

مفتاح راحة الضمير والحرية على رأى توفيق.. أعترفت لله عندما كتبت كل النقاط على الورق ودون تحفظ.. واخترت مشرفى حاتم أن يكون هذا للشخص.. فأنا أئى فيه.. الثقة الكاملة بنزاهته وقدرته على حفظ أسرارى.

جلست فى منزل حاتم من الساعة التاسعة مساءً إلى الساعة الخامسة فجراً.. رغم خوفى من الموقف وعلى مظهرى، رفعت القناع وكنت واضحاً، أميناً ودقيقاً.. حكيت كل شيء وقد ساعنى حاتم عندما بدأ يشاركنى ببعض قصصه.. فأكتشفت أننى لم أكن مختلفاً.. ليلة أن أسأها طوال حياتى..

لقد فهمت معنى راحة الضمير والحرية بعد تطبيق هذه الخطوة.. معك كل الحق يا توفيق!!

إلى الخطوة السادسة يا صلاح:

"كنا مستعدين تماماً لأن يزيل الله كل هذه العيوب الشخصية"

مر شهر ولنا أقرأ هذه الخطوة كل صباح قبل ذهابى إلى العمل.. أشارك أصحابى ذوى الخبرة وأستمع إلى تجربتهم فى معالجة الخطوة.. كم كان مهملاً أن أخذ بعض الوقت لفهم معنى "النية".. كى أستطيع أن أحيها.

النية هى ما نجاهد من أجله فى الخطوة السادسة.. مدى إخلاصنا فى تطبيق هذه الخطوة سيتناسب ومدى رغبتنا فى التغيير.. من المهم أن نذكر أننا بشر، ولا ينبغي أن نضع لأنفسنا توقعات غير واقعية.. هذه خطوة نية، والنية هى المبدأ الروحى للخطوة السادسة.

شاركت مع حاتم الخطوة السادسة فسألنى:

- قولنى يا صلاح نفسك تبقى عامل إزاي؟ أعتبر نفسك لسه مولود.

- نفسى أبقى أمين.. ومما أخش.. ومش عايز أكذب.

ابسم حاتم وقال:

- كويس بس لازم تفهم إنك فى الأول والآخر مش ملاك.. وعمرك ما هتكون ملاك.

- طبعاً عارف.. أنا كنت فى.. وبقيت فى!!

- الخطوة السادسة مبنية على النية، وإن إحنا نعمل أحسن ما عندنا..

- النية موجودة والحمد لله.

- يبقى مستنى إيه.. الخطوة السابعة يا باشا.. تقرأها كل يوم الصبح.. وتشارك الناس باللى إنت فاهمه وحاسه.. وبعد كده تكتب التلى فهمته..

- زى بقية الخطوات؟

- بالطبع.

مر الشهر السادس.. إنه يوم اجتماع مهم جداً.. اجتماع لتنتظرته طويلاً.. إنه يوم احتفالى بمرور 6 شهور كاملة.. كان خالد يدير الاجتماع..

نظر إلى خالك نظرة لها معنى، وضحك في سعادة، ثم قال:

- النهارده عندنا احتفال كبير.. صلاح مبطل من 6 شهور.. (تصفيق من الجميع بحرارة).. يس قبل ما أطلب من صلاح إنه يشارك.. أحب أضحكى حاجة، أنا فاكرها كويس أوى.. لما أنا كنت باحتفل ببطل 6 شهور، وكان صلاح ساعتها لسه في المستشفى، وقال تطبيق مش ممكن أسماء أبداً.. قال هو فيه حد يبطل 6 شهور؟ فيه ولا لا يا صلاح؟ ممكن تشاركنا؟

- صلاح.. ممنن.. ياه!! إنت لسه فاكرك يا خاند؟ فعلاً أنا ما كنتش ممكن أخيل إني أبطل 6 شهور أبداً.. ولا حتى شهر.. الحمد لله يارب.. كل الناس اللي في الأوضة شافوني أول يوم.. يوم ما دخلت وكنت خايف أقول إني ممنن.. النهارده أنا مش خايف وقاعد واثق من نفسي.. أحترمت إيماني فاحترمني.. سمعت الكلام.. وبهدوء نفخت المقترحات كلها.. اتعاملت معاها على إنها أواصر، ودا ساعدني كثير، وخلي دماغي تبدأ، ما أنا لو شغلت دماغي الدنيا متولع.. فهمت ليه بيقولوا على البرنامج السهل الممتنع، برنامج بسيط نفس معقدة.. فعلاً بسيط ملخصه: الدعاء، ساعتين في اجتماع، مشاركة الناس، وصفحتين من الكتاب، التأمل وكتابة لمدة نص ساعة كل يوم، خلوني مبطل.. ولعلمت الأمانة، وفهمت معنى إيه التفتح الذهني، والنية الحمد لله كانت موجودة..

ابتديت أشوف نتايج جديدة.. دا فيه موقف حصل بضحك أوى.. وأنا قاعد في البيت جت عيني على فتاة جامدة جدا في المكتبة.. أمي كانت قاعد جني فساتينها؛ حلوة أوى "الغزة" دي يا ماما، جديدة؟ ابستم وقالت: "الغزة" دي أنا وباباك اشتريناها من "تشيكوسلوفاكيا" من أكثر من 20 سنة، وطول عمرها في المكتبة.. ياه.. 20 سنة وأنا مش شايفها ومش تزيان..

مَوْ هذا الاجتماع الجميل، وكل الأصدقاء كانوا سعداء، وعبروا بكلمات صادقة عن فرحتهم بي، وبوجودي بينهم، وأنا بتوري كنت في قصة السعادة، وممنن لهم جميعاً.. احتفلنا في هذه الليلة بسهرة عند أمجد.. كوشينة.. ضحك..

عشاء.. ولكن في هذا الوقت استطعت دفع الفاتورة، وحاولت أن أرفع عن أصنفتي بعد أن تحملوني لفترة طويلة، ولكن كان الرفض هو القرار..

وفي عملي اشتغلت بهمة وحب لهذا العمل، وللعاملين معي.. وكنت أدخل مكتبي الساعة 9 صباحاً، واستمر في العمل حتى الساعة 10 مساءً.. ووسط ساعات العمل أختار ساعتين راحة للذهاب إلى اجتماع.. فالحمد لله الاجتماعات زادت والوصول إليها أصبح سهلاً، فالاجتماعات فرصة للتفكير، ومشاركة المشكلات.. التعامل مع الناس وتقبل عيوبهم.. عيوب لا يرونها ولا يعلمون كيف يتعاملون معها.. الأخطاء كثيرة.. مشكلات الشغل والانترامات ومشاركة الآخرين مفيدة لنا جميعاً.. البرنامج يعلم النمو ومهارات التعامل مع النفس والناس.. والتعليم لا ينتهي.. شاركت الأصدقاء معترفاً بخيرتهم.. وكان كل واحد منهم مفيداً بصورة ما وبشكل مختلف.. والحق يقال كان أمجد مُشرف مُشرفي أكثرهم خبرة.. دائماً يعطى المعلومة بسهولة ويسر..

تحركت إلى الخطوة السابعة:

"مأنااه بتواضع ان يخلصنا من نقائصنا الشخصية"

الخطوة السابعة هي وقت طلب الراحة والعون من الله..

إن هذه الخطوة هي الطريق إلى النمو الروحي، والهدف الرئيسي من الخطوة السابعة هو أن نخرج من انحصارنا في أنفسنا، والحصار الذي يفرضه علينا إيماننا، فهي تدريجياً، وبعناية نتخلص من عزلة ووحدة الإيمان..

إننا نريد أن يخلصنا الله من الجوانب المدمرة في شخصياتنا.. بعد أن أصبحت حياتنا في حالة من التوقض الحقيقية، أدركنا أننا وحدنا لا يمكن أن ننجح.. بهذا الاعتراف، حققنا لمحة من التواضع.. إن التواضع يلعب دوراً كبيراً في برنامجنا، وطريقتنا الجديدة في الحياة.. أهمية التواضع للبقاء متمتعين عن التعاطي، كأهمية الطعام والماء للبقاء على قيد الحياة.. نحن نتعرف على عيوبنا

الشخصية، ثم تصبح مستعدين كي يزيل الله هذه العيوب.. هذا هو العنصر
الأساسي للخطوة السابعة.

وبعد الوصول إلى هذا المفهوم، نكون مستعدين للخطوة الثامنة.

لقاء قديم

لقد أحببت العمل، وأحببت الحياة، وتطورت الأمور لصالحى كثيرًا..
كثيرًا أسرع مما تخيلت.. بعد 6 شهور من تعيينى زك مرتبى زيادة كبيرة،
وتمت ترقيتى وأصبحت نائبًا لمدير مبيعات وتسويق الفندق، واشتريت سيارة
جديدة.. وفى زمن قياسي حققت نجاحًا واضحًا، وأثبت كفاءة عالية، جعلت إدارة
هذا الفندق، وزملائي يتحسسون لمساعدتى، ودفعى إلى الأمام.

اختلعت الحياة فى كل الاتجاهات.. علاقتى بأصدقائى الجدد أصبحت
وثيقة وازدادت حرارة.. كما عاد إلى أصدقائى القدامى.. وأصبح لى أصدقاء
جدد من زملائي فى الفندق وعملائي أيضًا.. وأصبح مختار مديرى فى العمل
من أعز الأصدقاء.. أيضًا تنجمت فى البرنامج، واشتغلت بقية الخطوات بمساعدة
حاتم، وبدأت مواجهة الواقع الأليم عند كتابة الأسماء فى الخطوة الثامنة:
"قمنا بعمل قائمة بكل الأشخاص الذين أنبأهم، وأصبحت لدينا نية تقديم
إصلاحات لهم جميعًا".

وعلى مدار شهر اعتقد أننى كتبت فى هذه الخطوة لأسماء كل من
أعرفهم.. وكنت مذهولًا من كم الأشخاص الذين أنبئتهم بسبب إدماي: سيف،
مريم، مصطفى، كريم، رولا، أمى، أبى، سلمى، راندا، هالة..... كتبت
عشرات الأسماء، من الأصدقاء، من الجيران، من الأقارب، من المذنبين، من
الزملاء فى العمل.. من.. ومن.. ومن.. فى مصر، بل وخارج مصر.

اتصلت بحاتم واتفقنا على بداية تنفيذ الخطوة التاسعة:

"قدمنا إصلاحات مباشرة لهؤلاء الأشخاص كلما أمكن ذلك، إلا إذا كان ذلك قد
يضر بهم أو بالآخرين".

ذهبت إلى حاتم بكم هائل من الأشخاص الذين أنيستهم، وكنت اسماءهم في الخطوة الثامنة، وبدأت أستمع له بتركيز، قال:

- خلى بالك يا صلاح الخطوة التاسعة صعبة ومستمرة ومش بنقف عندها..

الالتزامات الكثيرة في وقت قليل خطر علينا.. فمن اللازم أن تنفذ الخطوة التاسعة بهدوء وفي حدود الإمكانيات.

- هو أنا حاتم أعتذر الناس دي كلها؟

- لا طبعاً.. الاعتراف اللي ممكن يضر ناس ثانية، الأفضل إنه يتم بطريقة غير مباشرة.. تكون مثلاً غلطت في واحد صاحب بابك، واعترافك فيه ممكن يسأثر على علاقتهم سوا.

- إزاي يا حاتم أعتذر بطريقة غير مباشرة؟

- افترض إنك سرقت من صاحب بابك فلوس، حاول تختار مناسبة وترجع المبلغ في هنية، حتى لو بقعتها له على المكتب من غير اسم.. لازم تبقى قاسم إن ربنا يساعد في الاعتذارات أوى، ويبخلق ظروف لا تتخيلها، يساعدنا على تقديم التعويضات.. على العموم إحنا لازم ندرس كل واحد أنيته بظروفه لوحده، وربنا يساعدنا على اتخاذ أحسن القرارات.

- كان نفسي أعتذر لعائسي، الله يرحمها.. أنا غلطت فيها كثير.

- ممكن تزور قبرها وتعتذر لها، أو تكتب لها جواب.

- مش ممكن أعرف مكان المقبرة.. أحسن حاجة أكتب لها جواب.

وبدأت تقديم التعويضات، وكان أصعبها، هو الاعتذار الذي بدأت به سلسلة الاعتذارات.. وكان رأي حاتم أن يبدأ بالاعتذار لابنة عمى سلمى.. وسألته:

- إيه يا حاتم؟ خلينا تأجل اعتذار سلمى ده شوية.

- أحسن حاجة نخلص من أصعبهم.. وفي رأيي الاعتذار دا أهم واحد.

وذاث يوم، وبعد غياب سنين طويلة، كلمت زوجة عمى، وكالمعتاد رنت بعنتهى الذوق، سألتها عن سلمى.. كانت مصانفة في زيارة لها، فقالت لى:

- سلمى هنا.. ثانية واحدة.

ودار الحوار بيننا على الهاتفون:

- ألو يا صلاح.

- لزيمه واسلى؟

- الحمد لله.

- بعد إذك.. ممكن أشوفك؟

- آه ممكن.

- إمى؟

- بكرة لو عايز.. أنا عند ماما من الساعة 10:00 لغاية الساعة 2:00.

- خلاص.. ها أشوفك بكرة إن شاء الله.

قابلت مديري في العمل فوراً، وطلبت منه تصريحاً لمدة ساعتين في اليوم التالى، ووعنت بألا تزيد مدة غيابي عن المكتب أكثر من ساعتين.. وحصلت على الموافقة دون تردد لأننى شديد الالتزام فى عملى.

حقيقة، كانت عملية المواجهة بالنسبة لى مهمة ثقيلة وصعبة للغاية، وكلمت حاتم وأبلغته بالموعد مع ابنة عمى، وصارحته بأننى حاولت الهروب من هذه المواجهة، وأننى تمنيت ألا يأتى هذا اليوم أبداً.. فقال لى:

- إحنا يا صلاح مسئولين عن اللي عملناه، ولكن مش مسئولين عن ردود فعل الآخرين.. فيه ناس ممكن تتقبل الاعتذار وناس متقبليش.

- وأعمل إيه فى الحالة دي؟

- ولا حاجة.. نسمع رد الفعل ونتقبله وإنت ساكت.. لعلمك فيه مرة وأنا بأقدم الاعتذار لواحد صاحبي أخنت بوكس فى وشى.. وهزلى.. وطلب منى أبعد عنه خالص.

- ليه عمل كذا يا حاتم؟

- لأنى جرحته وأنيته جامد.

- ليه عملت فيه إيه؟

- وإنت ماله.

- دا على كده.. أكيد سلمى هتموتنى.

- يا صلاح، اعمل اللي عليك، وسيب الباقي على ربنا.

وصلت إلى عمارة عمى الساعة الحادية عشرة.. إنها أول مرة أدخلها

منذ سنوات.. تحركت بصعوبة، كنت أجر قدمي، وساقاي لا تقويان على حملي.

كنت أيضاً أرعد، وأنصيب عرفاً، وغمرنى شعور بالخوف.. وأنا خائف..

وضعت إصبعي على الجرس، وفتحت سلمى:

- إزيك يا صلاح.

- إزيك يا سلمى.

- تحب نقعد فين؟

- أى مكان.

- طيب.. نعال فى الصئالون.. تشرب إيه؟

- ولا حاجة.. شكراً.. تعالى نقعد ونتكلم بس الأول.

- خير.

- أنا مش عارف ابتدئ منين.. معلى استخمينى شوية.. من غير مقدمات،

أنا كان عندي مشكلة مخدرات كبيرة أوى.. أكيد إنت كنت حاسة وعارفة.. يوم

فرحك لنا جيت هنا، وأخذت الخاتم بناعك.. قصدي سرقته.

وبكت سلمى.. وأكملت كلامي قائلاً:

- لأشرف الشديد أنا ما خستش باللى أنا عملته خالص، كنت يومها تحت تأثير

المخدرات.. أنا مش عارف عملت كذا إزاي!!

وقفت سلمى.. فوقفت أنا أيضاً.. واستمررت فى البكاء، وقالت:

- أنا من أسبوع واحد حطفت بالحوار اللي بيني وبينك دلوقت.

- مش ممكن!!

- أنا نفسي مش مصدقة.

- طيب ممكن تطلّي عياط؟

- إوعى تفكر أنا باعيط على الخاتم.. أنا باعيط من كتر ما أنا فرحانة إنك

رجعت لنا تانى.. فذاك الخاتم.. المهم صلاح.. مش مهم الخاتم.

وبكت أنا أيضاً مثل سلمى تماماً.. ويعد أن هدانا، قلت لها:

- ممكن نقعد عشان لكمل كلامي.

- إتفضل.

- أنا عايز أطلب منك طلب.. من فضلك خدى المبلغ ده.. أول دفعة تخط

حساب الخاتم.. أنا دلوقت باشتغل، وإن شاء الله فى أقرب فرصة أرجعك تمن

الخاتم كله.

- ما خلاص.. باباك دفع تمن الخاتم.

- أنا مايش دعوة باللى دفعه بابا.. أنا باتكلم عن نفسي.. أنا لازم أدفع ثمنه

عشان أستريح.

- حاضر.. حاضر يا صلاح.

بكت سلمى، وهى تأخذ منى النقود.

- أنا أسف.. والله أنا أسف.

- وأنا ميسنحك.. والله ميسنحك.

وبكينا من أول وجديد.. ثم ضحكنا.. ولم يتوقف حديث التذكريات.. حقاً

لم أكن أتخيل أن يمر هذا الموقف الصعب بهذه السلاسة.. مستحيل هذا الذي

حدث.. إننى لم أتوقع أبداً أن يكون رد الفعل بهذه المحبة وهذا الترقى والتبيل.

وفي مثل هذه المواقف الصعبة، كان حاتم يطلب منى الاتصال به على الفور، رغم أنه في المكتب، ليُشعرني أنه بجانبى، وأيضاً ليطمئن على.. وكسر كان سعيداً بما سمعه منى، لكن الذى أدهشنى قوله:

- أنا كنت متوقع أن الموضوع فيُعدى بِمُنْتَهَى الشياكة.. وقد كان يا باشا، من التعويضات التى اهتممت بتنفيذها، هي الاعتذار لمریم.. لكن حاتم كان عنده رأى آخر:

- إنت كلمتها يا صلاح وهى صدتك.. وساعتها التقنا أنا وأنت نستكم قسى الموضوع دا بعدين.

- مضبوط، ومفهمتش ليه.

- أحسن حاجة يا صلاح إنك ما تظهرش فى حياتها تانى.. ودا أحسن تعويض.

- كلامك صح.. ومهما قدمت من اعتذارات..... لن يكفى!!

ومن الاعتذارات المهمة، زميل المستشفى حلمى الشهير: "حلمى ستلا". ذهبت إليه فى المستشفى.. وقد عرفت أنه خرج لفترة ماء، وعندما انتكس عاد إليها مرة أخرى.. التقينا وتحدثت معه، ولأول مرة أشعر بكم الطيبة فى هذا الشخص، صارحته:

- أنا التى حظيت الطيق تحت سريرك وبلغت عنك.. أنا غلطان وأسف يا حلمى.. أنا جيت لك النهارده مخصص، ومن فضلك إقبل اعتذارى.

- إنت يا صلاح!!! أنا كنت فاكِر شريف هو الذى عمل كده!!

- أنا بجد أسف.. ممكن سامحنى؟

- دا أنا فضيت يومين ولاد "....." فى 111.. يومين كاملين مش شايف غير ثلاث "بارت" حديد.

- ما بلاش سيرة البار،

لبتسم حلمى وقال:

- أنا مبسوط لوى إنك مبطل يا صلاح.. ونفسى أبطل أنا كمان.

- خليك معانا وإنت تبطل.

- إنت عارف يا صلاح إن اعتذارك لى خلانى عايز أروح الاجتماعات.

- ياريت يا حلمى.

وبالفعل بدأ حلمى يواظب على حضور الاجتماعات.

وبدأت أقرأ الخطوة العاشرة:

"واصلنا عمل الجرد الشخصى لأنفسنا واعترفنا بأخطائنا فوراً"

ساعدتلى هذه الخطوة فى إصلاح مشكلاتى اليومية.. ليهى أفضل وسيلة دفاع، وحصن ضد الجنون القديم..

أذكر توفيق عندما شاركنى خبرته قائلاً:

- الخطوة العاشرة يا صلاح زى تابلوه الكهرباء الذى مئسان زراير.. أول ما اللبة الحمراء تتور ينقى فيه حاجة غلط.. تروح تصلحها وبسرعة.

وكان خالد يضحكنى عندما يقول:

- الخطوة العاشرة هى التضمير الصحاحى والمفجّل يا معلم.. خلّسى الضمير صحاحى يا صاصو.

وكان موضوع التضمير بالنسبة لى اختراعاً جديداً.. وكأنه اكتشاف.

جلست مع حاتم وقرأنا معاً ما كتبته.. ومثل جميع الخطوات شاركنى بخبرته والمواقف التى مر بها التى من خلالها استطاع تطبيق الخطوة العاشرة فى أمور حياته اليومية.

ازداد أعداد الوافدين إلى الاجتماعات.. ازدادت خيرتى فى البرنامج.. وبدأت تطبيق المفردات مستمناً بالحياة فون مخدرات.. حسرت أكثر سن 340 اجتماعاً فى السنة الأولى.. وقد حدث أكثر من مرة أننى حضرت

يوم بيوم

أحببت الحياة.. وذات اكتشاف شخصية جديدة، فلم أكن أعلم أنني أحب
الخيال.. لم أكن أعلم أنني أحب السينما.. لم أكن أعلم أنني أحب الورد.. وذات
أسمع الموسيقى واستمتع بها، لشاهد الأفلام وأفهمها.. انضمت مرة أخرى إلى
أصدقاء النادي، ووافيت معهم على لعب الكرة، ومن فترة إلى أخرى كنت
أذهب إلى المستشفى وألعب شطرنج مع صديق.. وكانت سهرة نهاية
الأسبوع مع أمجد وخالد وشادي وسليم وتوفيق.. وحائتم، وقد استمر في
توجيهي ومساعدتي في البرنامج، وكم كان مفيداً وممتعاً أن تجلس كل فترة
لنراجع ما حدث ونتناقش فيما هو جديد ومختلف..

وذلك يوم حضرت اجتماعاً عن الخطوة الحادية عشرة:

"سعيًا من خلال الدعاء والتأمل إلى تحسين صلتنا الواعية بالله على قدر فهمنا،
داعين فقط إلى معرفة مشيئته لنا والثقة على تنفيذها".

الدعاء يجلب لي السلام.. ويساعدني على أن أعيش حياة خالية من
الخوف وعدم الثقة.. أصبح يمكنني الآن أن أطلب مساعدة الله.. وعندما أحتاج
إليه وأستعين به، تتحسن أموري..

وفي لحظات التأمل الهادئة، تصبح مشيئة الله واضحة.. ويبدأ العديد
منا تقدير تعاقبنا، حينما نصل للخطوة الحادية عشرة، فتأخذ حياتنا معنى
أعمق.. وبالتسليم إلى الله، والتخلي عن التعالي والسيطرة والغرور، نكتسب قوة
أكبر بكثير.

وفي النهاية، عندما أطلب الإرشاد من الله، تغمرني مشاعر من السلام
والسكينة.

مرت الشهور، وجاء يوم "...." ديسمبر.. ولا أنسى أبدا يوم "...." ديسمبر منذ عام كامل، كان آخر يوم تعاطيت فيه مخدرات وكنت في المستشفى.. إنه أول يوم أخذه أجازة منذ بدأت العمل.. رنين الهاتف لم يتوقف.. كل الناس كلمتى: حاتم، أمجد، خالد، توفيق، سليم، شادى، بالإضافة إلى نورا وسحر، وكنتاهما توقفت عن التعاطى منذ شهر واحد.

وفي هذا اليوم اتصلت بالمستشفى، وأبلغتهم بأننى سأقضى اليوم هناك.

أخذت معى "التورته" وجاء معى: سليم، وأمجد، وشادى.. بداية توجهت إلى مكتب دكتور سمير.. شكرته من قلبى، وكانت ابتسامته الكبيرة تعبيراً واضحاً عن سعادته بما حققته، ومررت على مكتب دكتورة إكرام لحببتها وشكرها.. وكذلك نجلاء، وبالطبع لم أنسى صديقى دكتور وليد، الذى استقبلنى بحرارة، وشكرته بكل مشاعر الامتنان.

كانت أهم شخصية فى هذا اليوم هى الدكتورة عالية.. جلسنا معاً، وأعتقد أننى لم أستطع أن أعبر لها عن واحد فى المائة مما لشعر به فى أعماقى تجاهها، فما فعلته معى سوف يظل يطوق عنقى مدى الحياة.. جلست معها، ومثل كل جلسائنا معاً، نزل تحكى ونحاور، ونفكر، ونناقش، ونسمع، ونشرح، ونضحك.

وبعد قضاء اليوم فى المستشفى، ذهبت مع أمجد إلى منزله، فقد دعانى وحاتم إلى الغداء.. وقد كانت فرصة بالنسبة لى لأشكرهم على ما فعلوا معى على مدار هذا العام.. وقد تحدثنا معاً حديثاً مهماً:

حاتم : مبروك يا صلاح.. ألف مبروك..

أمجد : مبروك يا صاصو.

صلاح : سنة.. بجد مش مصدق.. أنا مش عارف أشكركم إزاي.. مهما عملت مش ممكن أعرف أرد الجميل ده.

ابتسم أمجد وقال فى هوى:

- لا.. ممكن تعرف ترد الجميل..

صلاح : إزاي؟

أمجد : تعمل مع غيرك اللتى تعمل معاك..

حاتم : إنت تلوقت حاتم إنك تبقى مشرف يا صلاح.

كانت مفاجأة بالنسبة لى..

صلاح : مشرف!! دى مسئولية كبيرة أوى!!

أمجد : إحنا عارفين.. بس ما تنساش أن ربنا معاك.. وإحنا وراك.

حاتم : اللتى مش متأكد منه، نسألتى فيه.. ولو أنا كمان مش متأكد، ترجع

لأمجد ونناقش كئنا.

أمجد : بس لازم تبقى فاهم إنك يا صلاح مسئول عن حياتك، ومن مسئول

عن حياة الناس الثانية..

صلاح : من فاهم قصدك إيه!!

أمجد : أنت ممكن تأخذ الحصان لغاية الميّه.. بس متقزز تخليه يشرب..

إحنا يا صلاح بنحمل الرسالة، ومن بنحمل العنمن.. الرسالة إنك

تساعده بعمل اللتى عليه، يقرأ، يشارك.. يدعى.. يتغير.. يبنى

مستقبل.. يتعلم اللتى أنت اتعلمته.

حاتم : أنت عارف يا صلاح أن أمجد هو اللتى لفت انتباهى لموضوع

شغلك.. فى يوم كلمنى وقال: كوبس أوى إن صلاح يعرف ينسبط

بالكويتشينة وهو فايق، بس ده مش هو أسلوب الحياة.. لازم صلاح

ينزل أرض الواقع، ويبندى بنور على شغل.. البرنامج ميواش تبطل

وبس، البرنامج تبطل وتغير.. ومستقبل.

أمجد : إنت مخضوض ليه يا صلاح؟

صلاح : كلام جنيد على.

حاتم : وحتى لما تشتغل.. واحدة واحدة.. بهدوء.. خلى بالك الإدمان سلوك.. ومش مخترات بس.

أمجد : كوشينة.. تلعب كوشينة كل يوم.. نشغل، يبقى نشغل عشرين ساعة في اليوم، دا اسمع سلوك إيماني.. وهو دا مرضنا.. فهمت؟
صلاح : فهمت.

أمجد : وحاجة كمان مهمة قالها لى المشرف بتاعى لما بطلت سنة: أنا عايزك تنقل كل يوم رسالة للمنمن.. سألته.. إزاي؟ قال لى: بمكالمة تليفون.. أو إحضر اجتماع.. مارس المبادئ..

حاتم : وآخر حاجة علشان لازم ننزل.. للتقيد الخامس يقول إيه يا أمجد؟
أمجد : كل مجموعة ليس لها سوى هدف أساسى واحد هو حمل الرسالة للمنمن الذى مازال يعانى.. هو ده البرنامج يا صلاح..

حاتم : النهارده بعد الاجتماع تنور على عضو جديد وتقول له إنك عايز تساعد.. زى ما عملت معك بالطبط.

صلاح : علم وثقافة.
حضرنا الاجتماع المسائي فى مصر الجديدة، وكان أروع اجتماع فى الدنيا.. سنة بالنسبة لى، وبالنسبة للناس كلها: رقم جميل، ولاد من احترامه.
تم اختيار يوم كان فيه الاجتماع مفتوحا، فامتلأت القاعة بكل الناس.. بكل الأصدقاء.. لم يتخف أحد، جاعوا جميعا للاحتفال.. جاء: خالد، شادى، أمجد، سليم، توفيق، حاتم، سحر، نور.. والمفاجأة الكبرى.. جاءت دكتورة عالية ليضا، لتحضر الاجتماع.. وتوالت المفاجآت، حضرت زوجة خالد، وزوجة سليم، وزوجة توفيق وأختها.. بل وجاءت أمى ورولا ليضا.. وقبل نهاية الاجتماع وصل كريم وعلى وجهه ابتسامة جميلة.

أدار أمجد الاجتماع، وقد حضر أكثر من واحد جديد من المستشفيات، يتقدمهم صديقى شريف، واقترح سليم أن يكون موضوع الاجتماع 'سنة تبطل'،

إنها فرصة لى أن أعبر عما يتور فى أعماقى من حب وسعادة وامتنان، شاركت قتلا:

- صلاح.. ممنن..
- أهلا صلاح.

- أول حاجة: أنا عايز أعرف مين التلى قال إن زمن المعجزات انتهى؟ بيحى يورينى نفسه.. معجزة، وأى معجزة.. سنة.. 12 شهر.. 365 يوم.. 8760 ساعة، ما لمستش وما شفتش فيها مخترات.. معجزة فعلا.. يا ساتر يارب على دى رحلة.. وكل ماشوف حد ضارب، أعرف أن إيه ربنا بيحبنى..

أنا مش عارف أوصف سعدنى.. ولا أوصف شعورى.. ولا عارف أوصف التلى أنا فيه دلوقت.. تانى حاجة: أنا عايز أشكر كل الناس: الدكتور سمير أول من واحبنى بالحقيقة.. الدكتورة عالية نورت لى الطريق، وطبعاً حاتم مشرفى، وأمجد وشادى وتوفيق وسليم وخالد، التلى بقوا جنبى وساندونى..

فعلا أنا كنت فى حرب مرعبة.. وربنا سترها معايا، وخرجت منها.. يوم بيوم.. أنا مانكشش أفتر أحارب أكثر من كده.. والله ما كنت قادر.. كانت حرب خمرانة، ماقيهاش فصال.. أنا كنت تبعث أوى.. تبعث من الكتب.. تبعث من السرقة.. من الجرى.. من التليفون التلى بيرن، من جرم الباب، وبيا ترى لو فلتحت الباب فيه مضيبة وراه والأى إيه؟ كانت أمنية حياتى أخط راسى على المخدعة وأنام.. أنام زى كل البشر ما يناموا.. أنام 6 ساعات متواصلة.. مانكشش عايز أكثر من كده..

التلى أنا فيه دلوقت، أكثر من كده بكثير.. أسمع جرس الباب، ويرن التليفون، ومش خايف.. أدخل سربرى، وأخط راسى على المخدعة، باعزف أنام فى ثانية.. غندى أصحاب أحبهم من كل قلبى، ويحبونى ش فى ش.. ولاهما عايزين منى حاجة، ولا أنا عايز منهم حاجة.. رجعت إلى أمى.. وأمى رجعت جامعتهما، ورولا بطلت تعيط، وبابا مبسوط وسعيد.. وكريم أخويا النهارده فخور

بصلاح.. دلوقتى باشتغل، وآخذ مرتب.. بالعب، بآبنى مُستقبل.. نجحت فى شغلى وأثبتت نفسى فى وقت قياسي.. كل الوعود اللى البرنامج وعدها لى بتتحقق..

أنا مُش عارف أقول إيه.. واللا إيه.. أميتى لى لساعد الناس إنها هى كمان تبطل.. أساعد كل اصحابى.. خايف حد منهم يموت.. نصص أصحابى ماتوا، نفسى أدخل دماغهم، وأفهمهم إن الحياة من غير ضرب أحمل، ولها معنى تانى خالص.. نفسى يفهموا.. يارب يفهموا.

شكرا إنكم سمعوني.
قام حاتم وسلمنى ميدالية مكتوب عليها "عام من التعافى"، وحصلت على تشجيع وتهليل من الجميع.

كان اجتماعا جميلا واحتفالا رائعا.. سوف أذكره طوال العمر..
أما الوفود الجند من المستشفى، شباب وبنات، فرأيت الذهول على وجوههم وتخيلت تعليقاتهم:

- من الناس تول؟
- إيه يا عم القيلم الغريب ده؟
- يا عم مبطل بقاله سنة إزاي.. أصلاً مفيش حد ببطل سنة..
- أصل هو مضرب زى..

وبعد الاجتماع جاعلى شريف، حضلى وقال:

- مبروك يا صلاح، عقبال عورك كله.
- الله يبارك فيك، عقبالك يا شريف.
- أنت فهمتى حاجة مهمة جدا.
- فهمتك إيه؟
- الصياغة مش فى الضرب، الصياغة فى التبطل، وأنا كمان لازم أبطل.
- ياريت يا شريف، بجد ياريت، وأنا معاك فى أى حاجة إنت عايزها.

وعلا، بالخطوة 12:

'بتحقق صحوة روحية لدينا نتيجة لتطبيق هذه الخطوات، حاولنا حمل هذه الرسالة للمدمنين وممارسة هذه المبادئ فى جميع شئوننا'.

وبعد سنة تبطل نارت الأيام، والأسابيع، والشهور والأعوام.. والحمد لله 'أنا مبطل'.. والتبطل بالكثيرين فى قاعات الاجتماعات.. وحاولت أن أساعد قدر استطاعى.. منهم من فهم، ومنهم من لم يفهم..

منهم اليوم مدير فرع أحد البنوك، ومنهم مهندس، ومنهم من تخصص فى علاج الإدمان، ومنهم من شق طريقه فى دنيا المال والأعمال.. ومن لايزال يبحث عن عمل، ولكنه مبطل، ومنهم..... ومنهم.....

مرت الأعوام ومازلت أحضر الاجتماعات.. فى مصر وخارج مصر..
تختلف اللغات ويبقى الهدف واحداً:

إننا نفضل مبطلين.. يوم بيوم..

وفى كل مكان نروحه فى الدنيا بنسمع وينقل نفس الرسالة.

وأخيراً.. واليوم، أستطيع أن أقول فى جملة واحدة:

"أسوأ يوم تبطل.. أحسن مليون مرة، من أهلكى يوم ضربت."

استغرقت كتابة ومراجعة هذا العمل أكثر من سنتين، ولا أستطيع وصف كم المشاعر المختلفة التي مرت بي أثناء كتابة هذه الرواية، مشاعر يصعب شرحها ووصفها في كلمات..

في لحظات ابتسمت، ثم ضحكت.. ضحكت بأعلى صوت، ولحظات أخرى حزنت.. بكيت، وتركت القلم لأيام وليل.

بعد أن انتهيت من كتابة هذه الرواية، وقراءتها في هدوء، مرة ومرتين وثلاثة، كان لدى عديد من الأسئلة والاستفسارات، حدثت نفسي قائلاً:
الآن يبقى أن أتفك يا صلاح..

كان لنا لقاء في مكتبه.. في الفندق العالمي.. برج عالٍ يطل على منظر بديع.. ما شاء الله.. المكتب كبير، واسع وأنيق.. وقد وقف صلاح مع زملائه حول مائدة الاجتماعات يُنهي معهم بعض الأعمال.

جلست في مقعدي.. أتأمل حركاته وتحركاته.. أسلوبه في الحديث، تعليماته السريعة لزملائه، وحسن استماعه لكل منهم، ثم شكرهم والتفت إليّ قائلاً:

- إيه الأخبار يا عصام؟

- الحمد لله.. معايًا مفاجأة.

- مفاجأة!! أحب للمفاجآت.

- الكتاب جاهز.. بس أنا فعلاً تعبت.. دي رحلة طويلة وصعبة.

ابتسم صلاح وقال:

- الضرب والمخدرات رحلة مرعبة.. تشوف نور جميل في آخر النفق.. تروح له.. وفي ثانية تغلجيء بالك قدام القطر.. ومش هابقف.

- أنا لمته عندي كام سؤال.

- دا إنت سألتي مليون سؤال.. انتفضل اسأل.

- مش عارف ابتدى مين؟

- خيلنى أساعتك، ولو أنا مكنتك يبقى أول سؤال: إنت حاسن بيه النهارده؟

- هو ذا السؤال الأول.

- أنا فى واقع جميل.. كان ممكن يبقى مكاني مش هنا.. إما فى السجن

أو فى المستشفى، دا لو كنت عايش.

- السؤال التانى.. تتمنى إيه؟

رد صلاح بلا تردد:

- أتمنى أفضل مبطل.. يوم بيوم.

- طيب.. وبشكل عام؟

- مش عارف ابتدى مين، واللاً مين..

- ابتدى من أى مكان.

- أتمنى الناس تفهم إن الممنع مريض.. والأهم إن الممنع نفسه يفهم إنه

مريض.. أتمنى إن الممنع التلى عنده قضية، ولسه متاحكمش فيها، ومتخلش

السجن، يتحكم عليه بالملاج الأول.. ويمدين يرجع للقاضى بعد العلاج ومعا

متنوب من مركز التأهيل، دا التلى بيحصل فى كل الدنيا.. كلفة يبقى عندنا

ممنع مريض، بدل ما يكون عندنا ممنع مريض ومجرم.. وساعتها علاجه

هيبقى أصعب..

أتمنى إن الحكومة تدرس حالات الممنعين المسجونين، تعدد محاكمتهم،

وتخرج عنهم، نعالجهم الأوّل، ولو مافهموش، وماسّو عيوش التدرس، نجسبهم.

- لك حق، لازم ياخذوا فرصتهم.. تتمنى إيه كمان؟

- محتاجين مستشفيات ومراكز تأهيل أكثر.. لازم الممنع ياخذ فرصة سليمة..

نعالجه مطبوط وبأتمية.. الممنع ذكى، ولكن على رأى بابا: "الممنع بيسئ

استخدام ذكاته".. إنما بعد علاجه بيتوجه بذكاته إلى طريق سليم.. وفجأة تلاقيه

ناجح جداً، ومُنتج وسط المجتمع، وعندى أمثال كثيرة..

- آخر سؤال.. برنامج زمالة "الممنعين المجهولين" ابتدى فى مصر إمتى؟

- أول اجتماع فى مصر كان يوم 26 نوفمبر 1989، وكان فيه 2 بس

حاضرين، وإنت كتبت عنهم.

- مين دول؟

- أمجد وجمال.

- ودلوقت الموقف إيه؟

- الموقف جميل، عندنا 47 اجتماع فى الأسبوع، فى 6 محافظات، وفى حدود

1500 متعاقي لو ماكنش أكثر..

- وخارج مصر؟

- فى كل أسبوع أكثر من 43 ألف اجتماع، فى 127 دولة.

- ما شاء الله.

- وكل ساعة عدد المتعاقين بيزداد.

- نفس أسألك عن شخصيات كتبت عنها فى الرواية.. يا ترى هنا فى دلوقت؟

ابنسم صلاح ابتسامه هائلة وقال:

- فى القاهرة.. الإسكندرية.. سوهاج.. الهند.. البحرين.. إيران.. فرنسا..

فلسطين.. الكويت.. كندا.. السعودية.. أستراليا.. فى كل مكان فى الدنيا.

- معنديش أسئلة تانى.. عندي بروفة الكتاب أحب إنك تشوفها.. وحاجة واحدة

عازية أقولها لك.

- اتفضل.

- حمدًا لله على السلامة.

وصية الكاتب

عزيزى القارىء..

أشكرك على وقتك الذى قضيته مع هذا الكتاب.

أتوقع من بعض القراء محاولة معرفة بعض شخصيات هذه الرواية..

حقيقة الأمر: الموضوع شائك، ولا يحتمل الخطأ.. ولا الشك.. ولا الظن.

أرجو الحفاظ على مجهولية هؤلاء الأشخاص:

▪ احتراماً للخصوصية.

▪ تقديراً منا لدورهم، واهتمامهم بنقل الرسالة وتحمل المسؤولية.

▪ حماية لهم.. كي يستطيعوا الاستمرار فى مساعدة الآخرين، دون أى

إحراج أو أذى نفسى أو شخصى لهم ولعائلاتهم.

عزيزى القارىء..

هاتف هذه الرواية هو نقل الرسالة للمدمن الذى مازال يتعاطى.. وأتمنى

من الله أن يساعد هذا الكتاب فى شرح حجم المأساة، دون أى مبالغة،

كى نستطيع جميعاً مساندة ملايين المدمنين المرضى فى الوصول إلى الحقيقة،

بعد أن عاشوا أياماً وشهوراً وسنوات فى وهم المخدرات.. وأن ينقوا فى أن

هذه أملاً فى الشفاء.

"المتمنون المجهولون" هي زمالة أو مجتمع [هيئة أو جمعية]، لا يسعى إلى تحقيق الربح، ويتكون من رجال ونساء. أسست المختبرات مشكلة رئيسية بالنسبة لهم. نحن متمنون نفعاً ونجتمع معاً بانتظام، لتساعد بعضنا البعض كي نبقى متمتعين. هذا برنامج للامتياز التام عن كافة أنواع المختبرات. هناك مطلب واحد فقط للعضوية هو الرغبة في الامتناع عن التعاطي. نحن نقترح أن تكون متفتحاً ذهنياً وأن تعطى نفسك فرصة. برنامجنا هو عبارة عن مجموعة من المبادئ، مكتوبة ببساطة شديدة، لدرجة أننا نستطيع أن نشبعها في حياتنا اليومية، أهم ما فيها هو أنها تعمل [تنتج].

لا توجد قيود على زمالة المتميزين المجهوليين. نحن غير منتهيين لأي منظمات أخرى. ليس لنا أي رسوم اشتراك أو مستحقات، لا نوقع تعهدات ولا نقدم وعوداً لأي شخص. لا صلة لنا بأي جهة سياسية، أو دينية أو بأجهزة تطبيق القانون، ولا نخضع للمراقبة في أي وقت. يستطيع أي شخص أن ينضم إلينا بغض النظر عن جنسه، أو جده، أو هويته الجنسية، أو عقيدته، أو دينه أو...

نحن لا نهتم بنوعية أو بكمية المختبرات التي كنت تتعاطاها، أو بمن كانت صلاتك، أو بما فعلته في الماضي، أو بمدى غناك أو فقرك... لكننا نهتم فقط بما نريد أن نفعله بشأن مشكلتك، وكيف نستطيع أن نقدم المساعدة. العضو اللجند هو أهم شخص في أن اجتماع؛ لأننا نستطيع الاحتفاظ بما لدينا فقط بتقديمه للآخرين. لقد تعلمنا من خبرة مجموعتنا أن أولئك الذين يواظبون على المجيء إلى اجتماعاتنا بانتظام يظلون متمتعين.

* كتيب رقم 1: زمالة المتميزين المجهوليين. من: ماذا، كيف ولماذا. فان نيوز، كاليفورنيا:

زمالة المتميزين المجهوليين، 2004.

ملحق 1:

الخطوات الاثنتا عشرة لزمالة المتميزين المجهوليين*:

إذا كنت تريد ما تعرضه عليك، ولديك نية بذل الجهد للحصول عليه، إذا أنت مستعد لاتخاذ خطوات معينة. هذه هي المبادئ التي جعلت تعاوننا ممكناً.

1. اعترفنا لنا بلا قوة تجاه إيماننا، وأن حياتنا أصبحت غير قابلة للإدارة.
2. توصلنا إلى الإيمان بأن قوة أعظم من أنفسنا باستطاعتها أن تعيننا إلى الصواب.

3. إتخذنا قراراً بتوكيل إرادتنا وحياتنا لعناية الله على قدر فهمنا.

4. قمنا بعمل جرد أخلاقي متقن وبلا خوف عن أنفسنا.

5. اعترفنا لله ولأنفسنا ولشخص آخر بالطبيعة الحقيقية لأخطائنا.

6. كنا مستعدين تماماً لأن يزيل الله كل هذه العيوب الشخصية.

7. سألناه بتواضع أن يخلصنا من نقائصنا الشخصية.

8. قمنا بعمل قائمة بكل الأشخاص الذين أذنبناهم، وأصبحت لدينا نية تقديم إصلاحات لهم جميعاً.

9. قدمنا إصلاحات مباشرة لهؤلاء الأشخاص كلما أمكن ذلك، إلا إذا كان ذلك قد يضر بهم أو بالآخرين.

10. واصلنا عمل الجرد الشخصي لأنفسنا واعترفنا بأخطائنا فوراً.

11. سعينا من خلال الدعاء والتأمل إلى تحسين صلتنا الواعية بالله، على قدر فهمنا، داعين فقط لمعرفة مشيئته لنا والقوة على تنفيذها.

12. بتحقيق صحة روحية لدينا نتيجة لتطبيق هذه الخطوات، حاولنا حمل هذه الرسالة للمتميزين، وممارسة هذه المبادئ في جميع شؤوننا.

* كتيب رقم 1: زمالة المتميزين المجهوليين. من: ماذا، كيف ولماذا. فان نيوز، كاليفورنيا:

زمالة المتميزين المجهوليين، 2004.

ملحق 2:

التقاليد الاثنا عشر لزمانة المذمنين المجهولين*:

نحن نحفظ بما لدينا فقط باليقظة والحذر الشديد، وكما أن حرية الفرد تتحقق عن طريق الخطوات الاثني عشر، كذلك فإن حرية المجموعة تتبع من تقاليدنا.

وطالما أن الروابط التي تربطنا معاً أقوى من تلك التي يمكن أن نفرقنا، فسوف يكون كل شيء على ما يرام.

1. إن مصلحتنا المشتركة يجب أن تأتي في المقدمة، والتعافي الشخصي يعتد على وحدة زمالة المذمنين المجهولين.

2. لهدف مجموعتنا لا توجد سوى سلطة مطلقة واحدة - إله عطوف، علينا أن نسمي ليكون ضمير مجموعتنا موافقاً لمشيئته، وما قادتنا إلا خدم مؤتمنون، وهم لا يحكمون.

3. المطلب الوحيد للعضوية هو رغبة في الامتناع عن التعاطي.

4. يجب على كل مجموعة أن تكون مستقلة بذاتها، إلا في الأمور التي تؤثر على مجموعات أخرى، أو زمالة المذمنين المجهولين ككل.

5. كل مجموعة ليس لها سوى هدف أساسي واحد، هو حمل الرسالة للمذمن الذي مازال يعاني.

6. لا يجوز أبداً لأي مجموعة من زمالة المذمنين المجهولين، أن تؤيد أو تعبر اسم الزمانة لأي مرفق ذي نشاط مشابه، أو مشروع خارجي.. لكي لا تتسبب

مشكلات المال أو الممتلكات أو الجاه في تحويلنا عن هدفنا الأساسي.

7. يجب على كل مجموعة من زمالة المذمنين المجهولين أن تعتمد على نفسها بالكامل، وأن ترفض المساعدات الخارجية.

8. زمالة المذمنين المجهولين يجب أن تبقى للأبد غير مهنية، ولكن مراكز خدمتنا قد توظف عمالة متخصصة.

9. زمالة المذمنين المجهولين بهذا المفهوم لا ينبغي أبداً أن تكون منظمة، ولكننا قد ننشئ مجالس خدمة، أو لجاناً تكون مسؤولة مباشرة نحو من تخدمهم.

10. زمالة المذمنين المجهولين ليس لها رأى في القضايا الخارجية؛ لذلك لا ينبغي أبداً أن يجر اسم الزمانة إلى أي حذل علني.

11. إن سياستنا في العلاقات العامة قائمة على الجذب بدلاً من الدعاية؛ فنحتاج دائماً إلى أن نحافظ على المجهولية الشخصية على مستوى الصحافة، والإذاعة والأفلام.

12. المجهولية هي الأساس الروحي لكل تقاليدنا، نذكرنا دائماً وأبداً أن نقدم المبادئ على الشخصيات.

* كتيب رقم 1، زمالة المذمنين المجهولين، من، ماذا كيف ولماذا، قل نيوز، كاليفورنيا:

عصام يوسف..

من مواليد القاهرة..

تخرج في كلية الآداب، قسم اللغة الإنجليزية، جامعة القاهرة.

يعمل مدير عام شركة مونتانا ستوديوز للإنتاج السينمائي.

وهو كاتب رولية وسيناريو فيلم "¼ جرام"، ومن أعماله

قصة وسيناريو "ذهاب وعودة" (في مرحلة الإنتاج) وله عدة قصص

قصيرة أخرى (تحت الطبع).

وقد اختار "¼ جرام" كأول عمل له يتم نشره.

والده الكاتب الأديب: عبد التواب يوسف، رائد كتابة كتب

الأطفال في مصر والوطن العربي، وصاحب الألف عنوان.

ووالدته الكاتبة الصحفية: نائلة راشد 'ماما لبنى' رئيسة

تحرير مجلة سمير على مدار أربعين عاما.

متزوج.. وأولاده عمر ولبنى.

¼ جرام

الجمعة كنا حول المائدة.. دقائق الساعة تعلن الساعة.. راسي يفتح

السجائر، أحمد كعابته يقرأ الصحف، غلام مسغله السجائل الأمسكان على

زجاجات الخمور والبيرة المشبعة، حسين لا يوقف عن الحديث عن الأسرة،

وصلاح يفتح الكوتشينة، ويصل بهاء.. ويديه قد هات من الصبح، وقبل

التحية أو السلام، دخل مباشرة في الحديث قائلًا:

بهاء : اسمعوا يا رجالة.. راسي خسة دي مش خسارة ولا شئ..

مفاجأة.. الحديث.. الترميم.. سحر يا كسلان.. أنا معيا ميروين..

بودرة.. رقع جرام.

رامي : بودرة!!! تعمل إيه بودرة دي؟؟

مسلاح : ويعني حبل، إيه الزبح جرام دا يا بونو؟؟

بهاء : إبت مسكوب الزقع جرام..

تلوقت تشوفوا الزبح جرام دا هوصل إيه!!!